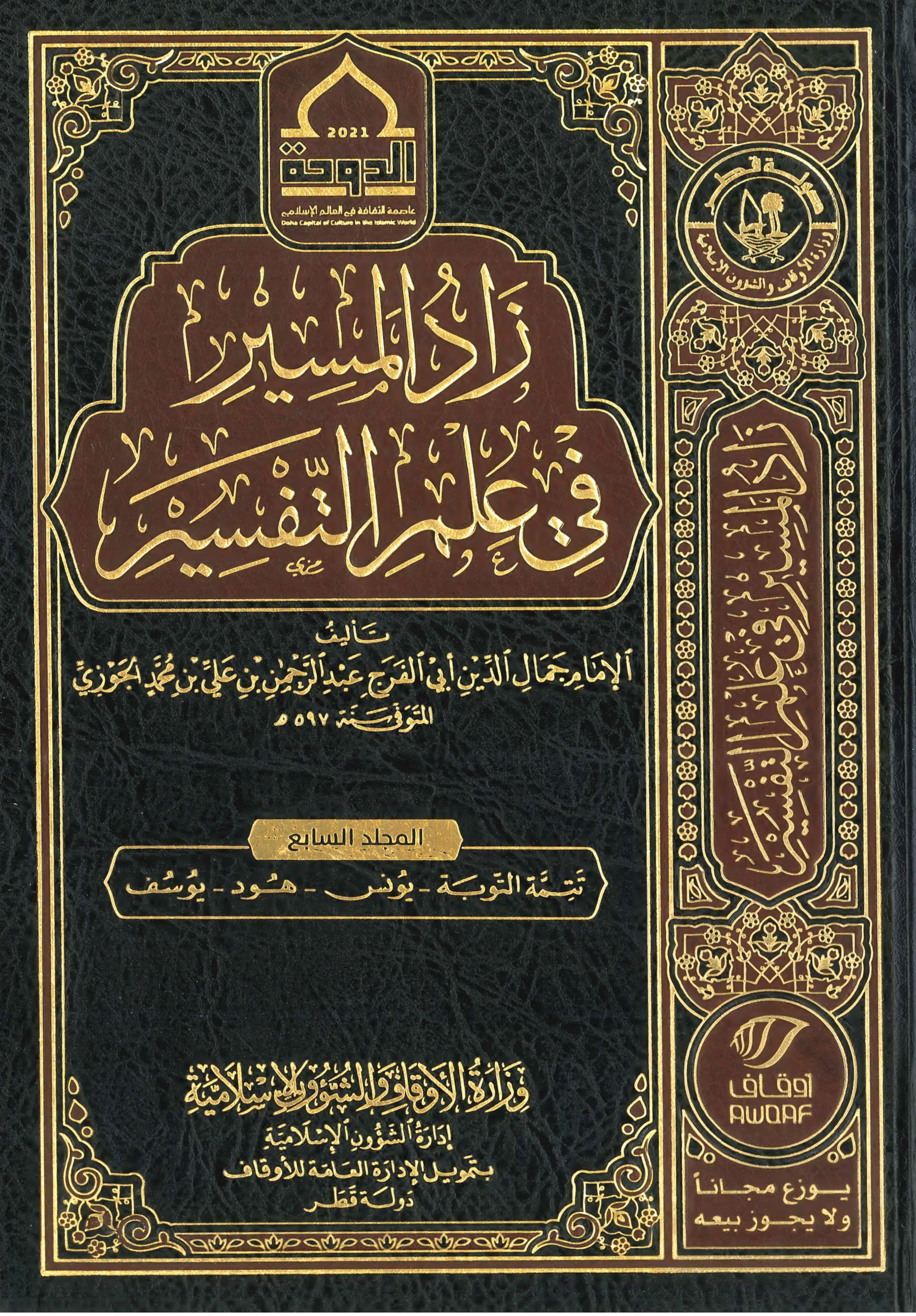

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد السابع
تتمة التوبة - يونس - هود - يوسف
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير في علم التفسير



الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا
شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26
تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السابع

التوبة ١٠١ - يوسف ٨١

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

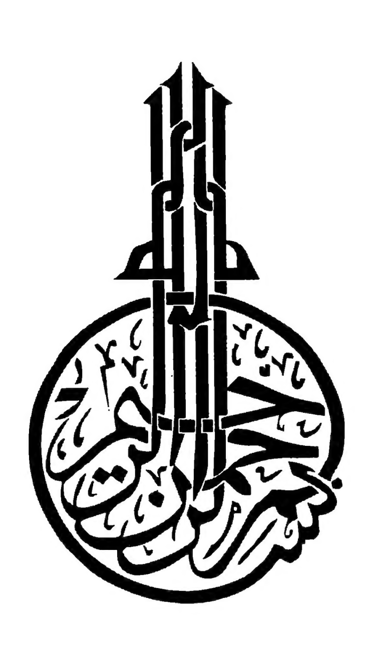
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١].

قَولُه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: مُزَينة، وجُهَينة، وأسلَم، وغِفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون[١].

قَالَ مُقَاتِل: وكانت منازِلُهم حولَ المدينة[٢].

وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: مرنوا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أُبَيٍّ، وجَد بن قيس، والجلاس، ومعتِّب[٣]، ووَحْوَح، وأبو عَامِر الراهب[٤].

وقَالَ أَبُو عُبَيدَة: عَتَوْا ومَرَنُوا عليه، وهو مِنْ قولهم: تمرَّد فلان، ومنه: شيطان مَرِيدٌ[٥].

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ ﴾ وليس يجوز في الكلام: مِنَ القَوم قَعَدُوا؟

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٩٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٦).

(٢) نظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٢).

(٣) في (ج): (ومغيث).

(٤) نظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٨٧)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥٢١).

(٥) نظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

فعَنْهُ ثلاثة أَجْوِبَةٍ:

أَحَدُهَا: أن تكون «من» الثَّانية مَرْدُودةً على الأولى، والتقدير: وممَّن حولَكُم من الأعراب ومن أَهْلِ المدينة منافقون، ثمَّ استأنفَ «مَرَدُوا».

والثَّاني: أن يكُونَ في الكلام «مَنْ» مضمرٌ، تقديره: ومن أهل المدينة مَنْ مَرَدُوا، فأُضْمِرَتْ «مَنْ» لدلالة «مِنْ» عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤] يريد: إلا مَنْ له مَقَامٌ معلومٌ، وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله تعالى: «منافقون».

[٣٣٩/ب] والثَّالث: أنَّ «مَرَدُوا» متعلِّقٌ بمنافقين، تقديره: ومِنْ أهل المدينة منافقون مَرَدُوا، ذَكَرَ هذه الأَجْوِبَةَ ابنُ الأَنْبَارِيِّ[1].

قَولُه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾.

فيه وَجْهَان:

أَحَدُهُمَا: لا تعلمهم أنت حتى نُعْلِمَكَ بهم.

والثَّاني: لا تعلم عَوَاقِبَهم.

قَولُه: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

فيه عشرة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّ العذابَ الأوَّل في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنِّفاق، والعذاب الثَّاني عذابُ القبر، قَالَه ابنُ عبَّاس.

---

(١) لم أقف عليه وانظر التفسير البسيط (١١/ ٢٧).

قَالَ: وقام رسُولُ الله ﷺ يوم جمعة خطيبًا، فقال: «**يَا فُلَانُ اخْرُجْ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، وَيَا فُلَانُ اخْرُجْ**»[١] ففَضَحَهم.

والثَّاني: أنَّ العذاب الأوَّل: إقامة الحدود عليهم، والثَّاني: عذاب القبر، وهذا مروِيٌّ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنَّ أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منهم، والآخر: الجهاد الذي يُؤْمَرون به، قَالَه الحسَنُ.

والرَّابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عَنِ ابنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ، وبه قَالَ أبو مالك.

والخامِسُ: الجوع والقتل، رواه سفيان عنِ ابْنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ.

والسَّادس: القتل والسَّبي، رواه مَعمَر عن ابنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ.

وقَالَ ابْنُ قتيبة: القتل والأسر[٢].

والسَّابع: أنهم عُذِّبُوا بالجوع مرتين، رواه خُصَيف عن مجاهد.

والثَّامِن: أنَّ عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنَّار، قَالَه ابن زيد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٩٢) من رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤) (١١٠٥٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف».

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).



والتاسع: أنَّ الأوَّل: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثَّاني: في القبر بمنكرٍ ونكيرٍ، قَالَه مُقَاتِل بن سُلَيمان[١].

والعاشر: أنَّ الأوَّل بالسَّيف، والثَّاني عند الموت، قَالَه مُقَاتِل بن حيان.

قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاب جهنَّم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢].

قَوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

اختلفوا فيمَن نَزَلَتْ على قولين:

أَحَدُهُمَا: أنَّهم عشرة رَهطٍ تخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، فلـمَّا دنا رجوع النبيِّ ﷺ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسَهم بسواري المسجد، فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ هَؤُلَاءِ؟**» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلَّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتَّى تطلقهم أنت وتعذرهم[٢]، فقال: «**وَأَنَا أُقْسِمُ بِاللهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذُرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ**»، فنزلت هذه الآية، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بنُ أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٣).

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٧١-٢٧٢) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

وروى العَوفي عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ الذين تخلَّفوا كانوا ستَّة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يُوثِقُوا أنفسهم، فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسولُ الله ﷺ وعذرهم[١].

وروى أبو صالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن خِذام الأنصاري. [٣٤٠/أ]

وقال سعيدُ بنُ جُبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية[٢].

وقَالَ قَتَادَة: ذُكر لنا أنَّهم كانوا سبعة[٣].

والثَّاني: أنَّها نزلت في أبي لبابة وحده.

واختلفوا في ذَنْبِه على قولين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه خان الله ورسولَه بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النُّزول على حكم سعد أنَّه الذبح، وهذا قول مجاهد، وقد شرحناه في «سورة الأنفال»[٤].

والثَّاني: أنَّه تخلُّفه عن تبوك، قَالَه الزُّهرِيّ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٥) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٤٩) (١٧١٤٠) من طريق سعيد عن قتادة.

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٢٧).



فأمَّا الاعتراف، فهو الإقرار بالشَّيء عن معرفة، والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التَّوبة والقَبول.

قَوْلُه: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾.

قَالَ ابْنُ جريرٍ: وُضِعَ الواوُ مكان الباء، والمعنى: بآخَرَ سيِّئ، كما يقال: خلطت الماءَ واللبن[1].

وفي ذلك العمل قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ العملَ الصَّالح: ما سبق من جهادهم، والسَّيِّئ: التأخر عن الجهاد، قَالَه السُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّ العملَ الصَّالح: توبتهم، والسَّيِّئ: تخلُّفهم، ذَكَرَه الفَرَّاء[2].

وفي قَوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ **قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: أنَّه واجبٌ من الله تعالى، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: أنَّه ترديدٌ لهم بين الطَّمع والإشفاق، وذلك يصُدُّ عن اللهو والإهمال.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

قَوْلُه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٥٠-٤٥١).

قال المُفَسِّرون: لمَّا تاب الله ﷻ على أبي لُبابة وأصحابه، قالوا: يا رسُولَ الله، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنَّا، فقال: «**مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا**» فنزلت هذه الآية[١].

وفي هذه الصَّدقة قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها الصَّدقة التي بذلوها تطوُّعًا، قَالَه ابنُ زيدٍ، والجمهور.

والثَّاني: الزكاة، قَالَه عِكْرِمَةُ.

قَوْلُه: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾.

وقَرَأَ الحسَنُ: «تُطَهِّرْهم» بجزم الرَّاء[٢].

قال الزَّجَّاجُ: يصلح أن يكون قَوْلُه: «تطهرهم» نعتًا للصَّدقة كأنَّه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهِّرة، والأجود أن يكون للنبيِّ ﷺ، المعنى: فإنَّك تطهرهم بها، فـ«تطهرْهم» بالجزم على جواب الأمر، المعنى: إنْ تأخُذْ من أموالهم تطهرْهم[٣].

ولا يجوز في: «تُزكِّيهم» إلَّا إثباتُ الياء، اتِّباعًا للمصحف.

قَالَ ابنُ عبَّاس: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذُّنوب ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ تصلحهم[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩)، والتحصيل (٣/ ٣٠٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، والمحتسب (١/ ٣٠١) كلهم نسبوها للحسن.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢٢).

وفي قَولِه: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: اسْتَغْفِرْ لهم، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: ادْعُ لهم، قَالَه السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، وأبـو عَمـرٍو، ونَافِـعٌ، وابـنُ عَامِـرٍ، وأبـو بكـر عـن عَاصِـمٍ: «إنَّ صَلَوَاتِـكَ» عـلى الجمـع.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «إنَّ صلاتك» على التَّوحيد[١].

وفي قوله: ﴿سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾ خمسةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: طمأنينةٌ لهم أنَّ الله قد قَبِلَ منهم، قَالَه أبو صَالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقَالَ أَبُو عُبَيدَة: تثبيتٌ وسكون[٢].

[٣٤٠/ب] والثَّاني: رحمةٌ لهم، رواه ابن أبي طَلحة عَنِ ابْنِ عبَّاس.

والثَّالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: وَقَارٌ لهم، قَالَه قَتَادَة.

والخامس: تزكيةٌ لهم، حكاه الثَّعْلَبِيُّ[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٧)، والحجة (٤/ ٢١٢-٢١٣)، والمبسوط (ص:٢٢٨-٢٢٩)، والتحصيل (٣/ ٣٠٠).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٩٠).

قَالَ الحَسَنُ، وقَتَادَة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خلِّفوا[(١)].

قَوْلُـهُ تعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤، ١٠٥].

قَوْلُه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ﴾.

قَرَأَ الجمهورُ: «يعلموا» بالياء.

ورَوَى عبدُ الوارث: «تعلموا» بالتاء[(٢)].

وقَولُه: ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾.

قَالَ أَبُو عبيدة: أي: من عَبِيده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك[(٣)].

وقوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبة: أي: يقبلها. ومثله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾[الأعراف:١٩٩] أي: اقْبَلْهُ[(٤)].

---

(١) انظر: البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٥٠٠).

(٢) في التحصيل (٣/ ٣٠٠) نسبها للحسن، والسلمي، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لعلي بن أبي طالب، وأُبي، وأنس بن مالك، وفي الكامل (ص:٥٦٤) قال: «بالتاء: الحسن في رواية عمرو بن عبيد، وعباس في اختياره وعبد الوارث، ومحبوب، وخارجة عن أَبِي عَمْرٍو، وأَبُو حَاتِم عن المفضل، وهارون عن عَاصِم كروايته عن أَبِي عَمْرٍو، وزاد أَبُو حَاتِم، وهارون «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» بالتاء، الباقون بالياء، وهو الاختيار»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧٩) نسبها للحسن، ومن مصحف أبي بن كعب.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).

قَولُه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ قَالَ ابْنُ زيد: هذا خطابٌ للذين تابوا.

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [التوبــة: ١٠٦].

قَوله: ﴿وَآخَرُوْنَ مُرْجَؤُوْنَ﴾.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بغير همز[١].

والآيَـةُ نزلـت في كَعْـبِ بـنِ مالـكٍ، ومُـرارةَ بـنِ الرَّبيـع، وهلال بـن أميَّة، وكانـوا فيمَـن تخلَّـف عـن تبـوك مـن غـير عـذرٍ، ثـمَّ لم يبالغـوا في الاعتـذار كـما فعـل أبـو لبابـة وأصحابـه، ولم يوثقـوا أنفسَـهم بالسَّـواري، فَوَقَـفَ رسـولُ الله ﷺ أمْرَهُـم، ونهـى النَّـاسَ عـن كلامهـم ومخالطتهـم حتَّـى نـزل قَولُـه تعـالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبـة:١١٨][٢].

قَـالَ الزَّجَّـاج: ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ عطـفٌ على قولـه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾، فالمعنـى: منهـم منافقـون، ومنهـم آخـرون ﴿مُرْجَوْنَ﴾ أي: مؤخَّـرون، و﴿إِمَّا﴾ لوُقُـوعِ أَحَـدِ الشَّـيئين، والله تعـالى عـالمٌ بـما يصـير إليـه أمرُهـم، لكنَّـه خاطـب العِبَـادَ بـما يعلمـون، فالمعنـى: ليَكُـنْ أَمْرُهُـم عندكـم عـلى الخَـوف والرَّجـاء[٣].

---

(١) انظـر: المبسـوط (ص:٢٢٩)، والمحـرر الوجيـز (٣/ ٨٠)، والتحصيـل (٣/ ٣٠٠)، وبـه قـرأ حفـص عـن عاصـم (معـاني القـراءات للأزهـري) (١/ ٤٦٤).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص:٢٥٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٧).

قَولُـه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عَلِيْـمٌ بـما يـؤول إليـه حَالهـم، حَكِيْـمٌ بـما يفعلـه بهـم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبـة: ١٠٧].

قَولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كثـيرٍ، وأبـو عَمـرٍو، وعَاصِـمٌ، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «والذيـن» بـواو، وكذلـك هـي في مَصَاحِفِهـم.

وقَـرَأَ نَافِـعٌ، وابـن عَامِـرٍ: «الذيـن» بغـير واو، وكذلـك هـي في مَصَاحِـفِ أهـل المدينـة والشـام[1].

قَـالَ أَبُـو عليّ: من قَـرَأَ بالواو، فهـو معطوفٌ على مـا قَبْله، نحـو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبـة:٧٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ [التوبـة:٥٨] ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبـة:٦١]، والمعنـى: ومنهم الذين اتَّخذوا مسـجدًا.

ومَن حذف الواو، فعلى وَجْهَين:

أَحَدُهُمَـا: أن يضمـر: «ومِنْهُـمُ الَّذِيـنَ اتَّخـذوا»، كقولـه تعـالى: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمـران:١٠٦]، المعنـى: فيُقَـال لهـم: أكفرتـم.

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢٣٩)، والمبسوط (ص:٢٢٩).

والثَّاني: أن يُضمَرَ الخبرُ بعدُ، كما أُضْمِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج:٢٥] المعنى: يُنْتَقَم منهم ويعذَّبون[١].

قال أهلُ التَّفسير: لما اتَّخذ بنو عَمرِو بنِ عوفٍ مسجد قباء، وبعثوا إلى رسُولِ الله ﷺ فأتَاهم، فصَلَّى فيه حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عَوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مَسْجِدًا، ونُرْسِلُ إلى رسول الله ﷺ فيُصلِّي فيه، ويُصَلِّي فيه أبو عَامِر الرَّاهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عَامِرٍ قد ترهَّب في الجاهليَّة وتنصَّر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشَّام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدِّوا ما استطعتم من قوَّة وسلاح، وابنوا لي مسجدًا، [٣٤١/أ] فإني ذاهِبٌ إلى قَيصَر فآتي بجند الرُّوم فأُخرج محمدًا وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا: خِذام بن خالد، ومِنْ داره أُخرِجَ المسْجِدِ، ونَبْتَل بن الحارث، وبِجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومُعتِّب بن قُشير، وعبَّاد بن حُنَيف، ووديعة بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عَامِر، وابناه يزيد ومُجمِّع، وكان مُجمِّع إمامهم فيه، ثمَّ صلحت حالُه، وبحرج جدُّ عبد الله بن حنيف، وهو الذي قالَ له رسول الله ﷺ: «مَا أَرَدْتَ بِمَا أَرَى»؟ فقال: والله ما أردت إلَّا الحسنى، وهو كاذب[٢].

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٦) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

وقَالَ مُقَاتِل: الذي حلف مُجمِّع[١].

وقيل: كانوا سبعةَ عشرَ، فلمَّا فرغوا منه، أَتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنَّما[٢] قد ابتنينا مسجدًا لذي العلَّة والحاجة والليلة المطيرة، وإنَّا نحبُّ أن تأتينا فتصليَ فيه، فدَعَا بقميصه[٣] ليلبسه[٤]، فنزل عليه القُرآن، وأخبره الله خَبَرَهُم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن الدُّخْشُم في آخرين، وقال: «**انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمُوهُ وَأَحْرِقُوهُ**»، وأَمَرَ به رسول الله ﷺ أن يُتَّخَذَ كُناسةً تُلقى فيها الجِيَف[٥].

وماتَ أبو عَامِر بالشَّام وحيدًا غريبًا.

فأمَّا التَّفسير:

فقال الزَّجَّاجُ: «الذين» في مَوضعِ رَفْعٍ، المعنى: ومنهم الذين اتَّخذوا مسجدًا ضرارًا، و﴿ضِرَارًا﴾ انتصبَ مفعولًا له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتَّفريق والإرصاد، فلمَّا حُذِفَتِ اللامُ، أفضى الفعل فنَصب[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٦).

(٢) كذا في النسخ الخطية وفي تفسير الطبري وابن هشام (إنا).

(٣) في (ج): (فدعا قميصه).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٧٢-٦٧٣) من رواية مُحَمَّد بن إِسْحَاق عَن الزُّهْرِي وَيزِيد بْن رُومَان وَعبد الله بن أبي بكر وَعَاصِم بن عمر بن قَتَادَة به.
وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٨).

قال المُفَسِّرون: والضِّرار بمعنى المُضَارَّة لمسجد قباء، ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله ورسُوله ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّهم كانوا يُصَلُّون في مسجد قباء جميعًا، فأرادوا تفريقَ جماعتهم.

والإِرْصَادُ: الانتظارُ، فانتظروا به مجيءَ أبي عَامِر، وهو الذي حَارَبَ الله ورَسُولَه من قبل بناء مسجد الضِّرار.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ﴾ أي: ما أردنا. ﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ما أردنا بابْتِنَائِه إلَّا الحسنى.

وفيها ثلاثةُ أوجهٍ[1]:

أَحَدُهَا: طاعَةُ الله.

والثَّاني: الجنَّة.

والثَّالث: فِعْلُ التي هي أحسن من إقامة الدِّين والاجتماع للصلاة.

وقد ذكرنا اسم الحالف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾ أي: لا تصلِّ فيه أبدًا.

---

(١) في (ج): (أقوال).

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: بُنِيَ على الطَّاعة، وبناه المتَّقون.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: منذ أوَّل يومٍ.

قال الزَّجَّاجُ: [دخلت][1] «مِنْ» في الزمان، والأصل: منذ ومذ، وهو الأكثرُ في الاستعمال، وجائزٌ دخولُ «من» لأنَّها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض.

ومثله قول زهير[2]: [من الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ ... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ

وقيل معناه: مِن مَرِّ حِجَجٍ ومِن مَرِّ شهرٍ[3]. [٣٤١/ب]

وفي هذا المسجد ثلاثة أقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذي فيه منبرُه وقبره.

روى سهل بنُ سعد أنَّ رجلين اختلفا في عهد رسولِ الله ﷺ في المسجد الذي أسِّس على التقوى، فقال أَحَدُهُمَا: هو مسجد الرَّسول،

---

(١) زيادة من (ج)، و(ف)، و(ر).

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (ص ٨٦)، والبيان والتبيين (٢/ ١٧٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٨)، ودرة الغواص (ص٩١)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٠)، والصحاح (٦/ ٢٢٠٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٦٩)، ولسان العرب (٤/ ١٧٠)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٨).

وقال الآخر: هو مسجدُ قباء، فذكروا[1] ذلك لرسُولِ الله ﷺ، فقال: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»[2].

وبه قَالَ ابْنُ عُمر، وزيدُ بن ثابت، وأبو سعيد الخدريّ، وسعيد بن المسيِّب.

والثَّاني: أنَّه مسجد قباء، رواه عليُّ بن أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ سعيدُ بن جُبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمةَ بن عبد الرَّحمن، والضَّحَّاك، ومُقَاتِل[3].

والثَّالث: أنَّه كلُّ مسجدٍ بني في المدينة، قَالَه محمَّد بن كعب.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾.

---

(١) في (ر): (فذُكر).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٨٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٢٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٠٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٤٦٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٧٣٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٠٢٥)، والحاكم في مستدركه (٣٢٨٤) من رواية عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث أبي سعيد الخدري أصح منه».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤): «رواه كله أحمد والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٦).

سبب نزولها: أنَّ رجالًا من أهل قباء كانوا يَسْتَنْجُونَ بالماء، فنزلت هذه الآية، قَالَه الشعبي[(١)].

قَالَ ابنُ عبَّاس: لما نَزَلَتْ هذه الآيَةُ، أتاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**مَا الَّذي أَثْنَى اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ**» فقالوا: إنَّا نَسْتَنْجِي بالماء[(٢)].

فعلى هذا، المراد به الطَّهارة بالماء.

وقَالَ أبُو العالية: أن يتطهَّروا من الذُّنوب[(٣)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩١) من رواية داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: لما نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: «**ما هذا الذي أثنى الله عليكم؟**» قالوا: ما منا من أحد إلا وهو يستنجي من الخلاء.

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١١٠٦٥)، والحاكم في مستدركه (٦٧٢)، والبيهقي في السنن الصغير (٥٤)، والسنن الكبرى (٥١٢) من رواية مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت الآية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: ١٠٨] بعث النبي ﷺ إلى عويمر بن ساعدة فقال: «**ما هذا الطهور الذي أثنى الله عز وجل عليكم؟**» فقالوا: يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال: مقعدته -. فقال النبي ﷺ: «**هو هذا**».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٣) عن أبي المنهال قال: كنت عند أبي العالية فتوضأ أو توضأت، فقلت: إن الله يحب المتطهرين، فقال: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيّ: «أَسَّس» بفتح الألف في الحرفين جميعًا وفتح النُّون فيهما.

وقَرَأَ نَافِع، وابن عَامِر: «أُسِّس» بضم الألف، «بنيانُه» برفع النون[١].

والبنيان مَصْدَرٌ يراد به المبنيّ[٢].

والتأسيس: إحكامُ أُسِّ البِنَاء، وهو أصله، والمعنى: المؤسِّس بنيانَه متَّقيًا يخاف الله ويرجو رضوانه خيرٌ، أم المؤسِّس[٣] بنيانَه غيرَ مُتَّقٍ؟.

قال الزَّجَّاج: وشفا الشيء: حَرفُه وحدُّه[٤].

والشَّفا مقصورٌ، يكتب بالألف ويثنّى شَفَوان.

قَولُه: ﴿جُرُفٍ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمرٍو، والكِسَائِيُّ: «جُرُف» مثقَّلًا.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢١٨)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٩).

(٢) في (ج): (النبي ﷺ)!.

(٣) في (ج): (أمَّن أُسس)، وفي (ف): (من المؤسس).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٠).

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «جُرْف» ساكنة الراء[١].

قَالَ أَبُو علي: فالضمُّ الأصلُ، والإسكان تخفيفٌ، ومثله: الشُّغُل والشُّغْل[٢].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: المعنى: على حَرْفِ جُرْفٍ هائر، والجرف: ما يتجرَّف بالسّيول من الأودية، والهائر: السَّاقط، ومنه: تهوَّر البناء وانهار: إذا سَقَطَ[٣].

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وحَمْزَةُ: «هار» بفتح الهاء.

وأمال الهاء نَافِعٌ، وأبو عمرو.

وعن عَاصِمٍ كالقراءتين[٤].

قوله: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي: بالباني ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

قال الزَّجَّاج: وهذا مَثَلٌ، والمعنى: أنَّ بناء هذا المسجد كبناءٍ على جُرُفِ جهنَّم يتهوَّر بأهله فيها[٥][٦].

وقَالَ قَتَادَة: ذُكر لنا أنَّهم حفروا فيه حفرةً فرُئِيَ فيها الدُّخان[٧].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢٢١)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٥)، والتحصيل (٣/ ٣٠١).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣١٨-٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٢٣)، والتيسير (ص:٥١).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٠).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٠) من رواية سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم

قال جَابِر: رأيتُ المسجدَ الذي بُنِيَ ضرارًا يخرج منه الدُّخان[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١١٠].

قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضرار.

﴿الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أَقْوَالٍ:

[٣٤٢/أ] **أَحَدُهَا:** شَكًّا ونِفَاقًا، لأَنَّهم كانوا يحسبون أَنَّهم مُحْسِنُون في بنائه، قَالَه ابنُ عبَّاس، وابنُ زيد.

والثَّاني: حَسْرَة ونَدَامَة، لأَنَّهم نَدِمُوا على بنائِه، قَالَه ابنُ السَّائب، ومُقَاتِلٌ[2].

والثَّالث: أنَّ المعنى: لا يَزَالُ هَدْمُ بنيانِهم حَزَازَةً وغيظًا في قلوبهم، قَالَه السُّدِّيُّ، والمبَرِّد.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

قَرَأَ الأكثرون: «إِلَّا» وهو حرف استثناء.

مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] قال: والله ما تناهى أن وقع في النار، ذُكر لنا أنَّه حفرت بقعة منه فرئي منها الدخان.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٩) من رواية طلق بن حبيب عن جابر به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٨).

وَقَرَأَ يعقوبُ: «إلى أن» فجَعَلَه حرفَ جرٍّ[١].

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائِيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تُقَطَّع» بضمِّ التاء.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «تَقَطَّع» بفتح التَّاء[٢].

ثمَّ في المعنى قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: إلَّا أَنْ يموتوا، قَالَه ابنُ عبَّاس، ومُجَاهدٌ، وقَتَادَة في آخرين.

والثَّاني: إلَّا أن يتوبوا توبةً تتقطَّع بها قلوبُهم ندمًا وأسَفًا على تفريطهم، ذكره الزَّجَّاجُ[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قَولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ الأنصار لما بايَعَتْ رسُولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبَة وكانوا سبعين رجلًا، قالَ عبدُ الله بن رواحة: يا رسولَ الله اشترط لربِّك ولنفسِكَ

---

(١) انظر: المبسوط (ص: ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣٠)، والمبسوط (ص: ٢٣٠)، والتيسير (ص: ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١).

ما شئت، فقال «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ»، قالوا: فإذا فَعَلْنا ذلك، فما لنا؟ قال: «الْجَنَّةُ» قالوا: رَبِحَ البيعُ، لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيل، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، قَالَه محمَّد بن كعب القرظي[1].

فأمَّا اشتراء النَّفس فبالجهاد.

وفي اشتراء الأموال وجهان:

أَحَدُهُمَا: بالإِنْفَاق في الجهاد.

والثَّاني: بالصَّدَقات.

وذِكْرُ الشِّراء هاهنا مَجَازٌ؛ لأنَّ المشتري حَقِيقَةً هو الَّذي لا يَمْلِكُ المشْتَرَى، فهو كقَولِه تَعَالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

والمرادُ من الكلامِ أنَّ الله أمَرَهُم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليُجَازِيهم عن ذلك بالجنَّة، فعَبَّر عنه بالشِّراء لِما تضمَّن من عوضٍ ومعوَّض.

وكان الحسَنُ يقول: لا والله، إنْ في الدُّنيا مؤمنٌ إلَّا وقد أُخِذَتْ بَيعَتُه[2].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) عن محمد بن كعب القرظي به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٦) من رواية مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: اسمعوا رحمكم الله، بيعة بايع الله لكل مؤمن، قال الحسن: لا والله ما على ظهر الأرض مؤمن إلا قد دخل في هذه البيعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية.

ورواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) عن أبي رجاء، عن الحسن، أنَّه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[التوبة: ١١١] قال: «بايعهم فأغلى لهم الثمن».

وقَالَ قَتَادَة: ثامَنَهم اللهُ فأَغْلَى لهم[١].

قوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامِرٍ، وعَاصِمٌ: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ فاعلٌ ومفعول.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «فيُقتَلُون ويَقتُلون» مفعول وفاعل[٢].

قَالَ أَبُو عليّ: القِرَاءةُ الأولى بمعنى أنَّهم يَقتُلون أوّلًا ويُقتلون، والأخرى يجوز أن تكُونَ في المعنى كالأولى، لأنَّ المعطوف بالواو يجوز أن يُرَادَ به التقديم، فإنْ لم يُقدَّر فيه التقديم، فالمعنى: يُقتَلُ مَن بقيَ منهم بعدَ قتلِ مَنْ قُتِلَ، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن مَن بقي بِقَتْلِ من قُتل، ومعنى الكلام أنَّ الجنَّة عوضٌ عن جهادهم، قَتَلوا أو قُتلوا[٣].

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: نصب «وعدًا» بالمعنى، لأنَّ معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

قال: وقولُه تعَالَى: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يدلُّ على أنَّ أهلَ كلِّ [٣٤٢/ب] ملَّة أُمِرُوا بالقتال ووُعِدوا عليه الجنَّة[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) من رواية محمد بن يسار، عن قتادة به.

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣١)، والتيسير (ص:٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٧).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ٢٣١-٢٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١).

قَوْلُه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: لا أحدَ أوفى بما وَعد مِنَ اللهِ.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ أي: فافْرَحُوا بهذا البيع.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾.

سبب نزولها: أنَّه لما نَزَلَتْ [الآية][1] التي قبلها، قال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ سَرَقَ وإن زَنى وإن شرب الخمر؟ فنزلت هذه الآية، قالَه ابنُ عبَّاس[2].

قال الزَّجَّاج: يَصلُحُ الرَّفعُ هاهنا على وجوه:

أَحَدُهَا: المدحُ، كأنَّه قال: هؤلاء التَّائبون، أو هم التَّائبون.

ويجوز أن يكونَ على البَدَلِ، والمعنى: يقاتِلَ التَّائِبُون، فهذا مذهب أهل اللُّغة، والذي عندي أنَّه رُفِعَ بالابتداء، وخبرُه مضمرٌ، المعنى: التَّائبون ومَنْ ذُكِرَ معهم لهم الجنَّة أيضًا وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد ولا العِنَاد، لأنَّ بعضَ المسلمين يجزئ عن بعضٍ في الجِهَاد[3].

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١-٤٧٢).

وللمُفَسِّرين في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الرَّاجِعُون عن الشِّرك والنِّفاق والمعاصي.

والثَّاني: الرَّاجِعُون إلى الله في فعل ما أمَرَ واجْتِنَابِ ما حَظَرَ.

وفي قوله: ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: المطيعون لله بالعِبَادَةِ، قَالَه أبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المقيمون الصَّلاة، قَالَه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: الموحِّدون، قَالَه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قولُه: ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾.

قَالَ قَتَادَةَ: يحمدون الله تَعَالى على كلِّ حالٍ[1].

وفي السَّائِحِينَ أربعة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الصَّائمُون، قَالَه ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَير، وقَتَادَة في آخرين.

قال الفرَّاء: ويرى أهلُ النَّظر أنَّ الصَّائِمَ إنَّما سمِّيَ سائحًا تشبيهًا بالسَّائِحِ، لأنَّ السَّائِحَ لا زادَ مَعَه، والعربُ تقولُ للفرسِ إذا كان قائمًا لا عَلَفَ بين يديه: صائِمٌ، وذلك أنَّ له قُوتَين، غدوةً وعشِيَّةً، فشُبِّه به صيامُ الآدميِّ لتسحُّره وإفطارِه[2].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٠) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٦٧-١٦٨).

والثَّاني: أنَّهم الغُزاة، قَالَه عَطَاء.

والثَّالث: طلَّاب العِلْم، قَالَه عِكْرِمَة.

والرَّابع: المهاجِرُون، قَالَه ابنُ زيدٍ.

قَولُه: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يعني في الصَّلاة.

﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو طاعة الله.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو معصية الله.

فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾؟

فعنه جوابان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ الواو إنَّما دخلت هاهُنا لأنَّها الصِّفة الثَّامِنة، والعربُ تَعطِفُ بالواو على السَّبعة، كقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢] وقولُه في صفة الجنَّة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣]، ذكره جماعةٌ من المفسِّرين.

والثَّاني: أنَّ الواو إنَّما دخلت على النَّاهين؛ لأنَّ الآمِرَ بالمعروف نَاهٍ عن المنْكَرِ في حَالِ أَمْرِهِ، فكَانَ دخُولُ الواوِ دلالةً على أنَّ الأمْرَ بالمعروفِ لا ينفردُ دُونَ النَّهيِ عنِ المنْكَرِ، كما ينفَرِدُ الحَامِدُونَ بالحَمْدِ دونَ السَّائحين، والسَّائحُون بالسِّيَاحَةِ دون الحامِدينَ في بَعْضِ الأَحْوَالِ والأَوْقَاتِ.

قَوْلُه: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾.

قَالَ الحَسَنُ: القائمون بأمْرِ الله[1].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبـة: ١١٣، ١١٤].

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾. [٣٤٣/أ]

في سَبَبِ نُزُولها أربعة أَقْوالٍ:

أَحَدُهَـا: أنَّ أبـا طالـبٍ لمـا حضرتـه الوفـاةُ، دَخَـلَ عليـه رسـولُ الله ﷺ، وعنـده أبـو جهـل، وعبـدُ الله بـن أبي أميَّـة، فقـال: «**أَيْ عَـمِّ، قُـلْ مَعِـي: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، أُحَـاجُّ لَـكَ بِهَـا عِنْـدَ اللهِ**»، فقـال أبـو جهـل وابـنُ أبي أميَّـة: يـا أبـا طالـب، أترغـب عـن ملَّـة عبـد المطلـب؟! فلـم يـزالا يكلِّمانـه، حتَّـى قـال آخـر شيء كلَّمهـم بـه: عـلى ملَّـة عبـد المطلـب. فقـال النبي ﷺ: «**لَأَسْـتَغْفِرَنَّ لَـكَ مَـا لَمْ أُنْـهَ عَنْـكَ**[2]»، فنزلـت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآيـة، ونزلـت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] أخرجـه البخـاريُّ ومسـلم في «الصحيحـين» مـن حديـث سَـعِيدِ بـن المسيِّـب عـن أبيـه[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٢) عن الحسن به.

(٢) في (ج): (عنه).

(٣) رواه البخـاري في صحيحـه (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسـلم في صحيحـه (٢٤) مـن حديـث سـعيد بـن المسـيب، عـن أبيـه بـه.

وقيل: إنَّه لَمَّا ماتَ أبو طالبٍ، جعل النبيُّ ﷺ يستغفر له، فقال المسْلِمُون: ما يمنعنا أن نَسْتَغْفِرَ لآبائنا ولذوِي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيمُ لأبيه، وهذا محمَّد يستغفرُ لعمِّه؟ فاستغفروا للمشركين، فنَزَلَتْ هذه الآية[1].

قالَ أبو الحُسَين[2] بنُ المنادي[3]: هذا لا يصح، إنَّما قال النبيُّ ﷺ لعمِّه: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» قبل أن يموتَ، وهو في السِّياق، فأمَّا أن يكون استغفرَ له بعد الموت فَلَا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه.

والثَّاني: أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقبر أمِّه آمنة، فتوضَّأ وصلَّى ركعتين، ثمَّ بكى فبكى النَّاس لبكائه، ثمَّ انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢١) عن عمرو بن دينار، أن النبي ﷺ قال: «استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي» فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي ﷺ لعمه فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١١٣].. إلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة: ١١٤].

(٢) في الأصل، و(ج): (أبو الحسن)، وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب.

(٣) وهو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي: ولد سنة (٢٥٦هـ)، وهو عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد، ومات سنة (٣٣٦هـ)، ودفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن (٤٠٠) كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتابًا. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه. آخر من روى عنه محمد بن فارس الغوري. من كتبه: (اختلاف العدد) و(دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات). انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣)، وتاريخ بغداد (١٩٥٩)، والأعلام؛ للزركلي (١/ ١٠٧).

فقَال: «مَرَرْتُ بِقَبْرِ أُمِّي فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَنُهِيتُ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ عُدْتُ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَاسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَزُجِرْتُ زَجْرًا، فَأَبْكَانِي»، ثمَّ دعا براحِلَتِه فركبها فما سار هنيَّةً حتى قامَتِ النَّاقة لثِقَل الوحي فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ والآية التي بعدها، رواه بريدة عن رسول الله ﷺ[1].

والثَّالث: أنَّ رَجُلًا استغفرَ لأبوَيْه، وكانا مشركين، فقالَ له عليُّ بنُ أبي طالب: أَتَسْتَغْفِرُ لهما وهما مُشْرِكَان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبِيه؟ فذكر ذلك عليٌّ لرسولِ الله ﷺ، فنَزَلَتْ هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليلِ عن علي[2].

والرَّابع: أنَّ رجالاً من أصحاب رسولِ الله ﷺ قالوا: يا نبيَّ الله إنَّ من آبائنا مَن كان يُحسِنُ الجِوَار، ويَصِلُ الأرحام[3]، ويفكُّ العاني، ويوفي بالذِّمَم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بَلَى وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لِأَبِي كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ»، فنزلت هذه الآيةُ، وبيَّن عُذْرَ إبراهيم، قالَه قتَادَة[4].

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٩٧٦) من حديث أبي هريرة بنحو رواية الطبري.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠١)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٩).

(٣) في (ف): (الرحم).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٤) من رواية سعيد، عن قتادة به.

ومعنى قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: من بعدِ مَا بَانَ أنَّهم ماتوا كفَّارًا.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فيه قَوْلان:

[٣٤٣/ب] أَحَدُهُمَا: أنَّ إبراهيم وعدَ أباه الاسْتِغْفَارَ، وذلك قَولُه تعالى: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧]، وما كان يَعْلَمُ أنَّ الاسْتِغْفَارَ للمشركين محظُورٌ حتَّى أخبرَه الله تعالى بذلك.

والثَّاني: أنَّ أباه وعَدَه أنَّه إنِ اسْتَغْفَرَ له آمَنَ، فلـمَّا تبيَّن لإبراهيم عداوةُ أبيه لله تعالى بمَوْتِه على الكفر، تَرَكَ الدُّعاء له.

فعلى الأوَّل تكون هاء الكناية في «إيَّاه» عائدةً على آزر، وعلى الثَّاني تعود على إبراهيم.

وَقَرَأَ ابْنُ السَّمَيْفَعِ، ومعاذ القارئ، وأبو نَهيك: «وعدها أباه» بالباء[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لحماد الراوية، ويقال: إنَّه صحَّفه، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ١٠٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٢٨) كلاهما عزاها للحسن، وفي البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٥١٣) عزاها للحسن، وحماد الراوية، وابن السميفع، وأبي نهيك، ومعاذ القارئ.

وفي الأَوَّاه ثمانيةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه الخاشِعُ الدَّعَّاء المتضرِّع، رواه عبدُ الله بنُ شدَّاد بن الهاد عن النبيِّ ﷺ[١].

والثَّاني: أنَّه الدَّعَّاء، رواه زِرٌّ عن عبد الله، وبه قال عُبَيْدُ بنُ عمير.

والثَّالث: الرَّحيم، رواه أبو العبيد بن العَامِري عن ابنِ مَسْعُود، وبه قَالَ الحَسَنُ، وقتادة، وأبو مَيْسَرَة.

والرَّابع: أنَّه الموْقِنُ، رواه أبو ظبيان عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قَالَ مُجَاهِدٌ، وعَطَاء، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك.

والخامس: أنَّه المؤْمِنُ، رواه العوفي، ومجاهد، وابنُ أبي طَلْحَة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والسَّادس: أنَّه المسبِّح، رواه أبو إسْحَاقَ عن أبي ميسرة، وبه قال سعيدُ بنُ المسيِّب، وابنُ جُبَير.

والسَّابع: أنَّه المتأوِّه لِذِكْرِ عذابِ الله، قَالَه الشَّعبي.

قَالَ أبو عُبَيْدَة: مجازُ أوَّاه مجازٌ فَعَّال من التأوُّه، ومعناه: مُتَضَرِّع شَفَقًا[٢] وفَرَقًا ولزومًا لطاعة ربِّه[٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٢) من رواية شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد مرسلاً به.

(٢) في (ج): (مشفقًا).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٧٠).

قال المُثَقَّب[(١)]: [من الوافر]

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

والثَّامِن: أنَّه الفَقِيه، رواهُ ابنُ جُريج[(٢)] عن مجاهِدٍ.

فأمَّا الحليم، فهو الصَّفوح عن الذُّنوب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٥، ١١٦].

قَولُه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية.

سبب نزولها: أنَّه لما نزلت [آيةُ][(٣)] الفرائِضِ، وجاء النَّسْخُ، وقد غابَ قومٌ وهم يعلمون بالأمرِ الأوَّل مثل أمرِ القِبلَة والخَمرِ، ومات أقوامٌ على ذلك، فسألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قالَه أبو صالحٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ[(٤)(٥)].

---

(١) البيت للمثقب العبدي في ديوانه (ص١٩٤)، والعين (٤/ ١٠٤)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٦٢)، والزاهر (١/ ٢٥٣)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٦٢)، وإصلاح المنطق (ص٢٢٨)، ودرة الغواص (ص١٨٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٣٣٩)، والصحاح (٤/ ١٧٠٧)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٢)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٥٠).

(٢) في (ج): (ابن جرير).

(٣) زيادة من (ف).

(٤) قوله: (قاله أبو صالح عن ابن عباس)، تكرَّرت في الأصل.

(٥) عزاه الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠٤) لمقاتل، والكلبي، ومعلومٌ أن الكلبي= =أخذ تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقَالَ قَومٌ: المعنى: أنَّه بيَّن أنَّه لم يكن ليأْخُذَهُم بالاسْتِغْفَارِ للمُشْرِكِينَ قبل تحريمه، فإذا حرَّمَه ولم يمتنعوا عنه؛ فقد ضَلُّوا[١].

وقَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: في الآيَةِ حذفٌ واختصارٌ، والتأويل: حتَّى يتبيَّن لهم ما يتَّقُون، فلا يتَّقُونه، فعند ذلك يستحقُّون الضَّلال، فحُذِفَ ما حُذِفَ لبيان معناه، كما تقول العَرَبُ: أَمَرْتُكَ بالتِّجارة فكسبتَ الأموالَ، يريدون: فتجرتَ فكسبتَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

قَوْلُه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾.

قال المُفَسِّرون: تابَ عليه من إذنه للمُنَافقين في التَّخَلُّف.

وقال أهلُ المعاني: هو مفتاحُ كلامٍ، وذلك أنَّه لما كانَ سَبَبَ تَوبَةِ التَّائبين، ذُكِرَ معهم، كقَولِه تَعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

(١) وهذا معنى كلام مجاهد الذي رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] قال: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته، فافعلوا أو ذروا.

قَوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هـمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوه في غَزْوَةِ تَبُوك، والمرادُ بسَاعَةِ العُسْرَةِ: وقتُ العُسرَةِ، لأنَّ[1] السَّاعة تقعُ على كلِّ الزَّمان، وكان في ذلك [٣٤٤/أ] الوقت حرٌّ شديدٌ، والقَوم في ضيقة شَدِيدَة، كان الجمل بين جماعة يعتقَّبُون عليه، وكانوا في فَقْرٍ، فربَّما اقتسمَ التَّمرةَ اثنان، وربَّما مصَّ التَّمرةَ الجماعةُ ليَشْرَبُوا عليها الماءَ، وربَّما نحروا الإبِلَ فشَرِبُوا من ماء كروشها من الحرِّ[2].

وقيل لعُمَرَ بن الخطَّاب: حدِّثْنَا عن ساعة العسرة فقال: خرجنا إلى تبوك في قَيْظٍ شديدٍ، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عَطَشٌ حتَّى ظننَّا أنَّ رقابنا ستنقطعُ، حتَّى إنَّ الرَّجل ليذهب يلتَمِسُ الماء، فلا يرجعُ حتَّى يظنَّ أنَّ رقَبَتَه ستَنْقَطِعُ، وحتَّى إنَّ الرَّجل لينحَرُ بَعيرُه فيعصرُ فَرْثَهُ فيشْرَبَه، ويجعل ما بقي على كَبِدِه. فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، إنَّ الله تعالى قد عوَّدك في الدُّعاء خيرًا، فادْعُ لنا. قال: «تُحِبُّ ذَلِكَ؟» قال: نعم. فرَفَعَ يديه، فلم يرجعها حتَّى قالت السَّماء، فملؤوا ما معهم، ثمَّ ذهبنا نَنْظُرُ، فلم نجدها جاوزت العسْكَرَ[3].

---

(١) في (ج): (فإن).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١٠١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٢٩٢)، والبزار في مسنده (٢١٤)، والحاكم في مستدركه (٥٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٤١) وغيرهم من رواية نَافِع بن جبير بن مطعم، عن ابن عباس به. =

قَولُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «كاد يزيغ» بالياء.

وقَرَأَ الباقون بالتَّاء[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: تميل إلى التخلُّفِ عنه، وهم نَاسٌ من المسلمين هَمُّوا بذَلِكَ، ثمَّ لحقوه، قَالَه أبو صالحِ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ القُلُوبَ مَالَتْ إلى الرُّجُوعِ للشِّدَّةِ التي لقوها، ولم تَزِغ عن الإيمان، قَالَه الزَّجَّاجُ[2].

والثَّالث: أنَّ القلوبَ كادَتْ تزيغُ تَلَفًا بالجهد والشدَّة، ذكره الماوَرْدِيُّ[3].

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

كرَّرَ ذِكْرَ التَّوبة، لأنَّه ليس في ابْتِدَاءِ الآيةِ ذِكرُ ذَنْبِهِم، فقدَّم ذِكْرَ التَّوبة فَضْلًا منه، ثمَّ ذكر ذَنْبَهُم، ثمَّ أعاد ذِكْرَ التَّوبَةِ.

=قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣٤)، والمبسوط (ص:٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٣)، والتحصيل (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٤١٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾.

وقَرَأَ أَبُو رزين، وأبو مِجْلَز، والشَّعبي، وابنُ يعمر: «خالفوا» بألف[١].

وقَرَأَ معاذٌ القارِئ، وعِكْرِمَةُ، وحميد: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللَّام المخفَّفة[٢].

وقَرَأَ أَبُو الجَوْزَاءِ، وأبو العَالِيَة: «خَلَّفوا» بفتح الخاء واللَّام مع تشديدها[٣].

وهؤلاء هم المرَادُون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، وقد تقدَّمت أسماؤهم.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لعلي، وجعفر بن محمد، والسلمي، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦) نسبها لأبي جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٤) نسبها لأبي جعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبي عبد الرحمن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) عزاها لعكرمة بن خالد، وزر بن حبيش، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦) عزاها لعكرمة، وزر بن حبيش، ورواها عبد الوارث، وهارون، عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٤) عزاها لعكرمة بن هارون المخزومي، وزر بن حبيش، وعمرو بن عبيد، وأبي عمرو، وفي البحر المحيط (٥/ ٥١٩) نسبها لعكرمة بن هارون المخزومي، وزر بن حبيش، وعمرو بن عبيد، ومعاذ القاري، وحميد.

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٣٤) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٥١٩) نسبها لأبي العالية، وأبي الجوزاء.

وفي معنى ﴿خُلِّفُوا﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: خُلِّفوا عن التَّوبة، قَالَه ابنُ عبَّاس، ومجاهِدٌ.

فيكون المعنى: خُلِّفوا عَنْ تَوبَةِ الله على أبي لُبَابَةَ وأصحابه إذ لم يخضَعُوا كما خَضَعَ أولئك.

والثَّاني: خُلِّفوا عن غَزْوَةِ تَبُوك، قَالَه قتادة.

وحديثُهم مندرجٌ في توبة كعبِ بنِ مالكٍ، وقد رَوَيْتُها في كتاب «الحدائق».

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت مع سَعَتها.

وذلك أنَّ المسْلِمِينَ مُنِعُوا من مُعَامَلَتِهم وكلامهم، وأُمِرُوا باعتزال أزواجهم، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعرِضًا عنهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بالهمِّ والغمِّ، ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ أي: لا مُعْتَصَمَ مِنَ الله ومن عذابه إلا هو. [٣٤٤/ب]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أعاد التوبة تأكيدًا. ﴿لِيَتُوبُوٓا۟﴾. قَالَ ابنُ عبَّاس: ليستقيموا[1].

وقَالَ غيرُه: وفَّقهم للتَّوبة ليَدُومُوا عليها ولا يَرْجِعُوا إلى ما يبطلها.

وسُئِلَ بعضُهُم عنِ التَّوبَةِ النَّصُوحِ، فقال: أَنْ تَضِيقَ على التَّائِبِ الأرضُ، وَتَضِيقَ عليه نَفْسُهُ، كَتَوْبَةِ كَعبٍ وصَاحِبَيْهِ[2].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٣).

(٢) في (ج): (وصاحبته).



قَوْلُـهُ تَعـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبـة: ١١٩].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

في سبب نزولها قَوْلان:

أَحَدُهُما: أنَّها نَزَلَتْ في قصَّة الثلاثة المتخلِّفين.

والثَّاني: أنَّها في أهْلِ الكتاب.

والمعنـى: يـا أيُّهـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا بموسـى وعيسـى اتَّقُـوا اللهَ في إيمانكـم بمحمَّـدٍ ﷺ وكُونُـوا مـع الصَّادِقِـين.

وفي المراد بالصَّادِقِينَ خَمْسَةُ أَقْوالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، قَالَه ابنُ عمر.

والثَّاني: أبو بكرٍ، وعُمَرُ، قَالَه سعيدُ بنُ جُبَير، والضَّحَّاك.

وقـد قَـرَأَ ابْـنُ السَّـمَيْفَعِ، وأبـو المتـوكِّل، ومعـاذ القَـارِئُ: «مـع الصَّادِقَيْنِ» بفتـح القـاف وكَسْرِ النُّون عـلى التثنيـة[١].

(١) في البحر المحيط (٥/ ٥٢٢) نسبها لزيد بن علي، وابن السميفع، أو أبي المتوكل. ومعاذ القاري.

والثَّالث: أنَّهم الثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا، صَدَقُوا النَّبيَّ ﷺ عن تأخُّرهم، قَالَه السُّدِّيُّ.

والرَّابع: أنَّهم المهاجِرُون، لأنَّهم لم يَتَخَلَّفُوا عن رسُولِ الله ﷺ في الجهاد، قَالَه ابن جريج[١].

قَالَ أبُو سُلَيْمانَ الدِّمَشْقِيُّ: وقيل: إنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ احتجَّ بهذه الآية يومَ السَّقيفة، فقال: يا معشَرَ الأنصار، إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨] من هم؟ قالت الأنصارُ: أنتم هم. قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فأمركم أن تكونوا مَعَنَا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراءُ وأنتم الوزراء.

والخامِسُ: أنَّه عامٌّ، قَالَه قَتَادَة.

و«مع» بمعنى: «مِنْ»[٢]، وكذلك هِيَ في قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «وكونوا من الصَّادقين»[٣].

---

(١) في (ج): (ابن جرير).

(٢) في (ج): (وهو بمعنى من).

(٣) في تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٠) نسبها لابن مسعود، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٥)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٢) كلاهما نسبها لابن مسعود، وابن عباس.



قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

قَوْلُه: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: يعني: مُزينَة، وجُهَينَة، وأشجَع، وأسْلَم، وغفار[1].

﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ في غزوةٍ غزاها.

﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لا يرضَوا لأنفسِهِم بالخفْضِ والدَّعةِ، ورسولُ الله ﷺ في الحرِّ والمشَقَّةِ، يقال: رغبت بنفسي عن الشَّيء: إذا ترفَّعت عنه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك النَّهي عن التَّخلُّف. ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العطش. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التَّعب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وهي المجاعة.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٩٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٦).

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أسْرًا أو قَتْلاً أو هزيمَـةً، فأَعْلَمَهُـم الله أنَّـه يجازيهـم عـلى جميـع ذلـك.

قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قَالَ ابنُ عبَّاس: تمرةً فما فوقها[١].

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ مقبلـين أو مدبريـن. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: أُثْبِـتَ لهـم أجـرُ ذلـك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسَـنِ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٤)، وفي التفسير البسيط (١١/ ٩١).



فَصْلٌ

قَالَ شَيْخُنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيدِ الله: اخْتَلَفَ المُفَسِّرونَ في هَذِهِ الآية:

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كان في أوَّل الأمْرِ لا يجوزُ التخلُّفُ عن رَسُولِ الله ﷺ حيث[1] كان الجهادُ يلْزَمُ الكُلَّ، ثمَّ نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾. [٣٤٥/أ]

وقَالَتْ طَائِفَةٌ: فَرَضَ الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النَّبيِّ ﷺ ممَّن لا عذرَ له الخروجَ معه لشيئين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه مِنَ الواجِبِ عليهم أنْ يَقُوهُ بأنفسهم.

والثَّاني: أنَّه إذا خَرَجَ الرَّسول فقد خَرَجَ الدِّينُ كلُّه، فأُمِرُوا بالتَّظاهر لئلَّا يقلَّ العددُ، وهذا الحكمُ باقٍ إلى وقتنا، فلو خَرَجَ أميرُ المؤمنين إلى الجهاد، وجبَ على عامَّة المسلمين مُتابعَتُه لما ذكرنا.

فعلى هذا، الآيةُ مُحْكَمَةٌ.

وقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ: لكلِّ آيةٍ وجهها، وليس للنَّسْخِ على إحدى الآيتين طريقٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) في (ف): (حين).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾.

في سَبَبِ نُزُولِهَا أربعة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّه لَمَّا أنزَلَ الله ﷻ عيوبَ المنافقين في غَزْوَة تَبُوك، قال المؤمنون: والله لا نَتَخَلَّفُ عن غزوةٍ يَغْزُوها رَسُولُ الله ﷺ ولا سَرِيَّة أبدًا، فلما أرسلَ السَّرايَا بعد تبوك نَفَرَ المسلمون جميعًا، وتركوا رسولَ الله ﷺ وحدَه، فنزلت هذه الآيةُ، قَالَه أبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما دَعَا على مُضَرَ، أجْدَبَتْ بلادُهُمْ فكَانَتِ القبيلةُ منهم تُقبِلُ بِأَسْرِهَا إلى المدينة مِنَ الجُهد، ويُظْهِرُونَ الإسلامَ وهم كاذبون، فَضَيَّقُوا على أصحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ، رواه ابن أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّالث: أنَّ ناسًا أسْلَمُوا، وخَرَجُوا إلى البَوَادِي يعلِّمون قومَهم، فنزلت: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة:٣٩]، فقال ناسٌ من المنافقين: هَلَكَ مَنْ لم يَنْفِرْ من أهلِ البَوَادِي، فنزلت هذه الآية، قَالَه عِكْرِمَة[٣].

والرَّابع: أن ناسًا خَرَجُوا إلى البَوَادِي يعلِّمون النَّاس ويَهدونهم، ويصيبون من الحَطَبِ ما ينتفعون به، فقال لهم النَّاس: ما نَرَاكم إلَّا قد

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١١١) وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﵄.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٧٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﵄.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٨٠) من رواية عن سليمان الأحول، عن عكرمة به.

تركتم أصْحَابَكُم وَجِئْتُمُونَا، فأقبلوا من البادية كلُّهم، فنزلت هذه الآية، قَالَه مُجَاهِدٌ[١].

قال الزَّجَّاج: ولَفْظُ الآيَةِ لَفْظُ الخَبَرِ، ومعناها الأمْرُ، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[التوبة:١١٣]، والمعنى: يَنْبَغِي أَنْ يَنْفِرَ بَعْضُهُم، ويبقى البَعْضُ[٢].

قال الفَرَّاءُ: يَنفِر وينفُر، بكسر الفَاء وضمِّها، لغتان[٣].

واختلف المُفَسِّرون في المراد بهذا النَّفير على قولَين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه النَّفِيرُ إلى[٤] العدوِّ، فالمعنى: ما كان لهم أن يَنْفِروا بأجمعهم، بَلْ تَنْفِرُ طائفةٌ، وتبقَى مع النَّبيِّ ﷺ طائفةٌ ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني الفرقةَ القاعدين، فإذا رَجَعَتِ السَّرايا، وقد نَزَلَ بعدهم قرآن أو تجدَّد أمرٌ، أعلموهم به وأنْذَرُوهم به إذا رَجَعُوا إليهم، وهذا المعنى مرويٌّ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

[٣٤٥/ ب] **والثَّاني**: أنَّه النَّفير إلى رسُول الله ﷺ، بَلْ تنفر منهم طائفةٌ ليَتفقَّهَ هؤلاء الذين يَنْفِرُون، ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم المتخلِّفين، هذا قولُ الحَسَنِ، وهو أشبَهُ بظاهِرِ الآيَة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٧٦) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٥).

(٣) لم نقف عليه في كتابه معاني القرآن، وانظر: المزهر في علوم اللغة (١/ ١٦٤)، وتاج العروس (١/ ٨٤).

(٤) في (ج): (في).

فعلى القَول الأوَّل، يكون نفير هذه الطَّائفة مع رسول الله ﷺ إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه.

وعلى القَول الثَّاني، يكون نفيرُ الطَّائفة إلى رسول الله ﷺ لاقتباس العِلْم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٣، ١٢٦].

قَولُه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾.

قد أُمِرَ بقتال الكفَّار على العموم، وإنَّما يُبتدأ بالأقربِ فالأقرب.

وفي المراد بمَن يليهم خمسةُ أقْوالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّهم الرُّوم، قَالَه ابنُ عمر.

والثَّاني: قُرَيظَة والنَّضير وخَيْبَر وفدك، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّالث: الدَّيلَم، قَالَه الحسن.

والرَّابع: العَرَب، قَالَه ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّه عامٌّ في قتالِ الأقربِ فالأقرب، قَالَه قتادة.



وقال الزَّجَّاجُ: وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّه ينبغي أن يُقَاتِلَ أهلُ كلِّ ثغرٍ الذين يلونهم.

قال: وقيل: كان النَّبيُّ ﷺ ربَّما تخطَّى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون ذلك أهْيَبَ له، فأُمر بقِتَال من يليه ليُستَنَّ بذلك[1].

وفي الغِلْظَةِ ثلاثُ لغاتٍ:

«غِلْظة»: بكسر الغين، وبها قَرَأ الأكثرون[2].

و«غَلْظة»: بفتح الغين، رواها جَبَلَة عن عَاصِم[3].

و«غُلْظة»: بضمِّ الغين، رواها[4] المفضل عن عَاصِم[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٢٠)، والحجة (٤/ ٢٤١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٧)، والتحصيل (٣/ ٣١٦)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٣) في السبعة (ص:٣٢٠)، والحجة (٤/ ٢٤١)، ومختصر ابن خالويه (ص:٦٠)، والتحصيل (٣/ ٣١٦) كلهم نسبوها للمفضل عن عاصم، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٧) نسبها للمفضل عن عاصم، والأعمش، وفي البحر المحيط (٥/ ٥٢٨) قال: «والأعمش وأبان بن ثعلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها، وهي لغة الحجاز».

(٤) في (ج)، و(ف): (وقرأها).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لأبان بن عثمان. قال ابن خالويه: «إنما هو أبان بن تغلب أبو سعيد، وكان مكتبًا أي: معلِّمًا»، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦): «السلمي، وزر، وأبان بن تغلب: بضم الغين، ورواها أبو زيد عن أبي عمرو»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٧): «وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبان بن ثعلبة، وابن أبي عبلة: «غُلْظة» بضمها، وهي قراءة أبي حيوة، ورواها المفضل عن عاصم أيضًا، قال أبو حاتم: رويت الوجوه الثلاثة عن أبي عمرو، وفي هاتين القراءتين شذوذ وهي لغات»،=

ومثلهـا: جِـذوة وجَـذوة وجُـذوة، ووِجنـة ووَجنـة ووُجنـة، ورِغـوة ورَغـوة ورُغـوة، ورِبـوة ورَبـوة ورُبـوة، وقِسـوة وقَسـوة وقُسـوة، وإِلـوة وأَلـوة وأُلـوة في اليمـين، وشـاة[1] لِجْبـة ولَجْبـة ولُجْبـة: قـد ولّى لبنهـا.

قَالَ ابنُ عبَّاس في قَوْلِه «غلظة»: شجاعة[2].

وقَالَ مُجَاهِدٌ: شدَّة[3].

قولـه: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ هـذا قـول المنافقـين بعضُهـم لبعـضٍ اسـتهزاءً بقـول الله تعـالى.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنَّهـم إذا صدَّقـوا بهـا وعَمِلُـوا بـما فيهـا، زادتهـم إيمانًـا. ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يَفْرَحُـون بنزولهـا.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ ونفاقٌ.

وفي المراد بالرِّجْسِ ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الشَّكّ، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: الإثم، قَالَه مُقَاتِل[4].

=وفي البحر المحيط (٥/ ٥٢٨) نسبها لأبي حيوة، والسلمي، وابن أبي عبلة، والمفضل، وأبان، وهي لغة تميم.

(١) في (ج): (وكذلك) بدلًا من قوله: (وشاة).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٩٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٩٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٠٤).

والثَّالث: الكُفر، لأنَّهم كلَّما كفروا بسورة زادَ كُفْرُهم، قَالَه الزَّجَّاج[١].

قوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين.

وقَرَأَ حَمْزَةُ: «أَوَلَا تَرَوْنَ» بالتَّاء على الخطاب للمؤمنين[٢].

وفي معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ ثَمانِيَةُ[٣] أَقْوالٍ:

أَحَدُهَا: يكذبون كذبةً أو كذبتين يُضلُّون بها، قَالَه حُذَيفَة بن اليَمان.

والثَّاني: ينافقون ثمَّ يؤمنون ثمَّ ينافقون، قَالَه أبو صالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: يُبْتَلَوْنَ بالغَزْوِ في سبيل الله، قَالَه الحسن، وقتادة.

والرَّابع: يُفْتَنون بالسَّنَة والجُوعِ، قَالَه مُجَاهِدٌ.

والخامس: بالأَوْجَاعِ والأَمْرَاضِ[٤]، قَالَه عَطِيَّة.

[٣٤٦/أ] **والسادس:** يَنقضُون عهدهم مرَّة أو مرَّتين، قَالَه يمان.

والسَّابع: يكفرون، وذلك أنَّهم كانوا إذا أخبرهم النَّبيُّ ﷺ بما تكلَّموا به إذ خَلَوْا، عَلِمُوا أنَّه نَبيّ، ثمَّ يأتيهم الشَّيطان فيقول: إنَّما بلغه

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩٠)، والمبسوط (ص:٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٩)، والتحصيل (٣/ ٣١٧).

(٣) في (ف): (ثلاثة)!.

(٤) في (ج): (والأوصاب).

هـذا عنكـم، فيُشْرِكـون(١)، قَالَـه مُقَاتِـل بـن سُـلَيْمان(٢).

والثَّامِن: يُفضَحون بإظهار نِفَاقِهم، قَالَه مُقَاتِل بن حيَّان.

قَولُـه: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي: مـن نِفَاقهـم. ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يَعْتَـبِرُون ويتَّعِظُـون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٧].

قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.

قَـالَ ابـنُ عبَّـاس: كانـت إذا أُنزلت سُـورة فيهـا عيبُ المنافقـين، وخَطَبَهم رسُـولُ الله ﷺ وعَـرَّض بهـم في خُطبَتِـه، شَـقَّ ذلـك عليهـم ونظـر بعضهـم إلى بعـضٍ يريـدون الهـربَ يقولـون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ مـنَ المؤمنـين إن قمتـم؟ فـإن لم يَرَهُـمْ أحـدٌ خَرَجُـوا مـن المسـجد(٣).

قـال الزَّجَّـاج: كأنَّهـم يقولـون ذلـك إيـماءً لئـلَّا يعلـم بهـم أحـدٌ، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عـن المـكان، وجائـزٌ عـن العَمَـلِ بـما يسـمعون(٤).

وقَـالَ الحَسَـنُ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عـلى عَـزْمِ التَّكذيـب بمحمَّـدٍ ﷺ وبـما جاء بـه(٥).

---

(١) في (ج)، و(ف): (فيشكون).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٢).



قَوْلُه: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: عن الإيمان(١).

وقالَ الزَّجَّاج: أَضَلَّهم مجازاةً على فِعْلِهِمْ(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

قَوْلُه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

قَرَأَ الجمهور بضَمِّ الفاء.

وَقَرَأَ ابْنُ عبَّاس، وأبو العَالِيَة، والضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، ومحبوبٌ عن أبي عَمْرٍو: بفتحها(٣).

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وفي التفسير البسيط (١١/ ١٠٤): «قَالَ ابنُ عبَّاس: عن كل رُشْد وخير وهدى».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٦٠) قال: «بفتح الفاء: النبي ﷺ، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابن عباس رضي الله عنه»، وفي المحتسب (١/ ٣٠٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠٠) كلهم نسبوها لعبد الله بن قسيط المكي، وفي النكت والعيون (٢/ ٤١٧) بلا نسبة، وفي الكشف والبيان (٥/ ١١٤) نسبها لابن عباس، وابن ثعلبة، وعبد الله بن قسيط المكي، وابن محيصن، والزهري، وقال في البحر المحيط (٥/ ٥٣٣): «وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه: (من أنفَسكم) بفتح الفاء، ورويت هذه القراءة عن رسول الله ﷺ، وعن فاطمة، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

وفي المضمومةِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: من جميعِ العَرَبِ، قَالَه ابنُ عبَّاس، وقال: ليْسَ في العَرَبِ قبيلةٌ إلَّا وقَدْ وَلَدَتْ رسولَ الله ﷺ[١].

والثَّاني: ممَّن تعرفُون، قَالَه قتادة.

والثَّالث: من نِكَاحٍ لم يصبه شيءٌ من ولادَةِ الجاهليَّة، قَالَه جعفرُ الصَّادق.

والرَّابع: بشَرٌ مثلكم، فهو آكَدُ للحُجَّة، لأنَّكم تَفْهَمُون عمَّن هو مثلكم، قَالَه الزَّجَّاجُ[٢].

وفي المفتوحة ثلاثةُ أوجهٍ[٣]:

أَحَدُهَا: أفضَلُكُم خُلُقًا.

والثَّاني: أشرَفُكُم نسبًا.

والثَّالث: أكْثَرُكُم طاعةً لله ﷻ.

قَوْلُه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ **فيه قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: شديدٌ عليه ما شَقَّ عليكم، رواه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١١٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥- ٥٣٦)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٧) لعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن المنذر وابن مردويه، وأبي نعيم في دلائل النبوة، وابن عساكر.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٣) في (ف): (أقوال).

قال الزَّجَّاجُ: شديدٌ عليه عَنَتُكُم، والعَنَتُ: لقاء الشِّدَّة[١].

والثَّاني: شديدٌ عليه ما آثَمَكُم، رواه أبو صالحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾. قَالَ الحَسَنُ: حريصٌ عليكم أن تؤمنوا[٢].

قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: سمَّاه باسْمَينِ مِنْ أَسْمَائِهِ[٣].

وقَالَ أبُو عُبَيدَة: «رؤوف» فعولٌ من الرَّأفَةِ، وهي أرَقُّ من الرَّحمة، ويقال: «رؤف»[٤].

وأنشد[٥]: [من الوافر]

تَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيكَ حَقًّا كفِعْلِ الْوَالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ

وقيل: رؤوفٌ بالمطيعين، رحيمٌ بالمذنبين[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٠٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٦)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٧٠).

(٥) هذا البيت لجرير فى ديوانه (٥٠٨)، والزاهر (١/ ٩٧)، والصحاح (٤/ ١٣٦٢)، واللسان (٩/ ١١٢)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٢٢) مادة (رأف)، والكامل في اللغة (٢/ ١٠٤).

(٦) في (ج): (رؤوف بالمؤمنين) بدلًا من قوله: (رحيم بالمذنبين).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبـة: ١٢٩].

قَوْلُـه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعْرَضُـوا عـن الإيـمان، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: يكفيني، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وَقَـرَأَ ابْـنُ مُحَيْصِـنٍ: «العظيـمُ» برفـع الميـم[(١)].

وإنَّما خصَّ العرشَ بالذِّكر، لأنَّه الأعْظَمُ، فيَدْخُلُ فيه الأصْغَرُ. [٣٤٦/ب]

قـال أُبيُّ بـنُ كعـبٍ: آخِـرُ آيـةٍ أُنْزِلَـتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخـر السُّـورة[(٢)(٣)].

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:٦١) ونسـبها لأهـل مكـة، وفي التحصيـل (٣/ ٣١٧) نسـبها لإسـماعيل عـن ابـن كثـير، وابـن محيصـن، وفي الكشـف والبيـان (٥/ ١١٥) نسـبها لابـن محيصـن، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٥٣٤) نسـبها لابـن محيصـن، وقـال: رويـت عـن ابـن كثـير، وفي الكامـل (ص:٥٦٦) نسـبها لمجاهـد، وابـن مُحَيْصِـن، وحميـد، ومحبـوب عـن ابْـن كَثِـيرٍ.

(٢) في (ج): (الآية).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٠١) من رواية ابن عباس، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



سُورةُ يُونسَ عليه السلام(١)

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى عطيَّةُ، وابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ(٢)، وبهِ قالَ الحسَنُ وعكرمَةُ، ورَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ فِيها مِنَ المْدنِيِّ قوْلَه(٣): ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾... الآيةَ(٤) [يونس: ٤٠].

وفِي رِوايةٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: [أنَّ](٥) فيها ثلاثَ آياتٍ مِنَ المْدنِيِّ، أوَّلُها قوْلُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأْسِ ثلَاثِ آياتٍ(٦)، وبهِ قالَ قتادَةُ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هيَ مكِّيَّةٌ، غيْرَ آيتيْنِ، قوْلُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ والَّتي تليها(٧). [يونس: ٩٤- ٩٥].

---

(١) في (م): (بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يسرِّ وأعن، سورة يونس عليه السلام).

(٢) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٩)، وعزاه إلى النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة يونس بمكة.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) عزاه الواحدي في التفسير البسيط؛ (١١/ ٢٠٤) للكلبي، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٠٢) قال: «وقال الكلبي: هي مكية إلا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [يونس: ٤٠] نزلت في اليهود بالمدينة».

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٤)، ومن قوله: (من المدني)... إلى هنا ساقط في (ج).

وقالَ بعْضُهم: هي مكيَّةٌ إلَّا آيتَيْنِ[١]، وهيَ قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ والَّتي تليها[٢] [يونس: ٥٨- ٥٩].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١][٣].

فأمَّا قوْلُه: ﴿الٓر﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ: ﴿الٓر﴾[٤] بفتْحِ الرَّاءِ. وقرَأَ أبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «الـر» على الهِجَاءِ مَكْسُورةً[٥]. وقدْ ذكرْنا في أوَّل سُورةِ ﴿البقرة﴾ مَا يشتَمِلُ علَى بيَان هذا الجِنْسِ.

وقدْ خُصَّتْ هذهِ الكلِمَةُ بِستَّةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاها: أنَا اللهُ أرَى، رَواهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) من قوله: (قوله: فإن كنت في شك)... إلى هنا ساقط في (ج).

(٢) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن؛ لأبي عمرو الداني (ص: ١٦٣)، وهو المروي عن ابن عباس عند النحاس في ناسخه (ص: ٥٢٩)، وهو المروي عن عبد الله بن الزبير كما عند ابن مردويه، انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٢٥)، وذكر القرطبي في تفسيره ذلك عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

(٣) من قوله: (وقال بعضهم)... إلى هنا سقاط في (ف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٢٢)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ٣٩)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ١٢٠).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ٥٨٩)، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٤)، (١٠٦٣١) عن الضحاك، عن ابن عبَّاس.

والثَّانِي: أَنَا اللهُ الرَّحْمنُ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّالِثُ[٢]: أَنَّه بعْضُ اسْمٍ مِن أَسْمَاءِ اللهِ تعالى، رَوى عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: «الر»، و«حم»، و«نون» حرُوفُ الرَّحْمَنِ[٣].

والرَّابعُ: أَنَّه قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ بهِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والخامِسُ: أَنَّه اسْمٌ مِن أسْماءِ القُرآنِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ[٥].

والسَّادِسُ: أَنَّه اسْمٌ للسُّورةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وفِي قوْلِهِ تعَالَى: ﴿تِلْكَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه بمعنى: «هذِه» قالَهُ أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ أبو عُبيدَةَ[٦].

والثَّانِي: أَنَّه علَى أَصْلِه.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٧)، ومكي بن أبي طالب في تفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ١٠١)، وبنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢١)، من رواية عكرمة عنه، ولفظه: (الر) حروف الرحمن مفرقة، ورواه ابن جرير (١١/ ٧٩) بلفظ: (الر) و(حم) و(ن) حروف الرحمن مفرقة.

(٢) من قوله: (أنا الله الرحمن)... إلى هنا ساقط في (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢١)، (١٠١٨٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٧)، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٧٣)، وعنه ابن جرير (١٩/ ٥٨)، وأخرج ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧)، من طريق آخر عنه، وفيه زيادة: «اسم من أسماء القرآن، أقسم به ربك»، وبهذه الزيادة ذكره الثعلبي (٨/ ١٠٧)، عن قتادة وأبي روق.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٧٢).

ثُمَّ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الإشارةَ إلى الكُتُبِ المُتقدِّمةِ مِنَ التَّوراةِ والإنْجيلِ، قالَهُ مُجاهدٌ، وقتادَةُ؛ فيكونُ **المَعْنَى**: هذه الأقاصيصُ الَّتي تَسْمَعونَها، تلك الآياتُ الَّتي وصِفتْ في التَّوراةِ والإنْجيلِ.

والثَّاني: أنَّ الإشارةَ إلى الآياتِ الَّتي جَرى ذِكْرُها، مِنَ القُرآنِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

والثَّالثُ: أنَّ «تلك» إشَارةٌ إلى «الر» وأخواتِها مِن حرُوفِ المُعجمِ؛ أي: تلك الحرُوفُ المُفتتحةُ بها السُّورُ هي: آياتُ الكِتَابِ؛ لأنَّ الكتابَ بها يُتلى، وألفاظُه إليها ترجِعُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

قالَ أبو عبيدةَ[٢]: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بمعنى: المحْكم المبيِّن الموضِّح؛ والعربُ قد تضَعُ فعيلًا في معنى: مفعل؛ قال [الله][٣] تعالى: ﴿هَٰذَا[٤] مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]؛ أي: مُعَدٌّ.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٢ - ٣].

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٥).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧١).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) ليست في (ف).

قوْلُه تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾.

سببُ نُزولها: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بعَث محمَّدًا ﷺ أنْكرتِ الكفَّارُ ذلِك[١]، وقالوا: اللهُ أعْظمُ[٢] مِن أن يكونَ رسولُه بشرًا مِثلَ مُحمَّدٍ[٣]، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

والمرادُ بالنَّاس هاهُنا: أهلُ مكَّةَ، والمرادُ بالرَّجُلِ: مُحمَّدٌ ﷺ. ومعْنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: يعرِفُون نسبَه، قالَهُ ابْنُ عبَّس، فأمَّا الألِفُ فهي[٤] للتَّوبيخِ والإنْكار[٥]. [٣٤٧/أ]

قالَ[٦] ابْنُ الأنْبَاريِّ[٧]: والاحْتجاجُ عليْهِم (في كونِهم عجِبُوا)[٨] من إرسَال مُحمَّدٍ، محذوفٌ هَاهُنا وهو مبيَّنٌ في قوْلِه تعَالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أي: فكما وضَّح لكُم هذا التَّفاضلَ بالمشاهدَةِ، فلَا تُنكروا[٩] تفضيلَ اللهِ مَن شَاءَ بالنُّبوَّة؛ وإنَّما حذفَه هاهُنا اعْتمادًا على ما بيَّنَه في موضعٍ آخرَ.

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): أعلم.

(٣) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ١٥٠).

(٤) ليست في (ر).

(٥) (والإنكار) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) في (ج): قاله.

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨٥).

(٨) ما بين الهلالين ليس في (ر)، وفي (ج): في كونهم من إرسال محمد.

(٩) في (ف): ينكر.

قالَ: وقيل: إنَّما عجِبُوا مِن ذكْرِ البعْثِ والنُّشور؛ لأنَّ الإنذارَ والتَّبْشيرَ يتَّصِلانِ بهما، فكانَ[1] جوابُهم في مواضعَ كثيرةٍ تدلُّ على كونِ ذلِك؛ مثْل قوْلِه تعَالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقوْلِه تعَالى: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وفي الْمُراد بقوْلِه تعَالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ سبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنهُ الثَّوابُ الحسَنُ بما قدَّمُوا مِن أعْمالِهم، رواه العوفيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ، ورَوى عنه أبو صالح قال: عملٌ صالحٌ يقدِمُون عليه[2].

والثَّاني: أنَّه ما سبَق لهم مِنَ السَّعادة في الذِّكر الأوَّلِ، رَواه ابْنُ أبي طلحةَ عن ابْنِ عبَّاس. قالَ أبو عبيدةَ: سابقةُ صِدقٍ[3].

والثَّالث: شفِيعُ صدْقٍ، وهوَ مُحمَّدٌ ﷺ يشفعُ لهم يوْمَ القيامةِ، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: سلَفُ صدْقٍ تقدَّمُوهم[4] بالإيمان، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والخامسُ: مقَامُ صدْقٍ لا زَوالَ عنْهُ، قالَه عطَاءٌ.

والسَّادس: أنَّ قدمَ الصِّدق: المنزلةُ الرَّفِيعةُ، قالَه الزَّجَّاجُ[5].

---

(١) في (ر): وكان.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٠٦) من قول العوفي عن ابن عبَّاس.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٧٣)، ولفظه: قدم صدق عند ربهم: مجازه: سابقة صدق عند ربهم، ويقال: له قدمٌ في الإسلام وفي الجاهلية.

(٤) في (ر): يقدموهم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

والسَّابع: أنَّ القدَم هَاهُنا: مصيبةُ المسلمينَ بنَبيِّهم عليه السَّلام[١]، ومَا يلحقُهُم من ثواب اللهِ تعَالى عند أسَفهِم على فقْدِه ومحبَّتِهم لِمُشاهدتِه، ذكرَه ابْنُ الأنْباريِّ.

فإنْ قِيل: لَمِ آثَر القدمَ هاهُنا على اليدِ، والعرَبُ تستَعْمِل اليدَ في موْضعِ الإحْسانِ؟

فالجوَابُ: أنَّ القدَمَ ذُكرتْ هاهُنا للتقدُّم، لأنَّ العادةَ جاريةٌ بتقدُّم السَّاعي على قدمَيْه، والعرَبُ تجعلُها كنايةً عن العملِ الَّذي يُتقدَّم فيهِ ولا يقَعُ فيه تأخرٌ، قال ذو الرّمة [من الطَّويل]:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا   مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ[٢]

فإنْ قِيلَ: مَا وجْهُ إضَافةِ القدَمِ إلى الصِّدق؟

فالجوابُ: أنَّ ذلِك مدحٌ للقدَم، وكلُّ شيءٍ أضفتَه إلى الصِّدق، فقد مدَحْتَه؛ ومثْلُه: ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾. وقوْلُه: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ وفي الكلام محذوفٌ، تقْدِيرُه: أنْ[٣] أوْحَيْنا إلى رجلٍ منْهُم، فلمَّا أتاهمُ بِالوَحيِ[٤] ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٤-١٦).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ١٦)، تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٤)، تفسير الثعلبي (٥/ ١١٨).

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

(٤) في (ف): الوحي.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «لسَاحر» بألِفٍ. وقرأ نَافِعٌ، وأبو عمرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «لسحر» بغير ألف[1].

قالَ أبو عليٍّ: قد تقدَّم قولُه تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ[2]﴾ فمَن قالَ: ساحِرٌ، أرادَ الرَّجلَ؛ ومَن قال: سِحْرٌ، أراد الَّذي أُوحي سِحْرٌ؛ أي: الَّذي تقولون[3] أنتم فيه[4]: إنَّه وحْيٌ، سحْرٌ[5].

قالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا أنْذرَهم بالبعْثِ والنُّشور، فقَالُوا: هذا سحْرٌ، [٣٤٧/ ب] أخبرَهُم أنَّ الَّذِي خلقَ السَّمواتِ والأرْضَ قادِرٌ على بعْثِهِم بقولِه تَعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[6]، وقد سبَقَ تفسيرُه فِي الأعْرَافِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، قالَ مُجاهدٌ: يَقْضِيه[7]. وقالَ غيْرُه: يأمُرُ به ويُمْضِيه[8].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: لا يشفَعُ أحَدٌ إلَّا أن يأذنَ لَه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر التيسير (ص: ١٢٠)، السبعة (ص: ٣٢٢)، وخلاف ابن كثير خارج الطرق.

(٢) ليست في (ج)، و(ر).

(٣) في الأصل، و(ر): يقولون، والمثبت من (ت).

(٤) في (ت): منه.

(٥) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٥٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٧) انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٥/ ١٩).

(٨) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٤٢٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ[١]: لم يجرِ للشَّفِيع ذكْرٌ قبْلَ هذا، ولكنِ الَّذين خُوطِبوا كانوا يقولون: الأصنامُ شفعَاؤُنا.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: لا ثَاني معه، مأْخُوذٌ مِن الشَّفْعِ[٢]؛ لأنَّه لم يكن معَه أحَدٌ، ثُمَّ خلَقَ الأشْياءَ.

فقوْلُه: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾؛ أي: من بعْدِ أمْرِه أن يكُونَ الخلْقُ فكَانَ[٣]، ذكَرَه الماورديُّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ قَالَ مُقاتِلٌ: وحِّدُوهُ[٥]. وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: فاعْبدُوه وحْدَهُ[٦]. وقوْلُه تعَالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ معْنَاه[٧]: تتَّعِظُونَ.

﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾ [يونس: ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ[٨]﴾؛ أي: مصِيركم يوْمَ القِيامَةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٢) في (ف): الشفيع.

(٣) ليست في (ج).

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٤٢٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٢٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٧) ليست في (ر).

(٨) ليست في (ج)، و(ر)، و(ف).

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾[(١)]، قالَ الزَّجَّاجُ: «وعْدَ اللهِ» منْصوبٌ على معْنَى: وعدَكُمُ اللهُ وعدًا؛ لأنَّ قوْلَه تعالى: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ معْناه: الوعْدُ [بالرُّجوع][(٢)]، و«حقًّا» منصوبٌ على: أُحِقُّ ذلِكَ حقًّا[(٣)].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ قرَأَه الأكْثرون بكسْرِ الألِفِ[(٤)]. وقرأتْ عائِشةُ، وأبو رَزين، وعِكْرمةُ، وأبو العَاليةِ، والأعْمشُ: (أَنَّه)[(٥)] بفتْحِها[(٦)].

قالَ الزَّجَّاج: مَن كسَرَ[(٧)]؛ فعَلى الاِسْتئنافِ، ومَن فتَحَ، فالمعْنَى: إليه مرجعُكم؛ لأنَّه يبدأُ الخلْقَ[(٨)].

قالَ مُقاتل: يبدأُ الخلْقَ ولم يكُنْ شيْئًا، ثُمَّ يُعِيدُه بعْدَ الموْتِ[(٩)].

فَأمَّا القِسْطُ: فهوَ العدْلُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (٣/ ١٠٢).

(٥) ليست في (ر)، و(ف).

(٦) قراءة عشرية انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٨٢)، حيث قال: (أَنَّه) بفتح الهمزة على حذف لام الجرِّ؛ أي: لأنَّه يبدأ، وللأعمش وسهل في المحتسب (١/ ٣٠٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٦١)، ولعبد الله في البحر المحيط (٦/ ١٢)، وانظر: إعراب القرآن؛ لابن النحاس (٢/ ٤٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٢١).

(٧) في (ر): وكسر.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٩) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٦).

فـإِنْ قِيـل: كيْـفَ خـصَّ جـزاءَ المؤمِنـين بالعـدْلِ، وهـو في جـزاءِ الكافرين عـادِلٌ أيضًا؟

فالجـوابُ: أنَّـه لـو جمـع الفريقَـيْنِ في القِسْـط، لم يتبـيَّنْ في حـالِ اجْتماعِهـما مـا يقـعُ بالكافِريـنَ مِـنَ العـذابِ الأليـمِ والـشُّربِ مِـنَ الحميـمِ[١]، ففَصَلَهُـم مِـنَ المؤمنـين لِيُبـيِّنَ مَـا يجزيهـم بـهِ مِمَّـا هـو عـدْلٌ أيْضًـا، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـاريِّ.

فأمَّا الحَمِيمُ: فهوَ المْاءُ الحَارُّ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كلُّ حارٍّ فهوَ حَمِيمٌ[٢].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ٥ – ١٠].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾.

---

(١) في (ج): والشراب الحميم.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧٤).

قرأ الأكثرون: «ضِيَاء»[١] بهمزةٍ واحِدةٍ، وقرأ ابنُ كثيرٍ[٢]: «ضِئَاءً» بِهمْزتيْنِ في كُلِّ القُرآن؛ أي: ذاتَ ضِياءٍ. ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾؛ أي: ذَا نورٍ. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾؛ أي: قدَّر لَهُ، فحذف الجارَّ، والمعْنَى: هيَّأ ويسَّر له منازلَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الهاءُ ترجِعُ إلى «القمر»؛ لأنَّه المقدَّرُ لِعِلْم السِّنين والحسَابِ، وقد يجوزُ أن يعُودَ إلى الشَّمسِ والقمَرِ، فحُذف أحدُهما اخْتصارًا[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: إنْ شئْتَ جعلتَ تقْدِيرَ المنازِلِ للقمر خاصَّةً؛ لأنَّ به تُعلم[٤] الشُّهورُ، وإنْ شِئْتَ جعلتَ التَّقْدِير لهمَا، فاكْتُفِي بذكْرِ أحدِهِما مِن صاحِبِه؛ كقوْلِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[٥] [التوبة: ٦٢].

قالَ ابنُ قُتيْبَةَ: منازِلُ القمَرِ ثمانِيةٌ وعِشرونَ منزلًا مِن أوَّلِ الشَّهرِ إلى ثماني وعشْرِينَ ليْلَةً، ثُم يسْتَتِر، وهذِه المْنازلُ، هي النُّجوم الَّتِي كانتِ العرَبُ تنسبُ إليها الأنْواءَ، وأسماؤُهَا عندهم: الشُّرْطَانِ[٦]، والبُطَيْنُ، [٣٤٨/أ] وَالثُّرَيَّا، وَالدَّبرَانُ، وَالْهقْعَةُ، والْهَنْعَةُ، والذِّرَاعُ، والنَّثْرَةُ، والطَّرْفُ، والجَبْهَةُ،

(١) ليست في (ف).

(٢) قرأ ابن كثير من طريق قنبل (ضئاء) بهمزتين، وهي قراءة سبعية. انظر: السبعة (١/ ٣٢٣)، والتيسير (ص: ١٢١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٤) في (ج)، و(ف): يعلم.

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٥٨).

(٦) كأنها في الأصل: الشرطين. وفي (ج)، و(ف) السرطان.

والزَّبْـرَةُ، والصَّرْفَـةُ، والعَـوَّاءُ[١]، والسِّـمَاكُ[٢]، والغَفْـرُ، والزُّبَـانَيُّ، والإِكْلِيـلُ، والْقَلْـبُ، والشَّـوْلَةُ، وَالنَّعَائِـمُ، والبَلْـدَةُ، وسَـعْدُ الذَّابِـح، وسَـعْدُ بُلَـعْ[٣]، وسـعدُ السُّـعُودِ، وسَـعْدُ الأَخْبِيـةِ، وفَـرْغُ[٤] الدَّلْـوِ الْمُقَـدَّمِ، وفَـرْغُ[٥] الدَّلْـوِ الْمُؤَخَّـرِ، وَالرِّشَـاءُ وهـوَ الحـوتُ[٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: للحـقِّ[٧]، مِـن إظْهـار صُنعِـه وقُدرتـهِ والدَّليـلِ عـلى وحدَانِيَّتِـهِ.

﴿يُفَصِّلُ[٨] ٱلْأَيَٰتِ﴾: قَـرأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «يُفَصِّـلُ» باليـاء، وقـرَأَ نَافِـعٌ، وابْـنُ عَامِـرٍ، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ[٩] عاصِـمٍ: «نُفَصِّـل الآيَـاتِ» بالنُّـون[١٠]، **والمعْنَـى:** نُبيِّنُهـا. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يسـتدِلُّون بالأمَـاراتِ عـلى قُدْرتِـهِ.

---

(١) كذا ضبطها في (ج)، و(ر).

(٢) كذا ضبطها في (ر).

(٣) كذا ضبطها في (ج)، و(ر).

(٤) في (ف): فزع، وفي (ج)، و(ف): فرع.

(٥) في سائر النسخ: وفرع.

(٦) أدب الكاتب (ص: ٨٦).

(٧) في الأصل: الحق، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) في (ج): نفصل.

(٩) من قوله: (عاصم: يفصل)... إلى هنا ساقط من (ف).

(١٠) قراءتـان سبعيتان، ووجـه ابـن كثـير الثـاني مـن روايـة محمـد بـن صالـح عـن شـبل، ومضر بـن محمد عـن البـزي. انظـر: السبعة (ص: ٣٢٣).

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: يتَّقُون الشِّركَ.

والثَّاني: عقوبَةَ اللهِ.

فيكُـون المعْنـى: إنَّ الآيـاتِ لِمَـن لم يحملْـهُ هـوَاه عـلى خِـلافِ مَـا وضَـحَ لـه مِـن الحـقِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لا يخَافُـون البعْـثَ[1]. ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: اخْتَـارُوا مـا فيهَـا عـلَى الآخِـرَةِ. ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: آثَرُوهَـا. وقـالَ غـيْرُه[2]: ركَنُـوا إليْهَـا؛ لأنَّهـم لا يُؤمِنـونَ بالآخِـرَة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ **فيهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها آياتُ القُرآنِ ومحمَّدٌ -ﷺ- قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ما ذكَرَه في أوَّلِ السُّورةِ مِن صُنْعِه، قالَه مُقاتِلٌ[3].

فأمَّـا قوْلُـه تعَـالى: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ فقَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[4]: مُكذِّبُـون. وقـالَ غـيْرُه[5]: مُعْرِضُـونَ. وَقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ[6]: وهـؤلاءِ هـمُ الكفَّـارُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط؛ (٢/ ٥٤٠)، والتفسير البسيط أيضًا (١١/ ١٢٧).

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧).

(٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٢٢).

(٥) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره (٢/ ٢٢٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧) عنه.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ[١]: مِن الكُفْرِ والتَّكْذيبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يَهدِيهم إلى الجنَّةِ ثوَابًا بإِيمانِهم.

والثَّانِي: يجعَلُ لهم نُورًا يمْشُونَ بهِ بإِيمانِهم.

والثَّالث: يزِيدُهم هدًى بإِيمانِهم.

والرَّابع: يُثيبُهم[٢] بإِيمانِهم.

فأمَّا الهدَايةُ؛ فقد سبقَتْ لهم.

قوْلُه تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تجْرِي بين أيْدِيهم وهم يرَوْنها مِن عُلُوٍّ.

قوْلُه تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: دُعاؤُهم. وقد شرحْنا ذلِكَ في أوَّل الأعْرَافِ.

وفِي المُراد بِهذا الدُّعاءِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْتدعاؤُهم ما يشْتهُون، قالَ ابْنُ عبَّاس: كلَّما اشتهَى أهْلُ الجنَّة شيْئًا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيَأْتِيهم ما يشتهُونَ، فإذا طعِمُوا، قالُوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فذلِك آخِرُ دعْوَاهُم[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧).

(٢) في (ج): يبشرهم.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٣١).



وقالَ ابْنُ جُرَيجٍ: إذا مرَّ بهمُ الطَّيرُ يَشتَهُونَه، قالُوا: ﴿سُبْحَنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيأْتِيهمُ الملَكَ بما اشْتَهُوا، فيُسلِّمُ عليْهِم، فيردُّونَ عليْه، فذلِك قوْلُه: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، فإذَا أكَلُوا، حَمِدُوا ربَّهُم، فذلِك قوْلُه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

[٣٤٨/ ب] والثَّاني: أنَّهم إذا أرَادوا الرَّغبةَ إلى اللهِ تعَالى في دُعاءٍ يدْعُونَهُ بِهِ، قالوا: ﴿سُبْحَنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها تحيَّةُ بعْضِهم لِبعضٍ، وتحيَّةُ الملائِكةِ لهُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ الله تعَالى يُحَيِّيهم بالسَّلام.

والثَّالث: أنَّ التحيَّةَ: المُلْكُ، فالمعْنَى: مِلْكُهم[2] فيها سَالمٌ، ذكرَهُما الماوردِيُّ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دُعاؤُهم، وقوْلُهم: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ [رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ][4]﴾ قرَأ أبو مِجْلَزٍ، وعكْرِمةُ، ومُجاهِدٌ، وابْنُ يعْمُرَ، وقتادَةُ، ويعْقُوبُ: «أنَّ الحمدَ للهِ» بتشديدِ النُّونِ ونصْب الدَّالِ[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠) عن ابن جريج.

(٢) في (ج): تحيتهم.

(٣) النكت والعيون (٢/ ٤٢٤).

(٤) ما بين المعكوفين من (ج).

(٥) انظر عزوها لهم مع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٢٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهم يبْتدِئُونَ بتعْظِيم اللهِ وتنْزيهِهِ، ويختُمونَ بشُكْرِهِ والثَّناءِ عليهِ[١].

وقالَ ابْنُ كيْسَانَ: يفْتَتِحُون كلامَهُم بالتَّوْحيدِ، ويخْتِمُونَه بالتَّوْحيدِ[٢].

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [يونس: ١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾.

ذكَرَ بعْضُهم أنَّها نزلَت فِي النَّضْرِ بْنِ الحارث[٣] حينَ[٤] قالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، **والتَّعْجِيلُ:** تقْدِيمُ الشَّيءِ قبْلَ وقْتِه.

وفِي المرَادِ بالآية قوْلَانِ:

أحدُهما: ولو يُعجِّلُ اللهُ للنَّاس الشَّرَّ إذا دعَوا على أنْفُسِهِم عنْدَ الغَضبِ وعلَى أهْلِيهِم، واسْتعْجَلُوا به، كما يُعجِّلُ لهمُ الخيرَ، لَهلكُوا، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهدٍ، وقتادَةَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨) مختصرا، وقد ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٠) والبسيط (١١/ ١٣٢) بهذا اللفظ.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ١٧٤)، وفيهما: (ويختمونه بالتحميد) بدل: (التوحيد).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٩)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٤٠).

(٤) في المطبوع: حيث.



والثَّـانِي: ولَـو يُعجِّـلُ اللهُ للكافريـن العـذابَ عـلى كُفرِهـم كـما عجَّـل لَهُـم خـيْرَ الدُّنْيـا مِـنَ المـالِ والولَـدِ، لَعجَّـلَ لهُـم قضـاءَ آجالِهـم ليتعجَّلُـوا[١] عـذابَ الآخِـرَةِ، حـكَاهُ المـاورديُّ[٢].

ويقوِّي هذا تمامُ الآيَةِ وسبَبُ نُزولِها.

وقـد قـرَأَ الجمْهُـور: «لَقُـضِيَ إِلَيْهِـم» بضَـمِّ القـافِ «أَجَلُهُـم» بضَـمِّ الـلَّامِ. وقـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ: «لَقَـضَى» بفتْـحِ القـافِ «أَجَلَهُـم» بنصْـبِ الـلَّامِ[٣]. وقـد ذكرْنَـا في أوَّلِ [سُـورَة][٤] الْبَقَـرَة معْنَـى الطُّغْيَـانِ والعَمَـهِ.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونـس: ١٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ اخْتلَفُوا فيمَن نزلَت علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهُمـا: أنَّهـا نزلَـتْ فِي أبي حُذيفـةَ، **واسْـمُه:** هاشِـمُ بْـنُ المغِـيرةِ بْـنِ عبـدِ اللهِ المخْزُومِـيُّ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُقاتِـلٌ[٥].

والثَّاني: أنَّها نزلَت في عُتبةَ بْنِ ربِيعةَ، والوليدِ بْنِ المغِيرةِ، قالَهُ عطَاءٌ.

---

(١) في النكت والعيون: لِيتعَجَّلَ.

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٢٥).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: النشر (٢/ ٢٨٢).

(٤) ما بين المعكوفين من (ف).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

و«الضُّرُّ»: الجهْدُ والشِّدَّةُ. واللَّامُ في قوْلِه: ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ بمعْنى: «على».

وفي معْنى الآيَةِ قوْلَان:

أحدُهما: إذَا مسَّه الضُّرُّ دعَا على جنْبِه، أو دعَا قاعِدًا، أو دعَا قائِمًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: إذا مسَّه الضُّرُّ فِي هذِه الأحْوَالِ؛ دعَا، ذكَرَهُ الماورِدِيُّ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ **فِيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أعْرَضَ عنِ الدُّعاءِ، قالَه مُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: مرَّ فِي العافِيةِ على ما كانَ علَيْه قبْلَ أنْ يُبْتلى، ولم يتَّعِظْ بما نَالَه[٣]، قالَهُ الزَّجَّاج[٤].

والثَّالث: مرَّ طَاغِيًا على ترْكِ الشُّكْرِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ[٥]: «كأَنْ» هذِهِ مخفَّفةٌ مِنَ الثَّقِيلةِ، المْعْنَى: كأنَّه[٦] لم يدْعُنا، قالَتِ الخنْساءُ [من المتقارب]:

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٢٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٣) في (ف): قاله، وفي المطبوع: يناله.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠).

(٦) في (ج): كأنْ.



كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمًى يُتَّقَى ... إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا[(١)]

[٣٤٩/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾.

المْعْنَى: كما زُيِّن لِهذَا الكافرِ الدُّعاءُ عنْد البَلاءِ، والإعْراضُ عنْدَ الرَّخاءِ، كذلِك زُيِّن للمُسْرفين[(٢)]، (وهمُ المجَاوزُونَ الحَدَّ في الكفْرِ والمعصيَةِ عملَهُم) [(٣)].

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس: ١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: هذا تخويفٌ لِكفَّارِ مكَّةَ[(٤)]. والظلْمُ هاهُنَا بمعْنى: الشِّرك.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ﴾ قوْلَان:

أحدُهما: أنَّه عائِدٌ على أهْل مكَّةَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[(٥)].

والثَّاني: علَى القُرُون المتقدِّمةِ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) البيت للخنساء في ديوانها (ص: ٨١)، والأمالي الشجرية (١/ ٢٤١)، والمحاسن والأضداد (١/ ١٧٢)، والكامل (٣/ ٥٤)، والمغني (١/ ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٤٩).

(٢) من قوله: (المعنى: كما زين)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ر).

(٣) ما بين الهلالين متقدم على قوله: (المعنى: كما زين).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

قالَ ابنُ الأنْبَاري: أَلْزَمَهُم اللهُ تَرْكَ الإيمانِ لِمُعانَدَتِهِمُ الحقَّ وإيثَارِهِمُ البَاطِلَ[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: جائِزٌ أن يكونَ جعَلَ جزاءَهُمُ الطَّبعَ على قلُوبِهم، وجائِزٌ أن يكونَ أعْلَمَ ما قد عَلِمَ منْهُم[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾؛ أي: نُعاقِبُ ونُهلِكُ ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعْنِي: المشْرِكينَ مِن قوْمِك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: ١٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جعَلْناكُم يا أمَّةَ محمَّدٍ ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾؛ أي: اسْتخْلَفْناكُم في الأرْض[٣].

وقالَ قتادَةُ: ما جعلَنا اللهُ خلائِفَ إلَّا لِينْظُرَ إلى أعمالِنا، فأَرُوا اللهَ مِن أعْمالِكُم خيْرًا باللَّيلِ والنَّهارِ[٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [يونس: ١٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٠)، والبسيط (١١/ ١٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٧١).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٤) (١٠٢٦٧).



قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ في المستهزئِينَ بالقُرآن مِن أهْل مكَّةَ، قالَه أبو صَالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّها نزَلَتْ في مُشركِي مكَّةَ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ. والْمُرادُ بالآياتِ: آياتُ[1] القُرآنُ، و«يرجُون» بمعنى: يخافونَ.

وفي علَّةِ طلَبِهِم سِوى هذَا القرآنِ أو تبديلِه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أرَادوا تغْييرَ آيةِ العذَابِ بالرَّحْمةِ، وآيةِ الرَّحمةِ بالعذَابِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم كَرِهُوا منه ذِكْرَ البعْثِ والنُّشورِ؛ لأنَّهم لا يُؤمنون به، وكَرِهوا عيْبَ آلهتِهم، فطَلَبُوا ما يخلُوا مِن ذلك، قالَهُ الزَّجَّاجُ[2].

والفرْقُ بين تبْدِيلِه والإتْيانِ بغَيْرِه: أنَّ تبديلَه لا يجوزُ أن يكونَ معه، والإتْيانَ بغَيْره قد يجوزُ أن يكونَ معه.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ﴾ حرَّك[3] هذه اليَاءَ ابْنُ كثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وأسْكنَهَا الباقون[4]. ﴿مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيَ﴾ حرَّكَها نَافِعٌ، وأبو

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١).

(٣) في (ج): فتح.

(٤) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٣ - ١٢٤)،=

عمْـرٍو، وأسْـكنَهَا البَاقُـونَ[١].

(والمعْنَـى: مـن عنْـدِ نفْـسِي)[٢]، فالمعْنَـى: أنَّ الَّـذي أَتيـتُ بـهِ مِـن عنـدِ الله لا مِـن عنْـدِي فأُبدِّلـه.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فتَحَ هذه الياءَ ابْنُ كثير، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو[٣]. ﴿إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾؛ [أي][٤]: في تبدِيله وتغْيِيره[٥]. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ يعْنِي: في القِيامَةِ.

فَصْلٌ

وقـدْ تكلَّـم علـماءُ النَّاسـخِ والمنْسـوخِ في هــذِه الآيَـةِ عـلى مـا بيَّنَّـا في نظِيرتِهـا في الْأنْعَـامِ. ومقصـودُ الآيتَـيْنِ: تهدِيـدُ المخالِفـين؛ وأُضِيـف ذلـك إلى الرَّسُـول ﷺ لِيصْعُـبَ[٦] الأمْـرُ فيـهِ.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ [يونس: ١٦ - ١٧].

=والكشف؛ لمكي (١/ ٥٢٣).

(١) قـرأ نافـع وأبـو عمـرو بفتـح اليـاء، والباقـون بإسـكانها. انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٣٠)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٢٣ - ١٢٤).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٣) المصدر السابق.

(٤) من (ج)، و(ر).

(٥) في نسخة: أو تغييره.

(٦) في (ف): لتصعب.



قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ يعْنِـي: القـرآنَ؛ [٣٤٩/ ب] وذلِـك أنَّـه كانَ لا يُنزِّلُـه عـليَّ، فيأمـرُنِي بِتلاوتِـه علَيْكـم. ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: ولا أَعْلَمَكُـم اللهُ[١] بـهِ.

قـرَأ ابْـنُ كثِـير: «وَلَأَدْرَاكُـم» بـلَامِ التَّوْكيـدِ مِـنْ غـيْرِ ألِـفٍ بعْدَهَـا، يجعلُهَـا لَامًـا دخلَـتْ عـلَى «أدْرَاكُـم»[٢].

(وقـرَأ ابْـنُ كثِـير، ونافِـعٌ، وحفْـصٌ عـن عاصِـمٍ: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ بفتْـحِ الرَّاء والألِـفِ)[٣].

وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، (وابْـنُ عامِـرٍ)[٤]، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «أَدْرِيكُـم» بالإمَالـةِ[٥].

وقـرَأ الحَسَـنُ، وابْـنُ أبي عبْلَـةَ، وشـيْبةُ بْـنُ نَصَّـاحٍ[٦]: «ولَا أدرأْتُكـم»

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ر).

(٢) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ف).

(٣) مـا بـين الهلالـين سـاقط مـن (ر)، والمثبـت مـن بقيـة النسـخ. والقـراءة عزاهـا في التيسـير لقنبـل عنـه (ص: ١٢١)، ورويـت عـن البـزي، وروي عنـه كقـراءة الجمهـور.

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: التيسير في القراءات (ص: ١٢١)، والنشر في القراءات (٢/ ٢٨٢).

(٦) هـو شـيبة بـن نصـاح، بـن سرجـس بـن يعقـوب، إمـامٌ ثِقَـةٌ، مقرئ المدينـة مـع أبي جعفـر، وقاضيهـا، ومـولى أم سـلمة رضي الله عنهـا مسـحت عـلى رأسـه ودعـت لـه بالخـير. قـال الحافـظ أبـو العـلاء: هـو مـن قـراء التابعـين الذيـن أدركـوا أصحـابَ النَّبـي - ﷺ - وأدرك أُمَّـي المؤمنـين عائشـة وأم سـلمة زوجـي النبـي - ﷺ - ودعتـا الله تعـالى لـه أن يعلمـه القـرآن. تـوفي سـنة (١٣٠هــ)، وقيـل: (١٣٨هــ). انظـر: طبقـات القـرّاء (١/ ٣٢٩).

بتَـاءٍ (مرفوعـة)[1] بـيْنَ الألِـفِ والـكافِ[2].

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، وقـرَأَ الحسَـنُ، والأعْمَـشُ: «عُمْـرًا» بسُـكونِ الميـمِ[3].

قالَ أبو عُبيدةَ: وفي العُمر ثلاثُ لُغاتٍ: عُمُر، وعُمْر، وعَمْر[4].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: أقمْـتُ فيكـم أرْبعِـين سـنَةً لا أُحدِّثُكـم بـشيْءٍ مِـن القـرْآنِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّـه ليـس مـن قِبَـلِي[5]. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يُريـد: إنِّي لم أفـترِ عـلَى اللهِ ولم أكـذبْ عليْـهِ، وأنتـم فعَلْتُـم ذلِـك حيْـثُ زعَمْتُـم أنَّ معَـهُ شريـكًا. والمجرِمُـون هَاهُنـا: المشرِكُـون.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونـس: ١٨].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾؛ (أي: لا يضُرُّهـم)[6] إنْ لم يعبـدُوه، ولا ينفعُهـم إنْ عبَـدُوه، قالَـهُ مُقاتِـلٌ، والزَّجَّـاجُ[7].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) قولـه: (بـين الألـف والـكاف) ليـس في (ف)، وهـي قـراءة شـاذة عزاهـا لهـم ابـن جنـي في المحتسـب (١/ ٣٠٩)، وهـي قـراءة أبي رجـاء أيضًـا؛ كـما في البحـر المحيـط (٦/ ٢٥).

(٣) انظر: الكامل في القراءات (ص: ٥٦٦)، والبحر المحيط (٥/ ١٣٣).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).

(٥) ذكـره الواحـدي في تفسـير الوسـيط (٢/ ٥٤١)، والبسـيط (١١/ ١٤٧)، ورواه بمعنـاه البخـاري في صحيحـه (٣٨٥١)، وأحمـد في المسـند (١/ ٣٧١).

(٦) ليست في (ج)، و(ر).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعْنِي: المشركِين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعْنُونَ[1]: الأصْنَامَ.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: خرجـتْ[2] كنايتُهَـا عـلى لفْـظِ كِنايـةِ الآدمِيِّـينَ[3]. وقـد ذكرْنـا هـذا المعْنـى في الأعْـرَافِ عنـد قوْلِـه: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعـراف: ١٩١].

وفِي قوْلِه: ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: شفعاؤُنا في الآخِرة، قالَهُ أبو صَالحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[4].

والثَّـاني: شـفعاؤُنا في إصْـلاحِ معَايِشِـنا[5] في الدُّنْيـا؛ لأنَّهـم لا يُقِـرُّون بالبعْـثِ، قالَـهُ الحسَـنُ.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾.

قـالَ الضَّحَّـاكُ: أتُخبِّرُونَ اللهَ أنَّ لـه شرِيـكًا، ولا يعْلَـمُ اللهُ لِنفسِـه شرِيـكًا فِي السَّـمَوَاتِ ولَا في الأرْضِ[6].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونـس: ١٩].

---

(١) في (ر): ولا يعنون. خطأ.

(٢) في (ج): حركت.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٢).

(٥) في (ف): معاشنا.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٢، والبسيط (١١/ ١٤٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ قد شرَحْنَا[١] (هـذا)[٢] في [سُـورةِ][٣] البقرة [آية: ٢١٣]، وأحْسَـنُ الأقْوَالِ [أنَّهُـم][٤] كانوا على دِيـنٍ واحـدٍ مُوحِّديـن، فاخْتلَفُـوا وعبَـدُوا الأصْنَـامَ، فـكان أوَّل مَن بُعـث إليهم نوحٌ عليه السَّـلام.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ [مِن رَّبِّكَ]﴾[٥] بتأخِـير [عَذَابِ][٦] هـذه الأُمَّـةِ أنَّـه لَا يُهلكُهـم بالعذَاب كـما أهْلـكَ الَّذِين مِـن قبْلِهـم، لَقُـضي بيْنَهُم بنُـزولِ العـذَابِ، فـكانَ ذلِك فصْـلًا بيْنَهم فيـما فيـهِ يخْتلِفون مِـنَ الدِّينِ.

والثَّـاني: أنَّ الكلمـةَ: أنَّ لِـكلِّ أُمَّـةٍ أجـلًا، وللدُّنْيـا مُـدَّةً لا يتقـدَّم[٧] ذلـك علـى وقْتِـه.

والثَّالث: أنَّ الكلمةَ: أنَّه لَا يأْخذُ أحدًا إلَّا بعد إقَامةِ الحُجَّةِ عليْهِ.

وفي قوْلِه: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ قوْلَانِ:

---

(١) في (ف): شرحناها.

(٢) ليست في (ج).

(٣) من المطبوع.

(٤) من (ف).

(٥) من (ج).

(٦) من (ج).

(٧) في (ج): للدنيا لا يتقدم.

أحدُهما: لَقُضي بيْنَهُم[١] بإقامَةِ السَّاعةِ.

والثَّانِي: بنُزولِ العذَابِ على المكذِّبينَ.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ٢٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعْنِي: المشْرِكين ﴿لَوْلَآ ﴾؛ أي: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؛ مثل: العصَا، واليدِ، وآياتِ الأنْبياءِ.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ سؤَالَكم: لِمَ لمْ تنزلِ الآيةُ؟ غيْبٌ، ولا يعْلَمُ عِلَّةَ امْتِناعِها إلَّا اللهُ تعالى.

والثَّانِي: أنَّ نُزولَ الآيةِ متَى يكون؟ غيْبٌ، ولَا يعْلَمُه إلَّا اللهُ تعَالى.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: انْتَظِروا نُزولَ الآيَةِ.

[٣٥٠/أ] والثَّانِي: قضَاءَ الله بيْنَنَا بإِظْهَارِ الْمُحقِّ علَى الْمُبطلِ.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾.

---

(١) في (ف): بينهما.

سببُ نُزولها: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - لَمَّا دعَا على أهْلِ مكَّةَ بالجدْبِ فقَحطُوا سبْعَ سِنِينَ، أتَاهُ أبو سُفيانَ، فقَالَ: ادْعُ لنَا بالخَصْبِ، فإنْ أخْصبْنَا صدَّقْنَاكَ، فدعَا لَهُم، فسُقُوا ولم يُؤمِنُوا، ذكرَهُ الماورديُّ[١].

قالَ المفسِّرُون: المرَادُ بالنَّاسِ هاهُنا: الكُفَّارُ.

وفِي المرادِ بالرَّحمة والضَّرَّاءِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ الرَّحمَةَ: العافِيةُ والسُّرورُ، والضَّرَّاءَ: الفقْرُ والبَلاءُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الرَّحمةُ: الإسْلامُ (والخَصْب)[٢]، والضَّرَّاءُ: الكفْرُ، وهذا فِي حقِّ المنافِقينَ، قالَهُ الحَسنُ.

والثَّالثُ: الرَّحمةُ: الخصْبُ، والضَّرَّاءُ: الجدْبُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

وفِي المرَادِ بالمكرِ هاهُنا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الاِسْتِهزاءُ والتَّكْذِيبُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ[٣].

والثَّاني: أنَّه الجُحودُ والرَّدُّ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٤].

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٣٠).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٤).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).



والثَّالث: أنَّه إضافةُ النِّعَم إلى غيرِ اللهِ، فيقولُون: سُقينا بنَوْءِ كذا، قالَهُ مُقاتل بْنُ حيَّانَ[1].

والرَّابع: أنَّ المكرَ: النِّفاقُ؛ لأنَّه إظهارُ الإيمانِ وإبْطانُ الكفْرِ، ذكرَهُ الماورديُّ[2].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؛ أي: جزاءً على المكْرِ[3]. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعْنِي: الحفظةَ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾؛ أي: يحْفَظُون ذلِك لمُجازَاتِكُم عليْهِ.

وقرأَ يعقوبُ إلَّا رويْسًا وأَبَا حَاتمٍ، وأبانُ عن عَاصمٍ: «يَمْكُرُونَ» [بالياء][4][5].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز، ثقةٌ صالح من العباد الصالحين والدعاة إلى الإسلام، صاحب سنة وصدق. حكى أبو الفتح الأزدي أن وكيعًا كذَّبه. ورد عليه الذهبي وقال: «فابن حيان صدوق قوي الحديث، والذي كذَّبه وكيع فابْن سليمان. وكذا ردَّ عليه ابن حجر، وقال: «أخطأ الأزدي في زعمه أنَّ وكيعًا كذبه، وإنما كذب الذي بعده - وهو مقاتل بن سليمان الأزدي - مات مقاتل قبل الخمسين ومائة. انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٨-٢٤٩)، والتقريب (٢/ ٢٧٢).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٣٠).

(٣) في (ج): الكفر.

(٤) من (ج)، و(ر)، و(ف)، و(م).

(٥) قراءة العشرة بالتاء إلا روحًا عن يعقوب فبالياء؛ كما في النشر (٢/ ٢٨٢)، وعزاها للحسن ومجاهد وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٦١).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾؛ أي: اللهُ الَّـذي هـو أسْرعُ مكْـرًا، هـو الَّـذِي يُسـيِّرُكُم ﴿فِي ٱلْبَرِّ ﴾ عـلى الـدَّوابِّ، أوْ في[1] البحْـرِ عـلى السُّـفنِ، فلـو شَـاءَانْتقَـم منْكُـم في الـبرِّ أوْ في[2] البحْـرِ.

وقـرَأَ ابْـنُ عَامِـرٍ، وأبـو جعْفـرٍ: «ينْشُرُكُـم» بالنُّـون والشِّـين مِـنَ النَّشر[3]، وهـو في المعْنَـى مثْـلُ قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ﴾ [النسـاء: ١].

والفلكُ: السُّفنُ.

قـالَ الفـرَّاءُ: الفُلكُ تُذكَّـر وتُؤنَّثُ، وتكـونُ واحدةً وتكونُ جمعًـا، قالَ تعَالى هاهُنـ: ﴿ جَآءَتْهَا ﴾ فأنَّثَ، وقال فِي {يـس}: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ فذكَّر[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ عادَ بعْدَ المخاطَبةِ لهُم إلى الإخبَارِ عنْهُم.

قـالَ الزَّجَّـاجُ[5]: كُلُّ مَـن أقـامَ الغائِـبَ مقَـامَ مَـنْ يُخاطبُـه جـازَ أن يـردَّه إلى الغائِـبِ، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الكامـل]:

شَـطَّتْ مَـزَارُ الْعَاشِـقِينَ فَأَصْبَحَـتْ عَـسِرًا عَـلَيَّ طِلَابُـكِ ابْنَـةَ مَخْـرَمِ[6]

---

(١) في جميع النسخ) عدا الأصل: وفي.

(٢) في ج)، و(ر): وفي.

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، وكذا أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٣١٨).

(٤) معني القرآن (١/ ٤٦٠).

(٥) معني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣).

(٦) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ١٩)، وشعراء النصرانية (٦/ ٨٠٩)، الكامل (١/ ٣٩٩)، (٢/ ٧٢٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾؛ أي: ليِّنَـةٍ[١]. ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ لِلينهـا[٢]. ﴿جَآءَتۡهَا﴾ يعْنِـي: الفُلْـكَ.

قـالَ الفـرَّاءُ: وإنْ شـئْتَ جعلتَهَـا للرِّيـح، كأنَّـك قلْـتَ: جـاءتِ الرِّيـحَ الطَّيِّبـةَ رِيـحٌ عاصِـفٌ، [والعـرَبُ تقُـول: عَاصِـفٌ][٣] وعاصِفـةٌ، وقـد عصفـتِ الرِّيـحُ وأعْصَفـتْ، والألِـفُ لُغـةٌ لِبنـي أسَـد[٤].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الرِّيحُ العَاصِفُ[٥]: الشَّدِيدةُ[٦].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: يُقـال: عَصَفـتِ الرِّيـحُ، فهِـيَ عاصِـفٌ وعاصِفـةٌ، وأعْصَفَـتْ، فهِـيَ مُعْصِـفٌ ومُعْصِفَـةٌ[٧].

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾؛ أي: مِن كُلِّ أمْكنَةِ الموْجِ.

[٣٥٠/ب] قوْلُه تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: اليَقِينِ.

والثَّاني: أنَّه التَّوهُّم.

---

(١) في (ف): آمنةٍ.

(٢) في (ج): بلينها.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٦٠).

(٥) في (ف): العاصفة.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥١).

(٧) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٦٠)، ولم أجده عند الزجاج في معاني القرآن وإعرابه.

وفي قوْلِه: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّهم][١] دَنَوْا مِنَ الهلَكةِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وأصْلُ هذا أنَّ العدُوَّ إذا أحاطَ ببلَدٍ فقَدْ دنَا أهْلُه مِنَ الهلَكةِ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ لِكُلِّ مَنْ وقَعَ في بَلاءٍ: قد أُحِيط بفُلانٍ؛ أي: أحَاطَ بهِ البَلَاءُ[٣].

والثَّاني: أحَاطَتْ بِهِمُ الملائِكَةُ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دُونَ أوْثَانِهِم.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: تَركُوا الشِّرْكَ، وأخْلَصُوا لَه بالرُّبُوبيَّةِ[٥]، وقالُوا: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الرِّيحِ العاصِفِ[٦] ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: الموحِّدِينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ البَغْيُ: التَّرَامِي في الفسَادِ.

قالَ الأصْمَعِيُّ: يُقال: بغَى الجُرْحُ: إذَا ترَامَى إلى فسَادٍ[٧].

---

(١) من (ف).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٩٥)، ومن قوله: (قال ابن قتيبة)... إلى هنا ساقط من (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٣)، والبسيط (١١/ ١٥٩).

(٦) في (ف): العاصفة.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٨٠)، وفي (ر): ترامى فسادًا.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يبْغُون فِي الأرْضِ بالدُّعاءِ إِلى عبادةِ غيْرِ اللهِ والعملِ بالمعَاصِي والفسَادِ[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ. ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾؛ أي: جنايةُ مظالِمِكُم بيْنكم علَى أنْفسكِم. وقَالَ الزَّجَّاجُ: عملُكُم بالظُّلمِ عليْكُم يَرجِعُ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

وقرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبُو رَزِين، وأبو عبْدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، وحفْصٌ، وأبَانُ عن عاصِمٍ: «متاعَ الحيَاةِ الدُّنْيَا» بنصْبِ المتَاعِ[3].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَن رفَع المتَاعَ؛ **فالمعْنَى**: أنَّ ما ينالُونَهُ بهذا البَغْيِ إنَّما ينْتَفِعُون به فِي الدُّنيا، ومَنْ نصَب المتاعَ، فعلَى المصدر؛ **فالمعْنَى**: تمَتَّعُون متاعَ الحياةِ الدُّنْيا[4].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: «متاعَ الحيَاةِ الدُّنيا»؛ أي: منفعةً فِي الدُّنْيا[5].

(وقَرأَ أبو المتوكلِ، واليزِيديُّ في[6] اخْتِيارِه، وهارونُ العتكِيُّ عن

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، والسبعة (ص: ٣٢٥)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ١٤٤)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٤٤).

(٦) في (ف): عن.

عَاصِمٍ: «متاعِ الحيَاةِ [الدُّنْيا][1]» بكسْرِ العينِ)[2][3].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذا مثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى للدُّنيا الفانِيةِ، فشبَّهَها بمَطرٍ نزَل مِنَ السَّماءِ ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ يعْنِي: الْتفَّ النباتُ بالمطرِ، وكثُرَ ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِنَ الحبوب وغيرِها ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ مِنَ المرْعَى. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ قالَ ابنُ قتيبة: زِينتَها بالنَّباتِ، وأصْلُ الزّخرفِ: الذَّهبُ، ثُمَّ يُقال للنَّقْش والنُّورِ والزَّهرِ، وكلِّ شيْءٍ زيِّنَ: زُخرفٌ[4].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الزُّخرفُ: كَمالُ[5] حُسنِ الشَّيءِ[6].

---

(١) من (ج).

(٢) ما بين الهلالين متقدم على قول ابن عباس في (ر).

(٣) قراءة شاذة، بالجر على أنّه نعت للأنفس، على تقدير: ذوات متاع الحياة الدنيا. كذا ذكرت هذه القراءة في التبيان (٢/ ٦٧٠)، والدر المصون (٦/ ١٧٥) دون نسبة. وانظر: اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة (٢/ ٤٤٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ١٩٥).

(٥) في (ف): كما.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾.

قـرأَهُ الجمهُـورُ «وَازَّيَّنَـتْ» بالتَّشْـديدِ[(١)]. وقـرَأ سـعْدُ بْـنُ أبي وقَّـاصٍ، وأبـو عبـدِ الرَّحمـنِ [السُّـلَميُّ][(٢)]، والحسَـنُ، وابْـنُ يعْمـرَ: بفتْـحِ الهمـزةِ وقطْعِهـا سـاكنَةَ الـزَّاي، عـلى وزْن: وأَفْعلَـتْ[(٣)].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرَأَ: «وَازَّيَّنَـتْ» بالتَّشْـديدِ[(٤)]؛ فالمعْنَـى: وتَزَيَّنَـتْ، فادْغُمـتِ التَّـاءُ في الـزَّاي وأُسـكنتِ الـزَّاي، فاجْتُلبـتْ لهـا أَلِـفُ الوصـلِ؛ ومَـنْ قـرأَ «وأَزْيَنَـتْ» بالتَّخفيـفِ عـلَى أَفْعَلَـتْ[(٥)]؛ فالمعْنَـى: جـاءَتْ بالزِّينـةِ.

وقَرَأ (أُبيٌّ)[(٦)]، وابْنُ مسْعُودٍ: «وتَزَيَّنت»[(٧)].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ﴾؛ أي: أَيْقَـنَ أهْـلُ الأرْضِ ﴿أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾؛ أي: عـلى مـا أنْبَتَـه، فأخـبَرَ عـنِ الأرْضِ، والمـرَادُ: النَّبـاتُ؛ [٣٥١/أ] لأنَّ المعْنَـى مفْهُـومٌ. ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾؛ أي: قَضَاؤُنـا بإهْلاكِهـا ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾؛ أي: محْصُـودًا لا شيْءَ فيهَـا.

والحصِيدُ: المقْطُوعُ المسْتأصَلُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج).

(٣) قراءة شاذة، انظر عزوها في المحتسب (١/ ٣١١).

(٤) ليست في (ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٦) ليس في (ج)، و(ر).

(٧) قراءة شاذة، انظر عزوها في تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٧)، والبحر المحيط (٦/ ٣٨).

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: لم تَعْمُرْ، والمغَانِي: المنازِلُ الَّتي يعْمرُهَا النَّاسُ بالنُّزولِ[١] بِهَا[٢]، يُقَال: غنِيْنَا بالمكان: إذا نَزلُوا بِهِ[٣].

وقرأ الحسَنُ: «كأنْ لم يَغْنَ [بالأَمْسِ][٤]» باليَاء[٥]، يعني: الحَصِيدَ.

قالَ بعْضُ المفسِّرين: تأويلُ الآيةِ[٦]: أنَّ الحياةَ في الدُّنيا سببٌ لِاجْتماعِ المالِ ومَا يرُوقُ مِن زهرَةِ الدُّنيا ويعجِبُ، حتَّى إذا اسْتَتمَّ ذلِك عنْدَ صاحبِه، وظنَّ أنَّه مُمتَّعٌ بذلِك، سُلبَ عنه بموْتِه، أو بحادثةٍ تُهلكه، كمَا أنَّ الماءَ سببٌ لِالتِفَافِ النَّباتِ وكثْرتِه، فإذَا تزيَّنَتْ به الأرْضُ، وظَنَّ النَّاس أنَّهم مُستَمْتِعون بذلِك، أهلكَهُ اللهُ، فعادَ ما كان فيها كأنْ لم يَكُنْ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعْني: الجنَّةَ. وقد ذكرْنا معْنى تسْمِيتِهَا بذلِك عنْدَ قوْلِه: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

واعْلَم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ [قَدْ][٧] عمَّ بالدَّعْوةِ، وخصَّ بالهِدايةِ مَن شاءَ، لأنَّ الحُكم لَهُ في خلْقِه.

(١) في (ج): للنزول.

(٢) في (ف): فيها.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٤) من (ج).

(٥) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٢٦)، والمحتسب (١/ ٣١٢).

(٦) في (ر): الآيات.

(٧) من (ج).

وفِي المراد بالصِّرَاط المستقِيم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، رَواه عِليٌّ عنِ النَّبي ﷺ[1].

والثَّاني: الإسْلامُ، رَواه النَّوَّاسُ بْنُ سمْعَانَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[2].

والثَّالثُ: الحقُّ، قالَهُ مُجاهدٌ، وقتادَةُ.

والرَّابعُ: المخرجُ مِنَ الضَّلالاتِ والشُّبهِ، قالَهُ أبو العالِيةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ [يونس: ٢٦] قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قالُوا: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعًا (١/ ٣٠) (٣١) قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ، عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ، عَنْ سَعْدٍ الطَّائِيِّ، عَنِ ابْنِ أَخِي الحارث الأَعْوَرِ، عَنِ الْحَارِثِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللهِ»، ابن جرير الطبري موقوفًا (١/ ١٧٣)، من طريق حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن عليّ، قال: «الصِّراطُ المستقيم: كتاب الله تعالى ذِكرهُ».

(٢) حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيماً»... الحديث، وفيه: «فالصراط: الإسلام»، أخرجه: أحمد (٤/ ١٨٢ و١٨٣)، والترمذي (٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرى (١١٢٣٣) وفي تفسيره (٢٥٣)، والطبري في تفسيره (١/ ٧٥)، والطحاوي في شرح المشكل (٢٠٤١) و(٢١٤٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١١٤٧) و(٢٠٢٤)، والآجري في الشريعة (١٢ - ١٣)، والحاكم (١/ ٧٣) من طرق عن النواس بن سمعان، به، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٧١) (١٧٤٤٢)، قال: حدثني المثنى قـل، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يقول: للذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٤)،=

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: الحُسْنى: كلمةٌ مُستغْنَى[١] عنْ وصْفِها ونعْتِها؛ لأنَّ العرَبَ تُوقِعُها على الخَلَّةِ المحبُوبةِ، (والخلةِ)[٢] المرغُوبِ فيهَا المفروحِ بها، فكانَ الَّذِي تعلمُه[٣] العرَبُ مِن أمْرِها يُغنِي عن نعْتِها، فكذلِك المزِيدُ عليْهَا محْمُولٌ على معْنَاها ومتعرَّفٌ مِن جِهتِهَا، يدُلُّ على هذَا قوْلُ امرِئ القيْسِ [من الطَّويل]:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا ... وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ[٤][٥]

أي: صرتُ إلى الأمْرِ المحْبُوب. و**هصرْتُ** بمعْنى: مدَدْتُ. و**الغُصْنُ**: كنايةٌ عنِ المرأةِ. والباءُ مؤكِّدةٌ للكلام، كما تقولُ العرَبُ: ألقى بيدِه إلى الهلاكِ، يُريدون: ألقى يدَه. و**الشَّماريخ**: كنايةٌ عن الذَّوائِبِ. و**رُضْتُ**، معناه: أذْللت. ومِن أجل هذا قالَ: (أيَّ إذْلَالِ)، ولم يقُلْ: أيَّ رِياضةٍ.

=(١٠٣٣٣) من نفس طريق ابن جرير.

(١) في (ج): يستغنى.

(٢) زيادة من الأصل فقط.

(٣) في (ج)، و(ف): يعلمه.

(٤) البيتان لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٣٢)، والشعر والشعراء؛ لابن قتيبة (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٢١٤)، وأشعار الستة الجاهلين (ص: ١٣).

(٥) ذكر كلام ابْنِ الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ١٧٠).

وللمُفسِّرين في المرَادِ بالحُسْنى خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الجنَّة، رُوي عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[1]؛ وبهِ قالَ الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّها الواحِدةُ مِنَ الحسَناتِ بِواحِدةٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: النُّضرةُ[2]، قالَهُ عبْدُ الرحمن بْنُ سابِطٍ[3].

[٣٥١/ب] والرَّابع: الجزَاءُ في الآخِرةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والخامِس: الأُمنيَّةُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبَاريِّ[4].

وفي الزِّيادةِ ستَّةُ أقْوالٍ:

---

(١) هذا قول جماعة من الصحابة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت، وهو قول الحسن، وعكرمةَ والضَّحَّاك، ومقاتل والسدي، ويدل على صحَّةِ هذا القول المنقول والمعقول؛ أمَّا المنقول: فما روي عن صهيب أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، قال: فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زادَ في رواية «ثم تلا هذه الآية: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» أخرجه مسلم، حديث (٢٩٧-١٨١). وأمَّا المعقول فنقول: إن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت إلى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام فثبت بهذا أن المراد من لفظة الحسنى هي الجنة وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرًا مغايرًا لكلِّ ما في الجنة من النعيم.

(٢) في بعض النسخ: النصرة.

(٣) في (ج): رابط.

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٣).

أحدُها: [أنَّها][١] النَّظرُ إلى الله عزَّ وجَلَّ.

رَوى مُسلمٌ[٢] في «صحيحِه» من حديثِ صُهيبٍ عنِ النَّبي - ﷺ - أنَّه قالَ: «الزِّيادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ»[٣].

وبهذَا القوْلِ قالَ أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، وأبو مُوسى الأشْعَرِيُّ، وحُذيفةُ، وابْنُ عبَّاسٍ، وعِكْرمَةُ، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وعبْدُ الرَّحمَنِ بنُ أبي ليْلَى. والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّ الزِّيادَةَ: غُرفةٌ مِن لُؤلؤةٍ وَاحِدةٍ لهَا أرْبعَةُ أبْوابٍ، رَواه الحَكم عنْ علِيٍّ عليه السَّلام[٤]، ولا يصِحُّ.

والثَّالث: [أنَّ][٥] الزِّيادةَ: مُضاعفةُ الحسَنةِ إلى عشْرِ أمْثالها. قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والرَّابعُ: أنَّ الزِّيادةَ: مغْفِرةٌ ورضْوانٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامس: أنَّ الزِّيادةَ: أنَّ ما أعْطاهُم فِي الدُّنْيا لا يُحاسِبُهم به في القيامَةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) مز (ج)، و(ر)، و(م).

(٢) في ج): البخاري.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٨-١٨١).

(٤) روه ابن جرير الطبري (١٥/ ٦٩) قال: حدثنا به يحيى بن طلحة قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن الحكم، عن علي رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، قال: «الزيادة»: غرفةٌ من لؤلؤة واحدةٍ لها أربعة أبواب.

(٥) مز جميع النسخ.

والسَّادس: أنَّ الزِّيادةَ: ما يَشْتَهُونَهُ، ذكَرَهُ الماورديُّ[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾؛ أي: لا يغْشَـى[٢] ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقـرَأَ الحسَـنُ، وقتَـادةُ، والأعْمَـشُ: «قَـتْرٌ» بإِسْـكانِ التَّـاءِ[٣].

وفيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه السَّوادُ. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: سَوادُ الوُجُوهِ[٤] مِنَ الكآبَةِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: القتَرُ: الغبْرَةُ الَّتِي معَها سَوادٌ[٥].

والثَّاني: أنَّه دُخانُ جهنَّمَ، قالَهُ عطاءٌ.

والثَّالث: الخِزيُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابعُ: الغُبَارُ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٦].

وفي الذِّلَّةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الكآبَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الهَوَانُ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٣٣).

(٢) في (ر): أن يغشى.

(٣) قراءة شاذة انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٦١)، والبحر المحيط (٦/ ٤٤).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٧٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٧٧).

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ قال ابْنُ عبَّاسٍ: عمِلُوا الشِّرْكَ[١] ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ في الآيةِ محذوفٌ، وفي تقديرِهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ فيها إضمارَ «لهم»، **المعْنَى:** لهم جزاءُ سيئةٍ بمثْلِها، وأنْشَدَ ثعْلبٌ [من الطويل]:

فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ عَنْهُ فَقُلْ لَهُم ... وَذَاكَ عَطَاءٌ لِلْوشَاةِ جَزِيلُ
مُلِمٌّ بِلَيْلَى لَمَّةً ثُمَّ إِنَّه ... لَهَاجِرُ لَيْلَى بَعْدَهَا فَمُطِيلُ[٢]

أراد: هو مُلِمٌّ، وهذا قوْلُ الفرَّاءِ[٣].

والثَّاني: أنَّ فيها إضمارَ «منْهُم»، **والمعنى:** جزاءُ سيِّئةٍ منْهُم بمِثْلِها، تقُول العرَبُ: رأيْتُ القوْمَ صَائِمٌ وقَائِمٌ؛ أي: منْهُم صائِمٌ وقَائِمٌ، أنْشدَ الفرَّاءُ[٤] [من البسيط]:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي غَلَسٍ ... وَغُودِرَ الْبَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ[٥]

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في ابسيط (١١/ ١٧٤).

(٢) البيتان بلا نسبة في النوادر في اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٥٥١)، وأشعار النِّساء؛ للمرزباني (٦١).

(٣) (١/ ٤٦١).

(٤) معاني القرآن (١/ ١٩٣).

(٥) البيت لذي الرمة في ديوانه (ص: ١٣٦٦)، والسمط (١/ ٣٥٤)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٤١٠)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٧٦)، والنحاس في إعراب القرآن (٣/ ٤٦٩).

(أي: منه مَلْوِيٌّ)[١]، وهذا قوْلُ ابنِ الأنْبَاري[٢]. وقال بعْضُهم: الباءُ زائِدةٌ هاهُنا.

و«مِن» في قوْلِه تعَالى: ﴿مِّنْ عَاصِمٍ﴾ صلَةٌ، والعَاصِمُ: المانِعُ.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾؛ أي: أُلبِست ﴿قِطَعًا﴾ [قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ: «قطَعًا»][٣] مفتوحةَ الطَّاءِ، وهي جمعُ قِطْعَةٍ.

وقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، والكِسائِيُّ، ويعقوبُ: «قطْعًا» بتسكينِ الطَّاءِ[٤].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهوَ اسْمُ مَا قُطع[٥].

قالَ ابنُ جريرٍ: وإنَّما قالَ: «مُظلِمًا» ولم يقُلْ: «مُظْلمةً»؛ لأنَّ المعنى: قِطعًا مِنَ اللَّيلِ الْمُظلمِ[٦]، ثُم حُذفتِ الألفُ واللَّامُ مِنَ «المظلم» فلمَّا صارَ نكِرةً، وهوَ مِن نَعْتِ اللَّيلِ، نُصِبَ على القطْعِ؛ وقوْمٌ يُسمُّون ما كان كذلِك حالًا، وقوْمٌ قطْعًا[٧]. [٣٥٢/أ]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٧٤)، قال: وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: إذا رفعت الجزاء بالباء أضمرت العائد إلى الموصول، على تقدير: جزاء سيئة منهم بمثلها، فالجزاء مرتفع بالباء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء المضمرة عليهم، وصلح إضمار (منهم) في ذا الموضع كما تقول: رأيت القوم صائم وقائم، يراد: منهم صائم وقائم.

(٣) ما بين المعكوفين سقط بالأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، والنشر (٢/ ٣١٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٦).

(٦) ليست في (ج).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٧٦).

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يونس: ٢٨ - ٢٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يجمَعُ الكُفَّارَ وآلِهتَهم[١]. ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾؛ أي: آلهتُكم.

قالَ الزَّجَّاجُ: «مَكَانَكُم»: منْصُوبٌ على الأمْرِ، كأنَّهم قِيلَ لهم: انْتَظِرُوا مكانَكُم حتَّى نفْصِلَ بيْنكُم، والعرَبُ تتوَعَّدُ فتَقُولُ: مكانَكَ؛ أي: انْتَظِرْ مكانَك، فهيَ كلِمَةٌ جرَتْ على الوَعِيدِ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ وقرَأ ابنُ أبي عبْلَةَ: «فزايَلْنا» بألِفٍ[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فرَّقنا بيْنَهُم وبيْنَ آلهتِهم[٤].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: هوَ مِن زَالَ يزُول وأَزَلْتُه[٥].

وقالَ ابْنُ جريرٍ: إنَّما قالَ «فزيَّلْنَا» ولم يقُلْ: «فزِلْنَا» لإرادةِ تكريرِ الفِعْلِ وتكْثِيرِه[٦].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢) عن ابن عباس، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦).

(٣) قراءة شاذّة، عزاها إلى ابن أبي عبلة الهذليُّ في الكامل (ص: ٥٦٧)، والكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٦)، وهي بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفرَّاء (١/ ٤٦٢)، وتفسير الطبري (١٥/ ٧٨)، والهداية؛ لمكي (٥/ ٣٢٥٨)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٤٥).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٧٣).

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٦).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٧٨).



فإنْ قِيل: «كيْف تقَعُ الفُرقَةُ بيْنَهُم وهُم معَهَم في النَّار؛ لقوْله تعَالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[الأنبياء: ٩٨]؟

فالجوَابُ: أنَّ الفُرقَةَ وقعَتْ بتَبرِّي كُلِّ معْبُودٍ مِمَّن عبدَهُ، وهو قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: آلهَتُهُم[١]، يُنْطِقُ اللهُ الأوْثَانَ، فتقُول: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: لا نعْلَمُ بعِبادَتِكُم لنَا؛ لأنَّه مَا كانَ فينَا روحٌ، فيقُول العابِدُون: بلى قد عبدْنَاكُم، فتقُول الآلهةُ: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعْلَمُ بها.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿إِن كُنَّا﴾ معْناه: مَا كنَّا إلَّا غافِلينَ[٢].

فإنْ قيل: ما وجْهُ دخُولِ البَاءِ في قوْلِه تعَالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾؟.

فعنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّها دخلتْ للمُبالغةِ في المدْحِ كما قالُوا: أَظْرِفْ بعَبْدِ اللهِ، وأَنْبِلْ بعَبْدِ الرَّحمنِ، ونَاهِيكَ بأَخِينَا، وحَسْبُكَ بِصَدِيقِنَا[٣]، هذا قوْلُ الفرَّاءِ[٤] وأصْحَابِه.

---

(١) تنوير المقباس (ص/ ١٧٣)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٦)، عن ابن عبّاس، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٧٨) عن مجاهد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦).

(٣) في الأصل: تصديقنا، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١١٩).

والثَّـانِي: أنَّهَـا دخلَـتْ توْكِيـدًا للْـكلَامِ؛ إذ سُـقوطُها مُمكِـنٌ، كـما يُقـال: خُـذْ[١] بالخِطَـامِ، وخُـذْ الخِطَـامَ، قالَـهُ ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٣٠﴾ [يونـس: ٣٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثـير، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «تَبْلُـو» بالبَـاءِ. وقـرَأ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ، وخلَـفٌ، وزَيْدٌ عـن يعْقُـوبَ: «تَتْلُـو» بالتَّاء[٢].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «هُنالِـكَ» ظـرْفٌ، والمعْنَـى: في ذلِـكَ الوقـت تبلُـو، وهـو منْصُـوبٌ بـ«تَبلُـو»، إلَّا أنَّـه غـيْرُ مُتمَكِّـنٍ، والـلَّامُ زائِـدةٌ، والأصْـلُ: هُنـاكَ، وكُـسِرتِ الـلَّامُ لِسُـكونِهَا وسُـكونِ الألِـفِ، والـكافُ للمُخاطبـةِ[٣].

و«تَبْلُـو»: تُخْتَـبَرُ[٤]؛ أي: تَعْلَـمُ. ومَـن قـرَأَ[٥] «تَتْلُـو» بتاءَيْـن، فقـد فسَّرهـا الأَخْفـشُ[٦] وغـيْرُه: تتْلُـو مِـنَ التِّـلاوةِ؛ أي: تقـرأُ. وفـسَّرُوه أيضًـا: تَتْبـعُ كُلُّ نفْـسٍ مَـا أسْـلَفَتْ، ومثْلُـه قـوْلُ الشَّـاعر [مـن الرجـز]:

---

(١) من قوله: (والثاني)... إلى هنا ساقط من (ر).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧).

(٤) في معاني القرآن وإعرابه: تخبر.

(٥) في (ج): وقد قرأ.

(٦) معاني القرآن (١/ ٣٧٤).



قَـدْ جعَلَـتْ دَلْـوِيَ تَسْـتَتْلِينِي[1] ....

أي: تَسْتتبعُني؛ أي: مِن نَقْلِهَا[2] تستدْعِي اتِّباعِي إيَّاهَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ﴾؛ أي: في الآخِـرَةِ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ الَّـذي يمْلِـكُ أمْرَهُـم حقًّـا، لا مَـنْ جعَلُـوا معَـهُ مِـنَ الـشُّركَاءِ ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾؛ أي: زَالَ وبطَـلَ ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: مِـنَ الآلهَـةِ.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونـس: ٣١].

[٣٥٢/ب] قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطَـرَ، ومِـنَ الأرْضِ النَّبـات ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ﴾؛ أي: خلَـقَ السَّمعَ والأبصَـارَ. وقـد سبَقَ معْنَـى إخْـرَاجِ الحَـيِّ مِـنَ الميِّـتِ، والميِّـتِ مِـنَ الحَـيِّ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾؛ أي: أمْـرَ الدُّنْيَـا والآخِـرَةِ ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّهُـم خُوطِبـوا بـما لا يقْـدِرُ عليْـهِ إلَّا اللهُ، فـكانَ في ذلِـك دلِيـلُ توْحِيـدِه.

[وفي][3] قوْلِه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أفَلا تَتَّعِظُونَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) الرجـز بـلا نسـبة في معـاني القـرآن؛ للزجـاج (٣/ ١٧)، والنـوادر في اللغـة؛ لأبي زيـد (ص: ٣٩٠)، والمحكـم والمحيـط؛ لابـن سـيده (٩/ ٥٣٦)، وبعـده: ولا أريـد تبـع القريـن.

(٢) في (ر): ثقلها.

(٣) ليست في الأصل والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: تَتَّقُون الشِّرْكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾.

قال الخطَّابيُّ: الحقُّ: هوَ الْمُتحقِّقُ وجُودُه، وكُلُّ شيءٍ صَحَّ وجُودُه وكوْنُه؛ فهوَ حَقٌّ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كيْفَ تُصرَفُ عقُولُكم إلى عبَادةِ مَن لا يرزقُ ولا يُحْيي ولا يُميت[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٣ - ٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾.

قرَأ ابْن كثِيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائيُّ: «كلِمَةُ ربِّكَ» وفي آخرِ السُّورةِ كذلِكَ. وقرَأ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ الحرْفَيْنِ «كلِماتُ» علَى الجمْعِ[٣].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٧٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٨٨).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: الكافُ في موْضِعِ نَصْبٍ؛ أي: مِثْلَ أفْعَالِهم جَازَاهُم ربُّكَ، والمعْنَى: حَقٌّ عليْهِم أنَّهم لا يُؤمِنونَ، وقوْلُه تعَالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، وجَائِزٌ أنْ تكونَ الكلِمةُ حَقَّتْ عليْهِم؛ لأنَّهم لا يُؤمِنُونَ، وتكون الكلمةُ مَا وُعِدوا بهِ مِنَ العِقَابِ[1].

وذكَرَ ابْنُ الأنْبارِيِّ[2] في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها إشارَةٌ إلى مصْدرِ «يُصرفون»[3]، والمعنى: مثْل ذلِك الصَّرف حقَّتْ كلمَةُ ربِّك.

والثَّاني: أنَّه بمعْنَى: هكذَا.

وفي معْنَى ﴿حَقَّتْ﴾ قوْلَانِ:

(أحدُهما: وجَبَتْ.

والثَّاني: سبَقَتْ.

وفي كلِمتِه قوْلَانِ)[4]:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: وعْدِهِ[5].

والثَّاني: بمعْنَى: قضَائِه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨).

(٢) ذكر قولَ أبي بكر بن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٨٨).

(٣) في (ف): تصرفون.

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٥) في (ج): وعدهم.

ومَـن قـرَأَ: «كَلِـمَاتُ» جعَـل كُلَّ واحـدةٍ مِـن الكَلِـم الَّتـي تُوعِّـدُوا[١] بهـا كلِمَـةً. وقـد شرَحْنَـا معنـى الكلِمَـةِ في الأَعْـرَافِ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى الحَقِّ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وابْـنُ عامِـرٍ، وورْشٌ عـنْ نافِـعٍ: «يَهَـدِّي» بفتْـحِ اليـاءِ[٢] والهـاءِ، وتَشْـديدِ الـدَّالِ[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الأَصْـلُ يَهْتـدي، فأُدْغِمـتِ التَّـاءُ في الـدَّالِ، فطُرِحَـت فتْحتُهـا عـلَى الهَـاءِ[٤].

وقـرَأَ نافِـعٌ إلَّا ورْشًـا، وأبـو عمْـرٍو: «يَهْـدِّي» بفتْـحِ اليـاءِ وإسْـكانِ الهـاءِ، وتشْـديدِ الـدَّالِ، غـيْرَ أنَّ أبـا عمْـرٍو كان يُشـمُّ الهـاءَ شـيْئًا مِـنَ الفتْـحِ[٥].

وقرَأَ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «يَهْدِي» بفتْحِ الياءِ وسُكونِ الهَاءِ وتخْفِيفِ الدَّالِ[٦].

قَـالَ أبـو علِـيٍّ: والمعْنَـى: لَا يَهْـدِي[٧] غَـيْرَهُ إلَّا أنْ يُهْـدَى هـوَ[٨]، ولَـو

---

(١) في (ف): توعدون.

(٢) في (ر): التاء.

(٣) قراءة سبعية؛ انظر: التيسير (ص: ١٢٢)، والنشر (٢/ ٢٨٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٥) انظر التيسير (ص: ١٢٢) والنشر (٢/ ٢٨٤).

(٦) المصدر السابق.

(٧) في الحجة للقراء السبعة: أفمن يهدي.

(٨) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٧٥).

هُـدي الصَّنـمُ[١] لم يهْتَـدِ، ولكـنْ لَمَّـا جعلُوهَـا كمَـنْ يعْقِـلُ، أُجْرِيـتْ مجـرَاهُ.

ورَوى يَحْيـى بْـنُ آدمَ، عنْ أبي بَكْـرٍ، عن عَاصِمٍ: «يِهِدِّي» بكسْرِ اليَاءِ والهَاءِ، وتشْـدِيدِ الدَّالِ، وكذلـك رَوى أَبانُ وجبَلَةُ عنِ الْمُفضَّـل وعبْدِ الوَارثِ[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: أَتْبَعُوا الكسْرَةَ الكَسْرَةَ، وهِيَ ردِيئَةٌ؛ لِثِقَلِ الكسْرَةِ في اليَاءِ[٣].

ورَوى حفْـصٌ عـن عَاصِـمٍ، والكِسَـائِيُّ عـن أبي بكْـرٍ عنْـهُ: «يَهِـدِّي» [٣٥٣/أ] بفتْـحِ اليَـاءِ وكـسْرِ الهَـاءِ وتشْـدِيدِ الـدَّالِ[٤].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـذِه في الجـوْدَةِ كالمفْتُوحَـةِ الهَـاءِ[٥] [إلَّا أنَّ الهـاءَ][٦]، كُـسرتْ لِالْتِقـاءِ السَّـاكِنَيْنِ[٧].

وقرَأ ابْنُ السَّمَيفَعِ[٨]: «يهتدي» بزيادَةِ تَاءٍ[٩].

---

(١) في (ج): الصم.

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي (٤/ ٢٧٥)، والكامل في القراءات العشر (ص: ٦١٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٤) هـذه خمس قـراءات سـبعية، انظرهـا في التيسـير (ص: ١٢٢)، إلا أنَّـه صـدر لقالـون وأبي عمـرو بالإخفـاء، وانظـر: النـشر (٢/ ٢٨٤)، والحجـة للقـراء السـبعة (٤/ ٢٧٥).

(٥) في الأصل: باهاء، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٨) في الأصل: السميقع، خطأ، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قـراءة ابـن مسـعود، انظـر: حجـة القـراءات؛ لابـن زنجلـة (ص: ٣٣١- ٣٣٢)، ولم أقـف عـلى أحـد عزاهـا إلى ابـن السـميفع غـير المصنـف.

والمراد بقوْلِه: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: الصنَم[1] ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾.

وظاهرُ الكلام يدلُّ على أنَّ الأصنامَ إنْ هُدِيَتْ اهْتدَتْ، وليستْ كذلِك؛ لأنَّها حِجارَةٌ لا تَهْتدِي، إلَّا أنَّهم لَمَّا اتَّخَذُوها آلهةً، عبَّر عنْهَا كما يُعبَّر عمَّن يعْقِلُ (ويفْعَلُ)[2]، ووُصِفتْ صفَةَ مَنْ يعْقِلُ وإنْ لم تكن في الحقيقةِ كذلِكَ؛ ولهذا المعْنَى قالَ في صفتِها: {مَن}؛ لأنَّهم جعلُوها كمَن يعْقِلُ. ولَمَّا أعْطَاها حقَّها في أصْلِ وضْعِها؛ قالَ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ [مريم: ٤٢].

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾؛ أي: أَتعْبُدونَ مَا لَا يقْدِرُ أنْ ينْتَقِلَ مِن مكانِه إلَّا أنْ يُحوَّلَ[3]؟ وقد صرَفَ بعْضُهم الكَلامَ إلى الرُّؤساءِ والمضلِّينَ، والأوَّل أصَحُّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو كلامٌ تامٌّ، كأنَّه قِيلَ لهُم: أيُّ شيءٍ لكُم في عبادَةِ الأوْثَانِ؟ ثم قِيلَ لهم: ﴿[كَيۡفَ][4] تَحۡكُمُونَ﴾؛ أي: على أيِّ حالٍ تحكمُونَ[5]؟.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كيْفَ تقْضُونَ لِأنْفُسِكُم[6]؟ وقالَ مُقاتلٌ: كيْف تقْضُونَ بالجَوْرِ[7]؟.

---

(١) في (ف): الصم.

(٢) ليست في (ر)، و(ف)، والمطبوع.

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٦٤).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٦) تنوير المقباس (ص: ١٧٤).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٧).

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٦].

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: كلُّهُـم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: مَـا يسْـتيْقِنُونَ أنَّهـا آلهـةٌ، بـل يظنُّـون شـيْئًا فيتَّبِعُونَـهُ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لَيْـس هـو كاليقِـينِ، ولا (يقُـومُ)[1] مقـامَ الحـقِّ.

وقـالَ مُقاتـلٌ: ظَنُّهـم بأنَّهـا آهـةٌ لا يدْفَـعُ عنْهُـم مِـنَ العـذَابِ شـيْئًا[2].
وقـالَ غـيْرُه: ظنُّهُـم أنَّهـا تشْـفعُ لهُـم لا يُغْنِـي عنْهُـم.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونـس: ٣٧].

قَوْلُه تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ[3]: هـذا جـوَابُ قوْلِهـم: ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونـس: ١٥] وجـوابُ قوْلِهـم: ﴿افْتَرَىٰهُ﴾.

قـالَ الفـرَّاءُ: ومعْنَـى الآيَـةِ: مـا[4] ينْبَغِـي لِمثْـلِ هـذَا القُـرآنِ أنْ يُفـترى [مِـن دُون اللهِ][5]... فجـاءَتْ «أنْ» عـلى معْنَـى: ينْبَغِـي[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٤) في (ج): لا.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(م).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤٦٤).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: يجوز أَنْ تكُونَ «أنْ» معَ «يُفترى» مصْدرًا، وتقدِيرُه: وما كانَ هذَا القرْآنُ افْتراءً[١].

ويجوزُ أن تكونَ[٢] «كانَ» تامَّةً، فيكون المعْنَى: ما نزَل هذا القُرآنُ، وما ظهَر هذا القرآنُ لأنْ يُفْترى، وبأنْ يُفترى، فتُنصب «أنْ» بفقْدِ الخافضِ في قوْلِ الفرَّاء[٣]، وتُخفضُ بإضْمار الخافضِ في قوْلِ الكِسائي.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: معْنى ﴿أَن يُفْتَرَىٰ﴾؛ أي[٤]: يُضافَ إلى غيْرِ الله، أو يُختلَقَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تصْديقُ الكُتُبِ المتقدِّمةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ. فعلَى هذا إنَّما قالَ: ﴿ٱلَّذِى﴾؛ لأنَّه يُريد الوحْيَ.

والثَّاني: ما بين يديْهِ مِنَ البعْثِ والنُّشورِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٦].

والثَّالث: تصْدِيقُ (النَّبيِّ ﷺ)[٧] الَّذي بين يدي القرآنِ؛ لأنَّهم شاهَدُوا النَّبيَّ ﷺ وعرَفُوه قبْلَ سماعِهِمُ القُرآنَ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٩٩) عنه.

(٢) في (ج)، و(ف): يكون.

(٣) معاني القرآن (١/ ٣٦٤).

(٤) في (ج): أنْ.

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٧)، وفي (ف): ويختلق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٧) ما بين الهلالين ليس في (ج).

[٣٥٣/ ب] **قوْلـه تعـالى:** ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: وبيـانَ الكتَـابِ الَّذي كتبَـهُ اللهُ على أُمَّـةِ محمَّـدٍ ﷺ، والفرَائـضَ الَّتي فرضَهَـا عليْهِم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونـس: ٣٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ في «أَمْ»[1] **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: الوَاوِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[2].

والثَّانِي: بمعْنَى: بَلْ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: فأْتُـوا بسُـورةٍ مثْـلَ سُـورةٍ مِنْـهُ، فذَكَـر المِثْـلَ؛ لأنَّـه إنَّـما التمَسَ شِـبه الجِنْسِ، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ممَّـن هـوَ في التَّكْذِيـبِ مثلِكـم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّـه اخْتلقَـهُ[4].

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونـس: ٣٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّ المعْنى: بها لم يُحيطُوا بعلْمِ مَا فيهِ مِنْ ذِكْرِ الجنَّةِ والنَّارِ والبعْثِ والجزَاءِ.

---

(١) في (ج): أن. خطأ.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١).

والثَّاني: بما لم يُحيطوا بعِلْمِ التَّكذِيب بِه؛ لأنَّهم شاكُّون فيهِ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ قوْلَان:

أحدُهما: تصْدِيقُ مَا وُعِدوا بِهِ مِنَ الوَعِيدِ.

والتَّأويل: ما يؤُول إليْهِ الأمْرُ.

والثَّانِي: ولم يكنْ معهم عِلْمُ تأوِيلِه، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

قيلَ لِسفُيانَ بْنِ عُيَيْنَة: (يقُولُ النَّاسُ)[٢]: كُلُّ إنْسانٍ عدوٌّ مَا جهِلَ، فقالَ: هـذَا في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ. قيلَ لَهُ[٣]: أيْنَ؟ فقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾[٤].

وقِيلَ للحُسيْنِ بْنِ الفضْلِ: هل تجِدُ[٥] فِي القُرآن: مَنْ جهِلَ شيْئًا عَادَاه؟ فقالَ: نعَمْ، في موْضِعَيْنِ: قوْلُه تعَالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾، وقوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١][٦].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ما بين الهلالين ليس في (ف).

(٣) ليست في (ف).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في الأصل: نجد، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ١٣٣)، وساق السيوطي في الإتقان (٥/ ١٩٣٩) في مبحث (أمثال القرآن) طرفًا من أسئلة إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم للحسين بن الفضل حول استنباط الأمثال من القرآن، وعدَّ هذا منها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس: ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

فِي الْمُشار إلَيْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ اليهودُ، قالَهُ أبو صَالِحِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قريشٌ، قالَهُ مُقاتِلُ بْنُ سُليمانَ[1].

وفي هَاءِ «بِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى محمَّدٍ ﷺ ودينِهِ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّانِي: إلى القُرآنِ، قالَه أبو سُليمان الدِّمَشْقِيُّ.

وهذه الآيةُ تضمَّنتِ الإخْبارَ عمَّا سبَقَ في عِلْمِ الله تعَالى، فالمعْنَى: ومنْهُم مَن سيؤمِنُ به. وقالَ الزَّجَّاجُ: منْهُم مَنْ يعْلَم أنَّه حقٌّ فيُصدِّقُ بهِ ويُعانِدُ فيُظْهِرُ الكُفْرَ ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾؛ أي: يشكُّ ولا يُصدِّقُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قالَ عطَاءٌ: يُريد المكذِّبينَ[4]، وهذا تهديدٌ لهم.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١-٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٠٤).

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي ﴾... الآيَةَ.

قالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: نسخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ[1]؛ وليْسَ هذا بِصَحيحٍ؛ لأنَّه لَا تنَافي بيْنَ الآيتَيْنِ.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: في يهُودِ المدِينةِ، كانُوا يأْتُونَ رسُولَ اللهِ ويَسْتمِعُونَ القُرْآنَ فيعْجَبُون ويشْتَهُونَهُ ويغلِبُ عليهِمُ الشَّقاءُ، فنزَلَت هذه الآيَةُ.

والثَّاني: أنَّها نزَلتْ فِي الْمُستهزئِينَ، كانُوا يسْتمِعُون إلى النَّبيِّ ﷺ للاسْتِهزاءِ والتَّكذِيب، فلم ينتَفِعوا، فنزَلَتْ فيهِم هذِه الآيَةُ، والقوْلَانِ مرْويَّانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٩٥) عن ابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٤) من طريق آخر عن ابن زيد، ولم أقف على رواية أبي صالح عن ابن عبَّاس.

والثَّالثُ: أنَّها[1] نزَلَتْ في مُشرِكِي قُريشٍ، قالَهُ مُقاتِلٌ[2].

[٣٥٤/أ] قالَ الزَّجَّاجُ: ظاهِرُهُم ظاهِرُ مَنْ يسْتَمِعُ، وهُم لِشدَّةِ عداوَتِهِم بمنْزِلةِ الصُّمِّ. ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ولو كانُوا مع ذلِك جُهَّالًا[3].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ أنَّهم شرٌّ مِنَ الصُّمِّ؛ لأنَّ الصُّمَّ لهُم عُقولٌ وقُلوبٌ، وهؤلاءِ قد أَصَمَّ اللهُ قلُوبَهم[4].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاس: يُريدُ: متعجِّبينَ مِنْكَ ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ يُريدُ: أنَّ اللهَ تعَالى أعْمَى قلُوبَهُم فلَا يُبصِرُونَ[5].

وقالَ الزَّجَّاجُ: ومنْهُم مَنْ يُقْبِلُ عليْكَ بالنَّظرِ، وهوَ مِن بُغْضِه لكَ وكرَاهتِه لِمَا يرَى مِن آياتِكَ كالأَعْمَى[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٠٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

وقَالَ ابْنُ جريرٍ: ومنْهُم مَنْ يسْتَمِعُ قوْلَك وينْظُرُ إلى حُجَجِكَ علَى نُبوَّتِك، ولكنَّ اللهَ قد سلَبَهُ التَّوفِيقَ[١].

وقَالَ مُقاتِلٌ: «و لَوْ» في الآيتَيْنِ بمعْنَى: «إذَا»[٢].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾.

لَمَّا ذكَر الَّذين سبقَ القضَاءُ عليهِم بالشَّقَاوةِ؛ أخبَر أنَّ تقدِيرَ ذلِكَ عليْهِم ليس بظُلْمٍ؛ لأنَّه يتصرَّفُ في [خلْقِهِ وَ][٣] مُلكِهِ كيف شاءَ[٤]، وهم إذا كسَبُوا المعَاصِي فقَدْ ظلَمُوا أنْفُسَهم؛ لأنَّ الفعْلَ منْسُوبٌ إليْهِم، وإن كانَ بقضَاءِ اللهِ بذلِكَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾.

قرَأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: «ولكنِ النَّاسُ» بتخْفِيفِ النُّونِ وكسْرِها، ورفْعِ الاسْمِ بعْدَها[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٩٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩)، وفيه: (إذ)، بدل: (إذا).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج)، و(ف)، و(م): يشاء.

(٥) ليست في (ر)، والمطبوع.

(٦) قراءة سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١٢٢).



﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس: ٤٥].

قوْلُه تعَالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ» وقرأ حفص: «يَحْشُرُهُم» بالياءِ[١]. قال أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ: همُ المشرِكُونَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: كأنْ لم يلْبَثُوا في قبُورِهِم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: فِي الدُّنْيَا، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

قالَ الضَّحَّاكُ[٣]: قصُرَ عنْدَهُم مِقدارُ الوَقْتِ الَّذي بيْنَ موْتِهِم وبعْثِهِم[٤]، فصَارَ كالسَّاعةِ مِنَ النَّهارِ، لِهوْلِ مَا اسْتقْبَلُوا مِنَ [أمْرِ البعْثِ و][٥] القِيامَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إذَا بُعِثوا مِنَ القُبُورِ تَعارَفُوا، ثُمَّ تنْقَطِعُ المعْرِفَةُ[٦].

قالَ الزَّجَّاجُ: وفي معرِفَةِ بعْضِهِم بعْضًا، وعلْمِ بعْضِهم بإِضْلالِ

---

(١) قراءة سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١٠٧).

(٢) تفسير مقاتل (ص: ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٢١٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢١١).

(٤) في (ج): بين بعثهم وموتهم.

(٥) من (ف).

(٦) المصدر السابق.

بعْضٍ، [فِي][(١)] التَّوبِيخ لَهُم، وإثْبَات الحُجَّةِ عليْهِم[(٢)].

وقِيل: إذَا تعَارَفُوا؛ وبَّخَ بعْضُهُم بعْضًا، فيقُولُ هذَا لهذَا: أنْتَ أضْلَلْتَنِي، وكسَّبتَنِي دخُولَ النَّارِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ هو مِن قوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لا مِن قوْلِهم، والمعْنَى: خسِرُوا ثوابَ الجنَّةِ؛ إذْ كذَّبُوا بالبَعْثِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٦ - ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾.

قالَ المفسِّرُون: كانتْ وقعةُ بدْرٍ مما أراهُ اللهُ في حياتِه مِن عذابِهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُرِيكَ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعْدَ الموْتِ، والمعْنَى: إنْ لم ننْتَقِمْ منْهُم عاجِلًا؛ انْتقَمْنَا [مِنْهم][(٣)] آجِلًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي[(٤)]: مِنَ الكفْرِ والتَّكْذِيبِ.

---

(١) من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

(٣) من (ج).

(٤) ليست في (ج).

قَالَ الفَرَّاءُ: «ثُمَّ» هاهُنَا عطفٌ، ولو قِيل: معْنَاها: هناكَ[١] اللهُ شَهِيدٌ، كانَ جائِزًا[٢].

وقالَ غيْرُه: «ثُمَّ» هاهُنا بمعْنَى الوَاوِ.

[٣٥٤/ب] وقرَأَ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «ثَمَّ اللهُ شَهِيدٌ» بفتْحِ الثَّاءِ[٣]، يُراد به: هُنالِكَ[٤] اللهُ شهِيدٌ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم﴾ **فيهِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: إذا جاءَ فِي الدُّنْيَا بعْدَ الإِذْنِ لَه في دُعَائِهم؛ قُضِي بيْنَهُم بتعْجِيلِ الِانْتِقَامِ منْهُم قالَهُ الحسَنُ.

وقالَ غيْرُه: إذَا جاءَهُم في الدُّنْيَا؛ حُكِم عليْهِم عنْدَ اتِّباعِه وخِلافِهِ بالطَّاعةِ والمعصيَةِ.

والثَّاني: إذا جَاءَ يوْمَ القِيامَةِ، قالَهُ مُجاهِدٌ. وقالَ غيْرُه: إذَا جاءَ شَاهِدًا عليْهِم.

والثَّالث: إذا جاءَ في القِيامَة وقد كذَّبُوه في الدُّنْيا، قالَهُ ابْنُ السَّائِب.

قوْلُه تعالَى: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: بيْن الأُمَّةِ، فأُثِيب المُحسنُ وعُوقِب المُسِيءُ.

---

(١) في معاني القرآن؛ للفراء: هنالك.

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٦٦).

(٣) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٢٧)، والكامل (ص: ٢٠١)، والبحر المحيط (٥/ ١٦٧).

(٤) في (ج)، و(ف): هناك.

والثَّاني: بيْنَهُم وبيْنَ نَبيِّهِم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يونس: ٤٨].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ في القائِلينَ [هذا][1] قوْلَانِ:

أحدُهما: الأُممُ المتقدِّمةُ، أخْبرَ عنهم باسْتعجالِ العذابِ لأنْبيائهِم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُمُ المشركونَ الَّذِين أنذرَهُم نبيُّنا [مُحمَّدٌ][2] ﷺ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

وفِي المرادِ بالوَعْدِ قوْلَانِ:

أحدُهما: العذَابُ قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قِيامُ السَّاعةِ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنْت وأتْبَاعك.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٩ - ٥٢].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

(٢) من (ج).



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا ﴾ (قَـالَ الشَّـيْخ)(١): [الآيَـةُ](٢) قـد ذكَـرْتُ تفسـيرَها في آيَتَـينِ مِـن الأَعْـرَافِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: البَياتُ: كُلُّ ما كانَ بلَيْلٍ(٣).

وقوْلُه تعَالَى: ﴿مَاذَا ﴾ فِي موْضعِ رفْعٍ مِن جِهتَيْنِ:

إحدَاهُما: أن يكونَ «ذا» بمعْنَى: الَّذِي.

المعْنَى: مَا الَّذي يسْتَعْجِلُ منه المجرمون؟.

ويجـوزُ أن يكـون «مَـاذا» اسْـما واحـدًا؛ فيكـون المعْنَـى: أيُّ شيْءٍ يسـتعْجِلُ منـه المجرمون؟.

والهـاءُ فِي «منْـهُ» تعُـودُ عـلى العـذَابِ، وجائِـزٌ أنْ تعُـودَ عـلى ذكْـر اللهِ تعـالى؛ فيكُـون المعْنَـى: أيُّ شيْءٍ يسْـتعْجِلُ المجْرِمُـون مِـنَ الله تعـالى؟ وعوْدُهـا عـلَى العـذَابِ أجْـودُ؛ لقَوْلِـه: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم [بِهِۦٓ](٤) ﴾.

وذكَـرَ بعْـضُ المفسِّريـن أنَّ المـرَادَ بالمجرِمـينَ: المشْرِكُـون، وكانـوا يقولُونَ: نُكـذِّب بالعذابِ ونَسـتَعْجِلُه، ثُـمَّ إذا وقعَ العذَابُ آمنَّـا بهِ؛ فقالَ اللهُ تعَـالى مُوبِّخًا

---

(١) زيادة من الأصل فقط.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤).

(٤) من (ف).

هُم: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ العَذابُ[١] ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾؛ أي: أَهُنالِكَ[٢] تُؤمِنونَ فلا يُقبل منْكُمُ الإيمانُ، ويُقال لكم: الآنَ تُؤمِنونَ؟ (فأضْمرَ: تُؤمِنون)[٣] بِهِ مع الآن ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾: مُستهزِئِينَ، وهو قوْلُه تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾؛ أي: كفَرُوا، عنْد نُزولِ العَذابِ ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾؛ لأنَّه إذا نَزل بِهِمُ العذابُ، أفْضَوا منْهُ إلى عذابِ الآخِرَةِ الدَّائم.

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٣ - ٥٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾؛ أي: ويَستخبِرُونك: أَحَقٌّ هُوَ؟ يعْنُونَ البعْثَ والعذَابَ. ﴿قُلْ إِى ﴾ المعْنَى: نعَمْ ورَبِّي، وفتَحَ هذِه الياءَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو[٤]، وإنَّما أقْسمَ معَ إخْبارِه تأكِيدًا.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ج)، والمطبوع: هنالك، وفي (ف): هناك.

(٣) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (ص: ٢٥٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «إِي» بمعْنَى: «بَلَى»[١] ولا تأْتِي إلَّا قبْلَ اليَمِينِ صِلةً لَهَا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بِسابِقِينَ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: لسْتُم مِمَّن يُعْجِزُ أنْ يُجازَى على كفْرِه[٤].

[٣٥٥/أ] **قوْلُه تعَالى:** ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاس: أشْرَكتْ[٥]. ﴿[مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ][٦] لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾ عنْد[٧] نُزولِ العذَابِ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ يعْنِي: الرُّؤسَاءَ أخْفوها مِنَ الأتْباع ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾؛ أي: بينَ الفَرِيقَيْنِ.

وقالَ آخَرُون منْهُم أبو عُبيدةَ[٨] والْمُفضَّل[٩]: «أسرُّوا النَّدَامَةَ» بمعْنَى: أظْهَرُوها[١٠]؛ لأنَّه ليس بيومِ تَصنُّعٍ ولا تَصبُّرٍ، والإسْرَارُ مِنَ الأضْدادِ؛ يُقال: أسررْتُ الشَّيء، بمعْنَى: أخْفَيْته. وأسْرَرْته: أظْهرْته، قالَ الفرزدَقُ [من الطَّويل]:

---

(١) في (ج)، و(ف): بل.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٩٠) (٧٩٠٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٦١) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢١٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٢٤).

(٦) من (ف)، و(ر).

(٧) في (ف): من.

(٨) مجاز القرآن (٢/ ٣٤).

(٩) والمفضل عن الأصمعي في كتابه: الأضداد (ص: ٢١).

(١٠) في (ف): أظهروا.

وَلَمَّـا رَأَى الْحَجَّـاجَ جَـرَّدَ سَـيْفَهُ   أَسَرَّ الْحَـرُورِيُّ الَّـذي كَانَ أَضْمَـرَا[١]

يعْنِي: أظْهَرَ[٢].

فعَلى هـذَا القَوْلِ: أظْهَـرُوا النَّدامةَ عنْـد إحْراقِ النَّـارِ لهُم؛ لأنَّ النَّـار ألْهَتْهُم عـنِ التَّصَنُّـع والكِتْمانِ. وعـلَى الأَوَّلِ: كتَمُوهـا قبْلَ إحْراقِ النَّـارِ إيَّاهُم.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاس: مـا وعَـد أوْلِيـاءَهُ مِـنَ الثَّـوابِ، وأعْـداءَهُ مِـنَ العِقَـابِ[٣]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعْنِـي: الْمُشرِكِـينَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) البيت ليس في ديوانه، وقد نُسب إليه في كتاب الأضداد؛ للأصمعي (ص: ٢١)، وكتاب الأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٤٦)، وشكَّك في صحة نسبته للفرزدق أبو حاتم السجستاني؛ حيث قال: وكان يقول -يعني أبا عبيدة- في هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أظهرها، ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم، وقد زعموا أن الفرزدق قال... ، وذكر البيت، ثم قال: ولا أثق أيضًا بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعله قال: الذي كان أظهرا؛ أي: كتم ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره...، فلا أثق به في القرآن. انظر: كتاب الأضداد له (ص: ١١٥)، وقال الأزهري: وأهل اللغة أنكروا قوْلَ أبي عبيدة أشد الإنكار، انظر: لسان العرب (٤/ ١٩٨٩) (سرر).

(٢) أي الحروري.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٠)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٢٧).

قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي: قُريشًا[١] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعْني: القُرآنَ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: دواءٌ لداءِ الجَهْلِ ﴿وَهُدًى﴾؛ أي: بيانٌ مِنَ الضَّلالةِ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ فيهِ ثَمانيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ فضْلَ اللهِ: الإسْلامُ، ورحْمَتَه: القُرآنُ.

رواهُ ابْنُ أبي طلحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ قتادَةُ، وهِلالُ بْنُ يَساف[٣]، ورُوي عنِ الحسَنِ[٤]، ومُجاهدٍ في بعْضِ الرِّوايةِ عنْهُما[٥]، وهوَ اخْتِيارُ ابْنِ قُتيبةَ[٦].

والثَّاني: أنَّ فضْلَ اللهِ: القُرآنُ، ورحمَتَهُ: أنْ جعَلَهُم مِنْ أهْلِ القُرآنِ،

---

(١) هذا التخصيص، الذي اعتمده المؤلف، ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٠)، وقد ذهب إلى هذا التخصيص أيضًا السمرقندي (٢/ ١٠٢)، والقرطبي (٨/ ٣٥٣)، والأصل بقاء الخطاب على عمومه؛ وإلى ذلك ذهب ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٢٤)، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ١٦٧): هذه آية خوطب بها جميع العالم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) (١٠٤٢٨) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) (١٠٤٢٩).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٧).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

رَواهُ العـوْفي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وبـهِ قـالَ أبـو سَـعِيدٍ الخُـدريُّ[٢]، والحسَـنُ في رِوايـةٍ.

والثَّالـث: أنَّ فضـلَ اللهِ: العِلْـمُ، ورحمتَـه: مُحمَّـدٌ ﷺ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣].

والرَّابع: أنَّ فضْلَ اللهِ: الإسْلامُ، ورحمتَه: تَزْيينُه فِي القُلوبِ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ.

والخامـس: أنَّ فضْـلَ اللهِ: القُـرآنُ، ورحمَتـهُ: الإسْـلامُ، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ، وزَيْـدُ بْـنُ أَسْـلمَ، وابْنُـه، ومُقاتِـلٌ[٤].

والسَّـادِس: أنَّ فضْـلَ اللهِ ورحمَتـهُ: القُـرآنُ، رَواه ابْـنُ أبي نَجِيـح عـنْ مُجاهِـدٍ، واخْتـارَهُ الزَّجَّـاجُ[٥].

والسَّابع: أنَّ فضْلَ اللهِ: القُرْآنُ، ورحمَتَهُ: السُّنَّةُ، قالَهُ خالِدُ بْنُ معْدَان.

والثَّامن: فضْلُ اللهِ: التَّوْفِيقُ، ورحمتُهُ: العِصمَةُ، قالَهُ ابْنُ عُيَيْنَة.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾.

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٥٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٦)، (١٧٦٦٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٧٥).

(٤) تفسـير مقاتـل (٢/ ٢٤٢)، ورواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٠٨) (١٧٦٨٤) عـن الضحـاك، وزيـد بـن أسـلم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥).

وقَـرَأ أُبَيُّ بْـنُ كعْـبٍ، وأبـو مِجلَـزٍ، وقتـادَةُ، وأبـو العَالِيـةِ، ورُويـسٌ عـن يعْقُـوبَ: «فَلْتَفْرَحُـوا» بالتَّـاء[1].

وقـرَأ الحسَـنُ، ومُعـاذٌ القَـارِئُ[2]، وأبـو المتـوكِّلِ مثْـلَ ذلِـك، إلَّا أنَّهـم كـسَرُوا الـلَّامَ[3].

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وأبو عِمرانَ: «فَبِذَلِكَ فَافْرَحُوا»[4].

قـال ابْـنُ عبَّـاس: بذلـك الفضْـلِ والرَّحمَـةِ ﴿هُوَخَيْرٌمِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾؛ أي: ممـا يجمَـعُ الكُفَّـارُ مِـنَ الأمْـوَالِ[5].

وقرَأ أبو جعْفرٍ، وابْنُ عامِرٍ، ورُويسٌ: «تَجْمَعُونَ» بالتَّاء[6].

[٣٥٥/ب] وحكـى ابْـنُ الأنْبـارِيِّ أنَّ البَـاءَ في قوْلِـه: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ خـبَرٌ لاسْـمٍ مُضمـرٍ، تأويلُـه: هـذا الشِّـفاءُ وهـذِه الموعِظَـةُ بفضْـلِ اللهِ ورحْمَتِـه، فبِذلِـك

(١) قـراءة سـبعية، انظرهـا في تفسـير الطـبري (١٥/ ١٠٩) (١٧٦٨٧) عـن أبي بـن كعـب، وحجـة القـراءات؛ لابـن زنجلـة (ص: ٣٣٣)، والنـشر (٢/ ٢٨٥).

(٢) هـو ابـن الحـارث الأنصـاري المـدني المعـروف بالقـارئ، روى عـن نافـع، وابـن سـيرين. وتـوفي بالحـرة سـنة ثـلاث وسـتين. انظـر: غايـة النهايـة (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

(٣) شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣١٦)، والبحر المحيط (٦/ ٧٧) عن الحسن.

(٤) شـاذة، عزوهـا إلى أبيِّ بـن كعـب كـما في معـاني القـرآن؛ للفـراء (١/ ٤٦٩) إعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٢/ ١٥١)، والبحـر المحيـط (٦/ ٧٦)، قـال أبـو عـلي الفـارسي: وزعمـوا أنهـا في حـرف أبيٍّ: «فافرحـوا». انظـر: الحجـة للقـراء السـبعة (٤/ ٢٨٢)، وانظـر أيضًـا: المحتسـب (١/ ٣١٣)، ومختـصر ابـن خالويـه (ص: ٥٧)، وإعـراب القـراءات السـبع وعللهـا (١/ ٢٦٩).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٩).

(٦) قـراءة سـبعية، انظـر عزوهـا في: حجـة القـراءات؛ لابـن زنجلـة (ص: ٣٣٣)، والنـشر (٢/ ٢٨٥)، والكامـل في القـراءات (ص: ٥٦٨).

التَّطَوُّلِ مِنَ اللهِ فلْيفْرَحُوا(١).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس: ٥٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾.

قالَ المفسِّرُون: هذا خِطابٌ لِكفَّارِ قُريشٍ، كانوا يُحرِّمُونَ ما شَاؤُوا، [ويُحلُّونَ ما شَاؤُوا](٢) و﴿أَنزَلَ﴾ بمعْنَى: خلَق. وقد شرحْنا بعْضَ مذاهِبِهم فيما كانوا يفْعَلُون مِنَ البَحيرةِ والسَّائِبةِ وغيْرِ ذلِك في المائدة، والأنْعَام.

[قوْلُه تعالَى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾؛ أي(٣): فِي هذا التَّحْليلِ والتَّحْريمِ](٤).

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس: ٦٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ فِي الكلامِ محْذُوفٌ، تقْدِيرُه: ما ظَنُّهم أنَّ اللهَ فاعِلٌ بِهم يوْمَ القِيامةِ بكذبِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حينَ لم يعجِّلْ عليهمْ بالعُقوبةِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخيرَ العذَابِ عنْهُم.

---

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٢٨).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م).

(٣) ليست في (ج).

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾؛ أي: في عمَـلٍ مِـنَ الأعْـمالِ، وجمعُـه: شُـؤون ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾.

في هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ إلى الشَّأْنِ.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: **معْنَـى الآيَـةِ:** أيُّ وقْـتٍ تكـونُ في شـأنٍ مِـنْ عبـادةِ اللهِ، ومَـا تلـوتَ مِـنَ الشَّـأنِ مِـنْ قُـرآنٍ[١].

والثَّـاني: أنَّهـا تعـودُ إلى اللهِ تعَـالى، **فالمعْنَـى:** ومـا تلـوْتَ[٢] مِـن اللهِ، أي: مِـن نـازلٍ منْـهُ مِـن قُـرآنٍ، ذكـرَهُ جماعـةٌ مِـنَ العُلـماءِ.

والخطَـابُ للنَّبـي ﷺ، وأمَّتُـهُ داخِلُـون فيـهِ، بدليـلِ قوْلِـه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾.

قالَ ابنُ الأنْباري[٣]: جمَعَ في هذَا؛ لِيدلَّ على أنَّهم داخِلُون في الفِعْلَيْنِ الأوَّلَيْنِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاءُ عائِدةٌ علَى العمَلِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٢) في الأصل: تكون، والمثبت من .

(٣) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤٠).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: تُفيضُونَ بمعْنَى: تأْخُذونَ فيهِ[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: تنْتَشِرُونَ فيهِ، يُقال: أفَاضَ القوْمُ فِي الحدِيثِ: إذَا انْتَشُروا فيهِ وخَاضُوا[٢].

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ معْناه: وما يبْعُدُ. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: مَا يبعُد ولا يغِيبُ[٣].

وقرَأَ الكِسائِيُّ «يعزِب» بكسْر الزَّاي هَاهُنا وفي {سَبَإٍ} وقد بيَّنَّا «مثقال ذرة» في [سُورةِ][٤] النِّساء[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾.

وَقرَأَ الجمْهُورُ بفتْحِ الرَّاء فِيهمَا. وقرَأَ حمْزةُ، وخلَفٌ، ويعْقُوبُ، برفْعِ الرَّاء فِيهمَا[٦].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرَأ بالفتْحِ، فالمعْنَى: وما يعْزب عن ربِّك مِن مثقالِ ذرَّةٍ، ولَا مثْقالِ أصْغرَ مِن ذلِك ولا أكْبرَ، والموْضِعُ موْضِعُ خفْضٍ، إلَّا أنَّه فُتح؛ لأنَّه لا ينْصَرِفُ، ومَن رفَع، فالمعْنَى: وما يعْزُبُ عنْ ربِّكَ

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

(٥) قراءة سبعية، انظر عزوها في التيسير؛ للداني (ص: ١٢٢).

(٦) قراءتان سبعيتان؛ انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٢)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٢٨).



مِثقَالُ ذرَّةٍ ولَا أصْغَرُ (مِن ذلِكَ)(١) ولا أكْبَرُ(٢). ويجوزُ رفعُه على الابْتداءِ، فيكونُ(٣) المعْنَى: ولا أصْغَرُ مِن ذلِك ولا أكْبَرُ.

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هو اللَّوحُ المحْفُوظُ(٤).

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ رَوى ابنُ عبَّاسٍ أنَّ رجُلًا قالَ: يا رسُولَ اللهِ! مَنْ أوْلِياءُ اللهِ [الَّذِين لَا خوْفٌ عليْهِم ولَا هُم يحْزَنُونَ؟](٥)، قَالَ «الَّذِينَ إذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ»(٦).

(١) من الأصل فقط.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٣) في (ج): ويكون.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤٤)، وبنحوه رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عند تفسير آية الأنعام، كما في الدر المنثر (٣/ ٢٩).

(٥) ما بين المعكوفين من (ج).

(٦) روي هذا الحديث موصولاً ومرسلاً، والإرسال أشبه بالصَّواب، أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٥٨)، والطبراني في الكبر (١٢/ ١٣)، ومن طريقه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٧٦) من طريق جعفر بن أبي مغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبي -ﷺ- قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال: «يذكر الله عزَّ وجلَّ برؤيتهم».
واختلف فيه على جعفر بن أبي مغيرة، فروي عنه، عن سعيد بن جبير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٧٧٣)، والطبري=

وروى عُمرُ بْنُ الخطَّاب ﷺ، عن رسولِ اللهِ - ﷺ - أنَّه قال: «إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». قالوا: يا رسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ [٣٥٦/أ] بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»... ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الرُّؤيا الصَّالحةُ يَراها الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أو تُرى لَهُ،

=(١٥/ ١١٩)، وجعفر بن أبي مغيرة الخزاعي القمي صدوق يهم وليس بالقوي في سعيد بن جبير، وقد تابع على هذه الرواية المرسلة: سهلُ أبو الأسد؛ كما عند ابن جرير الطبري (١٢/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠٤٥٤) من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، وسعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، موقوفًا عليه، بنحوه، وعند ابن أبي حاتم بدون ذكر سعيد بن جبير، وابن أبي ليلى ضعيف.

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، وأخرجه ابن أبي الدُّنيا في الإخوان (٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩٩٧) من طريق ابن فضيل به، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٦) من طريق محمد بن فضيل، عن أبيه وعمارة، عن أبي زرعة به، وأخرجه أبو يعلى (٦١١٠)، وعنه ابن حبان (٥٧٣) من طريق ابن فضيل عن عمارة، عن أبي زرعة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٠) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.



رَواه عُبادةُ بْنُ الصَّامِت(١)، وأبو الدَّرْدَاءِ(٢)، وجابرُ بْنُ عبدِ اللهِ(٣)، وأبو هُريرةَ(٤)، عنِ النَّبيِّ - ﷺ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا بِشارَةُ الملائِكةِ لَهُم عنْد الموْتِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وقتادَةُ، والزُّهرِيُّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٥)، والطبري (١٢/ ٢١٧)، والشاشي في مسنده (٣/ ١٤٤) (١٢١٧)، من طرق عن حميد بن عبد الله المزني، أنَّ رجلًا سأل عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- عن قول الله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فقال عبادةُ -رضي الله عنه-: سألت رسول الله -ﷺ-، فقال: «لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد من أمتي، تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له»، ومن هذا الوجه: أخرجه ابن مردويه، كما في تخريج الكشاف؛ للزيلعي (٢/ ١٣٢ - ١٣٣)، ووقع عند أحمد: حميد بن عبد الرحمن، وهذا ضعيف لإبهام السائل، وحميد بن عبد الله المزني؛ ذكره ابن حبان في (الثقات)، ولم يذكر فيه البخاري، ولا ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلًا. ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣٥٤)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٤)، الثقات (٤/ ١٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٧)، والترمذي (٢٢٧٣- ٣١٠٦)، والطبري (١٢/ ٢١٦- ٢١٧)، والإسماعيلي في معجم شيوخه (١/ ٤٢٥)، والبيهقي في الشعب (٤٧٥٢) من طريق سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى، فذكره مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الرواي عن أبي الدرداء، وخالف ابن جريج، فرواه عن ابن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء به بدون واسطة، أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٢)، لكن أخرجه الحميدي في مسنده (٣٩١)، والترمذي بإثر حديث (٣١٠٦)، والطبري (١٢/ ٢٢٠)، والحاكم (٤/ ٣٩١) من طريق سفين بن عيينة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح ذكوان السمان، عن عطاء بن يسار، رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به؛ فهذا هو الأشبه.

(٣) أورده في الدر المنثور (٧/ ٦٨٣)، وعزاه إلى: ابن مردويه، من طريق أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٩٠).

والثَّالِث: أنَّها مَا بشَّر اللهُ عزَّ وجلَّ بهِ في كتابِهِ مِن جنَّتِهِ وثوَابِهِ؛ كقوْلِه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم﴾ [التوبة: ٢١]، وهذَا قوْلُ الحسَنِ[١]، واخْتارَهُ الفرَّاءُ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣]، واستدلَّا[٤] بقوْلِه: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لَا خُلفَ لِمواعِيدِه، وذلِك أنَّ مواعيدَهُ بكلمَاتِه، فإذَا لمْ تُبدَّلِ الكلماتُ، لمْ تُبدَّلِ المواعِيدُ[٥].

فأمَّا بُشْرَاهُم في الآخِرَة، ففِيهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الجنَّةُ، رَواه أبو هريرَةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٦]، واخْتَارَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٧].

والثَّانِي: أنَّه عنْد خُروجِ الرُّوحِ تُبشَّر[٨] بِرضْوَانِ اللهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّها عنْد الخُروجِ مِن قُبورِهِم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٩].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٣)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٤١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦- ٢٧).

(٤) في (ج): واستدلَّ.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٤)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٥٠).

(٦) أخرجه الطبري بإسناد حسن.

(٧) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٨) في الأصل: يبشر.

(٩) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٣).

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس: ٦٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: تكْذِيبُهُم[1]. وقالَ غيْرُه: تظاهُرُهم عليْكَ بالعدَاوةِ وإنْكارُهم وأذَاهُم[2]. وتمَّ الكلامُ هاهُنا. ثُمَّ ابْتدأ فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ أي: الغلبةَ لَهُ، فهوَ ناصِرُكَ وناصِرُ دينِكَ، [وَ][3]﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لِقوْلِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بإضْمارِهم، فيُجازِيهم على ذلِك.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس: ٦٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «ألَا» افْتِتاحُ كلامٍ وتنْبِيهٌ؛ أي: فالَّذِي هُمْ لَهُ، يفْعَلُ فيهِم وبِهِم ما يشَاءُ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾؛

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥١)، وبمعناه رواه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٦٣).

(٢) انظر نحو هذا القول في: معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٢٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٣٠٤).

(٣) من (ج).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧).

أي: ما يتَّبِعون شُركاءَ علَى الحقيقةِ؛ لأنَّهُم يعدُّونَها[١] شُركاءَ للهِ شُفعاءَ لهُم، وليْسَت علَى ما يظنُّونَ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في ذلِك ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاس: يُكذِّبُونَ[٢]. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يحْدُسُونَ [ويكذِّبونَ][٣] ويحْزِرُون[٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾.

المْعَنْى: إنَّ ربَّكُمُ الَّذِي يجِبُ أنْ تعتقِدوا رُبوبيَّتَهُ، هو الَّذي جعَلَ لكُمُ اللَّيلَ لِتسْكُنوا فيهِ، فيزُول تعَبُ النَّهارِ وكلالُه بالسُّكونِ في اللَّيْلِ، وجعَلَ النَّهارَ مُبصِرًا؛ أي: مُضِيئًا يُبصرونَ[٥] فيهِ.

وإنَّما أضافَ الإبْصارَ إليهِ؛ لأنَّه قد فهِم السَّامِعُ المقصودَ؛ إذِ النَّهارُ لَا يُبصِرُ، وإنَّما هو ظرْفٌ يفعلُ فيهِ غيْرُه؛ كقوْلِه: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] إنَّما هي مَرْضيَّة، وهذَا كما يُقال: ليلٌ نائِمٌ، قالَ جريرٌ [من الطويل]: [٣٥٦/ ب]

---

(١) في (ف): يعبدونها.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٦) بلفظ: يكذبون للسفلة، وفي كتاب غريب القرآن لابن عباس: (يخرصون): يكذبون بلغة هذيل.

(٣) من (ج).

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٠٤) وبكلا المعنيين جاءت اللغة كما في لسان العرب (٢/ ١١٣٣) (خرص).

(٥) في المطبوع: تبصرون.

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ[1]

قَوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ اعْتِبَارٍ، فيعْلَمُون أنَّه لا يقْدِرُ على ذلِك إلَّا الإلهُ القادِرُ.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠].

قَوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي أهْلَ مكَّةَ، جعلُوا الملائِكةَ بناتَ اللهِ[2].

قَوْلُه تعَالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنْزِيهٌ[3] له عمَّا قالُوا، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنِ الزَّوْجةِ والوَلَدِ، ﴿إِنْ عِندَكُم﴾؛ أي: ما عندَكُم ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾؛ أي: حُجَّةٍ بما تقُولُونَ[4].

---

(١) البيت لجرير في الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٠)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، والكامل للمبرد (١/ ١١٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٤٤)، والمحتسب (٢/ ١٨٣)، من قصيدة له طويلة، أجاب بها الفرزدق، وأم غيلان: ابنة جرير.

(٢) ذكره عن ابن عباس بنحوه الفيروز آبادي في تنوير المقباس (ص: ٢١٦)، وهو قول ابن جرير (١١/ ١٤٠)، والسمرقندي (٢/ ١٠٥)، والبغوي (٤/ ١٤٢).

(٣) في (ج): تنزيهًا.

(٤) في (ف): يقولون.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لا يبْقُونَ فِي الدُّنْيَا.

والثَّانِي: لا يسْعَدُونَ في العَاقبَةِ.

والثَّالث: لا يفُوزُونَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذا وقْفُ التَّمامِ[1].

وقوْلُه: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ مرْفُوعٌ علَى معْنَى: ذلِك متَاعٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ فيهِ دلِيلٌ علَى نُبوَّتِه، حيْثُ أخْبرَ عنْ قصَصِ الأنبياءِ ولم يكُنْ يقْرَأُ الكُتبَ، وتحرِيضٌ له على الصَّبْرِ، ومَوْعِظةٌ لِقوْمِه بذِكْرِ قوْمِ نُوحٍ وما حَلَّ بِهِم مِنَ العُقوبَةِ بالتَّكْذِيبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ﴾؛ أي: عظُم وشَقَّ ﴿[عَلَيْكُم]﴾[2] ﴿مَّقَامِى﴾؛ أي: طُولَ مُكْثِي.

وقرَأ أبو مِجلزٍ، وأبو رجَاءٍ، وأبو الجوْزَاءِ «مُقَامِي» برفْعِ الميم[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٨٧).



﴿وَتَذْكِيرِى﴾: وعْظِي. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نُصْرتي ودفْعِ شرِّكُم عنِّي.

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ قرَأ الجمْهُورُ: «فأَجْمِعُوا» بالهمْزِ وكسْرِ الميمِ، مِن «أَجْمَعْتَ» وروى الأصْمَعِيُّ عن نافِعٍ: «فاجْمَعُوا» بفتْحِ الميم[1]، مِن «جَمَعْتَ» ومعْنَى «أجْمِعُوا أمْرَكُم»: أحْكِمُوا أمْرَكُم واعْزِمُوا علَيْه.

قالَ المؤرِّجُ[2]: «أجْمَعْتُ الأمْرَ»: أفْصَحُ مِنْ «أجْمَعْتُ علَيْهِ»[3]، وأنْشَدَ [من الكامل]:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ   هَلْ أَغْدُونْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ[4]

فأمَّا رِوايةُ الأصْمَعِيِّ؛ فقالَ أبو عَلِيٍّ: يجوزُ أن يكونَ معْنَاها: اجْمَعُوا ذَوِي الأمْرِ مِنْكُم؛ أي: رؤساءَكُم. ويجوزُ أن يكُونَ جعَلَ الأمْرَ ما كانُوا

---

(١) رواية رويس عن يعقوب بخلف عنه، انظر: النشر (٢/ ٢٨٥)، وانظر عزوها لرواية الأصمعي في السبعة (٣٢٨).

(٢) في الأصل: المؤرخ، والمثبت من سائر النسخ، وهو مؤرِّج بن عمرو بنُ الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن السَّدوسي، وقيل: إن اسمه «مرثد» و«مؤرج» لقبٌ له، من العلماء المشهود لهم بالثقة والدّراية في علوم العربيّة، أخذ عن الخليل، توفي سنة (١٩٥هـ)، انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين؛ للزبيدي (ص: ٧٥)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٨)، ووفيات الأعيان (٥/ ٣٠٤)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٢٧).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٢٥٢).

(٤) البيت أنشده أبو زيد في نوادره (ص: ٣٩٩) بغير نسبة، وهو أيضًا في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٧٣)، وإعراب القراءات؛ لابن خالويه (١/ ٢٧١)، وحجة القراءات؛ لابن خالويه (ص: ١٨٣)، والخصائص؛ لابن جني (٢/ ١٣٦)، وجامع البيان؛ للطبري (١١/ ١٤١)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٣٢٠)، (٤/ ٢٨٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٩٠).

يجمَعُونَـهُ مِـن كيْدِهـمُ الَّـذِي يكِيـدُون بـهِ، فيكـون كقوْلِـه تعَـالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾[١] [طـه: ٦٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾.

قالَ الفرَّاءُ[٢] وابْنُ قُتيبةَ[٣]: المعْنَى: وادْعُوا شُركاءَكُم.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: الـواوُ هَاهُنـا بمعْنَـى «مـعَ» فالمعْنَـى: مـعَ شُركائِكُـم، تقُـول: لـو تركْـتَ النَّاقـةَ وفَصِيلَهَـا لَرَضَعَهَـا؛ أي: مـعَ فصِيلِهَـا[٤]. وقـرَأَ يعْقُـوبُ «وشُركَاؤُكُـم» بالرَّفْـعِ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا يكُن أمْرُكُم مكْتُومًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـانِي: غـمًّا عليْكُـم، كـما تقُـول: كَـرْبٌ وكُرْبَـةٌ، قالَـه ابْـنُ قُتيبـةَ[٦]. وذكَـرَ الزَّجَّـاجُ[٧] القوْلَـيْنِ.

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٨٧).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٣٠٥).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨).

(٥) قراءة عشرية؛ انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٨٦).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨).

وفِي قوْلِه: ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: [ثُمَّ][1] اقْضُوا إليَّ مَا فِي أنْفُسِكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: افْعَلُوا ما تُريدونَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[2]، وابْنُ قُتيبةَ[3].

وقالَ ابْنُ الأنْبَاري: معْنَاه: اقْضُوا[4] إليَّ بمَكْرُوهِكُم ومَا تُوعِدونَنِي بهِ، كما تقُولُ العرَبُ: قد قضَى فُلانٌ، يُريدونَ: ماتَ ومضَى[5].

﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: ٧٢ - ٧٣].

[٣٥٧/أ] قوْلُه تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾؛ أي: أعْرَضْتُم عنِ الإيمانِ. ﴿ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ ﴾؛ أي: لم يكُنْ دُعائِي إيَّاكُم طمَعًا فِي أمْوالِكُم.

قوْلُه تعالى: ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾ حرَّكَ[6] هذهِ الياءَ ابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ، وأسْكَنَها البَاقُونَ[7].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) المصدر السابق.

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) في جميع المصادر التي نقلت عن ابن الأنباري: امْضُوا.

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٠).

(٦) في (ج): فتح.

(٧) قراءتان سبعيتان، انظرهما في السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾؛ أي: جعلْنَـا الَّذيـن نجَـوْا مـع نـوحٍ خلفًـا مِمَّـن هلَـكَ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونـس: ٧٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: مـن بعْدِ نُـوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد إبْراهِيـمَ وهُـودًا و صَالحًـا ولُوطًـا وشُـعيْبًا ﷺ[1].

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾؛ أي: بَـانَ لهـم أنَّهُـم رُسـلُ اللهِ. ﴿فَمَا كَانُوا۟﴾؛ أي: أولئِـكَ الأقْـوام ﴿لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ يعنِـي: الَّذِيـن قبْلَهـم.

والمـرَادُ: أنَّ المتأخِّريـن مضَـوا علـى سَـنَنِ المتقدِّمـين في التَّكذِيـب. وقـالَ مُقاتِـلٌ: فـمَا كانُـوا لِيُؤمنـوا بـمَا كذَّبُـوا بـهِ مِـنَ العـذابِ مِـن قبْـلِ نُزولِـهِ[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾؛ أي: كـمَا طبعْنَـا عـلى قُلـوب أولئِـكَ ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعْنِـي: الْمُتجاوزيـنَ مَـا أُمِـروا بـهِ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونـس: ٧٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ يعْنِي: الرُّسلَ الَّذِين أَرْسلْنَا[١] بعْدَ نُوحٍ.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٦ - ٨٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ وهو ما جاءَ بِهِ مُوسى مِنَ الآياتِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنى: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾ هذَا اللَّفْظَ، وهو[٢] قوْلُهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، ثُمَّ قرَّرهُم فقالَ: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾؟[٣].

قالَ ابْنُ الأنْبارِي: إنَّما أدْخَلُوا الألفَ[٤] على جِهة تفْظِيعِ الأمْرِ، كما يقُولُ الرَّجلُ إذا نظَرَ إلى الكِسوةِ الفاخِرَةِ. أَكِسوةٌ هذِه؟ يُريد بالاِسْتِفهام تَعْظِيمَهَا، وتأتِي الرَّجُلَ جائزةٌ، فيقُولُ: أحقٌّ مَا أرَى؟ معظِّمًا لما ورَد علَيْهِ[٥].

---

(١) في (ج)، و(ف): أرسلوا.

(٢) في (ج): وهو من.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩).

(٤) أي: الاستفهام.

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٤).

وقـالَ غـيْرُه: تقْدِيـرُ الـكلَامِ: أَتَقولُـونَ للحَـقِّ لَمَّـا جاءَكُـم: هـو سِـحْرٌ؟ أسِـحْرٌ هـذَا؟ فحـذَفَ السِّـحْرَ الأوَّلَ اكْتِفـاءً بدلالَـةِ الـكلَامِ علَيْـهِ؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] المعْنَـى: بعثْنَاهُـم لِيسـوؤوا وجُوهَكُـم[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾.

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لِتَصْرِفَنَـا، يُقـال: لَفَـتُّ فُلانًـا عـن كـذَا؛ إذا صرفتَـهُ، ومنْـهُ الِالْتفـاتُ، وهـوَ الانْـصِرافُ عـمَّا كنْـت مُقبـلًا[٢] علَيْـهِ[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ [فِي ٱلْأَرْضِ][٤]﴾ ورَوى أبَـانُ، وزيْـدٌ عـن يعْقُـوبَ {وَيكُـونَ لَكُـمَا الكبريـاء} باليَـاءِ[٥].

وفي الْمُراد بالكِبْرياءِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: الملْكُ والشَّرفُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الطَّاعةُ[٦]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

---

(١) ذكر هذا القول الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٤).

(٢) ليست في (ف).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٥) ليست في شيء من طرق التيسير، لكنها رواية العليمي عن شعبة في النشر (٢/ ٢٨٦)، وجامع البيان (٣/ ١١٨٥)، وهي للحسن بن أبي الحسن في إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٥٤)، وانظر: البحر المحيط (٦/ ٩٢).

(٦) في (ف): بالطاعة.



والثَّالث: العُلوُّ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: والأرْضُ هاهُنا: أرْضُ مِصْرَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ قرأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: «بِكُلِّ سَحَّارٍ» بتشْدِيدِ الحَاءِ وتأْخِير الألِفِ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ﴾.

قرَأَ الأكْثَرُونَ «السِّحْرُ» بغَير مدٍّ، على لفْظِ الخبَرِ، والمعْنَى: الَّذي جئْتُم بهِ مِنَ الحِبالِ والعِصِيِّ، [هوَ][٣] السِّحْرُ[٤]، وهذَا ردٌّ لِقولِهم للحَقِّ: هذَا سِحْرٌ، فتقْدِيرُه: الَّذي جئْتُم بهِ أَنْتُم[٥] السِّحرُ، فدخلَتِ الألفُ واللَّامُ؛ لأنَّ النَّكِرةَ إذا عادَتْ؛ عادَتْ معْرِفَةً؛ كما تقُولُ: رأيْتُ رجُلًا، فقَالَ لِي الرَّجُلُ. [٣٥٧/ب]

وقرَأَ مُجاهدٌ، وأبو عمْرٍو، وأبو جعْفرٍ، وأبانُ عن عاصِمٍ، وأبو حَاتِمٍ عنْ يعْقُوبَ «آلسِّحْرُ» بمَدِّ الألِفِ؛ اسْتِفْهامًا[٦].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٧).

(٢) اتفق القراء على حرف سورة الشعراء أنَّه «سَحَّار»، واختلفوا في التي في «الأعراف» (١١٢)، والتي هنا؛ فقرأ حمزة والكسائي: «سحَّار». انظر: التيسير (ص: ١١٢)، والنشر (٢/ ٢٧٠).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) قراءتان سبعيتان، انظرهما في التيسير (ص: ١٢٣)، والنشر (١/ ٣٧٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٤٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: أيُّ شيءٍ جئْتُم بهِ؟ أسِحْرٌ هوَ؟ علَى جِهةِ التَّوْبيخِ لَهُم[١].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: هذَا الإسْتِفهامُ معْنَاه التَّعْظِيمُ للسِّحْر، لا علَى سبيلِ الإسْتِفْهام عنِ الشَّيءِ الَّذي يُجهلُ، وذلِك مثْلُ قوْلِ الإنْسانِ في الخَطأِ الَّذي يسْتَعْظِمُه مِن إنْسانٍ: أخطَأٌ هذَا؟ أي: هوَ عظِيمُ الشَّأْنِ في الخطَأ[٢]، والعرَبُ تسْتَفهِمُ عمَّا هوَ معْلُومٌ عندَها، قالَ امْرؤُ القيس [من الطويل]:

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ[٣]

وقالَ قيس بن ذريح[٤] [من الطويل]:

أَرَاجِعَةٌ يَا لُبْنُ أَيَّامُنَا الْأُلَى بِذِي الطَّلْحِ أَمْ لَا مَا لَهُنَّ رُجُوعُ[٥]

فاسْتَفْهَم وهوَ يعْلَمُ أنَّهُنَّ لا يرْجِعْنَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٢) ذكره المؤلف في تذكرة الأريب (ص: ١٥٦).

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١٣)، والكتاب (٤/ ٢١٥)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣٣٨)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٠)، وشرح قطر الندى (ص: ٨٥)، وبلا نسبة في الخصائص (٣/ ١٣٠)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٥١٤).

(٤) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني، هو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته لبنى. ترجمته في: الأغاني (٩/ ١٨٠)، والشعر والشعراء (ص: ٦١٠).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٨٤).

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾؛ أي: يُهلِكُه، ويُظهِر فضيحتكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ [أي][(١)]: لا يجعلُ عملَهُم نافعًا لهُم. ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ [ٱلْحَقَّ][(٢)]﴾؛ أي: يُظهِره ويمكنُه، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بما سبَق مِن وعْدِه بذلك.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٨٣ - ٩٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾.

في المَرادِ بالذُّرِّيَّةِ هاهُنا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ بالذُّريَّةِ: القَليلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) من (ج).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: أنَّهم أوْلادُ الَّذِين أُرْسِلَ إليهم مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ماتَ آباؤُهُم لِطُولِ الزَّمَانِ، وآمَنُوا هُم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

وقالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُمُ الَّذِين نَشؤُوا معَ مُوسى حين كفَّ فرْعونُ عنْ ذَبْحِ الغِلْمانِ[١].

قالَ ابْنُ الأنْباري: وإنَّما قِيلَ لهؤلاءِ «ذرِّية»؛ لأنَّهم أوْلادُ الَّذِين بُعث إليهم مُوسى عليه السَّلام، وإنْ كانوا بالِغِين[٢].

والثَّالِث: أنَّهم قوْمٌ، أمَّهاتُهُم مِن بنِي إسْرائِيلَ، وآباؤُهُم مِنَ القِبْطِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣]، واختارَهُ الفرَّاءُ[٤].

قالَ: وإنَّما سُمُّوا ذرِّيةً كما قِيلَ لأوْلادِ فارسٍ: الأبْناءُ؛ لأنَّ أمَّهاتِهم مِن غير جِنْسِ آبائِهم[٥].

وفِي هاءِ «قوْمِه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُود إلى مُوسى، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: إلى فرعونَ[٦]، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، فعلى القوْلِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥١٨) عن زيد بن أسلم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٥).

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٧٦).

(٥) المصدر السابق، وعنه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٤٥).

(٦) رجح هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٢٢٧)، بينما ردَّه ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٥٠)، ورجح عود الضمير إلى موسى عليه السلام؛ لأنَّه أقرب مذكور يعود=



الأَوَّلِ يكـون قوْلـه تعَـالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: ومـلأِ فرْعونَ.

قـالَ الفرَّاءُ: وإنَّـما قالَ: «وملَئِهِـم» بالجَمْعِ، وفرْعَـونُ واحِـدٌ؛ لأنَّ الملِكَ إذا ذُكِـر ذهَـب الوَهْـمُ إليْـهِ وإلى مَـنْ معَـهُ، تقُول قـدِمَ الخليفَـةُ فكثُـر النَّـاسُ، تُريد: بمَـنْ معَهُ[1]. وقـد يجُوزُ أنْ يُريـدَ بفرْعـونَ: آلَ فِرعونَ؛ لِقوْلِـه تعَالى[2]: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وعـلى القـوْلِ الثَّـاني: يَرجِعُ ذكْـرُ المـلأ إلى الذرِّيةِ.

قـالَ ابْـنُ جَريـرٍ: وهـذا أصَـحُّ؛ لأنَّـه كان في الذّرِّيـةِ مَـن [كانَ][3] أبـوهُ قبطيًّـا وأمُّـه إسْرائيليَّـةٌ، فهـو مـعَ فرعَـونَ عـلى مُوسَـى[4].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعْنِـي: فرْعـونَ، ولم يقُـلْ: يفْتِنُوهُـم[5]؛ لأنَّ قوْمَـه كانُـوا عـلى مـا[6] كان عليْـهِ. [٣٥٨/أ]

وفي هذِه الفتْنةِ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّها القتْلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

=إليـه الضمـير ولظهـور اسـم فرعـون في قولـه تعـالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ ولـو كان الضمـير الأول يعـود إليـه لقـال: عـلى خـوف منـه.

(١) معاني القرآن (١/ ٤٧٦).

(٢) في جميع النسخ عدا الأصل: كقوله.

(٣) من (ف).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٧).

(٥) في (ف): يفتنونهم.

(٦) في (ف): من.

والثَّاني: التَّعذِيبُ، قالَه ابْنُ جَريرٍ[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: مُتطـاوِلٌ في أرْضِ مِـصرَ[٢] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ حِـين كانَ عبْـدًا فادَّعـى الرُّبوبيَّـةَ[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾ لَمَّـا شَـكَا بنُـوا إسْرائِيـلَ إلى مُوسـى مَـا يُهدِّدهـم بـهِ فرْعـونُ مِـن ذبْـحِ أوْلادِهِـم، واسْـتِحياءِ نسـائِهِم، قـالَ لهـم هـذَا.

وفي قوْلِه: ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: لا تُهلِكْنـا بعـذابٍ عـلى أيـدِي قـوْمِ[٤] فرْعـونَ، ولا بعـذابٍ مِـن قِبلِـك، فيقُـول قـوْمُ فرْعَـونَ: لـو كانُـوا على حـقٍّ مـا عُذِّبُـوا ولا سُـلطنا عليْهِم.

والثَّاني: لا تُسلِّطهم علينَا فيَفْتِنُونا، والقَوْلان مرْويَّانِ عن مُجاهِدٍ.

والثَّالِـث: لا تُسـلِّطُهم عليْنَـا فيَفْتَتِنـونَ بنَـا؛ لِظنِّهـم أنَّهـم عـلى حـقٍّ، قالَـهُ أبـو الضُّحـى، وأبـو مجلـزٍ[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٨٥).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣)، والبغوي (٤/ ١٤٧)، ومعناه في تفسير الطبري (١١/ ١٥١).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٧٢)، وابـن أبي حاتـم (١١/ ١٩٧٦)، عـن أبي مجلـز، ورويـاه أيضًـا عـن أبي الضحـى، لكـن بلفـظ: قـال: لا تسـلطهم عليـا فيـزدادوا فتنـة.



قوْلُه تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾.

قالَ المفسِّرُون: لَمَّا أُرسل مُوسى، أمرَ فِرعونُ بمساجِدِ بني إسرائيلَ فخُرِّبت كلُّها، ومُنعوا مِنَ الصَّلاة وكانوا لا يُصلُّون إلَّا في الكنائس، فأُمِروا أن يتَّخِذوا مساجدَ في بُيوتِهم ويُصلُّون فيها خوفًا مِن فرعون. و«تبوآ» معناه: اتّخذا، وقد شرحناه في الأَعْرَافِ.

وفي المراد بمصرَ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه البلدُ المعروفُ بمِصرَ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه الإسْكندريَّة، قالَه مُجاهِدٌ.

وفي البُيوت قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها المساجدُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: القُصور، قالَهُ مُجاهِدٌ.

وفي قوْلِه: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: اجْعلُوها مساجِدَ، رواه مُجاهِدٌ[1]، وعِكرمَةُ[2]، والضَّحَّاكُ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٣ - ١٧٤) من طريقين: أحدهما: من رواية ابن جريج وهي ضعيفة لعنعنة ابن جريج وهو مدلس كما في التقريب (ص: ٣٦٣) (٤١٩٤)، والثانية: من رواية ابن أبي نجيح وهي ضعيفة أيضًا؛ لأنَّ في سندها أبا حذيفة؛ وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحف، ولم يخرج له البخاري إلا في المابعات.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧٤)، والبغوي (٤/ ١٤٦).

عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وبـهِ قـالَ النَّخعـيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ[٢]، وقـد ذكرْنَـا أنَّ فِرعـونَ أمـرَ بهـدْمِ مسـاجدِهِم، فقِيـل لهـم: اجْعلُـوا بُيوتَكـم قِبلـةً بـدلًا مِـنَ المسـاجِدِ.

والثاني: اجْعَلُوها قِبلَ القِبْلةِ، رواه العَوفيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

وروى الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قـالَ: قِبَـل مكَّـةَ. وقـال مجاهِـدٌ: أُمروا أن يجعلُوهَـا مسـتقبلةَ الكعبـةَ[٤]، وبه قـالَ مُقاتِـلٌ[٥]، وقتادةُ، والفـرَّاءُ[٦].

والثَّالـث: اجْعلُوهـا يُقابـل[٧] بعضُهـا بعضًـا، وهـو مـرويٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيضًـا، وبـهِ قـالَ سـعِيدُ بْـنُ جُبـير[٨].

والرَّابِـع: واجْعلُـوا بُيوتَكُـمُ الَّتِـي بالشَّـامِ قِبلـةً لكُـم في الصَّـلاةِ، فهِـي قِبلـةُ اليهـودِ إلى اليـوْمِ، قالَـه ابْـنُ بحـرٍ.

فإنْ قيلَ: البيوتُ جمْعٌ، فكيْفَ قالَ: «قِبلة» على التَّوْحيدِ؟.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٤).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٤).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٦)، والاسم ليس في (ر).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤٤٧).

(٧) في (ف): مقابل.

(٨) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٥) عن عطاء عن سعيد بن جبير.

فقد أجاب عنه ابْنُ الأنْبَارِي، فقالَ: مَن قالَ: المرادُ بالقِبلةِ الكعبةُ، قالَ: وُحِّدتِ القبلَةُ لِتَوْحِيدِ الكعْبَةِ[1].

قالَ: ويجوزُ أن يكونَ أرَاد: اجْعلُوا بُيوتَكُم قِبَلًا، فاكْتَفى بالواحِدِ عنِ الجمْعِ، كما قالَ العبَّاس بْنُ مِرداس[2] [من الوافر]:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ[3]

[٣٥٨/ ب] يُرِيد: إنَّا إخْوتُكُم. ويجوز أن يكونَ وحَّد «قِبلة»؛ لأنَّه أجراهَا مُجرى المصدر، فيكونُ المعْنَى: واجْعلُوا بُيوتَكم إقبالًا على الله، وقصْدًا لِمَا كنتم تستعمِلُونَهُ في المساجد.

ويجوزُ أن يكونَ وحَّدَها، والمعنى: اجْعلُوا[4] بُيوتَكم شيْئًا قِبلةً، ومكانًا قِبلةً، ومحلَّةً قِبلةً.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أتمُّوا الصَّلاةَ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنت يا مُحمَّدُ[5]. قالَ سعِيدُ بْنُ جُبير: بشِّرهُم بالنَّصر في الدُّنيا، وبالجنَّةِ في الآخِرَةِ[6].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩٠).

(٢) العباس بن مرداس: ابن أبي عامر السلمي، وأمُّه الخنساء الشاعرة، وهو مخضرم. أخباره في الأغاني (١٣/ ٦٢)، والإصابة رقم (٤٥١١)، والاستيعاب (٣/ ١٠١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٥٢)، ومجاز القرآن (١/ ٧٩)، والمقتضب (٢/ ١٧٤)، وبلا نسبة في تأويل مشكل القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٧٤).

(٤) في نسخة: واجعلوا.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٨) (١٠٥٣٦).

قَوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ لهم مِن لدن فُسطاط مِصرَ إلى أرْضِ الحبَشة جِبالٌ فيها معَادِنُ ذهَبٍ وفضَّةٍ وزَبْرجد وياقوت[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾.

وفي لَام «ليَضِلُّوا» أربعةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها لَامُ «كي»، **والمعْنَى:** آتيتَهم ذلك كي يُضلُّوا، وهذا قولُ الفرَّاءِ[٢].

والثَّاني: أنَّها لامُ العاقبَةِ، **والمعْنَى:** إنَّك آتيتَهم ذلِك فأَصارَهُم إلى الضَّلالِ، ومثْلُه قوْلُه: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨]؛ أي: آلَ أمْرُهم إلى أنْ صارَ لهم عدوًّا، لا أنَّهم قصَدُوا ذلِك[٣]، وهذا كما تقُول للَّذي كسَب مالًا فأدَّاه ذلِك[٤] إلى الهلاك: إنَّما كسَب فلانٌ لِحَتْفِه، وهوَ لم يطْلبِ[٥] المالَ طلبًا للحَتْفِ، وأنْشدُوا [من البسيط]:

وَلِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... وَلِلْخَرَابِ يَجِدُّ النَّاسُ عُمْرَانَا[٦]

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٣) وهذا قول الزجَّاج، انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ف): يكسب.

(٦) البيت بلا نسبة في بهجة المجالس (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٩٩).

وقالَ آخَرُ [من الطويل]:

وَلِلْمَـوْتِ تَغْذُو[١] الْوَالِدَاتُ سِـخَالَهَا كَـمَا لِخَـرَابِ الـدُّورِ تُبْنَى الْمَسَـاكِنُ[٢]

وقالَ آخَرُ [من المتقارب]:

فَـإِنْ يَكُـنِ الْمَـوْتُ أَفْنَاهُـمُ فَلِلْمَـوْتِ مَـا تَلِـدُ الْوَالِـدَهْ[٣]

أَرَادَ: عاقِبَةَ الأمْر ومصِيرَه إلى ذلِك، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ[٤].

والثَّالِـثُ: أنَّهـا لامُ الدُّعـاءِ، فالمعْنَـى[٥]: ربَّنـا ابْتَلِهـم بالضَّـلال عـن سـبيلِك، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـاري[٦].

والرَّابـع: أنَّهـا لَامُ أجْلِ، فالمعنـى: آتيتَهـم لِأجْـلِ ضلالَتِهـم عقوبـةً مِنْـك لهـم، ومثْلُـه قوْلُـه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبـة: ٩٥]؛ أي: لأجْـلِ إعْراضِكُـم، حـكَاهُ بعْـضُ المفسِّريـنَ.

وقـرَأَ أهْـلُ الكُوفـةِ إلَّا الْمُفضّـلَ، وزيْـدٌ، وأبـو حاتِـمٍ عـنْ يعْقُـوبَ:

---

(١) في الأصل: تغدوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) البيـت لسـابق البربـري في العقـد الفريـد (٢/ ٦٩)، وخزانـة الأدب (٩/ ٥٢٩، ٥٣٢)، وبـلا نسبة في مغني اللبيـب (١/ ٢١٤)، ولسـان العـرب (١٢/ ٥٦٢) (لـوم)، والـدر (٤/ ١٦٨).

(٣) البيـت لنهيكـة بـن الحـارث المـازني، أو لشـتيم بـن خويلـد في خزانـة الأدب (٩/ ٥٣٠)، ولشـتيم أو لسـماك بـن عمـرو في لسـان العـرب (لـوم) وبـلا نسـبة في شرح شـواهد المغنـي (٢/ ٥٧٢)، ومغنـي اللبيـب (١/ ٢١٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٥) في نسخة: والمعنى.

(٦) انظر ما ذكره ابن الأنباري في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٢٩٢- ٢٩٣).

«لِيُضلُّوا» بضَمِّ الياء؛ أي: ليضلوا غيرَهُم[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ﴾ رَوى الحلبيُّ عنْ عبدِ الوَارث: «اطْمُسْ» بضمِّ الميمِ[٢]، ﴿عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ وفيه قولَانِ:

أحدُهما: أنَّها جُعلت حجارةً، رواهُ مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ قتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو صَالِحٍ، والفرَّاءُ[٣].

وقالَ القُرظيُّ[٤]: جعَل سُكَّرَهُم[٥] حجَارةً[٦].

وقال ابْنُ زيْدٍ: صَار ذهبُهُم ودَارَهِمُهُم وعدَسُهُم وكلُّ شيْءٍ لهم حجَارةً[٧].

وقالَ السُّدِّيُّ[٨]: مسخَ اللهُ النَّخلَ والثِّمارَ والأطعمةَ حِجارةً، فكانتْ إحْدى الآياتِ التِّسعِ[٩].

(١) قراءة سبعية، انظرها في: التيسير (ص: ١٢٣)، والنشر (٢/ ٢٦٢).

(٢) قراءة شاذة، انظرها في: شواذ ابن خالويه (ص: ٢٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٢٩)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٧).

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٤) هو محمد بن كعب القرظي.

(٥) بضم السين وتشديد الكاف، وهو معروف، أو بفتح السين والكاف من غير شديد، وهو نقيع التمر الذي لم تمسه النار، أو الخمر، أو النبيذ، وكان إبراهيم والشعبي وأبو رزين يقولون: السَّكَر: خمر. وقال أبو عبيدة: الطعام. واحتجَّ بقول الآخر: «جعلت أعراض الكرام سكرا». انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٧١٩) (سكر)، والتكملة والذيل والصلة (٣/ ٣٣) (سكر).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٩).

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨١)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ١٤٥).

(٨) في (ر): مجاهد.

(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ١٤٥) عن السدِّي.



وقالَ الزَّجَّاجُ: تَطمِيسُ الشَّيءِ: إذْهابُه عن صورتِهِ والانْتفاعُ به على الحال الأُولى الَّتِي كان عليْهَا[1].

والثَّاني: أنَّها هلكتْ، فالمعْنَى: أهلَكَ أمْوالَهُم، رَواه العوفيُّ[2] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3]، وبهِ قال مُجاهِدٌ[4]، وأبو عُبيدةَ[5]، وابْنُ قُتيبةَ[6]، ومنْهُ يُقال: طمستْ [٣٥٩/ أ] عينُه؛ أي: ذهبَتْ، وطمس الطَّريقُ: إذا عفَا ودَرَس.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: اطْبعْ عليْهَا، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[7]، وبهِ قالَ مقاتِلٌ[8]، والفرَّاءُ[9]، والزَّجَّاجُ[10].

والثَّاني: أَهْلِكْهُم كفَّارًا، رَوَاهُ أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: اشدُدْ عليها بالضَّلالَةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٢) أي: عطية العوفي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٨) عن عطية، عن ابن عباس... بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨١).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٩)، (١٠٥٤١).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٧).

(٩) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

والرَّابع: أنَّ معْنَاه: قسِّ قلوبَهُم، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه دُعاءٌ عليْهِم أيْضًا، كأنَّه قالَ: اللَّهُمَّ فلا يُؤمِنُوا، قالَهُ الفَرَّاءُ[٢]، وأبو عُبيدةَ[٣]، والزَّجَّاجُ[٤].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: معناه: فلا آمَنُوا[٥]، قالَ الأَعْشَى [من الطويل]:

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[٦]

معنَاهُ: لا أنْبَسط، ولا لقيتني.

والثَّاني: أنَّه عطْفٌ على قوْلِه: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾، **فالمعْنَى:** أنَّك آتيتَهم ليَضِلّوا فلَا يُؤمِنُوا، حكَاهُ الزَّجَّاجُ عن المبرِّدِ[٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هو الغرَقُ[٨]،

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩٦).

(٦) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة في الزاهر؛ للأنباري (٢/ ١٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٨)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٩/ ١١٨).

(٧) ذكر قول المبرد هذا: الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٣١).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨٢) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن ابن عباس... به..



وكانَ مُوسى يدعُو، وهارونُ يُؤمِّنُ، فقَال اللهُ تعَالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، وكان بين الدُّعاءِ والإجَابةِ أربعُونَ[1] سنَةً.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ وهما دعْوتَانِ؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّ الدَّعوةَ تقَعُ على دعوتَيْنِ وعلى دعوَاتٍ، وكلامٌ يطُول، كما بينَّا في الأعْرَافِ أنَّ الكلمةَ تقَعُ على كلِمات، قالَ الشَّاعِرِ [من المتقارب]:

وَكَانَ دَعَا دَعْوَةً قَوْمَهُ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ[2]

فأوْقَعَ «دعْوةً» على ألْفاظٍ بيَّنَها آخِر بيْتِه.

والثَّاني: أنْ يكونَ المعْنَى: قد أُجِيبتْ دعواتُكُما، فاكْتَفَى بالوَاحِدِ مِن ذِكْر الجمِيعِ، ذكَرَ الجوَابَيْنِ ابْنُ الأنْبَاري[3].

وقد رَوى حمَّاد بْنُ سلَمةَ عن عاصِمٍ أنَّه قرَأ: «دعَوَاتُكُما» بالألفِ وفتْحِ العَيْنِ[4].

والثَّالث: أنَّ موسى هو الَّذي دعَا، فالدَّعوَةُ لَه، غيْرَ أنَّه لمَّا أمَّنَ

---

(١) في (ج)، و(ف): أربعين.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ٤٣)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٠٨)، وبلا نسبة في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٢)، والصرم: القطع البائن.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٢).

(٤) قراءة شاذة، نسبها أبو الفتح (١/ ٣١٦) إلى أبي عبد الرحمن السلمي، ونسبها ابن عطية (٥/ ٢٣٦) إلى السلمي، والضَّحَّاك. وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٣).

هـارُونُ، أشركَ بيْنَهُـما في الدَّعـوة؛ لأنَّ التَّأْمِـين عـلى الدَّعـوةِ منْهَـا.

وفي قوْله تعَالَى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: فاسْتقِيما على الرِّسالَةِ ومَا أمرْتُكُما بهِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: فاسْـتقِيما عـلَى دُعـاءِ فرعَـونَ وقوْمِـه إلى طاعـةِ اللهِ تعـالى قالَـه ابْـنُ جَريـرٍ[١].

والثَّالث: فاسْتقِيما فِي دُعائِكُما علَى فِرعَونَ وقوْمِه.

والرَّابع: فاسْتَقِيما علَى دِيني، ذكرَهُمَا أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾.

قـرَأَ الأكْثَرُونَ بتشْـدِيدِ تَاءِ «تَتَّبِعَـانِّ»، وقرَأَ ابْـنُ عامِرٍ بتَخْفِيفها مـعَ الِاتِّفَاقِ عـلى تشْـدِيدِ نُـونِ «تَتْبَعَـانِّ» (إلَّا أنَّ فِي[٢] بعْـضِ الرِّوَاياتِ عـنِ ابْنِ عامِـرٍ تخْفِيفَ النُّـونِ[٣]. قـالَ الزَّجَّـاجُ[٤]: موْضِـعُ «تتبِعـانّ» جـزْمٌ)[٥]، إلَّا أنَّ النُّـونَ الشَّـديدةَ دخلَـتْ للنَّهـي مؤكِّدةً، وكُسرتْ لِسـكونِها وسُـكونِ النُّـونِ الَّتي قبْلَهـا، (واخْتِير لهـا)[٦] الكسْرُ؛ لأنَّها بعْـدَ الألفِ، فشـبهتْ بنُـون الِاثْنين[٧]. [٣٥٩/ ب]

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٥).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ج)، و(ف): تخفيفها.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ف).

(٦) ليس في (ر).

(٧) قراءتان سبعيتان، انظر عزوهما في: التيسير (ص: ١٢٣)، والسبعة (ص: ٣٢٩).

قالَ أبو عَلِيٍّ: ومَن خفَضَ النُّونَ أمْكن أن يكونَ خفَّفَ النُّونَ الثَّقيلةَ، فإنْ شئْتَ كانَ على لفْظِ الخبَرِ، والمعْنَى الأمْرُ؛ كقوْلِه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٤] و﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣]؛ أي: لا ينْبَغي ذلِك، وإنْ شئْتَ جعلْتَه حَالًا من قوْلِه: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ تقْدِيرُه: اسْتقِيما غير مُتَّبعِينَ[1].

وفي المرَادِ بسبيلِ الَّذِين لا يعلمُونَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم[2] فِرعَونُ وقومُه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الَّذِين يسْتعْجِلُون القضَاءَ قبْلَ مجِيئِه، ذكرَهُ أبو سُليمان الدِّمشْقِيُّ.

فإنْ قِيلَ: كيفَ جازَ (أنْ يدْعُو مُوسى)[3] على قوْمِه؟.

فالجوَابُ: أنَّ بعضَهُم يقُول: كان ذلِك بوَحِيٍ، وهو قوْلٌ صَحيحٌ؛ لأنَّه لا يُظنُّ بِنَبيٍّ أنْ يقدُمَ على مثْلِ ذلِك إلَّا عنْ إذنٍ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ دُعاءَهُ سبَبٌ للانْتِقامِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾.

قالَ أبو عُبيدَةَ: أَتْبَعَهُمْ وتَبِعَهُم سَواءٌ[4]. وقالَ ابْنُ قُتيبَةَ: أَتْبَعَهُمْ:

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٩٣).

(٢) في (ف): أنَّه.

(٣) في (ر): جاز لموسى.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

لِحَقِّهِم[١]. ﴿بَغۡيٗا وَعَدۡوًا﴾؛ أي: ظُلْماً.

وقَرَأَ الحَسَنُ: «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتَّشديدِ، وكذلِكَ شَدَّدُوا ﴿وَعَدۡوًا﴾ مع ضَمِّ العَيْنِ[٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «أَنَّه» بفتْحِ الألِفِ، والمعْنَى: آمنْتُ بأنَّه، فلمَّا حُذِف حرْفُ الجرِّ، وصل الفعْلُ إلى «أن» فنُصِب[٣].

وقَرَأَ حمزَةُ والكِسَائِيُّ: «إِنَّه» بكسْرِ الألِف، فحمَلُوه على القَوْلِ المضمر، كأنَّه قال: آمنت، فقلت: إنَّه[٤].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يقبلِ اللهُ إيْمانَهُ عنْد رُؤيةِ العذَابِ[٥].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: جنَح فرْعونُ إلى التَّوبة حِين أُغلق بَابُها؛ لِحُضور الموْتِ ومعاينَةِ الملائِكةِ، فقِيلَ لَه: ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ﴾؛ أي: الآنَ تتوبُ وقد أضَعْتَ التَّوبةَ فِي وقْتِها، وكنْتَ مِنَ المفسِدينَ بالدُّعاءِ إلى عبَادةِ غيْرِ اللهِ عزَّ وجَلَّ[٦]؟ والمخاطِبُ له بهذا كان جِبريلُ عليه السَّلام[٧].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٩).

(٢) قراءة شاذة، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٤٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٣).

(٣) في (ج): فنصبت.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٠٢).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٠٣).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٤٨)، وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المخاطب له=

وجاء في الحديث: «أنَّ جبريلَ جعَلَ يدُسُّ الطِّينَ فِي فَمِ فِرْعونَ خَشيةَ أنْ يُغفرَ لَهُ»[(١)].

قال الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ[(٢)]: اذْكُروا اللهَ في الرَّخاءِ يَذْكُرْكُم في الشِّدَّةِ؛ إنَّ يُونُسَ -عليْهِ السَّلام- كانَ عبْدًا صَالحًا، وكانَ يذْكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ، فلَمَّا وقَعَ فِي بطْنِ الحُوتِ سأَلَ اللهَ تعَالى، فقَالَ اللهُ تعَالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]، وإنَّ فِرْعونَ كَان عبْدًا[(٣)] طَاغيًا نَاسِيًا لِذكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فلمَّا أدْرَكَهُ الغرَقُ قالَ: ﴿ءَامَنتُ﴾، فقَال اللهُ: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[(٤)].

=هو تعالى، وإليه ذهب ابن جرير (١٥/ ١٨٤)، والسمرقندي (٢/ ١١٠)، وهو الظَّاهر، ويدلُّ عليه قوْلُه تعالى بعد ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٨) عن محمد بن المثنى به، وأخرجه أحمد (٤/ ٤٥)، (٥/ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٥٧) من طريق محمد بن جعفر، وأخرجه الطيالسي (٢٧٤٠)، والترمذي (٣١٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٢) من طرق عن شعبة.

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، وقيل: أبو أُنيس، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو سعيد. مِن صغار الصحابة، روى عن النبي -ﷺ- وعن عمر بن الخطاب، وحبيب بن مسلمة الفهري وغيرهم. وعنه: حدَّث معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن جبير، والشعبي وغيرهم. خرَّج له النسائي، شهد فتح دمشق وسكنها ومات مقتولًا في مرج راهط سنة أربع وستين. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤١).

(٣) في (ج): عنيدًا.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٠)، وأورده السيوطي في الدر (٧/ ١٢٥)، وعزاه لأحمد في الزهد، وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن قتادة.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾.

وقرَأ يعْقُوبُ «نُنْجِيكَ» مُخَفَّفةً[(١)].

قـال اللُّغويُّـونَ، منْهُـم يُونـسُ وأبـو عُبيـدةَ[(٢)]: نُلقِيـكَ عـلَى نجـوةٍ مِـنَ الأرْضِ؛ أي: ارْتِفـاعٍ؛ لِيصـيرَ علَـمًا أنَّـه قـد غَـرِقَ.

وقرَأ ابْنُ السَّميْفَع[(٣)]: «نُنَحِّيكَ» بحَاءٍ[(٤)].

وفي سبَبِ إخْراجِهِ مِنَ البحْرِ بعْدَ غرَقِهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ مُوسـى عليـه السَّـلام وأَصحَابَـهُ[(٥)] لَمَّـا خرَجُـوا، قـالَ مَـن بقِـيَ مِـنَ[(٦)] المدَائِـنِ مِـن قـوْمِ فِرعـونَ: مـا أُغْـرق فرْعَـونُ، ولكنَّـه هـوَ[(٧)] [٣٦٠/أ] وأصْحابُـه يتصيَّـدُون في جزائـرِ البحْـرِ، فأوْحَـى اللهُ تعـالى إلى البحْـرِ أنِ الْفـظْ فرعـونَ عُريانًـا، فكانـتْ نجاتُـهُ عـبْرةً، وأوْحـى اللهُ تعَـالى إلى البحـرِ: أنِ الْفـظْ مَـا فِيـكَ، فلَفظهـمُ البحـرُ بالسَّـاحِلِ، ولم يكـنْ يلفِـظُ غريقًـا فصَـار لا يقْبَـلُ غرِيقًـا إلى يـوْمِ القِيامَـةِ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[(٨)].

---

(١) قراءة عشرية، انظرها في: النشر (٢/ ٢٥٨).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٣) في الأصل: السميقع، خطأ.

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣١٥).

(٥) في (ج): وقومه.

(٦) في (ج)، و(ر): في.

(٧) ليست في (ف).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم رقم (١٠٥٦٨) عن أبيه قال: ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، ثنا=

والثَّاني: أنَّ أصْحابَ مُوسى قالُوا: إنَّا نخافُ أنْ يكُونَ فِرعونُ مَا غرِقَ، ولا نُؤمِنُ بهلَاكِهِ، فدَعا مُوسى عليه السَّلام ربَّه عزَّ وجلَّ، فأَخْرَجَه حتَّى أيْقَنُوا بهلَاكِه، رَواه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١]، وإلى نحوِه ذهبَ قيْسُ بْنُ عبَّادٍ، وعبْدُ اللهِ بْنُ شدَّادٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ[٢].

وقالَ السُّدِّيُ[٣]: لَمَّا قالَ بنُو إسْرائِيلَ: لم يغرَقْ فِرْعونُ، دعَا مُوسى [ربَّهُ عزَّ وجلَّ][٤]، فخرَجَ فِرْعونُ في ستِّمائةِ ألفٍ وعِشرينَ ألْفًا عليهمُ الحديدُ، فأخذتْه بنو إسْرائِيل يُمثِّلُون بهِ. وذكَرَ غيْرُه: أنَّه إنَّما أُخرج مِنَ البحْرِ وحْدَه دُون أصْحَابِه.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ: كذَّبَ بعْضُ بني إسْرائِيلَ[٥] بغَرَقِهِ، فرَمَى بهِ البَحْرُ[٦] علَى سَاحِل البحْرِ حتَّى رَآه بنُو إسْرائِيلَ قَصيرًا أَحْمَرَ كأنَّه ثوْرٌ[٧].

=بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، به مثله، وهذا إسناد ضعيف، وفيه انقطاع.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٠) من طريق يزيد به، وأخرجه أيضًا (١٥٦٨٣).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في مواضع متفرقة من تفسيره (١٥٦٦١-١٥٦٦٩-١٥٦٧٦-١٥٦٧٩-١٥٦٨٤) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٤) من (ج).

(٥) في (ج): كذَّب بنو إسرائل.

(٦) ليست في (ج).

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٧) (١٧٨٨٠).

وقالَ أبو سُليمان(١): عرَفَهُ بنُو إسْرائِيلَ بدِرْعٍ كانَ(٢) لَه مِن لُؤلُؤٍ لم يكُنْ لأحَدٍ مثْلُها. فأمَّا وجْهُه فقد غيَّرَه سخَطُ اللهِ تعَالَى.

والثَّالث: أنَّه كان يدَّعي أنَّه ربٌّ، فكانَ يعبُدُه قوْمُه، فبَيَّنَ اللهُ تعالى أمْرَهُ، فأغْرَقَهُ وأصْحابَهُ، ثُمَّ أخْرجَهُ مِن بيْنِهم، قالَه الزَّجَّاجُ(٣).

وفي قوْلِه: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: بجَسدِكَ مِن غيْرِ روحٍ، قالَهُ مجاهِدٌ. وذكْرُ البدَنِ دلِيلٌ على عدَمِ الرُّوحِ.

والثَّاني: بدِرعِكَ، قالَهُ أبو صَخْرٍ(٤).

وقد ذكرْنَا أنَّه كانت له دِرعٌ مِن لُؤلؤٍ، وقِيل: مِن ذهَبٍ، فعُرِف بدِرْعِه.

والثَّالث: نُلقِيك عريانًا، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: كانت، والمثبت من

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).

(٤) هو: حميد بن زياد أبو صخر، ابن أبي المخارق الخراط المدني، رأى سهل بن سعد، وروى عن جماعة من التابعين، روى عنه المفضل وغيره. قال أحمد ويحيى: ليس به بأس، وقال ابن حجر: صدوق يهم. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٦-٣٧)، والتقريب (١/ ٢٠٢)، وقوله أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٧١) حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، ثنا سعيد ابن أبي مريم، ثنا مفضل بن فضالة، حدثني أبو صخر... فذكره. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٨) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).



والرَّابع: نُنجِّيك وحْدَكَ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[١].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: لِتكُونَ لِمنْ بعْدَكَ فِي النَّكالِ آيةً؛ لئلَّا يقولُوا مثْلَ مقالتِكَ، فإنَّك لو كُنْتَ إلهًا مَا غرقْتَ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ أبو عُبيدةَ[٢]: «خلْفَكَ» بمعْنَى: بعْدَكَ، والآيةُ: العلامَةُ.

والثَّاني: لِتكونَ لِبني إسْرائيل آيَةً، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والثَّالث: لِمنْ تخلَّف مِن قوْمِه؛ لأنَّهم أنْكرُوا غرَقَه على ما ذكرْنَا في أوَّل الآيةِ، فخرَج فِي معْنَى الآيةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: عِبرةً للنَّاسِ.

والثَّانِي: علامَةً تدلُّ على غرَقِهِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الآيةُ أنَّه كانَ يدَّعِي أنَّه ربٌّ، فبَانَ أمْرُه، وأُخْرج مِن بيْنِ أصْحابِه لَمَّا غرِقُوا[٣].

وقرَأَ ابْنُ السَّميفعِ، وأبو الْمُتوكّل، وأبو الجَوْزَاءِ: {لِمَنْ خَلَقَكَ} بالقَافِ[٤][٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).

(٤) في الأصل: بقاف.

(٥) قراءة شاذة، نقلها الثعلبي (٥/ ١٤٨) عن علي.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٣ - ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أنْزلْناهُم منْزِلَ صِدقٍ؛ أي: منْزِلًا كرِيمًا.

وفي الْمُراد ببني إسْرائيلَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أصْحَابُ مُوسى.

والثَّانِي: قُريظةُ والنَّضيرُ.

وفي الْمُراد بالمنْزِلِ الَّذي أُنزلوه خمْسةُ أقْوالٍ: [٣٦٠/ ب]

أحدُها: أنَّه الأَردنُ، وفلسطِينُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الشَّامُ، وبيْتُ المقدسِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ وقتادَةُ.

والثَّالثُ مِصرُ، رُوي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا.

والرَّابعُ: بيْتُ المقدسِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[1].

والخامِس: ما بينَ المدينَةِ والشَّامِ مِن أرْضِ يثْرِبَ، ذكرَهُ عليُّ بْنُ

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٨).

أَحْمَدَ النَّيسابُورِيُّ[١]، والمرادُ بالطَّيِّباتِ: مَا أُحِلَّ لَهُم مِنَ الخَيْرات الطَّيبةِ.

﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوا۟﴾ يعني: بَنِي إسرائِيلَ. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَا اخْتلَفُوا فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، لم يزَالُوا بهِ[٢] مُصدِّقين ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ يعْنِي: القُرآنَ، ورُوي عنْهُ: حتَّى جاءَهُم العِلْمُ، يعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ[٣]. فعلَى هذا يكونُ العِلْمُ هاهُنا: عِبارةً عنِ المعْلُومِ[٤].

وبيانُ هذَا: أنَّه لَمَّا جاءَهُمُ اخْتلَفُوا في تصْديقِه، وكفرَ به أكثرُهُم بغْيًا وحسَدًا بعد أنْ كانُوا مجتمعِينَ على تصْديقِه قبْل ظُهورِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾ فِي تأويلِ هذه الآيَةِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الخِطابَ للنَّبِيِّ ﷺ، والْمُراد غيْرُه مِنَ الشَّاكِّينَ، بدليلِ قوْلِه في آخِرِ السُّورةِ: ﴿إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤]، ومثْلُه قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: ١]، ثُمَّ قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾ [الأحزاب: ٢]، ولم يقُلْ: بما تعمَلُ[٥]، وهذا قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّ الخطابَ للنَّبيِّ ﷺ، وهو المرَاد به.

---

(١) أي: الواحدي، وقوله في التفسير الوجيز (ص: ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١١/ ٣١١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير (١١/ ٣١٣).

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٨)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٥٠).

(٥) في (ر): تعملوا هذا.

ثُمَّ فِي المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خُوطب بذلِك وإنْ لم يَكُنْ في شَكٍّ؛ لأنَّه مِنَ الْمُستفيض فِي لُغةِ العرَبِ أنْ يقُولَ الرَّجُلُ لِولَدِه: إنْ كنْتَ ابْنِي فبرَّنِي، ولِعبدِه: إنْ كُنْتَ عبْدِي فأَطِعْنِي، وهذَا اخْتِيارُ الفرَّاءِ[١].

وقالَ[٢] ابْنُ عبَّاسٍ: لم يكُنْ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَكٍّ، ولَا سألَ[٣].

والثَّانِي: أنْ تكُونَ «إنْ» بمعْنَى: «مَا» فالمعْنَى: مَا كُنْتَ في شَكٍّ ﴿فَسْئَلِ﴾، فالمعْنَى: لسْنَا نُريد (أنْ نأمرَكَ)[٤] أنْ تسْألَ؛ لأنَّك شَاكٌّ، ولكنْ لِتزْدَادَ بَصِيرةً، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

والثَّالث: أنَّ الخِطَابَ للشَّاكِّينَ، فالمعْنَى: إنْ كُنْتَ أيُّها الإنْسانُ فِي شَكٍّ مما أُنزل إليْكَ على لِسانِ مُحمَّدٍ ﷺ؛ فسَلْ، رُوي عنِ ابْنِ قُتيبة[٦].

وفِي الَّذِي أُنْزلَ إليه قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه أُنزل إليهِ أنَّه رسُولُ اللهِ ﷺ.

والثَّاني: أنَّه مكْتوبٌ عنْدَهُم في التَّوراةِ والإنْجِيلِ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٧٩).

(٢) في الأصل: قال، بدون واو.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٨٣).

(٤) ليس في (ر).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣).

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهـمُ اليهـودُ والنَّصـارَى.

وفِي الَّذِين[1] أُمر بِسؤَالِهِم مِنْهُم قوْلَان:

أحدُهما: مَن آمَن؛ كعبدِ اللهِ بْنِ سلامٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ في آخَرينَ.

والثَّـاني: أهْـلُ الصِّـدقِ مِنْهُـم، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ، وهـو يرجِـعُ إلى الأَوَّلِ، لأَنَّـه لا يُصـدِّق إلَّا مَـن آمَـنَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ [مِن رَّبِّكَ][2]﴾ هذا كلامٌ مُستأنَفٌ.

[٣٦١/أ] قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾؛ أي: وجبَـتْ ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: قوْلُـه.

وبماذَا حقَّتِ الكلمةُ عليْهِم؟ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: باللَّعنةِ.

والثَّاني: بنُزولِ العذابِ.

والثَّالث: بالسَّخَطِ.

والرَّابع: بالنِّقمةِ.

---

(١) في (ج): الذي.

(٢) من (ر).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَوْجَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ قـالَ الأخْفَـش: إنَّـما أنَّـث فعْـلَ «كُلّ»؛ لأنَّـه أضَافَـهُ إلى «آيـة» وهـي مُؤنَّثـةٌ[١].

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونـس: ٩٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾؛ أي: أهْلُ قرْيَةٍ.

وفِي «لَوْلَا» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا[٢] بمعْنَـى: لم تكُـنْ قرِيـةٌ آمَنـتْ ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾؛ أي: قُبِـل منْهَـا ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ.

وقالَ قتَادَةُ[٣]: لم يكُن هذَا لِأُمَّةٍ آمَنَتْ عنْدَ نُزولِ العذَابِ، إلَّا لِقوْمِ يُونسَ.

والثَّاني: أنَّها بمعْنَى: فهَلَّا[٤]، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٥]، وابْنُ قُتيبةَ[٦]، والزَّجَّاجُ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٢) في (ج)، و(ف): أنه.

(٣) رواه بنحوه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠٥٩٨)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٧٢).

(٤) انظر مجيء (لولا) بمعنى (هلَّا) للتحضيض في رصف المباني؛ للمالقي (ص: ٣٦١)، والجنى الداني؛ للمرادي (ص: ٦٠٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٠).

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: فهلَّا كانَتْ قرِيةٌ آمَنتْ فِي وقتٍ نفَعَهَا إيمانُها، إلَّا قوْمَ يُونس؟ و«إلَّا» هاهُنا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّل، كأنَّه قالَ: لكنَّ قوْمَ يُونسَ[1].

قالَ الفرَّاء: نصَبَ القوْمَ علَى الانْقطَاعِ ممَّا قبْلَه، ألَا ترَى أنَّ «مَا» بعْدَ «إلَّا» في الجحْدِ يتبَعُ ما قبْلَها؟ تقُول: ما قامَ أحَدٌ إلَّا أخُوكَ، فإذَا قلْتَ: ما فيهَا أحَدٌ إلَّا كلبًا أو حمارًا، نصبتَ؛ لِانْقطاعِهم مِنَ الجنْسِ، كذلِك كانَ قوْم يونُس منقطعين مِن غيْرِهم مِنْ أُمم الأنْبياءِ، ولو كانَ الِاسْتِثناءُ وقَع على طائفةٍ منْهُم لكان رفعًا[2].

وذكر ابْنُ الأنباري[3] في قوْلِه: «إلَّا» قوْلَيْنِ آخَرينِ:

أحدُهما: أنَّها بمَعْنى الواوِ، والمعْنَى: وقوْم يُونس لما آمَنُوا فعلْنَا بِهم كذَا وكذَا، وهذَا مرْويٌّ عن أبي عُبيدة[4]، والفرَّاءُ يُنكره[5].

والثَّانِي: أنَّ الِاسْتثناءَ مِنَ الآيةِ الَّتي قبل هذه، تقديره: حتَّى يروا العذابَ الأليمَ إلَّا قومَ يُونس، فالاسْتثناءُ على هذا مُتَّصلٌ غيْرُ مُنقطعٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: صرفْنَا عنْهُم ﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾؛ أي: عذابَ الهُوانِ والذُّلِّ ﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾؛ أي: إلى حينِ آجالِهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤)، أورده النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٢٦٨)، وقال: هذا قول الكسائي والأخفش والفراء.

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٩).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٤٢٠).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨٢).

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٧٩- ٤٨٠).

الإِشَارَةُ إِلَى شَرْحِ قِصَّتِهِم

ذكر أهْلُ العلْمِ بالسِّير[١] والتَّفْسير: أنَّ قوم يونس عليه السلام كانوا بِنَيْنَوى مِن أرْضِ الموصل، فأرسَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم يُونسَ يدْعُوهم إلى اللهِ تعالى ويأمُرُهم بترْكِ الأصْنام فأَبَوا، فأخبَرَهُم أنَّ العذابَ مصبِّحُهُم بعد ثلاثٍ، فلما تغشَّاهمُ العذَابُ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٢]، وأنَسٌ[٣]: لم يبْقَ بين العذَابِ وبيْنَهم إلَّا قدْرُ ثُلثي مِيلٍ.

وقال مُقاتِلٌ: قدْرُ مِيلٍ[٤]، وقالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: وجَدُوا حرَّ العذَابِ علَى أكْتَافِهِمْ[٥]، وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: غَشيَهُمُ العذَابُ كما يغْشَى الثَّوبُ القبْرَ[٦].

وقالَ بعْضُهم: غَامتِ السَّماءُ غيْمًا أسْوَدَ يُظْهِرُ دُخانًا شَدِيدًا، فغَشِي مدينتَهُم واسودَّتْ سطوحُهُم، فلمَّا أيْقَنوا بالهَلاكِ لَبِسوا الْمُسوحَ، وحثَوا على رؤوسِهِم الرَّمادَ، وفرَّقُوا بيْنَ كُلِّ وَالدةٍ وولدِها مِنَ النَّاسِ والأنْعَامِ، وعجُّوا إلى اللهِ تعالى بالتَّوْبة الصَّادقةِ، وقالُوا آمنَّا: بما جاءَ بهِ يُونسُ، [٣٦١/ ب]

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٦- ٢٦٧) عن ابن إسحاق.

(٢) منقطع، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٩٤) من طريق قتادة عن ابن عبَّاس، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٣) ، وعزاه لأحمد، وابن جرير.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، وروي أيضًا عن قتادة، كما عند ابن أبي حاتم (١٠٥٩٨).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٩- ١١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٠٣).

فاسْتجَابَ اللهُ منْهُم[١].

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ: بلَغَ مِن توْبَتِهم أنْ تَرادُّوا المظالِمَ بيْنَهُم، حتَّى أنْ كانَ الرَّجُلُ لَيأتِي إلى الحجرِ قد وُضِع[٢] أساسُ بُنيانِه عليْهِ فيقلَعُه، فيردُّه[٣].

وقَالَ أبو الجلد[٤]: لَمَّا غَشِيَهُمُ العذَابُ، مشَوْا إلى شيْخٍ مِن بقيَّةِ عُلمائِهِم، فقالُوا: مَا ترَى؟ قالَ: قُولُوا: يا حَيُّ حين لا حَيٌّ، يا حيُّ مُحيي[٥] الموْتَى، يا حيُّ لَا إلهَ إلَّا أنْتَ، فقالُوها: فكُشِف العذَابُ عنْهُم[٦].

قالَ مُقاتِلٌ: عجُّوا إلى اللهِ أرْبَعِين ليْلَةً، فكُشِفَ العذَابُ عنْهُم، وكانتِ التَّوبَةُ عليهِم فِي يوْمِ عاشُورَاء يوْمَ الجمُعةِ[٧].

قالَ[٨]: وكانَ يُونس قد خرَج مِن بين أظْهُرِهم، فقِيل له: ارْجِعْ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٠٩- ٢١٠)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٨)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٤/ ١٥٢).

(٢) في (ف): وضع عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٢٩٤).

(٤) هو أبو الجلد جيلان بن أبي فروة الأسدي، ثقة. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٥٤٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٢).

(٥) في (ف): يحيي.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٣)، وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠).

(٨) في (ج)، و(ر): قالوا.

إليهـم، فقـالَ: كيْـفَ أرجِـعُ [إليهـم][1] فيجـدُونِي كاذبًـا؟ وكان مَـنْ يكـذِبُ بيْنَهُـم ولا بيِّنَـةَ لـه يُقتـل، فانْـصرَفَ مُغاضِبًـا، فالْتقمَـهُ الحـوتُ[2].

وقـالَ أبـو صَالِـحٍ[3] عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: أوْحَـى [اللهُ][4] إلى نبِـيٍّ مِـن أنْبيـاءِ بنِـي إسْرائِيـلَ، يُقـال لـه: شَـعْيَا[5]، فقِيـلَ لـه: ائْـتِ فُلانًـا الملِـكَ، فقُـل لـه: يبعـثُ إلى بنـي إسْرائِيـلَ نبيًّـا قويًّـا أمِينًـا، وكانَ في مملكتِـهِ خمسـةٌ مِـنَ الأنْبيـاءِ، فقَـالَ الملِـك لِيونُـسَ: اذْهَـبْ إليْهِـم، فقـالَ: ابْعَـثْ غـيْرِي، فعـزَم عليـه أنْ يذْهـبَ، فأتَـى بحـرَ الـرُّومِ، فرَكِـب سـفينةً، فالْتقمَـهُ الحُـوتُ، فلـمَّا خـرَجَ مِـن بطْنِهَـا أُمِـرَ أنْ ينْطَلِـقَ إلى قوْمِـه، فانْطَلَـق نذيـرًا لهـم، فأَبَـوا عليْـه، فوعدَهُـم بالعـذَابِ، وخـرَجَ، فلـمَّا تَابُـوا رُفِـع عنْهُـم.

والقـوْلُ الأوَّلُ أثبـتُ عنـد العُلـماءِ، وأنَّـه إنَّـما الْتقمَـهُ الحـوتُ بعـدَ إنْـذارِهِ لهـم وتوْبتِهِـم[6]. وسـيَأْتِي شرْحُ قصتـهِ فِي الْتقـام الحـوتِ إيَّـاه في مكانـهِ إنْ شـاءَ اللهُ تعَـالى.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) ذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٨/ ٢٣٤)، وانظـر: معـالم التنزيـل؛ للبغـوي (٥/ ٣٥٠)، مختـصرًا، ولبـاب التأويـل؛ للخـازن (٣/ ٣١٨) مختـصرًا.

(٣) باذان، أبو باذام ضعيفٌ يُرسل.

(٤) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) بيـاض مقـدار الكلمـة في (ج)، وهـو: شـعيا بـن إمضيـا، مـن أنبيـاء بنـي إسرائيـل، وكان بعـد داود وسـليمان، وقبـل زكريـا ويحيـى عليهـم السـلام. انظـر: تاريـخ الرسـل والملـوك؛ للطـبري (١/ ٣١٢)، والبدايـة والنهايـة؛ لابـن كثـير (٢/ ٣٢).

(٦) انظر: عرائس المجالس (ص: ٤٠٧).



فإنْ قِيلَ: كيف كُشِف العذابُ عنْ قومِ يونُسَ بعد إتْيَانِه إليهم، ولم يُكشف عن فِرعونَ حين آمَنَ؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّ ذلِك كانَ خاصًّا لهم كما ذكرْنَا في أوَّل الآيَةِ.

والثَّاني: أنَّ فرْعونَ باشَرَهُ العذَابُ، وهؤلاءِ دنَا منْهُم ولم يُباشِرْهُم، فكانوا كالمريض يخافُ الموتَ ويرجو العافِيةَ، فأمَّا الَّذي يُعايِنُ، فلا توْبةَ له، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[1].

والثَّالث: أنَّ اللهَ تعالى علِمَ منْهُم صِدْقَ النِّياتِ، بخِلافِ مَنْ تقدَّمَهُم مِنَ الهالِكينَ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كان رسُولُ الله - ﷺ- حرِيصًا على إيمانِ جميعِ النَّاسِ، فأخبَرَهُ اللهُ تعالى أنَّه لا يُؤمِنُ إلَّا مَن سبقَتْ له السَّعادَةُ[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤).

(٢) انظر قول ابن الأنباري في البحر المحيط (٦/ ١٠٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٥٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩) من طريق عبد الله بن صالح به.

قالَ الأخْفَشُ: جاءَ بقوْلِه: «جميعًا» مع «كُلّ» تأكِيدًا؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[1] [النحل: ٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

قالَ المفسِّرُون، منْهُم مُقاتِلٌ[2]: هذا منسوخٌ بآيَةِ السَّيفِ.

والصَّحيح أنَّه ليس هاهُنا نسْخٌ؛ لأنَّ الإكْراهَ على الإيمانِ لا يصِحُّ؛ لأنَّه عملُ القلْبِ. [٣٦٢/أ]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: ١٠٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بقضَاءِ اللهِ وقدَرِه.

والثَّاني: بأمْرِ اللهِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: بمَشِيئَةِ اللهِ، قالَهُ عطَاءٌ.

والرَّابعُ: إلَّا أنْ يأذنَ اللهُ في ذلِكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[3].

والخامِسُ: بعلْمِ اللهِ تعالى.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، ليس معنى آية السيف الإكراه على الدين، فلا تعارض بينها وبين هذه الآية، وبالتَّالي فليست ناسخة لها، كما سيذكر بعدُ.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠).



والسَّادس: بتوْفِيق اللهِ تعالى، ذكرَهُما الزَّجّاجُ[1]، وابْنُ الأنْبَارِي.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾؛ أي: ويجعَلُ اللهُ الرِّجسَ. ورَوى أبو بكرٍ عنْ عاصِمٍ «ونَجْعَلُ الرِّجْسَ» بالنُّونِ[2].

وفيهِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه السخَطُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: الإثْمُ والعُدوانُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ: أنَّه ما لَا خيْرَ فيهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: العذابُ، قالَهُ الحسَنُ[4]، وأبو عُبيدةَ[5]، والزَّجّاجُ[6].

والخامِس: العذَابُ والغضَبُ، قالَهُ الفرَّاءُ[7].

قوْلُه تعَالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لا يعْقِلُون عنِ اللهِ أمْرَه ونهْيَهُ. وقِيلَ: لَا يعْقِلُون حُجَجَهُ ودلَائِلَ توْحيدِه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦).

(٢) قراءة سبعية متواترة، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦١٢) من رواية علي بن أبي طلحة.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٢٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦).

(٧) معاني القرآن (١/ ٤٨٠).

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

قالَ المفسِّرُونَ: قُل للمشركينَ الَّذي يسألُونَكَ الآياتِ على توْحيدِ اللهِ: انْظُروا بالتَّفكُّر والاعْتبَارِ، ماذا فِي السَّمواتِ والأرْضِ مِنَ الآياتِ والعِبرِ الَّتِي تدُلُّ على وحدانيَّتِه ونفاذِ قُدرَتِه كالشَّمسِ، والقمَرِ، والنُّجومِ، والجبَالِ، والشَّجرِ، وكلُّ هذا يقْتَضِي خالقًا مدبِّرًا[١].

﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ في علْمِ اللهِ تعالى.

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس: ١٠٢ - ١٠٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ[٢]: يعْنِي: كفَّارَ قُريشٍ ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قالَ ابنُ الأنْبارِي: أي: مثْلَ وقَائِعِ اللهِ بمَنْ سلَف قبْلَهم، والعَربُ تُكنِّي بالأيَّام عنِ الشُّرورِ والحرُوبِ، وقدْ تقْصِدُ بها أيَّامَ السُّرورِ والأفْراحِ إذا قامَ دلِيلٌ بذلِك[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٢٧)، وبنحوه البغوي (٤/ ١٥٣)، وبمعناه ابن جرير (١٥/ ٢١٥).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (١٤/ ٢٩٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٣١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: هلَاكِـي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لِنُـزولِ العـذَابِ بِكـم. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: مِـنَ العــذَابِ إذا نـزَل، فلـم يَهلِـكْ قـوْمٌ قـطُّ إلَّا نجـا نَبِيُّهـم والَّذِيـن آمنُـوا معَـهُ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقرأَ يعْقُـوبُ[1]، وحفْصٌ، والكِسَـائِيُّ فِي قِراءتـهِ ورِوايتِـهِ عنْ أبي بكْرٍ: «نُنْـجِ المؤمِنِـينَ» بالتَّخْفِيف[2].

ثُمَّ فِي هذا الإنْجاءِ قوْلَانِ:

أحدُهما: نُنجيهم مِنَ العذَابِ إذا نزَلَ بالمكذِّبين، قالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أنسٍ.

والثَّاني: نُنجيهم في الآخِرَة مِنَ [عذَابِ][3] النَّار، قالَهُ مُقاتِلٌ[4].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونـس: ١٠٤ - ١٠٦].

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[5]: يعنْـي: أهْـلَ مكَّـةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: الإسْـلامِ ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وهـي

(١) في (ج)، و(ف): ابن مسعود.

(٢) قراءة سبعية، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٣).

(٣) من (ج).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥١).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢٢٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٣٢)، ولا دليل على هذا التخصيص.

الأصْنامُ ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى﴾ يقدِرُ أنْ يُميتكُم.

وقالَ ابنُ جريرٍ: معْنَى الآيةِ: لا ينْبغِي لكُم أن تشكُّوا في دينِي؛ لأنِّي أعْبدُ اللهَ الَّذِي يُميت وينْفعُ ويضرُّ، ولا تُستنكرُ[1] عبادةُ مَن يفْعَلُ هذا، [٣٦٢/ب] وإنَّما ينْبَغِي لكم أنْ تشكُّوا وتُنكروا ما أنتم عليه مِن عبادةِ الأصْنَام الَّتي لا تضرُّ ولا تنْفَعُ[2].

فإنْ قِيلَ: لِمَ قالَ: ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ ولمْ يقُلْ: «الَّذي خلقَكُم»

فالجوَابُ: أنَّ هذا يتضمَّنُ تهديدَهم؛ لأنَّ ميعادَ عذابِهم الوفَاةُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ المعْنَى: وأُمِرت أنْ أقِم وجْهَك.

وفِيهِ قوْلَانِ:

أحدُها: أخْلِصْ عملَك.

والثَّاني: اسْتقِمْ بإِقبَالِك علَى مَا أُمرتَ بِهِ بوجِهِكَ.

وفِي المرَادِ بالحنيفِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المتَّبعُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: المخلِصُ، قالَهُ عطَاءٌ.

والثَّالث: المستقِيمُ، قالَهُ القُرظِيُّ[3].

---

(١) في (ف): يستنكر.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢١٧).

(٣) أي: محمد بن كعب القرظي. وروى قوله ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٩٣).



قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إنْ دعوْتـهُ ﴿وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إنْ تركْتَ عبادَتَـهُ. و«الظَّالم»: الَّـذي يضَـعُ الـشَّيْءَ في غـيرِ موْضعِـهِ.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧ – ١٠٩].

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾؛ أي: بشـدَّةٍ وبـلاءٍ ﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾ لذلـك ﴿إِلَّا هُوَ ﴾ دُونَ مـا يعبـدُه المشركُـونَ مِـنَ الأصْنـامِ. و{إن يصبك بخير}؛ أي: برخَـاءٍ ونعْمـةٍ وعَافيـةٍ، فـلا يقـدِرُ أحَـدٌ أن يمنعَـكَ إيَّـاه. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ ﴾؛ أي: بـكُلِّ واحِـدٍ مِـنَ الـضُّرِّ والخَـيرِ.

قوْله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: مُحمَّدٌ ﷺ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾؛ أي: فإنَّـما يكـونُ وبـالُ ضلالـهِ عـلى نفْسِـه.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾؛ أي: في منعِكُـم مِـنِ اعْتقـادِ الباطـلِ، والمعْنَـى: لسـتُ بحفيـظٍ عليْكُـم مِـنَ الهـلاكِ، كـما يحفَـظُ الوكِيـلُ المتـاعَ مِـنَ الهـلَاكِ.

قال ابْنُ عبَّاسٍ[1]: وهذِه منْسُوخةٌ بآيةِ القِتالِ، والَّتي بعْدَها أيضًا، وهيَ قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ اللهَ تعالى حكَم بقتْلِ المشركين، والجزيةِ علَى أهْلِ الكتابِ.

والصَّحِيحُ: أنَّه ليس هَاهُنا نسْخٌ؛ أمَّا الآيةُ الأُولى، فقد ذكرْنا الكلامَ عليْهَا في نظيرتِهَا في «الأنعام»، وأمَّا [الآيةُ][2] الثَّانية، فقد ذكرْنا نظيرتَها في سورة[3] «البقرة» وَهِيَ قوْلُه: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، [والله تعَالى أعلم بالصَّوابِ][4].

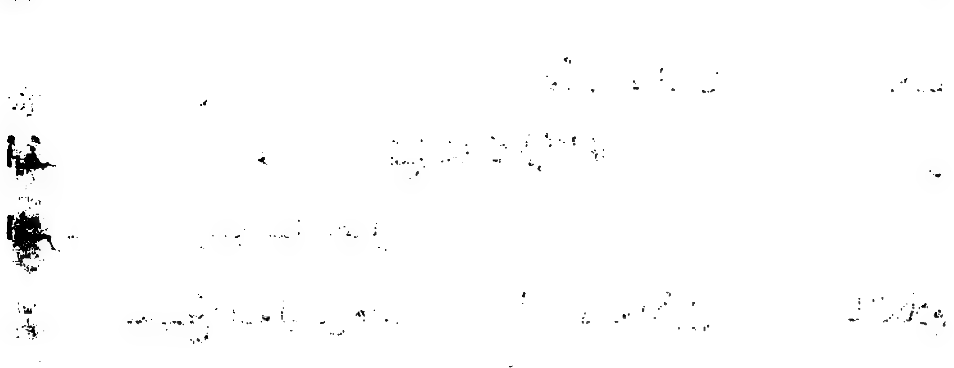
---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبيُّ في الكشف والبيان (١٤/ ٣٠٢)، والبغوي (٤/ ١٥٥)، وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٨٩)، وانظر رد هذا القول في: نواسخ القرآن؛ للمصنف (ص: ٣٧٤).

(٢) من (ر).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) من (ر).



سُورَةُ هُودٍ عليه السلام

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ كلُّها، وبهِ قالَ الحسَنُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وجَابرُ بْنُ زيْدٍ، وقتادَةُ.

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: هي مكيَّةٌ، إلَّا آيةً، وهي قوْلُه تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود: ١١٤] وعن قتادةَ نحوهُ[١].

وقالَ مُقاتلٌ: [هي][٢] مكيَّةٌ كلُّها، إلَّا قوْلَه: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ [هود: ١٢]، وقولَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ ﴾ [هود: ١٧]، وقوْلَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤][٣].

ورَوى أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ - رضي الله عنه - قالَ: قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ! عَجِلَ[٤] إلَيكَ الشَّيْبُ! قَالَ: **«شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا: الْحَاقَةُ، والْوَاقِعَةُ، وَعَمَّ يَتَساءَلُونَ، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»**[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٦) وعزاه إلى النحاس في تاريخه وأبي الشيخ وابن مردوايه من طرق عن ابن عبَّاس، وانظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٣٢٧)، النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٥٥).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦٩).

(٤) في (ج): عمِدَ.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٧٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٣٦)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٦٦٤)، كلُّهم من طريق يزيد الرَّقاشي عن أنس به. وأخرجه البزار في البحر الزخار (١/ ٦٩) من طريق زائدة بن أبي الرُّقاد=



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

فأمَّا ﴿الٓر﴾ فقد ذكرْنَا تفسيرَهَا في سُورة {يُونُسَ}.

[٣٦٣/أ] قالَ الفرَّاءُ: و﴿كِتَٰبٌ﴾: مرْفُوعٌ بالهِجاءِ الَّذِي قبْلَه[1]، كأنَّكَ قُلْتَ: حُروفُ الهِجَاءِ هذَا القُرآنُ، وَإنْ شئْتَ رفعْتَهُ بإِضْمارِ: «هَٰذَا كِتَٰبٌ»، والكِتَابُ: القُرْآنُ.

وفِي قوْلِه: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أَرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها[2]: أُحكمتْ فَلَمْ[3] تُنسخْ بكتَابٍ كما نُسختِ الكتُبُ والشَّرائِعُ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيبةَ[4].

والثَّانِي: أُحكمتْ (بالأمْرِ والنَّهيِ، قالَهُ الحَسَنُ[5]، وأبو العاليةِ[6].

=وهو منكر الحديث؛ كما في تقريب التهذيب؛ لابن حجر (١٩٩٢) فالحديث ضعيف جدًّا.

(١) معاني القرآن (٢/ ٣).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في نسخة: فلما

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٥)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٧٨).

(٦) الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٠٧).

والثَّالث: أُحْكمتْ)[١] عنِ الباطِلِ؛ أي: مُنعت، قالَهُ قتادَةُ، ومُقاتِلٌ[٢].

والرَّابع: أُحْكمت بمعْنَى: جُمعت، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ عمَّ الآياتِ هاهُنا بالإحْكامِ، وخصَّ بعْضَها في قوْلِه تعَالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فعَنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّ الإحْكامَ الَّذي عمَّ بهِ هاهُنا، غيْرَ الَّذِي خصَّ بهِ هُناك.

وفي معْنَى الإحْكامِ العامِّ خمْسةُ أقْوَالٍ، قد أسْلَفْنَا منْها أرْبعةً في قوْلِه: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾.

والخامِسُ: أنَّه إعْجازُ النَّظْمِ والبلاغَة وتضمِينُ الحِكَمِ المعجزةَ[٣].

ومعْنَى الإحْكَامِ الخَاصِّ: زَوالُ اللَّبْسِ، واسْتِواءُ السَّامِعينَ في معْرِفةِ معْنَى الآيَةِ.

والجَوابُ الثَّانِي: أنَّ الإحْكَامَ في الموْضِعيْنِ بمعْنى واحِدٍ.

والمرَادُ بقوْلِه: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أُحْكِم[٤] بعضُهَا بالبَيانِ الوَاضِحِ ومنْعِ الإلْتِباسِ، فأَوْقعَ العمُوم على معْنَى الخصُوصِ، كما تقُول العرَبُ: قَدْ أكَلْتُ طعَامَ زيْدٍ، يعْنُونَ: بعْضَ طعَامِهِ، ويقُولُونَ: قُتِلْنَا وربِّ الكعْبةِ،

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧١).

(٣) في (ج): والمعجزة.

(٤) في (ج): حكم.



يعْنُـونَ: قُتِـل بعْضُنَـا، ذكـرَ ذلِـكَ ابْـنُ الأنْبَـارِي[١].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ **سِتَّةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: فصِّلت بالحَلالِ والحرَامِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّانِي: فصِّلتْ بالثَّوابِ والعقَابِ، رَواهُ جَسْر[٣] بن فَرْقَد[٤]، عن الحسَنِ[٥].

والثَّالث: فُصِّلَتْ بالوَعْدِ والوَعِيدِ، رَواهُ أبو بكْرٍ الهُذَلِيُّ عنِ الحسَنِ أيْضًا[٦].

والرَّابع: فُصِّلَت بمعْنَى فُسِّرَتْ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامِسُ: أُنزلتْ شيْئًا بعْدَ شيْءٍ، ولم تنْزِلْ جُملَةً، ذكرَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٧].

والسَّادس: فُصِّلَـتْ بجمِيـعِ مـا يحتَـاجُ إليـه مِـنَ الدّلالَـةِ علَى التَّوْحيـدِ، وتثبيـتِ نبُـوَّةِ الأنْبيـاءِ، وإقامَـةِ الشَّرائـعِ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: مِن عنْدِه.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٣).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٨١).

(٣) في الأصل: جبير، خطأ، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) هو أبو جعفر جسر بن فرقد البصري، قال البخاري: ليس بذلك عندهم، وقال ابن معين: ليس بشيء. انظر: الميزان (١/ ٣٩٨).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٣٨).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧)، وقوله: (قاله الزجاج) ليس في (ج).

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هـود: ٢ - ٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قالَ الفـرَّاءُ: المعْنَى: فُصِّلـت آيَاتُه بأنْ[١] لا تعْبُـدوا إلَّا اللهَ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ و«أنْ» في موْضِعِ النَّصْـبِ بِإِلْقَائِكَ الخَافضَ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ[٣]: المعْنَى: آمرُكُم أنْ لَا تعْبُدوا، وأنِ اسْتغْفِرُوا[٤].

قالَ مُقاتِلٌ: والمرادُ بهذِه العِبادةِ: التَّوْحيدُ، والخِطابُ لِكفَّارِ مكَّةَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الِاسْتغفَارَ والتَّوبةَ هَاهُنا مِنَ الشِّرْكِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٦].

والثَّـاني: اسْـتغْفِرُوه مِنَ الذُّنُوبِ السَّـالفَةِ، ثُـمَّ تُوبوا إليهِ مِنَ الْمُسـتأنَفةِ متى وقَعـتْ، و[قَـدْ][٧] ذُكر عنِ الفـرَّاءِ أنَّه قالَ: «ثُـمَّ» هاهُنا بمعْنَـى: الواوِ[٨].

---

(١) في (ج): أن.

(٢) وهو الباء والأصل: بألا تعبدوا. معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣).

(٣) في (ج): وقال الحسن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧١).

(٦) المصدر السابق.

(٧) من (ج)، و(ف).

(٨) لم أجده في كتاب معاني القرآن، وما حكي عنه ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٥).

[٣٦٣/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يتفَضَّلُ عليْكُم بالرِّزق والسَّعةِ[١].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُعمِّركُم، وأصْلُ الإمْتاعِ: الإِطَالةُ، يُقال: أمْتعَ اللهُ بِكَ، ومتَّعَ اللهُ بِكَ، إمْتاعًا ومتَاعًا، والشيْءُ الطَّويلُ: مَاتِعٌ، يُقال: جبلٌ ماتِعٌ، وقد مَتَع النَّهارُ: إذا تطاوَلَ[٢].

وفِي المُراد بالأجلِ المْسمَّى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الموْتُ، قالَهُ أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّه يوْمُ القِيامةِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾.

فِي هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ تعَالى.

ثُمَّ فِي معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ مِن حسَنةٍ وخيرٍ ﴿فَضْلَهُۥ﴾ وهوَ[٣] الجنَّةُ.

والثَّاني: يُؤتِيهِ فضْلَه مِنَ الهدَايةِ إلى العمَلِ الصَّالحِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٦) عن ابن عباس في رواية عطاء.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٣) في (ج)، و(ف): وهي.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى العبْدِ، فيكونُ المعْنَى: ويُؤتِ كُلَّ مَن زادَ في إحْسَانِهِ وطَاعاتِهِ[١] ثوَابَ ذلِك الفضْلَ الَّذي زادَهُ، فيُفضِّلُه في الدُّنيا بالمنْزِلةِ الرَّفِيعةِ، وفي الآخرةِ بالثَّوابِ الجزيلِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾؛ أي: تُعْرِضُوا عما أُمرتم بِهِ.

وقرأَ أبو عبْدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو مجلزٍ، وأبو رجَاءٍ: «وإنْ تُوَلُّوا» بضَمِّ التَّاء[٢].

﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾: فيهِ إضْمارُ «فقُلْ»، واليومُ الكَبيرُ: يوْمُ القِيامَةِ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلتْ فِي الأخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ[٣]، وكانَ يُجالِسُ رسُولَ اللهِ

---

(١) في (ج): وفي طاعته.

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣١)، والقراءة الشاذة بضم التاء واللام وفتح الواو مضارع ولّى، والقراءة الأولى مضارع تولّى، وفي تفسير ابن عطية (٥/ ٢٦١): وقرأ اليماني وعيسى البصري: {وإن تولوا} بثلاث ضمات مبنيًّا للمفعول، وقرأ الأعرج: {تولوا} بضم التاء واللام وسكون الواو مضارع أولى. وانظر أيضًا: البحر المحيط (٦/ ١٢١).

(٣) أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي أبو ثعلبة، يعرف بالأخنس، كان حليفًا لبني زهرة، ثم أسلم، فكان من المؤلفة، وشهد حنينًا، ومات في أول خلافة=



-ﷺ- ويَحْلِفُ إنَّه لَيُحِبُّهُ، ويُضمِرُ خلافَ مَا يُظْهِرُ لَهُ، فنزَلَتْ فيهِ هذِه الآيةُ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّاني: أنَّهَا نزَلَتْ فِي نَاسٍ كانُوا يسْتحْيُونَ أنْ يُفضُوا إلى السَّماءِ فِي

=عمر، وذكره في الصحابة أبو موسى عن ابن شاهين وابن فتحون عن الطبري. قال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم. قال ابن حجر: وقد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره، ولا مانع أن يسلم، ثم يرتد، ثم يرجع إلى الإسلام. انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٢٧٩)، وأسد الغابة؛ لابن الأثير (١/ ٤٧)، (١/ ٥٦) وتجريد أسماء الصحابة؛ للذهبي (١/ ٧)، (١/ ٥١)، والإصابة؛ لابن حجر (١/ ٢٣).

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٩)، عن أبي صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وهو من رواية الكلبي المتهم بوضع الحديث، وذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٣٧٣) بدون إسناد. وانظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢٧١)، والبحر المحيط (٦/ ١٢١).

والقول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق فيه نظر من وجوه:

أولًا: عدم ثبوت الرواية بذلك.

ثانيًا: قد صحت الرواية في سبب نزول الآية غير هذا، وهو ما أخرجه البخاري، عن ابن عباس، قال: أناس كانوا يستحبون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

ثالثًا: أنَّ الآية مكِّية، والنِّفاق ظهر في المدينة فكيف تكون الآية نازلة في المنافقين؟!

رابعًا: أنَّ الأخنس في عداد الصحابة كما ذكر ابن حجر في الإصابة (١/ ٢٥) قال: «أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، ثم شهد حنينًا، ومات في أول خلافة عمر... وذكر الذهلي في الزهريات بسند صحيح عن الزهري، عن سعيد بن المسيب أنَّ أبا سفيان وأبا جهل والأخنس اجتمعوا ليلاً يسمعون القرآن سرًّا فذكر القصة: وفيها أنَّ الأخنس أتى أبا سفيان فقال: ما تقول؟ قال: أعرف وأنكر، قال أبو سفيان: فما تقول أنت؟ قال: أراه الحق» وقد عدّه في الصحابة: ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري ا. هـ. انظر: روح المعاني؛ للآلوسي (١١/ ٢١١)، وأضواء البيان (٣/ ١٢).

الخَلاءِ ومجامعَةِ النِّساءِ، فنزَلَتْ فيهِم هذه الآيةُ، رَواه محمَّدُ بْنُ عبَّادٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّالث: أنَّها نزَلَتْ في بعْضِ المنافِقين، كان إذا مرَّ برسُولِ اللهِ -ﷺ- ثنَى صدْرَهُ وظهْرَهُ، (وطَأْطأَ رَأْسَهُ)[٢]، وغطَّى وجْهَهُ؛ كيْلَا[٣] يرَاهُ رسُولُ اللهِ، قالَهُ عبْدُ اللهِ بْنُ شدَّادٍ[٤][٥].

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ (٤٦٨١) (٤٦٨٢)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٥٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في نسخة: لئلاً.

(٤) هو عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي أبو الوليد المدني، ولد على عهد النبي - ﷺ -، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، وكان معدودًا في الفقهاء، قتل سنة (٨١)، وقيل: (٨٣هـ). انظر: التقريب (ص: ٣٠٧) (٣٣٨٢)، والكاشف (١/ ٥٦١).

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، تفسير سورة هود (٥/ ٣٣٧)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن، وابن المنذر، وأبو الشيخ؛ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٧٩)، وسنده صحيح إلى عبد الله بن شداد، لكنه تابعيٌّ فيكون مرسلًا، وقد اختاره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥١- ٣٥٢)؛ حيث قال بعد سياقه: وهذا القول هو الأليق بظاهر اللَّفظ، ولا يحتاج معه إلى إضمار.
قلت: بل الراجح بخلاف ذلك، فإن الهاء في (منه) تعود على اسم (الله) ولم يرد ذكر النبي - ﷺ -، ولذا أخبرهم جل وعلا أنَّ استخفاءهم عن الله جهلٌ منهم، فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، وقد رجَّح هذا القول الطبري (١١/ ١٨٥)، وابن عطية (٧/ ٢٤١)؛ حيث قال: «هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى»، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٨).



والرَّابِـع: أنَّ طائِفَـةً مِـنَ المشركِـينَ قالُـوا: إذَا أغْلَقْنَـا أبوابَنَـا وأرْخَيْنَـا سُـتورَنَا واسْتَغْشَـيْنَا ثِيابَنَـا وثَنَيْنَـا صُدورَنَـا عـلَى عـدَاوةِ مُحمَّـدٍ -ﷺ- كيْـفَ يعْلَـمُ بِنَـا؟ فأَخْـبرَ اللهُ عـمَّا كَتَمُـوا، ذكَـرَهُ الزَّجَّـاجُ[١].

والخامِـس: أنَّهـا نزَلَـتْ في قـوْمٍ كانُـوا لِشـدَّةِ عداوَتِهـم رُسـولَ اللهِ -ﷺ- إذَا سَـمِعُوا منْـهُ القُـرْآنَ حنُـوا صُدورَهُـم، ونكسُـوا رؤُوسَـهُم، وتغشُّـوا ثِيابَهَم؛ لِيبعـدَ عنْهُـم صـوْتُ رسُـولِ اللهِ -ﷺ- ولا يدْخـلَ أسْـماعَهُم شَيْءٌ مِـنَ القُـرآنِ، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـارِيّ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يُقال: ثنَيْتُ الشَّيْءَ: إذَا عطفْتَه وطويْتَهُ.

وفِي معْنى الكلَامِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: يكتمُـونَ مـا فيهَـا مِـنَ العـدَاوةِ لِمُحمَّـدٍ -ﷺ- قالَـهُ أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

[٣٦٤/أ] والثَّانِي: يَثْنُونَ صُدورَهُم على الكُفْرِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالث: يحْنُونَهَا[٣] لئلَّا يسمَعُوا كتابَ اللهِ، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابـع: يَثْنُونَهـا إذا ناجَـى بعْضُهـم بعْضًـا في أمْـرِ رسُـولِ اللهِ -ﷺ- قالَـهُ ابْـنُ زيْـدٍ.

والخامِسُ: يثْنُونَها حياءً مِنَ اللهِ تعالى، وهو يُخرَّج على ما حكيْنَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨- ٣٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٣).

(٣) في (ج): تخفونها.

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: وكان ابْنُ عبَّاسٍ يقرؤُها: «**أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي**[١] **صُدُورُهُمْ**»[٢]، وفسَّرَهَا: أنَّ ناسًا كانُوا يسْتَحْيُونَ أنْ يَفْضُوا إلى السَّمَاءِ فِي الخَلَاءِ ومجامَعَةِ النِّسَاءِ.

فَتَثْنَوْنِي: تَفْعَوْعِلُ، وهو فعْلُ الصُدورِ[٣]، معْنَاه: المبالَغَةُ فِي تثَنِّي الصُّدورِ، كما تقُولُ العرَبُ: احْلَوْلَى الشَّيْءَ، يَحْلَوْلِي: إذا بَالَغُوا في وصْفِهِ بالحَلاوةِ، قال عنْتَرَةُ [من الطويل]:

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا ... وَقَاتَلَ ذِكْرَاكِ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي[٤] لَا تَنَالُهُ ... إِذَا مَا هُوَ احْلَوْلِي أَلَا لَيْتَ ذَا لِيَا[٥][٦]

---

(١) في الأصل: يثنوني، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨١ - ٤٦٨٢) من طريق محمد بن عباد بن جعفر أنَّه سمع ابن عباس يقرأ: (ألا إنهم تَثْنَوْني صدورهم)، قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلَّوا فيفيضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفيضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. وحكى ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٥٠) أن أهل القراءات حكوا عن ابن عباس في هذه الكلمة عدة قراءات. وهي قراءة مجاهد ونصر بن عاصم؛ كما في المحتسب؛ لابن جني (١/ ٣١٧) وقرأ بها غيرهم. انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٣٩)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٠٢).

(٣) في (ج)، (ف)، و(ر): فعلٌ للصدور.

(٤) في (ف): التي.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩٤).

(٦) البيتان لعنترة في ديوانه (٢٢٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٧٤)، والشعراء الستة الجاهليين (ص: ٥٥١)، **والطلول**: الآثار، **والبواليا**: الشاخصة، **واحْلَوْلَى**: كثرت حلاوته.

فعلَى هذَا القوْلِ، هوَ فِي حقِّ المؤْمِنينَ، وعلَى بقيَّةِ الأقْوالِ، هوَ في [حَقِّ] (١) المنافقينَ، وقد خرَجَ من هذِه الأقْوالِ في معْنى ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه(٢) حقِيقةٌ فِي الصُّدورِ.

والثَّانِي: أنَّه كِتمانُ مَا فيهَا.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ فِي هاءِ «مِنْه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى اللهِ تعَالَى.

والثَّانِي: إلى رسُولِ اللهِ ﷺ.

قوْلُه تعالَى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾.

قالَ أبو عُبيدَةَ: العرَبُ تُدخلُ «ألَا» توْكِيدًا وإيجابًا وتَنْبِيهًا(٣). قالَ ابْنُ قُتيبةَ: «يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ»؛ أي: يَتَغَشَّوْنَهَا(٤) ويَسْتَتِرُونَ(٥) بِهَا(٦).

قالَ قتادَةُ: أَخْفَى مَا يكُونُ ابْنُ آدم إذَا حنَى ظهرَهُ، واسْتَغْشَى ثِيابَهُ، وأضْمَرَ همَّهُ فِي نفْسِه(٧)(٨).

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) في (ف): أنها.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

(٤) في (ج)، و(ر): يستغشونها.

(٥) في (ر): ويستهزئون.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٢)، ومن قوله: (قال ابن قتيبة)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٧) في (ج): قلبه.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم=

قالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: أعْلَمَ اللهُ أنَّه يعْلَمُ سَرائِرَهُم كما يعْلَمُ مظهَراتِهِمْ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وقد شرَحْناها[2] في آل عمران [آية: ١١٩].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٦ – ٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قالَ أبو عُبيدَةَ: «مِنْ» مِنْ حُروفِ الزَّوائِدِ[3]. والمعْنَى: وما دابَّةٌ، والدَّابَّةُ: اسْمٌ لِكلِّ حيوَانٍ يدبُّ.

وقوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ قالَ العُلماءُ: فضْلًا مِنْهُ، لَا وُجُوبًا عليْهِ[4]. و«علَى» هاهُنَا بمعْنَى: «مِن»[5]، وقد ذكرْنَا المُستقرَّ والمستودعَ في سورة الأنعام: [آية: ٦٧].

=في تفسيره (١٠٦٦٤)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٨٠).

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٠) عن ابن الأنباري.

(٢) في (ج)، و(ف): شرحناه، وفي (ر): شرحنا.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣١٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٣)، وهذا هو مذهب أهل السنة، وخالفهم المعتزلة فقد أوجبوا على الله فعل الأصلح.

(٥) نسبه ابن حبيب في تفسيره (ص: ١٠٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٤)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٥٣) لبعض أهل المعاني، واستشهد بقول الشاعر:

إذا رَضِيتْ عليَّ بَنُو قُشَيْرٍ *** لَعَمْرُ الله أَعْجَبَنِي رِضَاهَا



قوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: كُلٌّ[1] ذلِـك عنْـدِ اللهِ فِي اللَّـوحِ المحْفُـوظِ، هذَا قـوْلُ المفسِّريـنَ[2].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنى[3]: ذلِك ثابِتٌ فِي عِلْم[4] اللهِ عزَّ وجَلَّ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: عرْشُه: سَريرُهُ، وكانَ المْاءُ إذْ كانَ العرْشُ عليْهِ علَى الرِّيحِ[6].

قالَ قتادَةُ: ذلِك قبْلَ أنْ يخْلُقَ السَّمواتِ والأرْضَ[7].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: لِيختبرَكُمُ الاخْتبارَ الَّـذي يُجازي عليْه، فيُثِيـب المعتـبرَ بمَا يرَى مِـنْ آياتِ السَّـموَاتِ والأرْضِ، ويُعاقِب أهْـلَ العِنادِ.

---

(١) ليست في (ف)، و(ر).

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٤).

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): عند.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩).

(٦) أخرجـه ابـن جريـر في تفسـيره (١٥/ ٢٤٩)، والدارمـي في الـرد عـلى بـشر المريـسي (ص: ٤٤٥)، وابـن أبي عاصـم في السـنة (١/ ٢٥٨)، والحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٣٤١)، والبيهقـي في الأسـماء والصفـات (٢/ ٢٣٧)، رقـم (٨٠٢) بلفـظ: سـئل ابـن عبـاس عـن قـول الله تعـالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ عـلى أي شيء كان المـاء؟ قـال: «عـلى متـن الريـح». كلهـم بإسـنادهم عـن سـفيان عـن الأعمـش بنحـوه. قـال الحاكـم: هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط الشـيخين ولم يخرجـاه.

(٧) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١١٨٢) عـن معمر بـه، والطبري في تفسـيره (١٥/ ٢٤٦)، وابـن أبي حاتم في تفسـيره (١٠٦٩٩).

قوْله تعَالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أيُّكم أحْسنُ عقْلًا، وأوْرَعُ[١] عَنْ محارِمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأسْرَعُ في [٣٦٤/ب] طاعةِ اللهِ تعَالى، رَواه ابْنُ عُمرَ عنْ رسُول اللهِ ﷺ[٢].

والثَّاني: [أيُّكم أعْملُ بطاعَةِ اللهِ تعَالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ][٣]: أيُّكم أتَمُّ عقْلًا، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: أيُّكم أزْهَدُ فِي الدُّنْيا، قالَهُ الحسَنُ وسُفيانُ.

قوْله تعَالَى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: السِّحرُ بَاطِلٌ عنْدَهُم، فكأنَّهُم قالُوا: إنَّ هذَا إلَّا باطِلٌ بيِّنٌ، فأعْلَمَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ القُدرةَ على خلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ تدُلُّ علَى بعْثِ[٤] الموْتَى[٥].

---

(١) في (ف): وأدرع، وفي (ر): وأزود.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٠) عن داود بن المحبر، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٠٥)، والثعلبي (٩/ ٣٥٥) من طريق داود، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، عن النبي - ﷺ -، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث؛ للهيثمي (٢/ ٨١٠)، والمطالب العالية؛ لابن حجر (٣/ ١٧ - ١٨)، وقد قال الحافظ ابن حجر بعد أحاديث كثيرة في باب العقل: هذه الأحاديث من «كتاب العقل» لداود ابن المحبر، وكلها موضوعة ذكرها الحارث في «مسنده» عنه.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٤) في (ج): خلق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠).

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود: ٨].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: هؤلاءِ كُفَّارُ مكَّةَ. والمرَادُ بالأُمَّةِ المعْدُودةِ: الأجَلُ المعْلُومُ، والمعْنَى: إلى مجِيءِ أُمَّةٍ وانْقِراضِ أُخْرى قبْلَها(١). ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ وإنَّما قالُوا ذلك تكذيبًا واسْتِهزاءً.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾.

وقالَ بعْضُهم: لا يُصرف عنْهُمُ العذَابُ(٢) إذَا أتَاهُم(٣). وقالَ آخَرُون: إذا أخذَتْهم سُيوفُ رسُولِ الله ﷺ لمْ تُغمد عنْهُم حتَّى يُبادَ أهْلُ الكُفْرِ وتعْلُوا كلِمَةُ الإخْلاصِ(٤).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: نزَلَ بهم وأصابَهُم(٥).

وَفِي قوْلِه تعَالَى: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه الرَّسُولُ والكِتابُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، فيكونُ المعْنَى: حَاقَ بِهِم جزاءُ اسْتِهْزَائِهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٣٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري (٦/ ٤٧٤) أمم، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٥٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: تنوير المقباس (ص: ١٨٢)، والتبيان في إعراب القرآن؛ لأبي البقاء (٢/ ٦٩٠).

(٤) ذكره الواحدي عن أبي بكر ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٨).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

والثَّـانِي: أَنَّـه العـذَابُ، كانُـوا يسْـتَهزِئونَ بقوْلِهـم: ﴿ يَحۡبِسُهُۥٓ ﴾ وهـذَا قـوْلُ مُقاتِـلٍ[1].

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ ﴾ [هـود: ٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى ثلَاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي الوليدِ بْنِ المغِيرةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: فِي عبْدِ اللهِ بْنِ أبي أُميَّةَ المخزوميِّ، ذكرَهُ الوَاحِديُّ[2].

والثَّالـث: أنَّ الإنْسـانَ هَاهُنـا اسْـمُ جِنْـسٍ، **والمعْنَـى:** ولئِـنْ أذَقْنَـا النَّـاسَ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[3]. والمـرَادُ بالرَّحـمَـةِ: النِّعمَـةُ، مِـنَ العافيـةِ، والمـالِ، والوَلَـدِ.

واليَؤوسُ: القنُوط، قالَ أبو عُبيدةَ: هو فَعُولٌ؛ مِن يَئِسْتُ[4].

قـالَ مُقاتِـلٌ: إنـه لَيـؤُوسٌ عنْـدَ الشِّـدَّةِ مِـنَ الخيرِ، كفُـورٌ للهِ عـزَّ وجـلَّ في نعمِـهِ في الرَّخَـاءِ[5].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣).

(٢) التفسير البسيط (١١/ ٣٥٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨٦).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣).

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود: ١٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: صِحَّةً وسِعةً فِي الرِّزْقِ ﴿ بَعْدَ ضَرَّاءَ ﴾: بعْدَ مرَضٍ وفقْرٍ[١]. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ يُريدُ: الضُّرَّ والفقرَ. ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾؛ أي: بطِرٌ ﴿فَخُورٌ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُفاخِرُ أوْلِيائِي بِما أوْسعْتُ علَيْهِ[٢].

فإنْ قِيلَ: ما وجْهُ عيْبِ الإنْسانِ فِي قوْلِه: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ وما وجْهُ ذمِّهِ علَى[٣] الفرَحِ، وقدْ وصَفَ اللهُ تعَالَى الشُّهداءَ فقالَ: ﴿ فَرِحِينَ ﴾؟.

فقدْ أجَابَ عنْهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٤]، فقَال: إنَّما عَابَهُ بقوْلِه: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾؛ لأنَّه لم[٥] يعترِفْ بنعْمَةِ اللهِ، ولم يحْمَدْهُ على ما صَرفَ عنْهُ، وإنَّما ذمَّهُ بهذا الفرَحِ؛ لأنَّه يرجِعُ إلى معْنى المرَحِ والتَّكبُّرِ على عبادةِ[٦] اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

وَلَا يُنْسِينِيَ الْحَدَثَانُ عِرْضِي ... وَلَا أُلْقِي مِنَ الْفَرَحِ الْإِزَارَا[٧]

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٥٩)

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٦٠).

(٣) في (ج)، و(ف): في.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في(ج): عن عبادة، وفي (ف): عن طاعة.

(٧) البيت لابن الأحمر في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ١١١)، والأضداد؛ لابن الأنباري=

يعْنِي مِنَ المرَحِ. وفرحُ الشُّهدَاءِ فرَحٌ لا كِبْرَ فيهِ ولَا خُيلاءَ، بل هوَ [٣٦٥/أ] مقْرونٌ بالشُّكرِ فهوَ مُستحسَنٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود: ١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: هذَا الاسْتِثناءُ مِنَ الإنْسانِ[1]؛ لأنَّه في معْنَى النَّاسِ؛ كقوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [2] [العصر: ٢ - ٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ[3]: هذَا اسْتِثْناءٌ ليْسَ مِنَ الأوَّلِ، والمعْنَى: لكنِ الَّذِين صَبرُوا[4].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الوصْفُ الأوَّلُ للكَافِرِ[5]، والَّذِين صَبرُوا أصْحَابُ مُحمَّدٍ ﷺ[6].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢﴾ [هود: ١٢].

=(ص: ١٩٨)، والتفسير البسيط (١٧/ ٤٥٥)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٢٣٨)، وأنشده المبرد في الكامل (١/ ٥٩)، ولم ينسبه، وفيه: ولا أرخي من المرح.

(١) في (ج): الإيمان.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

(٤) في (ج): آمنوا.

(٥) في (ج): للكافرين.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٢٠) عن زيد بن أسلم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾.

سببُ نُزولِهَا: أنَّ كُفَّارَ قُريشٍ، قالُوا للنَّبيِّ -ﷺ-: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾[يونس: ١٥] فهَمَّ النَّبيُّ -ﷺ- أنْ لا يُسمِعَهُم[١] عيْبَ آلهتِهِم؛ رجاءَ أنْ يتَّبِعُوه، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

وفِي معْنَى الآيَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فلعلَّك تَارِكٌ تبْلِيغَ بعْضِ مَا يُوحى إليْكَ مِن أمْرِ الآلهةِ، وضَائِقٌ بِما كُلِّفتَهُ مِن ذلِك صدرَكَ؛ خشْيةَ أنْ يقُولوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾.

والثَّاني: فلعلَّك لِعظِيمِ مَا يرِدُ علَى قلْبِك مِن تخْليطِهِم تتوهَّمُ أنَّهم يُزيلونَك عنْ بعْضِ ما أنْت عليه مِن أمْرِ ربِّك. فأمَّا الضَّائِقُ، فهوَ بمعْنَى: الضَّيِّقِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنَى ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾: كَراهِيَةَ[٣] أنْ يقُولُوا، وإنَّما عليْكَ أنْ تُنذِرَهُم بِما[٤] يُوحى إليْكَ، وليْسَ عليْكَ أنْ تأتِيَهُم باقْتراحِهِمْ مِنَ الآياتِ[٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الحافِظُ.

---

(١) في (ج): يسميهم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣)، وذكره الواحدي في الوجيز (١/ ٥١٤) بدون إسنادٍ.

(٣) في (ف): كراهة.

(٤) في (ج): ما.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

والثَّاني: الشَّهِيدُ، وقد ذكرْناهُ في آل عمران [آية: ١٧٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

قوْلُه تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ «أَمْ» بمعْنَى: «بَلْ»، و«افْتَراهُ»: أتَى بهِ مِن [قِبَلِ][1] نفْسِه. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾ أنْتُم في مُعارَضتي ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغةِ ﴿مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ بزعْمِكُم ودَعْواكُم ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعَاونةِ علَى المعَارَضةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في قوْلِكُم: «افْتَراه».

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾؛ أي: يُجِيبوكُم إلى المعَارَضةِ؛ فقد قامَتِ الحُجَّةُ عليْهِم لَكُم.

فإنْ قِيل: كيْفَ وحَّدَ القوْلَ في قوْلِه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾، ثُمَّ جمَعَ في قوْلِه «فإنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» فعَنْهُ جَوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّ الخِطابَ للنَّبِيِّ -ﷺ- وحْدَهُ في الموضِعَيْنِ، فيكونُ الخِطابُ له بقوْلِه «لَكُم» تعْظِيمًا؛ لأنَّ خِطابَ الواحِدِ بلفْظِ الجميعِ[2] تعظِيمٌ، هذَا قوْلُ المفسِّرينَ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من المطبوع.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(ر): الجمع.

والثَّانِي: أنَّه وحَّدَ فِي الأوَّل لِخطَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- وجمَعَ فِي الثَّانِي لِمُخاطبَةِ النَّبِيِّ -ﷺ- وأصْحابِهِ، قالَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْزلَهُ وهوَ عالِمٌ بإنْزالِه، وعالمٌ أنَّه[2] حقٌّ مِن عنْدِه.

والثَّانِي: أنزلَهُ بما أخْبرَ فيهِ مِنَ الغَيْبِ، ودلَّ علَى ما سيَكُون وما سلَفَ، ذكرَهُما الزَّجَّاجُ[3].

[٣٦٥/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: واعْلَمُوا ذلِكَ ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ اسْتِفْهامٌ بمعْنَى الأمْرِ.

وفيمَن خُوطبَ بِهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أهْلُ مكَّةَ، ومعْنَى إسْلامِهِم: إخْلَاصُهُم للهِ العبادَةَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّهم أصْحَابُ رسُولِ اللهِ -ﷺ- قالَهُ مُجاهِدٌ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٢٧)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٦٥).

(٢) في (ف): بأنَّه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى أرْبعَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها عامَّةٌ في جميعِ الخلْقِ، وهوَ قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّها في أهْلِ القِبْلَةِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّها فِي اليهودِ والنَّصارَى، قالَه أنَسٌ.

والرَّابع: أنَّها فِي أهْلِ الرِّياءِ، قالَه مُجاهِدٌ.

ورَوى عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: مَن كانَ يُريد عاجِلَ الدُّنْيا فلَا[1] يُؤمنُ بالبعْثِ والجزَاءِ[2]. وقالَ غيْرُه: إنَّما هِيَ في الكَافِرِ؛ لأنَّ المؤمِنَ يُريدُ الدُّنْيا والآخِرَةَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أُجورَ أعْمَالِهم ﴿فِيهَا﴾ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: أُعطوا ثوابَ مَا عمِلُوا مِن خيْرٍ في الدُّنْيا[3].

وقالَ مُجاهِدٌ: مَنْ عمِلَ عملًا مِنْ صِلةٍ، أو صدَقةٍ، لا يُريد بهِ وجْهَ اللهِ؛ أعْطاهُ اللهُ تعَالى فِي الدُّنْيا ثوَابَ ذلِك[4]، ويدْرَأُ بهِ عنْهُ في الدُّنْيا[5].

---

(١) في (ج)، و(ف): ولا.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٣٧).

(٤) في (ف): ثواب ذلك في الدنيا.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٦٤).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ قَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: أي: فِي الدُّنيـا. ﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾؛ [أي][1]: لا يُنْقَصـونَ مِـن أعمالِهـم فِي الدُّنيـا شـيئًا. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾ عمِلُـوا لغَـيْرِ اللهِ ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ ﴾؛ أي: مـا عمِلُـوا في الدُّنْيـا مِـن حسـنَةٍ ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ ﴾ لغَـيْرِ اللهِ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾.

فَصْلٌ

وذكَـرَ قـوْمٌ مِـنَ المفسِّريـن، منْهُـم مُقاتِـلٌ[2]، أنَّ هـذه الآيـةَ اقْتَضـتْ أنَّ مَـن أرادَ الدُّنْيَـا بعمَلِـهِ؛ أُعْطِـي فيهَـا ثـوَابَ عمَلِـه مِـنَ الـرِّزقِ والخـيْرِ، ثُـمَّ نُسِـخ ذلِـكَ بقوْلِـه: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] وهــذَا لا يصِـحُّ؛ لأنَّـه لَا يُـوفِّي إلَّا لِمَـنْ يُريـد.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هـود: ١٧ - ١٨].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾.

فِي المُرَادِ بالبيِّنَةِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٥).

أحدُها: أنَّها[١] الدِّينُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّها رَسُولُ اللهِ -ﷺ- قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: القُرآنُ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

والرَّابعُ: البَيانُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

وفِي الْمُشارِ إليْهِ بـ«مَنْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رسُولُ الله -ﷺ- قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّهمُ المسْلِمُونَ، وهو يُخرَّج علَى قوْلِ الضَّحَّاكِ.

وفِي قوْلِه تعَالَى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: يتَّبِعُه.

والثَّانِي: يقْرَؤُه.

وفِي هاءِ «يتْلُوهُ» قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّها ترْجِعُ إلى النَّبِيِّ ﷺ.

والثَّـاني: إلى القُـرْآنِ، وقـد سـبَق ذكْـرُه في قوْلِـه: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هـود: ١٣].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٤٦) ثم أوضح مقاتل أن هذا البيان: هو النبي ﷺ، فرجع إلى القول الثاني.



وفي المرادِ بالشَّاهدِ ثمانيةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه جبْرِيلُ عليه السَّلام، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وإبْرَاهِيمُ في آخرِينَ.

والثَّانِي: أنَّه لِسانُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- الَّذِي كانَ يتْلُو القرآنَ، قالَهُ عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، والحسَنُ، وقتادَةُ في آخَرِينَ. [٣٦٦/أ]

والثَّالث: أنَّه عليُّ بْنُ أبي طَالبٍ.

و«يتْلُوه» بمعْنَى: يتَّبِعُه، رَواه جَماعَةٌ عنْ عليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ، وبهِ قالَ مُحمَّدُ بْنُ عليٍّ، وزَيْدُ بْنُ عليٍّ.

والرَّابع: أنَّه رَسُولُ اللهِ -ﷺ- هو شَاهِدٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَهُ الحُسينُ بْنُ عليٍّ عليه السَّلام.

والخامس: أنَّه ملَكٌ يحفْظُه ويُسدِّدُه، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والسَّادس: أنَّه الإنْجِيلُ يتْلُو القرآنَ بالتَّصْديقِ، وإنْ كانَ قدْ أُنزل قبْلَه؛ لأنَّ النَّبيَّ -ﷺ- بشَّرَتْ بهِ التَّوراةُ، قالَهُ الفرَّاءُ[1].

والسَّابع: أنَّه (القُرآنُ و)[2] نظْمُه وإعْجَازُه، قالَهُ الحُسيْنُ بْنُ الفضْلِ.

والثَّامن: أنَّه صُورةُ رسُولِ اللهِ -ﷺ- ووجْهُه ومخايلُه؛ لأنَّ كُلَّ عاقِلٍ نَظرَ إليْهِ علِمَ أنَّه رسُولُ اللهِ ﷺ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦).

(٢) ليس في (ج).

وفِي هاءِ ﴿مِّنْهُ﴾ **ثلاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

والثَّاني: إلى النَّبيِّ ﷺ.

والثَّالث: إلى البيِّنَة.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ **فِي هذِه الهاءِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى النَّبي -ﷺ- قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: إلى القُرآنِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: إلى الإنْجِيل؛ أي: ومِن قبْلِ الإنْجِيلِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يتبعُ مُحمَّدًا ﷺ بالتَّصْديقِ له، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: وكانَ مِن قبْلِ هذَا كِتابُ مُوسى دليلًا علَى أمْرِ النَّبي -ﷺ- فيَكُون «كتاب مُوسى» عطْفًا على قوْلِه تعَالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: ويتْلُوه كتابُ مُوسى؛ لأنَّ مُوسى وعيسى بشَّرَا بالنَّبيِّ -ﷺ- في التَّوْراةِ والإنْجِيلِ.

ونصبَ «إمَامًا» علَى الحَالِ[٢].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ تتْلُوه التَّوراةُ، وهِي قبْلَهُ.

قيل: لما بشَّرتْ بِه، كانَتْ كأنَّها تالِيةً له؛ لأنَّها تبِعتْهُ بالتَّصْديقِ لَهُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

وقَـال ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ مفعـول في المعْنَـى؛ لأنَّ جبريـلَ عليـه السَّـلام تـلَاهُ عـلَى موسَـى، فارْتفَـعَ {الكتَـاب} وهـو مفعـولٌ بمُضْمـرٍ بعْـدَه، تأويلُـه: ومـن قبلـه كِتـابُ موسـى كـذاكَ[1]. ؛ أي: تـلَاه جِبريـلُ أيضًـا، كـما تقُـولُ العـرَبُ: أكرمْـتُ أخَـاكَ وأبُـوكَ، فيرفعُـونَ الأبَ وهـو مكـرمٌ عـلى الإِسْـتِئْنافِ، بمعْنَـى: وأبـوكَ مكـرمٌ أيْضًـا[2].

قـالَ: وذهَـب قـوْمٌ إلى أنَّ[3] ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فاعِـلٌ؛ لأنَّـه تـلَا مُحمَّـدًا ﷺ بالتَّصديـقِ كـما تـلَاهُ الإنْجِيـلُ.

فَصْلٌ

فتلخيص الآية: أفمَنْ كانَ علَى بيِّنَةٍ مِنْ ربِّه كمَنْ لم يَكُنْ؟.

قـالَ الزَّجَّـاجُ[4]: تـرْكَ المضَـادَّ لـه؛ لأنَّ في مـا بعْـدَه دليـلًا عليْـهِ، وهـو قوْلُـه: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [هـود: ٢٤].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لَمَّـا ذكَـرَ قبْـلَ هـذِه الآيَـةِ قوْمًـا ركنُـوا إلى الدُّنْيـا؛ جـاءَ بهـذِه الآيَـةِ، وتقْدِيـرُ الـكلَامِ: أفمَـنْ كانَـتْ[5] هـذِه حالُـه كمَـنْ يُريـد الدُّنْيـا؟ فاكْتَفَـى مِـنَ الجـوَابِ بـما تقـدَّم؛ إذْ كانَ فيـهِ دلِيـلٌ عليْـهِ[6]. [٣٦٦/ ب]

(١) في (ج)، و(ف): كذلك.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ١٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣).

(٥) في (ج): كان.

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٧).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبَـاريِّ[١]: إنَّـما حُـذفَ لانْكشَـافِ المعْنَـى، والمحـذُوفُ المقـدَّرُ كثِـيرٌ فِي القُـرآنِ والشِّـعْرِ، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الطويـل]:

فَأُقْسِـمُ لَـوْ شَـيْءٌ أَتَانَـا رَسُـولُهُ سِوَاكِ وَلَكِـنْ لَمْ نَجِـدْ لَـكِ مَدْفَعَـا[٢]

فـإنْ قُلْنَـا: إنَّ المـرَادَ بمَـن كانَ علَى بيِّنَـةٍ مِـن ربِّـه: رسُـولُ اللهِ ﷺ؛ **فمعْنَى الآيـةِ**: ويتبـعُ هـذَا النَّبِـيَّ شَـاهِدٌ، وهـوَ جِبريـلُ عليـه السَّـلام. «منـه»؛ أي: مِـنَ اللهِ.

وقيل: «شاهد» هو عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وقِيـلَ: «يتْلُـوه» **يعْنِـي**: القُـرآنَ، يتْلُـوه جِبريـلُ، وهـوَ شَـاهِدٌ لمُحمَّـدٍ -ﷺ- أنَّ الَّـذي يتْلُـوه[٣] جـاءَ مِـن عنْـدِ اللهِ تعَـالى.

وقِيل: ويتْلُو رسولُ اللهِ -ﷺ- القرآنَ وهوَ شَاهِدٌ مِنَ اللهِ.

وقيل: ويتْلو لسانُ رسُولِ الله -ﷺ- القرآنَ، فلِسَانُه[٤] شاهِدٌ منْهُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٤- ٣٧٥) ونسبه لأكثر أهل العلم. ونسبه النحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٩٦) إلى أكثر أهل اللغة، وهو اختيار السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٩٣)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ١١٢).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١١٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٦٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٨)، وبلا نسبة في شرح المفصل (٩/ ٧، ٩٤)، وكتاب الصناعتين (ص: ١٨٢)، وخزانة الأدب (٤/ ١٤٤)، (١٠/ ١١٧).

(٣) في (ج)، و(ر): يتلوا.

(٤) في (ر): فلأنه.



وقيل: ويتبعُ مُحَمَّدًا شاهِدٌ له بالتَّصديقِ وهو الإنْجِيلُ مِنَ الله تعَالى.

وقيل: ويتَّبعُ هذا النَّبيَّ شاهِدٌ مِن نفْسِه، وهو سمْتُه وهدْيهُ الدَّالُّ علَى صدْقِه.

وإنْ قُلْنَا: إنَّ المرادَ بمَنْ كانَ على بيِّنَةٍ مِن ربِّه المسلِمُونَ، فالمعْنَى: أنَّهم يتَّبِعُونَ رسُولَ اللهِ -ﷺ- وهوَ البيِّنَةُ، ويتبع هذَا النَّبيَّ شاهِدٌ له بصدْقِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إنَّما سمَّاه إمامًا؛ لأنَّه كان يُهتدى بهِ، «ورحمة»؛ أي: وذَا رحْمةٍ، وأراد بذلِك: التَّوراةَ؛ لأنَّها كانت إمَامًا وسببًا لِرحمةِ مَن آمَنَ بِها.

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه[1] إشارَةٌ إلى أصْحَابِ مُوسى.

والثَّاني: إلى أصْحَابِ محُمَّدٍ ﷺ.

والثَّالث: إلى[2] أهْلِ الحَقِّ مِن أُمَّةِ مُوسى وعيسى ومُحَمَّدٍ صلى الله عليهم.

وفي هاءِ ﴿بِهِۦ﴾ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى التَّوراةِ.

والثَّاني إلى القُرْآنِ.

والثَّالِثُ: إلى مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(١) في (ف): أنها.

(٢) في (ج): أنها.

وفي المَرَادِ بالأحْزَابِ هاهُنا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها[١]: جميعُ المِلَلِ[٢]، قالَهُ سعيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: اليهُودُ والنَّصارى، قالَه قتادَةُ[٣].

والثَّالثُ: قُريشٌ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والرَّابع: بنو أُميَّةَ، وبنُو المغِيرَةِ بْنِ عبْدِ الله المخزومِيُّ، وآلُ أبي طلحَةَ بْنِ عبدِ العُزَّي، قالَهُ مُقاتِلٌ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]؛ أي: إليْهَا مصيرُهُ، قالَ حسَّانُ بْنُ ثابتٍ [من البسيط]:

أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتُ لَاقِيهَا[٥]

---

(١) في (ج): أحدها أنه.

(٢) في (ج)، و(ف): الملك.

(٣) صحح هذا القول الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٦)، قال: يدلُّ على صحة هذا ما روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النبي - ﷺ - قال: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار».

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٦)، وفي (ج): مقاتل بن حيَّان.

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٢٥٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١٣٢)، والروض الأنف (٦/ ١٠١)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٦٨)، وفيهم: والقتل لاقيها، بدل: والموت لاقيها. **الحِيَاض**: جمع حَوْض. **والضاحية**: البارزة للشمس.



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ قـرأ الحسَـنُ، وقتـادةُ: {مُرْيَـةٍ} بضَـمِّ الميـمِ أيـنَ[1] وقَـعَ[2].

وفِي المكْنِي عنْهُ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه الإخبَـارُ بمَصِـيرِ الكافـرِ بـهِ، فالمعْنَـى: فـلَا تـكُ فِي شـكٍّ أنَّ موعِـدَ المكـذِّبِ بـهِ النَّـارُ، وهـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّـه القُـرآنُ، فالمعْنـى: فـلا تـكُ فِي شَـكٍّ مِـن أنَّ القُـرآنَ مِـنَ اللهِ تعَـالى، قالَـهُ مُقاتِـلٌ[3]. قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: والمـرَادُ بالنَّـاسِ هَاهُنـا: أهْـلُ مكَّـةَ[4]. [٣٦٧/أ]

قَوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ذكْـرُ عرْضِهِـم توْكِيـدًا لحِالِهـم فِي[5] الإنْتِقَـامِ منْهُـم، وإنْ كانَ غيْرُهـم يُعـرَضُ أيْضًـا[6].

فأمَّا ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ففِيهم خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم الرُّسُلُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج): حين.

(٢) قـراءة شـاذة، انظـر: الشـواذ؛ للكرمـاني (ص: ٢٢٣)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٣/ ٧٤)، والبحـر المحيـط (٦/ ١٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٦).

(٤) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٢/ ٥٨٦).

(٥) ليست في (ر).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

والثَّاني: الملائِكةُ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّالث: الخلَائِقُ، رُوي عنْ قَتادةَ أيْضًا.

وقالَ مُقاتِلٌ: ﴿ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾: النَّاسُ كما يُقالُ: علَى رُؤوسِ الأشْهادِ؛ أي: علَى رُؤوسِ النَّاسِ(١).

والرَّابع: الملائِكةُ والنَّبِيُّون وأُمَّةُ مُحمَّدٍ -ﷺ- يشْهدُون علَى النَّاسِ، والجوارِحُ تشْهَدُ على ابْنِ آدمَ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والخامس: الأنبياءُ والمؤمنون، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وفائِدَةُ إخْبارِ الأشْهَادِ بما يعلمُه اللهُ: تعْظِيمٌ بالأمْرِ(٣) المشْهُودِ عليهِ، ودفعُ المجاحَدةِ فيهِ(٤).

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝١٩﴾ [هود: ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد تقَدَّم تفْسِيرُها فِي الأعراف [آية: ٤٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

(٣) في (ج)، و(ف)، و(ر): تعظيم الأمر.

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في البسيط (١١/ ٣٧٩).

قالَ الزَّجَّاجُ: ذكِرَتْ ﴿هُمْ﴾ ثانيةً على جهةِ التَّوْكيدِ لِشأْنِهم في الكُفْرِ[١].

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [هود: ٢٠ - ٢١].

قوْلُه تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يُعْجِزُوني أنْ آمُرَ الأرْضَ فتُخسفَ بِهم[٢]. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: لا وليَّ لهم ممَّن يعبُدونَ يمنعُهُم منِّي.

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: لَمَّا كانتْ عادةُ العربِ جاريَةً بقوْلِهم: لا وزَرَ لك منِّي ولا نَفَق، يعْنُونَ بالوزَرِ: الجبَلُ، والنَّفَق: السرَب، وكلاهما يَلْجَأُ إليه الخائِفُ، أعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ هؤلاء الكافرين لا يسبِقُونه هربًا، ولا يجِدون ما يحجز بيْنَهُم وبين عذابِه مِن جميع ما يُستر في[٣] الأرض ويُلجأ إليه. قال: وقوْلُه: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يقتضي محذوفًا، **تلْخِيصُه**: مِن أوْلِياءَ يمْنعُونَهم مِن عذابِ اللهِ، فحُذِف هذا لِشهرَتِه.

قوْلُه تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ يعْنِي: الرُّؤساءَ الصَّادِّينَ عن سَبيلِ اللهِ، وذلِكَ لِإضْلالِهم أتْباعَهُم واقْتداءِ غيْرِهم بِهم.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: في دارِ الدُّنْيا،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥).

(٢) ذكر قول ابن عبَّاس الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨١).

(٣) في نسخة: من

ولَا لهُـم وَلِيٌّ يمْنَـعُ مِـنِ انْتقَـامِ اللهِ[١]، ثُـمَّ اسْـتأنَفَ: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾؛ لِعظَـمِ كُفْرِهِـم بنَبِيِّـه وبالبعْـثِ والنُّشُـورِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾.

فيمَن عُني بهٰذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم الكُفَّارُ.

ثُمَّ فِي معْنَاه ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم لمْ يقْـدِرُوا عـلَى اسْـتِماعِ الخـيْرِ، وإبْصَـارِ الحـقِّ، وفعْـلِ الطَّاعـةِ؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى حـالَ بيْنَهُـم وبـيْنَ ذلِـك، هـذا معْنَـى قـوْلِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٢]، ومُقاتِـلٍ[٣].

والثَّـاني: أنَّ المعْنَـى: يُضاعَـفُ لهُـمُ العـذَابُ بـما كانُـوا يسْتطِيعُونَ السَّـمعَ ولا يسـمعُونَهُ، وبـما كانُـوا يُبـصِرُونَ حُجـجَ اللهِ تعَـالى ولا يَعْتَـبِرُون بِهَـا، فحـذفَ البـاءَ، كـما تقُـول العـرَبُ: لَأَجْزِيَنَّـكَ مَـا عَمِلْـتَ، وَبِـمَا عَمِلْـتَ، ذكـرَهُ [٣٦٧/ب] الفـرَّاءُ[٤]، وأنْشـدَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ فِي الاحتجَـاجِ لَـهُ[٥] [مِـن الوافـر]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥) بنحوه.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٢٨٦)، البغـوي (٤/ ١٦٩)، ونصـه: «أخـبر الله سـبحانه أنَّـه حـال بـين أهـل الـشرك وبـين طاعتـه في الدنيـا والآخـرة... إلـخ».

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٧).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٨).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٣).



نُغَالِي اللَّحْمَ لِلأَضْيَافِ نِيئًا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ[١]

أَرَاد: نُغالي باللَّحمِ.

والثَّالث: أنَّهم مِن شدَّةِ كُفْرِهم وعداوتِهم للنَّبيِّ -ﷺ- ما كانُوا يسْتطِيعُون أنْ يتفهمُوا ما يقُولُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

والقولُ الثَّاني: أنَّهمُ الأَصْنامُ، فالمعْنَى: ما كانَ لِلآلِهةِ سمْعٌ ولَا بصَرٌ، فلم تَستطِعْ لِذلِكَ السَّمْعَ، ولم تَكُنْ[٣] تُبصِرُ.

فعلَى هذَا يرجِعُ قوْلُه: ﴿مَا كَانُوا﴾ إِلَى أوْليائِهم، وهيَ الأَصْنَامُ، وهذَا المعْنَى منْقولٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾ [هود: ٢٢ - ٢٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: حقًّا إنَّهُمُ الأَخْسرُونَ[٤].

---

(١) البيت لرجل من قيس، في جمهرة اللغة (ص: ١٣١٧)، أساس البلاغة (ص: ١٧١) (غلو)، وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ٣٢٩٠)، انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥).

(٣) في (ج): يكن، وليست في (ف).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٤).

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلِمةٌ كانَتْ فِي الأصْلِ بمَنْزِلَةِ لَا بُدَّ وَلَا محالَةَ، فجرَتْ علَى ذلِكَ، وكثُرَ استعْمالُهُم إيَّاهَا، حتَّى صارَتْ بمنْزِلَةِ {حَقًّا} ألَا تَرَى أنَّ العرَبَ تقُولُ: لَا جَرَم لَآتِينَّكَ، لا جرَمَ لقَدْ أحسنْتَ، وأصْلُها مِن جَرَمْت؛ أي: كسَبْت الذَّنْبَ(١).

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنَى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لَا نفيَ لِما ظَنُّوا أنَّه ينفعُهُم، كأنَّ المعْنَى: لا ينْفعُهُم ذلِك جرَمَ أنَّهُم فِي الآخِرةِ هُمُ الأَخْسرُونَ؛ أي: كَسبَ لهُم ذلِك الفعْلُ الخُسرانَ(٢).

وذكَرَ ابْنُ الأنْبارِيّ أنَّ ﴿لَا﴾ رَدٌّ علَى أهْلِ الكُفْر فيما قدَّرُوه مِنِ انْدِفاعِ الشَّرِّ عنْهُم فِي الآخِرةِ(٣).

والمعْنَى: لَا ينْدَفِعُ عنْهُم عذَابِي، ولا يجِدُونَ وليًّا يصْرِفُ عنْهُم نِقْمَتِي، ثُمَّ ابْتدَأَ مُستأنفًا «جَرَمَ» قالَ(٤): **وفِيهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: كسَبَ كفرُهُم ومَا قدَّرُوا مِنَ البَاطِلِ وُقُوعَ العذَابِ بِهِم. فـ«جَرَمَ»: فعلٌ ماضٍ، معْنَاه: كسَبَ، وفاعِلُه مُضمرٌ فيهِ(٥) مِن ذكْرِ الكُفرِ وتقْريرِ الباطِلِ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨- ٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٦).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٧٣)، وانظر: التفسير البسيط (١١/ ٣٨٦).

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) في (ف): فعنه.

والثَّاني: أنَّ معْنَى جَرَمَ: أَحقَّ وصحَّحَ، وهوَ فعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُضمرٌ فيهِ، والمعْنَى: أحقَّ كفرُهُم وقُوعَ العذَابِ والخسْران بِهم، قالَ الشَّاعِرُ [من الكامل]:

وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[1]

أرَاد: حقَّتِ الطَّعنَةُ فَزَارةَ بالغَضَبِ، ومِنَ العَرَبِ مَنْ يُغيِّرُ[2] لفْظَ «جَرَمَ» معَ «لَا» خاصَّةً، فيقُول بعْضُهم: «لاَ جُرْمَ»، ويقُولُ آخَرُونَ: «لاَ جَرْ» بإِسْقاطِ المِيمِ، ويُقالُ: «لَا ذَا جَرَمَ»، و«لَا ذَا جَرْ» بغَيْرِ مِيمٍ، وَ«لَا أَنْ ذَا جَرَمَ»، و«لَا عَنْ ذَا جَرَمَ» ومعْنَى اللُّغَاتِ كلِّهَا: حقًّا[3].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيهِ سبْعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خَافُوا ربَّهم، رَواه ابْنُ أبي طلحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

والثَّاني: أَنَابُوا إلى ربِّهِم، رَواه العوْفِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5].

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضريبة الفزاري في الكتاب (٣/ ١٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٤٧)، والمقتضب (٢/ ٣٥١)، مشكل القرآن (ص: ٤١٨)، والفاخر (ص: ٢٠٠).

(٢) في (ف): يعتبر.

(٣) انظر هذه اللغات في تهذيب اللغة (١١/ ٤٧) عن الكسائي.، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٦٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٩٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشيخ.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس، قال: الإخبات: الإنابة.

والثَّالث: ثَابُوا إِلَى رَبِّهِم، قالَهُ قتادَةُ[١].

والرَّابع: اطْمَأَنُّوا، قالَهُ مُجاهِدٌ[٢].

والخامِس: أخْلَصُوا، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

والسَّادس: تخشَّعُوا لِربِّهِم، قالَهُ الفرَّاءُ[٤].

والسَّابع: تَوَاضَعُوا لِربِّهِم، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٥].

فإنْ قِيلَ: لِمَ أُوثِرَتْ «إِلَى» على اللَّام في قوْلِه: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ والعَادةُ جارِيةٌ بأنْ يُقالَ: أَخْبَتُوا لِربِّهم؟. [٣٦٨/أ]

فالجوَابُ: أنَّ المعْنَى: وجَّهُوا خَوْفَهُم وخُشوعَهُم وإخْلاصَهُم إلى ربِّهِم، واطْمَأَنُّوا إلى ربِّهم.

قالَ الفرَّاءُ: ورُبَّما جعلَتِ العَربُ «إِلَى» في موْضِعِ اللَّامِ؛ كقوْلِه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]، وقوْلِه تعالى: ﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقد يجُوزُ فِي العَربِيَّةِ: فُلانٌ يُخْبِتُ إِلَى اللهِ، يُريدُ: يفْعَلُ ذلِك بِوجْهِهِ إلى اللهِ[٦].

---

(١) المروي عن قتادة: قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: «وَأَنَابُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ» عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ. ولم أقف على قوله: (ثابوا).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٢).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٩- ١٠).

قَالَ بعْضُ المفسِّرِينَ: هذِه الآيَةُ نازِلَةٌ في أصْحَابِ مُحَمَّدٍ[١] -ﷺ- ومَا قبْلَها نَازِلٌ فِي الْمُشرِكينَ[٢].

ثم ضَرَبَ لِلْفرِيقَيْنِ مثلًا؛ فقَال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾.

قَالَ مُجاهِدٌ: الفَرِيقَانِ: الكَافِرُ والْمُؤمِنُ[٣]. فأمَّا الأعْمَى والأصَمُّ: فهوَ الْكَافِر، وأمَّا الْبَصِيرُ والسَّمِيعُ: فهوَ الْمُؤمِنُ[٤].

قَالَ قتادَةُ: الكَافِرُ عَمِيَ عنِ الحَقِّ وصُمَّ عنْهُ، والمؤْمِنُ أَبْصَرَ الحَقَّ وسَمِعَهُ، ثُمَّ انْتَفَعَ بِهِ[٥].

وقالَ أبو عُبيدَةَ: فِي الكلَامِ ضمِيرٌ، تقْدِيرُهُ: مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كمَثَلِ الأَعْمَى[٦].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: مثَلُ فرِيقِ المسلمينَ[٧] كالبَصِيرِ والسَّمِيعِ، ومثَلُ

(١) في (ف): رسول الله.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٩- ٥٧٠).

(٣) في (ف): المؤمن والكافر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) ، الفريقان الكافران، والمؤمنان، فأما الأعمى والأصم فالكافران، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، قال: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾... الآية، هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فأمَّا الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره. وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٨٧).

(٧) في (ف): الفريقين المسلمين.

فريقِ الكافِرينَ كالأَعْمَى والأصَمِّ؛ لأنَّهم فِي عداوَتِهم وترْكِهم التَّفهم[١] بمَنْزِلةِ مَن لايسْمَعُ ولا يُبْصِرُ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؛ أي: هل يسْتَوِيَانِ فِي الْمُشابَهةِ؟ والمعْنَى: كما لا يسْتَويانِ عنْدَكُم، كذلِك لا يستَوِي المؤمِنُ والكافِرُ عنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقالَ أبو عُبيدَةَ: ﴿هَلْ﴾ هاهُنا بمعْنَى: الإِيجَابِ، لا بِمعْنَى: الاِسْتفهَامِ، والمعْنَى: لَا يسْتَويَانِ[٣].

قالَ الفرَّاءُ: وإنَّما لمْ يقُلْ: {يَسْتَوُونَ}؛ لأنَّ الأَعْمَى والأَصمَّ مِن صفةِ واحدٍ، والسَّمِيعِ والبصِيرِ مِن صفةِ واحدٍ؛ كقوْلِ القَائلِ: مررتُ بالعَاقلِ واللَّبيبِ، وهوَ يعْنِي وَاحِدًا[٤]. قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[٥]

فقَالَ: أيُّهما، وإنَّما ذكَرَ الخيْرَ وحْدَهُ؛ لأنَّ المعْنَى يُعرفُ؛ إذِ المبتغِي للخيْرِ متَّقٍ للشَّرِّ.

---

(١) في (ف): للفهم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٧).

(٥) البيت للمثقب العبدي في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٤٠٢)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٣).

وقَالَ ابْنُ الأَنْبارِي: الأعْمَى والأصَمّ: صِفَتانِ لِكافِرٍ، والسَّمِيع والبَصِير: صِفتَانِ لِمُؤمِنٍ، فرُدَّ الفعلُ إلى الموصُوفِين بالأوْصافِ الأرْبعَةِ؛ كما تقُولُ: العَاقِلُ والعَالِم، والظَّالم والجاهِل، حضَرَا مجلِسي، فتُثنِّي الخبَرَ بعْد ذكْرِك أربعَةً؛ لأنَّ الموصُوفَ بالعِلْم هوَ الموصُوفُ بالعقْلِ[1]، وكذلِك المنْعُوتُ بالجهْلِ هوَ المنْعُوتُ بالظُّلم، فلمَّا كانَ المنْعُوتَانِ اثْنَيْنِ، رجعَ الخبَرُ إليْهما، ولم يُلتفَتْ إلى تفْرِيقِ الأوْصَافِ، ألَا تَرَى أنَّه يسُوغُ أنْ تقُولَ: اللَّبيب والأَدِيبُ[2] والكرِيمُ والجمِيلُ قصَدَنِي، فتوحِّد الفِعْل بعْد أوْصَافٍ لعلَّة أنَّ الموصُوفَ بِهنَّ واحِدٌ.

ولَا يمْتَنِعُ عطْفُ النُّعوتِ[3] علَى النُّعوتِ بحُروفِ العطْفِ، والموصُوفُ واحِدٌ، فقدْ قالَ اللهُ تعَالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] فلَمْ يقتضِ دخولُ الواوِ وقُوعَ خلافٍ بيْنَ الآمِرينَ والنَّاهِينَ، وقد قِيلَ: [٣٦٨/ ب] الآمِرُ بالمعرُوف ناهٍ عنِ المنْكَرِ في حَالِ أمْرِه؛ فَكان دخولُ الواوِ دلالَةً علَى الآمِر بالمعْرُوفِ؛ لأنَّ الأمْرَ بالمعرُوفِ لَا ينْفَرِد دُون النَّهيِ عنِ المنكَرِ، كما ينْفَرِدُ الحامِدُون بالحمْدِ دُون السَّائِحين، والسَّائِحونَ بالسِّياحةِ دُون الحامِدِين، ويدلُّ أيْضًا على أنَّ العرَبَ تنسِقُ النَّعتَ علَى النَّعتِ، والمنْعُوتُ واحِدٌ؛ كقوْلِ الشَّاعِرِ -يُخاطِبُ سعيدَ بْنَ عمْرِو بْنِ عُثمانَ بْنِ عفَّانَ-

---

(١) في (ج): لأن الموصوف بالعقل هو الموصوف بالعلم.

(٢) في (ف): الأديب واللبيب.

(٣) في (ف)، و(ر): المنعوت، وفي (ف): النعوت على المنعوت.

[مـن الطويـل]:

يَظُـنُّ سَـعِيدٌ وَابْـنُ عَمْـرٍو بِأَنَّنِـي إِذَا سَـامَنِي ذُلًّا أَكُـونُ بِـهِ أَرْضَى[1]

فنَسَق ابْنَ عمْرٍو علَى سعِيدٍ، وهوَ سعِيدٌ[2].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هـود: ٢٥ - ٢٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـير، وأبـو عمْـرٍو، والكِسَـائِيُّ: {أَنِّي} بفتْـحِ الألِـفِ، والتَّقدِيـر: أرْسـلْنَاه بـأَنِّي، وكأنَّ الوجْـهَ بأنَّـه لهُـم نذِيـرٌ، ولكنَّـه عـلَى الرُّجُـوعِ مِـنَ الإخْبـارِ عـنِ الغائِـبِ إلى خِطـابِ نـوحٍ قوْمَـه.

وقــرَأَ نافِــعٌ، وعاصِــمٌ، وابْــنُ عامِــرٍ، وحمْــزَةُ: «إِنِّي» بكَسْـرِ الألِــفِ، فحَمَلُـوه عـلَى القَـوْلِ الْمُضمَـرِ، والتَّقْدِيـرُ: فقـالَ لهُـم: إِنِّي لكُـم نذِيـرٌ[3].

---

(١) البيت بلا نسبة في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٣٩٠)، والأضداد؛ لابن الأنباري (١١/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٩- ٣٩٠) مختصرًا.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظرهما في التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة (ص: ٣٣٢).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾؛ أي: إنْسَـانًا مثْلَنَـا، لَا فضْـلَ لـكَ علَيْنـا.

فأمّا الأرَاذِلُ، فقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: همُ السَّفَلَةُ[1].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: هُـم جمْـعُ: {أَرْذَلِ} يُقـال: رَجُـل رَذْلٌ، وقـدْ رَذُلَ رذالَـةٌ ورُذُولـةٌ[2]. ومعْنَـى الأراذِلِ: الـشِّرارُ.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ قـرَأَ الأكْثَـرُونَ: {بَـادِي} بغَـيْرِ همْـزٍ، وقـرَأَ أبـو عمْـرٍو بالهمْـزِ بعْـدَ الـدَّالِ[3]، وكلُّهـم همَـزَ {الـرَّأْي} غـيْرَ أبي عمْـرٍو[4].

وللْعُلَماءِ فِي معْنَى ﴿بَادِيَ﴾ إذَا لم تُهمزْ[5] ثَلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ المعْنَـى: مَـا نـرَى أَتْباعَـكَ إلَّا سـفلتَنَا وأَرْذَالَنـا فِي بـادِي الـرَّأيِ لِـكُلِّ ناظِـرٍ، يعْنُـونَ أنَّ مَـا وصفْنَاهُـم بـهِ مِـنَ النَّقْـصِ لا يخْفَـى عـلَى أحَـدٍ فيُخالِفُنـا، هـذَا مذْهـب مُقاتِـلٍ[6] في آخَريـنَ.

والثَّـانِي: أنَّ المْعْنَـى: أنَّ هـؤُلَاءِ القـوْمَ اتَّبَعُـوك فِي ظاهِـرِ مَـا يُـرَى منْهُـم، وطويَّتُهـم عـلَى خِلافِـكَ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣١٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٨)، عن قتادة.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٤).

(٤) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، وهذا إنما هو على قاعدة السوسي في إبدال الهمز الساكن.

(٥) في (ف): يهمز.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

والثَّالث: أنَّ المعْنى: اتَّبَعُوكَ فِي ظاهِرِ رأْيِهِم، ولم يتدبَّرُوا ما قلْتَ، ولو رجعُوا إلى التَّفكُّر لم يتَّبِعوكَ، ذكرَ هذَيْنِ القوْلَينِ الزَّجَّاجُ[١].

قالَ ابْنُ الأنْباري: وهذِه الثَّلاثةُ الأقْوَال علَى قِراءةِ مَنْ لم يهْمِزْ؛ لأنَّه مِنْ بدَا، يبْدُو: إذَا ظهَرَ. فأمَّا مَنْ همَزَ «بَادِئ»؛ فمعْنَاه: ابْتدَاءُ الرَّأي؛ أي: اتَّبَعُوك أوَّلَ مَا ابْتدَؤُوا ينْظُرونَ ولَو فكَّرُوا لم يعْدِلُوا عنْ مُوافقَتِنَا فِي تكْذِيبِكَ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ **فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ**:

أحدُها: مِن فضْلٍ فِي الخَلْقِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: فِي الْمُلكِ والْمَالِ ونحوِ ذلِك، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

والثَّالث: مَا فُضِّلتم باتِّبَاعِكم نوحًا، ومُخالَفَتِكُم لنَا بفَضِيلةٍ نَتَّبِعُكُم طلبًا لها، ذكَرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمَشْقِيُّ.

[٣٦٩/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ**:

أحدُهما: نتيَقَّنُكُم، قالَه الكلْبِيُّ[٤].

والثَّاني: نَحْسبُكُم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٧).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٤١).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾؛ أي: على يقينٍ وبصيرَةٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقوْلُه: ﴿ إِن كُنتُ ﴾ شرْطٌ لا يُوجِبُ شكًّا يلْحقُه، لكنَّ الشَّكَّ يلْحَقُ المُخاطَبِينَ مِن أهْلِ الزَّيغِ، فتقْدِيرُه: إنْ كنْتُ على بيِّنَةٍ مِن ربِّي عنْدَكُم(١).

﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ **فِيهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهَا النُّبوَّةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ(٢).

والثَّانِي: الهِدَايةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: {فَعُمِيَتْ} بتخْفِيفِ المِيم وفتْحِ العَيْنِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: **والمعْنَى:** عَمِيتم عنْهَا، يُقال: عَمِيَ علَيَّ هذَا الأمْرُ؛ إذَا لم أفْهمْهُ، وعَمِيت عنْه بمعنًى(٤).

قالَ الفرَّاءُ: وهذَا مِمَّا حوَّلَتِ العرَبُ الفعْلَ إليْهِ، وهوَ فِي الأصْلِ لغيْرِه؛ كقوْلِهم: دخَلَ الخاتمُ فِي يدِي، والخُفُّ فِي رِجْلي، وإنَّما الأَصبُعُ تدْخُلُ في الخاتمِ، والرِّجلُ في الخُفِّ، واسْتَجازُوا ذلِكَ؛ إذْ كانَ المعْنَى معْرُوفًا(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٩٨).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٩٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٢).

وقـرَأَ حمْـزَةُ، والكِسـائِيُّ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضَـمِّ العَـيْنِ، وتشْـديدِ الميـمِ[1].

قـالَ ابْنُ الأنْبـارِي[2]: ومعْنَى ذلـك: فعمَّاهَـا اللهُ عليْكُم؛ إذْ كُنْتُم ممَّنْ حُكم عليْـهِ بالشَّـقاءِ. وكذَلِك قـرَأ أُبَيُّ بْنُ كعْـبٍ، والأعْمَشُ: «فعمَّاهَـا عليْكُمْ»[3].

وفِي الْمُشارِ إلَيْهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: البيِّنةُ.

والثَّاني: الرَّحمَةُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾؛ أي: أنُلْزِمُكُـم قَبولَهَـا؟ وهـذَا اسْـتِفهَامٌ معْنَاه الإنْـكَارُ، يقُـول: لا نقْـدِرُ أنْ نُلزمَكُـم مِـن[4] ذاتِ أنْفُسِـنَا.

قـالَ قتـادَةُ: واللهِ لـوِ اسْـتطاعَ نَبِـيُّ اللهِ -ﷺ- لألْزمَهَـا قوْمَـهُ، ولكنَّـه لم يمْلِـكْ ذلِـك[5].

---

(١) القراءتان سبعيَّتان، انظر عزوهما في التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة؛ لابن مجاهد (٣٣٢).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠١).

(٣) قـراءة شـاذةٌ، وهـي قـراءة عبـد الله بـن مسـعود، وأُبيٍّ، وعـليٍّ، والسُّـلمي، والحسـنِ، والأعمشِ، انظـر: الحجـة؛ لأبي عـلي الفـارسي (٤/ ٣٢٤)، وحجـة القـراءات (ص: ٣٣٨)، ومختـصر شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٦٤)، ومشـكل إعـراب القـرآن؛ لمـي (١/ ٣٦١).

(٤) في (ف): في.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٢٩٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨١٩) مـن طريـق سـعيد بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشـيخ.

وقِيلَ: كانَ مُرادُ نُوحٍ عليْهِ السَّلامُ رَدَّ قوْلِهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فبَيَّنَ فضْلَهُ وفضْلَ مَنْ آمَنَ بِهِ بأنَّه علَى بيِّنَةٍ مِن ربِّه، وقد آتاهُ رحمَةً مِن عنْدِه، وسُلِبَ الْمُكذِّبُون ذلِك.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: علَى نُصْحِي ودُعائِي إيَّاكُم ﴿مَالًا﴾ فتتَّهِمُونِي. وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: لَمَّا كانَتِ الرَّحمَةُ بمعْنَى الهُدى والإيمانِ، جازَ تذْكِيرُها[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

قالَ ابْنُ جُريجٍ: سَأَلُوه طَردَهُم أنَفَةً مِنْهم، فقالَ: لا يجُوزُ لِي طرْدُهُم؛ إذ كانُوا يلْقَوْنَ اللهَ فيُجَزِيهم بإيمانِهِم، ويأْخُذُ لهم مِمَّنْ ظَلَمَهُم وصَغَّرَ شُؤونَهُم[2].

وفِي قوْلِه تَعالى: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: تَجْهَلُونَ أنَّ هذا الأمْرَ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[3].

والثاني: تجْهَلُونَ لِأمْرِكُم إيَّايَ بِطَرْدِ المؤْمِنينَ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشيخ.

(٣) الذي ذُكر عن ابن عبَّاسٍ: تجهلون ربوبية ربكم وعظمته. انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٠٤).

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [هود: ٣٠ - ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي ﴾؛ أي: مَنْ يمْنَعُنِي مِن عذَابِ اللهِ ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡ﴾[١].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾.

قالَ ابنُ الأنْبارِي: أرادَ بالخَزَائِنِ: عِلْمَ الغيْبِ المطْوِيِّ عنِ الخلْقِ؛ [٣٦٩/ب] لأنَّهم قالُوا له: إنَّما اتَّبعَك هؤلاءِ في الظَّاهِرِ وليْسُوا معَكَ، فقالَ لهُم: ليس عنْدِي خزَائِنُ غُيوبِ اللهِ فأَعْلَمُ مَا تنْطَوِي عليه الضَّمائِرُ. وإنَّما قِيل للغُيوبِ: خزائِنُ؛ لِغُموضِها عنِ[٢] النَّاسِ واسْتِتارِها[٣] عنْهُم[٤].

(١) من قوله: (قوله تعالى: ويا قوم)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ف).

(٢) في (ج): على.

(٣) في (ف): باستتارها.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٤- ٤٠٥)، وانظر: تفسير البغوي (٤/ ١٧٢)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ١٠٢٧)، (خزن).



قالَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ: إنَّما آياتُ القُرآنِ خزائِنُ، فإِذَا دخَلْتَ خِزانةً فاجْتَهِدْ أنْ لَا تَخْرُجَ مِنْهَا حتَّى تعْرِفَ ما فِيهَا[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ قِيلَ: إنَّما قالَ لَهُم هذَا؛ لأنَّ أرْضَهُم أجْدبَتْ، فسَأَلُوهُ: متَى يجِيءُ المطَرُ؟ وقِيلَ: بلْ سأَلُوه: متَى يجِيءُ العذَابُ؟ فقَالَ: ولَا أعْلَمُ الغيْبَ.

وقوْلُه: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ جوَابٌ لِقوْلِهِم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ [هود: ٢٧]، و﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾؛ أي: تحْتَقِرُ وتسْتَصْغرُ المؤْمِنينَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾ تَسْتَقِلُّ[2] وتستخِسُّ[3]، يُقال: زَرَيْتُ علَى الرَّجُلِ؛ إذَا عبْتُ عليْهِ وخسَّسْت فعْلَه، وأزْريْتُ بهِ؛ إذا قصَّرْتُ بهِ، وأصْلُ «تَزْدَرِي»: تَزْتَرِي، إلَّا أنَّ هذِه التَّاءَ تُبدل بعْدَ الزَّاي دالًا؛ لأنَّ التَّاءَ مِن حُروفِ الهمْسِ، وحُروفُ الهمْسِ خفيَّةٌ، فالتَّاءُ بعْدَ الزَّاي تُخفى، نأُبْدِلَتْ منْهَا الدَّالُ لجِهْرِهَا[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إيمانًا[5].

ومعْنَى الكلَامِ: ليسَ لِي أنْ أطَّلِعَ علَى ما فِي نُفُوسِهِم فأقْطَعَ عليْهِم

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (٧/ ٩٦).

(٢) الذي في معاني الزَّجَّاج المطبوع: تَسْتَسفِلُ.

(٣) تعدُّهم سِفْلَةً أخساء.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٨).

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٦) لأبي الشيخ عن السدي.

بشيْءٍ، وليْسَ لِاحْتقارِكُم إيَّاهُم[١] يبطُلُ أجْرُهُم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنْ قُلْتُ هذَا الَّذي تقدَّم ذكْرُه، وقيل: إنْ طرَدتُهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: الجِدالُ: هوَ المبالَغةُ فِي الخُصومَةِ والمناظَرةِ، وهوَ مأْخوذٌ مِنَ الجدْلِ، وهوَ شِدَّةُ الفتْلِ[٢]، ويُقالُ للصَّقر: أجْدلُ؛ لأنَّه مِنْ أشدِّ الطَّيْرِ[٣]. ويُقرأ: «فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا»[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعْنُونَ العذَابَ[٥]. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنَّه يأْتِينَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾؛ أي: أنْصَحَكُم. وفِي هذِه الآيةِ شرْطانِ؛ فجَوابُ الأوَّلِ النُّصحُ، وجوَابُ الثَّانِي النَّفْعُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يُضِلَّكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) في (ج): إياي.

(٢) في الأصل، و(ف)، و(ر): القتل، والمثبت من (ج)، و(م).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٤) قراءة شاذة، عزاها لابن عبَّاس ولإيوب السختياني ابنُ خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، وابن جني في المحتسب (١/ ٣٢١).

(٥) تنوير المقباس (٢/ ١٠٤)، وهو قول أهل التفسير. انظر: الطبري (٨/ ٢٢٢)، والسمرقندي (١/ ٥٥١).

(٦) ذكره الواحدي من رواية عطاء عن ابن عباس في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧١)، والبسيط (١١/ ٤٠٦)، وانظر: البغوي (٤/ ١٧٢).

والثَّاني: يُهْلِكَكُم، حكاهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقالَ: هوَ قوْلٌ مرْغُوبٌ عنْهُ[١][٢].

والثَّالث: يُضِلَّكُم ويُهْلِكَكُم، قالهُ الزَّجَّاجُ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: هوَ أوْلَى بِكُم، يتصرَّفُ فِي ملْكِه كما يشَاءُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعْدَ الموْتِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)﴾ [هود: ٣٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أيقُولُونَ: افْتَرَاهُ؟[٤]. قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الِافْتِراءُ: الاخْتِلاقُ. ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾؛ أي: جرْمُ ذلِك الاخْتِلاقِ إنْ كنْتُ فعلْتُ. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ فِي التَّكْذِيبِ[٥].

وقرَأَ أبو المتوكِّل، وابْنُ السَّميْفع: {فَعَلَيَّ أَجْرَامِي} بفتْحِ الهمْزةِ[٦].

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [هود: ٣٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

---

(١) في (ج): فيه.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٦) قراءة شاذة، ذكرها أبو حيان في البحر المحيط عن النحاس (٥/ ٢٢٠)، وفسرَّها: فعليَّ آثامي.

قـالَ المفَسِّرُونَ: لمَّـا أُوحـي إليْـهِ هـذا، اسْـتَجازَ الدُّعـاءَ عليهـم، فقَـال: [٣٧٠/أ] ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نـوح: ٢٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[١]، ومُجاهِـدٌ[٢]: لَا تحْـزَنْ. وقـالَ الفـرَّاءُ[٣]، والزَّجَّـاجُ[٤]: لَا تَستَكِنْ ولا تحْـزَنْ. قـالَ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٥]: فـلا تحْـزَنْ إذا نـزَلَ بِهـمُ الغـرَقُ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هـود: ٣٧ - ٣٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾؛ أي: واعْملِ السَّفِينةَ.

وفِي قوْلِه: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ **ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: بمرْأَى منَّا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بحفْظِنا، قالَهُ الرَّبيعُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥) (١٠٨٣٢).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧)، ومن طريقه الفريابي؛ كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥) (١٠٨٣١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٠).

(٥) تنوير المقباس (ص: ١٨٥).

والثَّالث: بعلْمِنا، قالَهُ مُقاتِلٌ[١].

قالَ ابنُ الأنْبارِي[٢]: إنَّما جُمِع العينُ[٣] على مذْهبِ العرَبِ في إيقاعِهَا الجمْعَ على الوَاحدِ؛ تقولُ: خرجْنَا إلى البصْرةِ فِي السُّفُنِ، وإنَّما جمَعَ: لأنَّ مِن عادةِ المَلِك أن يقُولَ: أمرْنَا ونهيْنَا.

وفِي قوْلِه: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: وأمْرُنَا لكَ أنْ تصْنعَهَا.

والثَّاني: وبتعْليمِنَا إيَّاك كيْفَ تصْنعُها.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا تسْألْنِي الصَّفْحَ عنْهُم.

والثَّاني: لَا تُخاطِبْني فِي إمْهالِهِم.

وإنَّما نُهِي عنِ الخِطابِ فِي ذلِك؛ صِيانةً له عنْ سُؤالٍ لَا يُجابُ فيهِ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٠)، وانظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٢٩٣) (عان).

(٣) ليست في (ف).

الْإِشَارَةُ إِلى كَيْفِيَّةِ عَمَلِ السَّفِينَةِ

رَوى الضَّحَّـاكُ عَـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: قـالَ كانَ نُـوحٌ يُـضرب ثُـم يُلـفُّ فِي لِبْدٍ فيُلْقـى فِي بيْتـهِ، يَـرَوْنَ أَنَّـه قـد مـاتَ، ثُـم يخْـرُجُ فيدْعُوهُـم. حتَّـى إذا يئِـسَ مِـن إيـمانِ قوْمِـه، جـاءَهُ رجُـلٌ ومعَـهُ ابْنُـه وهـوَ يتـوكَّأُ عـلَى عصًـا، فقَـالَ: يـا بُنيَّ انْظُـر هـذَا الشَّيْخَ لَا يغْـرُرْكَ، قـالَ: يـا أَبَـتِ أمْكِنِّـي مِـنَ العَصَـا، فأخَذَهـا فضَرَبَـهُ ضرْبَـةً شَـجَّهُ مُوضِحَـةً(١)، وسـالَتِ الدِّمَـاءُ عـلى وجْهِـهِ، فقَـالَ رَبِّ قـد تَـرَى مـا يَفْعَـلُ بي عبـادُكَ، فـإِنْ يكُـنْ لـكَ فِيهـم حَاجَـةٌ فاهْدِهِـم، وإلَّا فصَـبِّرْنِي إلى أنْ تحْكُـمَ بيْننَـا(٢)، فأوْحَـى اللهُ إليْـهِ: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾... إلى قوْلِـه: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ قـالَ: يَـا رَبِّ! ومَـا الفُلْـكُ؟ قـالَ: بيْـتٌ مِـن خشَـبٍ يجْـرِي عـلَى وجْـهِ المـاءِ أُنَجِّـي فيـهِ أهْـلَ طاعَتِـي، وأُغْـرِق أهْـلَ معْصِيَتِـي، قـالَ: يَـا رَبِّ، وأيْـنَ المـاءُ؟ قـالَ: إنِّي عـلَى مـا أشَـاءُ قدِيـرٌ، قـالَ: يَـا رَبِّ! وأيْـنَ الخشَـبُ؟ قـالَ: اغْـرِسِ الشَّـجرَ، فغـرَسَ السَّـاجَ عِشريـنَ سـنَةً، وكـفَّ عـنْ دُعائِهِـم، وكفُّـوا عنْـهُ، إلَّا أنَّهـم يسْـتهْزِؤُونَ بـهِ، فلـمَّا أدْركَ الشَّـجرُ، أمـرَهُ ربُّـه، فقطَعَـهُ وجفَّفَـهُ ولفَّقَـهُ(٣)، فقـالَ: يـا ربِّ! كيْـفَ أتَّخِـذ هـذا الْبَيْـتَ؟ قـالَ: اجْعلْـهُ عـلَى ثـلاثِ صُـورٍ، رأسُـهُ كـرَأْسِ الطَّـاوُسِ، وجُؤْجُـؤهُ كجُؤْجُـؤِ الطَّائـرِ(٤)، وذنَبُـه كذنَـبِ الدِّيـكِ، واجْعلْهَـا مُطْبَقَـةً، وبعَـثَ اللهُ [إليْـهِ](٥)

(١) الموضحة من الشجاج: التي بلغت العظم فأوضحت عنه. انظر: اللسان (وضح).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ج)، و(ف): فقطعها وجففها ولفقها.

(٤) أي: صدرها. انظر: اللسان (جأجأ).

(٥) من سائر النسخ.

جِبْرِيـلَ يُعلِّمُـه، وأوْحَـى اللهُ إليْـهِ أنْ عجِّـلْ عمَـلَ السَّـفِينةِ فقـدِ اشْـتدَّ غضَبِـي عـلَى مَـنْ عصَـانِي، فاسْـتأْجَرَ نجَّارِيـنَ يعْملُـونَ معَـهُ، وسَـامُ، وحَـامُ، ويَافِـثُ معَـه ينْحِتُـونَ السَّـفِينَةَ، فجَعَـل طُولَهَـا سِـتَّمائةِ ذِراعٍ، وعرضَهَـا ثَلاثَمائَـةٍ وثَلاثِـينَ ذِراعًـا، وعُلُّوهَـا ثَلاثًـا وثَلاثِـينَ ذراعًـا، وفجَّـرَ اللهُ لـه عـيْنَ القَـارِ تغْـلي غلَيانًـا حتَّـى طَلَاهَـا(١). [٣٧٠/ ب]

وعـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قَـالَ: جعَـلَ لهـا ثـلَاثَ بُطُـونٍ، فحمَـلَ فِي لبطْـنِ الأَوَّلِ الوُحُـوشَ والسِّبَاعَ والهَـوَامَّ، وفِي الأَوْسَـطِ الـدَّوابَّ والأَنْعـامَ، ورَكِـبَ هـوَ ومَـنْ معَـهُ البطْـنَ الأَعْـلَى(٢).

ورُوِيَ عـنِ الحسَـنِ [أنَّـه](٣) قـالَ: كانَـتْ سـفِينَةُ نُـوحٍ طُولُهَـا أَلْـفُ ذِراعٍ، ومِائتَـا ذِراعٍ، وعرْضُهَـا سِـتُّمائةِ ذِراعٍ(٤).

وقـالَ قتـادَةُ: كانَـتْ فِيـما ذُكِـر لنَـا طُولُهَـا ثَلاثُمائَـةِ ذِراعٍ وعرْضُهَا خَمْسُـمائَةِ ذِراعٍ، وطُولُهَـا فِي السَّـماءِ ثَلاثُـونَ ذِراعًا(٥).

---

(١) أخرجـه ابـن عسـاكر (٦٢/ ٢٤٨- ٢٤٩) مـن طريـق جويـبر، عـن الضَّحَّـاك، عـن ابـن عبَّـاسٍ. وذكـره الثعلبـي في العرائـس (ص: ٥٦- ٥٧) مطـولًا، والخبر مـن الإسرائيليَّـات.

(٢) ينظر تاريخ ابن عساكر (٦٢/ ٢٤١- ٢٤٩).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٤) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣١١)، وتاريخـه (١/ ١٨١)، وأخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨٣٦) مـن طريـق محمـد بـن سـيف أبي رجـاء عـن الحسـن به. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٣٢٨) إلى أبي الشـيخ.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣١١)، وفي تاريخـه أيضًـا (١/ ١٨١)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٣٢٨) إلى عبـد بـن حميـد وابـن المنـذر وأبي الشـيخ.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ: كانَ طُولُها ثلاثمائةِ ذِراعٍ، وعرْضُها خمسينَ ومائةَ ذِراعٍ، وطُولُها فِي السَّماءِ ثَلاثُون ذِرَاعًا، وكانَ فِي أعْلاهَا الطَّيْرُ، وفي وسطِهَا النَّاسُ، وفِي أسْفلِهَا السِّبَاعُ[١].

وزعَم مُقاتِلٌ أنَّه عمِلَ السَّفِينةَ فِي أربعِمائَةِ سَنةٍ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم رَأَوهُ يبْنِي السَّفِينَةَ ومَا رَأَوا سفِينَةً قطُّ، فكانُوا يسْخَرُون ويقُولُونَ: صِرْتَ بعْدَ النُّبوَّةِ نجَّارًا؟ وهذا قوْلُ ابْنِ إسْحاقَ[٣].

والثَّاني: أنَّهم قالُوا له: مَا تصْنَعُ؟ فقالَ: أبْنِي بيْتًا يمْشِي علَى الماءِ، فسَخِرُوا مِنْ قوْلِه، وهذا قوْلُ مُقاتلٍ[٤].

وفي قوْلِه: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إنْ تسْخَرُوا مِنْ قوْلِنَا فإنَّا نسْخَرُ مِنْ غفْلَتِكُم.

والثَّاني: إنْ تسْخَرُوا مِن فعْلِنا عنْدَ بنَاءِ السَّفينَةِ، فإنَّا نسْخَرُ منْكُم عنْدَ الغرَقِ، ذكرَهُ المفسِّرُونَ.

والثَّالث: إنْ تسْخَرُوا مِنَّا فِي الدُّنْيا، فإنَّا نسْخَرُ منْكُم فِي الآخِرة، قالَهُ ابْنُ جريرٍ[٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٩٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٢)، وفي (ج): وهذا قول ابن عبَّاسٍ.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣١٠).



والرَّابع: إنْ تَسْتجهِلُونَا، فإنَّا نَسْتجهِلُكُم، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

والخامِس: إن تسْخَرُوا مِنَّا، فإنَّا نستَنْصِرُ اللهَ عليْكُم، فسمَّى هذا سُخرِيةً؛ لِيتَّفِقَ اللَّفْظانِ كما بينَّا في قوْلِه: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ هذا قوْلُ ابْنِ الأنْبارِيِّ[٢].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يكُنْ فِي الأرْضِ قبْلَ الطُّوفانِ نَهرٌ و لابحْرٌ، فلِذلِكَ سَخِرُوا منْهُ، وإنَّما مِياهُ البِحَارِ بقيَّةُ الطُّوفانِ[٣].

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود: ٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ هذَا وعِيدٌ، ومعْنَاه: فسوفَ تعْلَمُون مَنْ هوَ[٤] أحَقُّ بالسُّخريَّةِ، ومَنْ هوَ أحْمدُ عاقبةً.

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾؛ أي: يذلُّهُ، وهو الغرَقُ. ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: ويجِبُ عليْهِ ﴿ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ في الآخِرةِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير (١١/ ٤١٢).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٧١)، وهو مخالف لصريح النقل، وفي نسبته لابن عبَّاس نظر.

(٤) ليست في (ج)، و(ر).

قوْلُه تعَالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: جاءَ أمْرُنا بعذَابِهِم وإهْلاكِهِم.

والثَّاني: جاءَ عذَابُنا وهوَ الماءُ، ابْتدَأَ بِجنبَاتِ الأرْضِ فدَارَ حوْلَها كالإكْليلِ، وجعَلَ المطَرُ ينْزِلُ مِنَ السَّماءِ كأفْواهِ القِرَبِ، فجعَلَتِ الوحُوشُ يطْلُبنَ وسْطَ الأرْضِ هرَبًا مِنَ الماءِ حتَّى اجْتمَعْنَ عند السَّفِينةِ، فحينئذٍ حمَلَ فيهَا مِن كُلٍّ زوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الفورُ: الغلَيانُ؛ والفُوارَةُ: مَا يفُورُ مِنَ القِدْرِ، قالَهُ ابْنُ فارِسٍ[١]. [٣٧١/أ]

قالَ الشَّيْخُ[٢]: وقرَأْتُ على شيخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ[٣] عنِ ابْنِ دُريدٍ قالَ: التنُّورُ: اسْمٌ فارِسِيٌّ مُعرَّبٌ لا تعْرِفُ له العرَبُ اسْمًا غيْرَ هذَا؛ فلِذلك جاءَ في التَّنْزيلِ؛ لأنَّهُم خُوطِبُوا بمَا عرَفُوا[٤].

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: التَّنُّورُ، بكُلِّ لِسانٍ عرَبِيٍّ وعجَمِيٍّ[٥].

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٥١١) (فور).

(٢) في (ف): المصنف، ويعني به: ابن الجوزي.

(٣) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ١٣٢).

(٤) عبارة ابن دريد في الجمهرة (٢/ ١٤): قال أبو حاتم: «التنور» ليس بعربي صحيح، ولم تعرف له العرب اسمًا غير «التنور»؛ فلذلك جاء في التنزيل: {وَفَارَ التَّنُّورُ}؛ لأنهم قد خوطبوا بما عرفوا.

(٥) انظر: أدب الكاتب (٤٩٦).

وَفِي الْمُرادِ بِهذَا التَّنُّورِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّه اسْمٌ لوجْهِ الأَرْضِ، رَواهُ عكْرِمَةُ[١] عَنْ عَلِيٍّ عليْهِ السَّلامُ.

ورَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: التَّنُّورُ: وجْهُ الأرْضِ، قالَ: قِيلَ لَهُ[٢]: إذا رأَيْتَ المَاءَ قدْ علَا وجهَ الأرْضِ، فارْكَبْ أنْتَ وأصْحابَكَ، وهذا قوْلُ عِكرِمَةَ، والزُّهْرِيِّ[٣].

والثاني: أنَّه تنْوِيرُ الصُّبحِ، روَاهُ أبو جُحيفَةَ عنْ عَلِيٍّ رضِيَ اللهُ عنْهُ[٤].

وقالَ ابْنُ قُتيبَةَ: التَّنْويرُ[٥] عنْدَ الصَّلاةِ[٦].

والثَّالثُ: أنَّه طُلوعُ الفجْرِ، رُوي عنْ علِيٍّ أيضًا أنَّهُ قالَ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: طلَعَ الفجْرُ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم (١٠٨٥٨) من طريق يعقوب به، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٨٧) عن هشيم به، وعزاه اسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٩) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) في (ج): قيل لنوح عليه السلام.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٤٧٢)، وأخرجه عن ابن عبَّاس وعكرمة الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠١- ٤٠٢)، وذكره عن الزهري البغويُّ (٢/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٨) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٩) إلى أبي الشيخ.

(٥) في (ف): التنور.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢).

والرَّابعُ: أَنَّه طُلوعُ الشَّمْسِ، وهو منْقُولٌ عنْ عليٍّ أيْضًا[(١)].

والخَامِس: أَنَّه تنُّورُ أهْلِهِ.

روى العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: إذَا رأَيْتَ تنُّورَ أهْلِكَ يَخْرُجُ منْهُ المَاءُ، فإنَّه هلَاكُ قوْمِكَ[(٢)].

ورَوى أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أَنَّه تنُّورُ آدَمَ عليْهِ السَّلامُ، وهبَهُ اللهُ تعَالى لِنُوحٍ، وقيلَ لَهُ: إذَا فارَ الماءُ منْهُ، فاحْمِلْ مَا أُمِرتَ بهِ[(٣)].

وقالَ الحسَنُ: كان تنُّورًا مِن حِجارَةٍ[(٤)]، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، والفَرَّاءِ، ومُقاتِلٍ.

والسَّادس: أَنَّه أعْلَى الأرْضِ وأشْرفُهَا[(٥)].

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: شُبِّهَتْ أعَالِي الأرْضِ وأمَاكِنُها المُرْتَفِعةُ لِعلوِّهَا بالتَّنانِيرِ[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٣١٨ - ٣١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٨)، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٤٥) بلفظ: طلوع الشَّمس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩) عن محمد بن سعد به.

(٣) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤١٥)، وفي تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٠): عن أبي محمد، عن الحسن قال: كان تنورًا من حجارة كان لحوّاء حتى صار إلى نوح. قال: فقيل له: إذا رأيت الماء يفورُ من التنور فاركب أنتَ وأصحابك.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٠)، وتاريخه (١/ ١٨٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٨) إلى الطبري.

(٥) روي ذلك عن قتادة في تفسير الطبري (١٥/ ٣١٩)، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٩٦)، ورواه أبو الشيخ أيضًا عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٣/ ٥٩٦).

(٦) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ٤١٤).



واخْتلَفُوا فِي المكَانِ الَّذِي فارَ منْهُ التَّنُّورُ علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه فارَ مِنْ مسْجدِ الكُوفةِ، رَواه حَبَّةُ العُرَنِّي[1] عنْ عليٍّ عليْهِ السَّلامُ[2].

وقالَ زِرُّ بْنُ حُبيشٍ: فارَ التَّنُّورُ مِنْ زَاويةِ مسْجدِ الكُوفةِ اليُمْنَى[3].

---

(١) في الأصل، و(ر): العربي، وهو خطأ، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م)، وهو أبو قدامة حبة بن جوين بن علي بن عبد نهم بن مالك العُرني الكوفي، حدث عَن: عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ وَابْن مَسْعُود، وروى عَنهُ: سَلمَة بن كهيل. قال ابن معين: «حبة العرني، ليس بشيء». وقال البخاري: «فيه نظر، يذكر عنه سوء مذهب»، وقال النَّسائي: «ليس بالقوي»، وقال ابن سعد: «يضعف»، ونقل عن أحمد أنَّه وثقه، وقال العجلي: «كوفي تابعي ثقة». وقال ابن حبان: «كان غاليًا في التشيع، واهيًا في الحديث». وقال ابن سعد: مات سنة ست وسبعين. انظر: تاريخ أسماء الثقات؛ لابن شاهين (ص: ١٠٥)، والطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٦/ ١٧٧)، والجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٣/ ٢٥٣)، والثقات؛ لابن حبان (٤/ ١٨٢)، والمجروحين؛ لابن حبان (١/ ٢٦٧)، والكامل؛ لابن عدي (٢/ ٤٢٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢)، وعزاه إلى الشيخ عَن حَبَّة الْعُرنِي، قال: جاء رجل إلى عليّ -رَضِي الله عَنهُ- فقال: إِنِّي قد اشْتريت رَاحِلَةً، وفرغت من زادي أُرِيد بَيت الْمُقَدّس لأصلي فِيهِ، فَإِنَّهُ قد صلى فِيهِ سَبْعُونَ نَبيًّا، وَمِنْه فار التَّنور، يَعْنِي: مَسْجِد الْكُوفَة.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٤٢١) رقم (٧٥٨)، قال: حدثنا أبو هاشم زياد بن أيوب، قال: حدثنا القاسم بن مالك أبو جعفر المزني، قال: حدثنا توبة بن سالم، قال: رأيت زر بن حبيش يصلي في ميمنة المسجد، فقيل له، فقالَ: مِن هَاهُنا فار التنور، يعني: مسجد الكوفة.

وقالَ مُجاهِدٌ: نبعَ المَاءُ مِنَ التَّنُّورِ، فعَلِمَتْ بهِ امْرأتُهُ فأخْبرَتْهُ، وكانَ ذلِك بنَاحيةِ الكُوفةِ[١]. وكان الشَّعْبيُّ يحْلِفُ باللهِ: ما كانَ التَّنُّورُ إلَّا بناحِيَةِ الكُوفةِ[٢].

والثَّاني: أنَّه فَارَ بالهِنْدِ، رَواه عِكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

والثَّالث: أنَّه كانَ فِي أقْصَى دارِ نُوحٍ، وكانَتْ بالشَّامِ في مكانٍ يُقالُ لـه: عَينُ ورْدَةَ[٤]، قالَهُ مُقاتِلٌ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾؛ أي: فِي السَّفِينةِ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

ورَوى حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتَّنْوينِ[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٠)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ١٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ١٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٢١)، وفي تاريخه (١/ ١٨٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩) (١٠٨٦١)، من طريق أبي يحيى عبد الحميد الحماني به.

(٤) وكونه بالشَّام، قاله ابن عباس وقتادة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩)، وقالا: العين التي بالجزيرة عين الوردة.اهـ. قال ياقوت: وهو رأس عين المدينة المشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر. انظر: معجم البلدان؛ لياقوت الحموي (٢/ ٧٣١)، (٣/ ٧٦٤)، ومراصد الاطلاع؛ لابن عبد الحق (٢/ ٩٧٩).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٥).

(٦) قراءة سبعيَّة، انظرها في التيسير (ص: ١٢٤).



قـالَ أبـو عـليٍّ: والمعْنَـى[1]: مِـن كُل شيْءٍ، ومِـنْ كُلِّ زوجٍ زَوْجَـينِ، فحُـذِف المضـافُ. وانْتصـابُ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ عـلَى أنَّهُـما صِفـةٌ لِزوجَـيْنِ، وقـد عُلِـم أنَّ الزَّوْجـينِ اثْنـانِ، ولكنَّـه توْكِيـدٌ[2].

قالَ مُجاهِدٌ: مِنْ كُل صنْفٍ، ذكرًا وأُنْثى[3].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: الـزَّوْجُ يكـونُ واحِـدًا، ويكـونُ اثْنَـيْنِ، وهـوَ هاهُنَـا واحِـدٌ. ومعْنَـى الآيـةِ: احْمِـلْ مِـن كُلِّ ذكَـرٍ وأُنْثَـى اثْنَـيْنِ[4]. [٣٧١/ ب]

وقَـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: احْمِـلْ زوْجَـيْنِ اثْنَـينِ مِـن كُل شيْءٍ، والـزَّوْجُ في كلام العـرَبِ يجُوزُ أن يكُـونَ معَـهُ واحِـدٌ، والاِثْنـانِ يُقـال لهُـما: زَوْجـانِ، يُقـال: عنْدِي زَوْجـانِ مِـنَ الطَّـيرِ[5]، إنَّـما يُريـدُ ذكـرًا وأُنْثـى فقـط[6].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبَـاريِّ: إنَّـما قـالَ: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ فثنَّـى الـزَّوجَ؛ لأنَّـه قصَـدَ قصْـدَ الذَّكَـرِ والأُنْثـى مِـنَ الحَيـوَانِ، وتقْدِيـرُه: مِـنْ كُلِّ ذكَـرٍ وأُنْثَـى[7].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٢٨).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٢)، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٩) إلى أبي الشيخ بلفظ: في كلام العرب يقولون للذكر والأنثى زوجان.

(٤) أدب الكاتب (ص: ٦١٧).

(٥) الذي في معاني الزجاج المطبوع: الخفاف.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥١).

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٨) بلفظ مقارب.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾؛ أي: وَاحْمِـلْ أهْلَـكَ. قـالَ المفَـسِّرُون: أَرَاد بأَهْلِـهِ: عيالَـهُ ووَلَـدَهُ.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: سـبَقَ عليْـهِ القـوْلُ مِـنَ اللهِ بالإهْـلَاكِ. قـالَ الضَّحَّـاكُ: وهـمُ امْرأَتُـهُ وابْنُـه كنْعَـانُ[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ معْنَاه: واحْمِلْ مَن آمَنَ.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ **وفِي عددِهم ثمانِيةُ أقْوالٍ:**

أحدُهـا: أنَّهـم كانُـوا ثَمانِـينَ رجُـلًا معَهُـم أهْلُوهُـم، رَواه عِكرِمَـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٢].

والثَّـاني: أنَّ نُوحًـا حمَـلَ معَـهُ ثمانِـينَ إنْسـانًا، وبَنِيـه الثَّلاثَـةَ، وثَـلاثَ نسْـوةٍ لِبَنِيـهِ، وامْـرأةَ نُـوحٍ، رَواه يوسـفُ بْـنُ مِهـرانَ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣].

والثَّالث: كانُوا ثَمانِينَ إنْسانًا، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: كانُوا أَرْبعِينَ رجُلًا وأرْبعِينَ امْرأةً[٤].

---

(١) قالـه ابـن جريـج والضَّحَـاك، أخرجه عنهـم الطبري في تفسـيره (١٥/ ٣٢٤ - ٣٢٥)، وذكره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٤: ٣٦٣)، وانظـر: معـالم التنزيـل؛ للبغـوي (٤/ ١٧٧)، ونسـبه الواحـدي في الوسـيط (٢/ ٥٧٣) للمفسريـن.

(٢) أخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨٨٢)، وذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٣١)، وعـزاه إلى ابْـن الْمُنْـذر وَابْـن أبي حَاتِـم وَابْـن عَسَـاكِر مـن طَرِيـق عِكْرِمَـة عَـن ابْـن عَبَّـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَـالَ: كَانَ مَـعَ نـوح فِي السَّـفِينَة ثَمَانُـون رجـلًا مَعَهـم أهلوهـم.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٢).

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٤٥٢).

والرَّابع: كانوا أربعِينَ، ذكرَهُ ابْنُ جُرِيجٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والخامس: كانُوا ثلاثِينَ رجُلًا، رَواه أبو نَهِيكٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والسَّادس: كانوا ثمانِيةً، قالَ الحكَمُ بْنُ عُتيبةَ: كان نوحٌ عليه السلام وثلَاثةُ بَنيهِ وأرْبَعُ كنَائِنِهِ[٢].

قالَ قتَادةُ: ذُكِر لنَا أنَّه لم ينْجُ فِي السَّفينةِ إلَّا نوحٌ وامْرأتُه[٣] وثلاثةُ بَنِينَ له ونِساؤُهم، فجمَاعتُهُم ثَمانِيةٌ[٤]، وهذا قوْلُ القُرظيِّ، وابْنِ جُريجٍ.

والسَّابع: كانُوا سبْعةً: نوحٌ عليه السلام، وثلاثُ كنَائِنَ[٥] لهُ وثلَاثةُ بَنِينَ، قالَهُ الأعْمَشُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٦٤) عَنْ أَبِي نَهِيكٍ عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلًا أحدهم جرهم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٥)، وكذلك في تاريخه (١/ ١٨٨) عن ابن وكيع والحسن به، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨٧٧) من طريق يحيى بن أبي غنية به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى أبي الشيخ. وانظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٥).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩): وهذا فيه نظرٌ، بل الظاهر أنَّها هلكت؛ لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٣) عن قتادة.

(٥) **الكَنَّة**: بالفتح؛ امرأة الابن أوالأخ. انظر: تاج العروس (ك ن ن).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٦)، قال: حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش: {وما آمن معه إلا قليل}، قال: كانوا سبعة: نوح، وثلاث كنائن له، وثلاثة بنين. وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٨٨).

والثَّامِن: كانُوا عشرةً سِوى نِسائِهم، قالَهُ ابْنُ إسْحَاق. ورُوي عنْهُ أنَّه قالَ: الَّذِين نَجُوا معَ نُوحٍ بنُوه الثَّلاثةُ، ونِساؤُهم ثلاثٌ، وسِتَّةٌ مِمَّن آمَنَ بِهِ[1].

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعْنِي: نُوحًا للَّذِينَ أُمِر بحمْلِهم ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾[2] السَّفِينةَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ركِبُوا فيها لعشْرٍ مَضَيْنَ مِن رجَبٍ، وخرَجُوا منْها يوْمَ عَاشُوراءَ[3].

وقالَ ابْنُ جُريجٍ: دُفِعتْ[4] مِن عيْنِ وردَةَ يوْمَ الجمُعَةِ لِعشْرٍ مَضيْنَ مِن رجَبٍ، فأتَتْ موْضِعَ البيْتِ فطافَتْ بهِ أُسْبوعًا، وكانَ البيْتُ قدْ رُفِع في ذلِك الوقْتِ، ورَسَتْ بِباقِرْدَى[5] علَى الجُودِيِّ يوْمَ عَاشُوراءَ[6].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٠٢)، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٨٩).

(٢) في (ج): اركبوا الماء.

(٣) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٥) عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٤) في المطبوع: رفعت.

(٥) ضبطه ياقوت الحموي: بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة تقع شرقي دجلة بالقرب من جبل الجودي. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٦٦- ٤٧٦)، ومعجم ما استعجم (١/ ٢٢٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وفي تاريخه (١/ ١٩٠).



وقـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: قـرَضَ الفـأْرُ حِبـالَ السَّـفِينةِ، فشَـكَا نـوحٌ ذلِـك، فأوْحَـى اللهُ تعَـالى إليْـه[1]، فمسَـحَ ذنَـبَ الأسَـدِ، فخَـرَجَ سُـنُّورَانِ، وكانَ فِي السَّـفِينةِ عَـذِرَةٌ، فشَـكَا ذلِـكَ إلى ربِّـه عـزَّ وجـلَّ، فأوْحَـى اللهُ تعَـالى إليْـه، فمسَـحَ ذنَـبَ الفِيـلِ، فخَـرجَ [منْـهُ][2] خِنْزِيـرَانِ فـأكَلَا ذلِـك[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

[٣٧٢/أ] قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: {مُجْرَاهَـا} بضـمِّ الميـم. وقـرَأَ حمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِمٍ: {مَجْرِاهَـا} بفتْـحِ الميـمِ، وكسْـرِ الـرَّاءِ[4].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج).

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣١٥)، مـن طريـق عـلي بـن زيـد عـن يوسـف بـن مهـران عـن ابـن عبـاس، وإسـناده واه، عـلي ضعيـف، روى مناكـير كثـيرة، وكـرره الطـبري (١٨١٥٤) عـن عـلي بـن زيـد عـن يوسـف بـه ليـس فيـه ذكـر ابـن عبـاس، وهـو الصـواب، وهـو مـن الإسرائيليـات المنكـرة بـلا ريـب، بـل هـو مـن ترهاتهـم وأسـاطيرهم، ولـو لم يذكر المفسرون مثـل هـذا لـكان أولى، والله أعلـم. وأخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨٧٢) عـن يُوسُـفَ بـنِ مِهْـرَانَ، عَـنِ ابـنِ عبَّـاسٍ. وذكـره ابـن كثـير في تفسـيره (٢/ ٥٤٨)، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنـه، وقـال: أثـر غريـبٌ.

(٤) ويعني بالكسر: الإمالة الكبرى.

وكلُّهم قرءُوا بضَمِّ الميمِ مِنْ: {مُرْسَـٰهَا}، إلَّا أنَّ ابْنَ كثيرٍ، وأبا عمْرٍو، وابْنَ عامِرٍ، وحفْصًا[١] عنْ عاصِمٍ، كانُوا يفْتحُون السِّينَ. ونافِعٌ وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ كانا[٢] يقرَءَانِهَا بيْنَ الكَسْرِ والتَّفْخِيمِ، وكان حمْزةُ والكِسائِيُّ، وخلَفٌ، يُمِيلُونَها[٣].

وليْسَ في هؤلاءِ أحَدٌ جعَلَها نعْتًا لله، وإنَّما جعَلَ الوصْفَيْنِ نعْتًا للهِ عزَّ وجلَّ الحسَنُ وقتادَةُ وحُميدٌ الأَعْرجُ وإسْماعِيلُ بْنُ مُجالِدٍ عنْ عاصِمٍ، فقَرءُوا: {مُجرِيهَا ومُرسِيها} بضَمِّ الميمِ، وبياءيْنِ صَحِيحتَيْنِ؛ مِثْلُ: مُبدِيها ومُنشِيها.

وقرَأَ ابْنُ مسْعودٍ: ﴿مَجْرِٮٰهَا﴾ بفَتْحِ الميمِ، وإمَالَةِ الرَّاءِ، بعْدَها ألِفٌ، ﴿وَمُرْسَىٰهَا﴾ برفْعِ الميمِ، وإمَالَةِ السِّين، بعْدَها ألِفٌ[٤].

وقرَأَ أبو رَزِينٍ، وأبو المتوكِّلِ: ﴿مَجْرِٮٰهَا﴾ بفتْحِ الميمِ والرَّاءِ، وبألِفٍ بعْدَها، ﴿وَمُرْسَٮٰهَا﴾ برفْعِ المِيمِ وفتْحِ السِّينِ، وبألِفٍ بعْدَها[٥].

وقرَأَ أبو الجوْزَاءِ، وابْنُ يعْمُرَ: ﴿مَجْرِٮٰهَاوَمُرْسَٮٰهَا﴾ بفتْحِ الميمِ فِيهِما جمِيعًا، وفتْحِ الرَّاءِ والسِّينِ، وبألِفٍ بعْدَهُما.

---

(١) في (ج)، و(ف): وحفص.

(٢) في (ج)، و(ر): كانوا.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٣).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٤).

(٥) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، والتبصرة (ص: ٥٣٨)، والمبسوط في القراءات العشر؛ لابن مهران الأَصْبهانِيِّ (ص: ٢٣٩)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٣/ ١١٤).



وقَـرَأَ يَحْيَى بْـنُ وثَّـابٍ: بفتْـحِ المِيمَـيْنِ، إلَّا أنَّـه أمَـالَ الـرَّاءَ والسِّـينَ فِيهـما. وقـرَأَ أبـو عِمـرانَ الجـونِيُّ[١]، وابْـنُ جُبـيرٍ: برفْـعِ الميـم فيهـمَا، وفتْـحِ الـرَّاءِ والسِّـينِ، وبألِـفٍ بعْدَهُمـا جميعًـا[٢].

فمَـنْ قـرَأَ بضَـمِّ الميمَـيْنِ؛ جعَلَـهُ مِـن أَجْـرى وأَرْسَـى، ومَـنْ فَتحهُـمَا جعَلَـهُ مصْـدرًا مِـن جَـرَى الـشَّيْءُ يجْـرِي مجْـرى، ورَسَـى [يَـرْسِي][٣] مَرْسَـى[٤].

(قـالَ الزَّجَّـاجُ)[٥]: قوْلُـه: ﴿بِسۡـمِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بـاللهِ، والمعْنَـى: أنَّـه أمَرَهُـم أنْ يُسـمُّوا[٦] فِي وقْـتِ جرْيِهـا، وَوَقْـتِ اسْـتقْرارِها[٧].

ومَـن قـرَأَ بضَـمِّ الميمَـيْنِ؛ فالمعْنَـى: بـاللهِ إجْراؤُهَـا، وبـاللهِ إرْسَـاؤُهَا. ومَنْ فتحهُـمَا؛ فالمعْنَـى: بـاللهِ يكـونُ جرْيِهـا، وبـاللهِ يقَـعُ إرسْـاؤُهَا[٨]؛ أي: إقْرارُهَا[٩].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) قـراءة شـاذة، انظـر عزوهـا في: إعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٢/ ١٦٩)، والشـواذ؛ للكرمـاني (ص: ٢٣٥).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ج)، و(ف): يسمون.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٥).

(٨) في الأصل: رسوُّها، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) في الأصل: قرارها، والمثبت من سائر النسخ.

(قَالَ الشَّيخُ)[١]: وسمعْتُ شيْخَنَا أبَا منْصُورٍ اللُّغويَّ يقُولُ[٢]: مَنْ ضمَّ الميمَ فِي: ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ أرَادَ أجْرَاهَا اللهُ مُجْرى، ومَنْ فتحَها، أرَادَ: جرَتْ مَجْرى.

وقالَ الضَّحَّاكُ: كانَ إذَا أرَادَ أن تجرِيَ؛ قالَ: بسْمِ اللهِ فجَرَتْ. وإذَا أرَاد أنْ ترسِيَ، قالَ: بسْمِ اللهِ، فرسَتْ[٣].

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾.

شبَّهَهُ[٤] بالجِبالِ فِي عِظَمِهِ وارْتِفاعِه، ويُقالُ: إنَّ المَاءَ ارْتفَعَ على أطْولِ جبَلٍ في الأرْضِ أرْبعِينَ ذِراعًا، ويُرْوَى: خمْسَ عشرةَ ذِرَاعًا[٥]. وذكرَ بعْضُ المفسِّرينَ أنَّه ارْتفَعَ نحْوَ السَّماءِ سبْعِين فرْسخًا مِنَ الأرْضِ.

---

(١) زيادة من الأصل فقط.

(٢) ليست في (ج).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٣) (١٠٨٨٦) من طريق جابر بن نوح به بنحوه، وفيه تقديم وتأخير، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى الطبري.

(٤) في (ف): شبه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٣)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٧٧)، عن معمر، عن قتادة، ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] قال: بلغنا أنَّه طغى فوق كل شيء خمس عشرة ذراعًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٠) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ لا يختلِفُون أنّه كانَ كافرًا.

وفي اسْمهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: كنْعَانُ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرينَ(١).

والثَّاني: اسْمهُ يَام، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عُبيدُ بْنُ عُميرٍ(٢)، وابْنُ إسْحاقَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ المَعْزِل: المكانُ المنْقَطِعُ. ومعْنَى العزْلِ: التَّنْحيةُ (والإبْعادُ)(٤).

[٣٧٢/ ب] وفي معْنَى الكلَامِ وجْهانِ -ذكرَهُما الزَّجَّاجُ(٥)-:

---

(١) قاله قتادة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٥)، وقاله أيضًا مقاتل في تفسيره (٢/ ٢٨١)، ومحمَّد بن إسحاق كما في الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٧٤)، وهو قول أكثر أهل التفسير. انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٨)، ولباب التأويل؛ للخازن (٣/ ٣٠٥).

(٢) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، قاض أهل مكة في زمانه، من كبار التابعين، وكان بليغًا فصيحًا، كان ابن عمر يجلس إليه ويقول: لله درُّ أبي قتادة ماذا يأتي به؟! ويروى عن مجاهد أنَّه قال: نفخر على التابعين بأربعة فذكره منهم، ومن أقواله الجميلة المأثورة: «إنْ أعْظَمَكُم هذا الليل أن تُكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، جبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ»، توفي في سنة أربع وسبعين، وقيل: إنَّه توفي قبل ابن عمر بأيَّام يسيرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦)، وطبقات الحفاظ (١/ ٢٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٦٥)، صفوة الصفوة (٢/ ٢٠٧).

(٣) قاله ابن عباس وابن إسحاق، واختاره الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣١).

(٤) من الأصل، و(ر).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٤).

أحدُهما: فِي معْزِلٍ مِنَ السَّفِينةِ.

والثَّانِي: فِي معْزِلٍ مِن دينِ أَبِيهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونَافِـعٌ، وأَبُـو عمْـرٍو، وعَاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: {يَـا بُنَـيِّ ارْكَـبْ} مُضافَـةً بكـسْرِ اليَـاءِ، ورَوَى أبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: {يابُنَـيَّ} مفْتُوحـةَ اليَـاءِ هَاهُنـا، وباقِـي القُـرآن مكْسُـورةً.

ورَوى حفْصٌ عنْهُ بالفتْحِ فِي كُلِّ القُرآنِ: {يابُنَـيَّ} إذا كانَ واحِدًا[١].

قالَ النَّحْويُّونَ: الأَصْلُ فِي «بنيّ» ثلَاثُ يَاءَاتٍ:

- ياءُ التَّصْغِيرِ.
- وياءٌ بعْدَهَا؛ هِي لامُ الفِعْلِ.
- وياءٌ بعْدَ لَامِ الفِعْلِ؛ هيَ ياءُ الإضَافَةِ.

فمَـن قـرَأَ: «يَـا بُنَـيِّ» أرادَ: «يَـا بُنَيِّـي» فحذَفَ يـاءَ الإِضْافـةِ وتـرَكَ الكسْرَةَ تـدُلُّ عليْهَـا؛ كـمَا يُقـال: يـا غـلَامِ أقْبِـلْ، ومَـنْ فتَـحَ اليَـاءَ، أبْـدَلَ مِـن كـسْرةِ لَامِ الفِعْـلِ فتْحـةً؛ اسْـتِثْقالًا لِاجْتِـمَاعِ اليَـاءَاتِ مـعَ الكـسْرَةِ؛ فانْقلَبَـتْ يـاءُ الإِضَافـةِ[٢] ألِفًـا، ثُـمَّ حُذفـتِ الألِـفُ كـمَا تُحـذفُ اليـاءُ، فبَقِيـتِ الفتْحةُ عـلَى حالِهَا.

---

(١) انظـر القـراءات الـواردة في هـذا الحـرف: السـبعة (ص: ٣٣٤)، والتيسـير (ص: ١٢٤)، وهـي مـن جميـع طـرق عاصم؛كـما في جامـع البيـان (٣/ ١١٩٩).

(٢) في (ج)، و(ف): فانقلبت بالإضافة.

وقِيلَ: إنَّ المعْنَى: يَا بُنَيَّ آمِنْ وارْكَبْ معَنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿سَئَاوِيٓ﴾؛ أي: سَأصِيرُ وأرْجِعُ ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي﴾؛ أي: يمْنَعُنِي ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾؛ أي: مِن تغْرِيقِ المَاءِ.

﴿قالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ اليوم من أمْر الله﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا مانِعَ اليوْمَ مِن أمْرِ اللهِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا معْصُومَ، ومثْلُه: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدْفُوقٍ، وَسِرٌّ كَاتِمٌ، ولَيْلٌ نَائِمٌ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هذَا اسْتِثْنَاءٌ ليْس مِنَ الأوَّلِ، والمعْنَى: لكِنْ مَنْ رحِمَ اللهُ فإنَّه معْصُومٌ[(٢)].

قالَ مُقاتِلٌ: إلَّا مَنْ رحِمَ فرَكِبَ السَّفِينةَ[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾.

فِي المكنّى عنْهُما قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهما ابْنُ نوحٍ والجبلُ الَّذِي زعَم أنَّه يعْصِمُه، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْن عبَّاسٍ[(٤)]، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٣).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٨٥)، وانظر: معاني القرآن (٢/ ١٧).

والثَّاني: نوحٌ وابْنُه، قالَهُ مُقاتِلٌ[(١)].

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٤ - ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ وقَفَ قومٌ علَى ظاهِرِ الآيَةِ، وقالُوا: إنَّما ابْتلعتْ مَا نبَع منْهَا، ولم تبْتَلِعْ ماءَ السَّماءِ، فصَارَ ذلِكَ بِحارًا وأنْهارًا، وهو معْنى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وذَهَب آخَرُونَ إلى أنَّ المرَادَ: ابْلَعِي ماءَكِ الَّذي عليْكِ، وهوَ مَا نبَعَ مِنَ الأرْضِ ونَزَل مِنَ السَّماءِ، وذلِك بعْدَ أنْ غرِقَ مَا على وجْهِ الأرْضِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾؛ أي: أمْسِكي عنْ إنْزَال الماءِ.

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: لَمَّا تقدَّم ذكْرُ المَاءِ، عُلم أنَّ المعْنَى: أقْلِعي عنْ إنْزَالِ المَاءِ[(٢)].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٣).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي (١١/ ٤٣٠).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾؛ أي: نقَصَ.

قـال الزَّجَّـاجُ: يُقـال: غَـاضَ المَـاءُ يَغِيـضُ؛ إذَا غـابَ فِي الأرْضِ، و يجُـوزُ إشْـمَامُ الضَّـمِّ فِي الغـيْنِ[1].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: غرِقَ مَنْ غرِقَ، ونجَا مَنْ نَجَا[2].

وقالَ مُجاهِدٌ: «قُضِي الأمْرُ»: هَلاكُ قوْمِ نُوحٍ[3].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «وقُضِيَ الأمْرُ»؛ أي: فُرِغَ منْهُ[4].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: والمعْنَـى: أُحْكِمَـتْ هلَكَـةُ قـوْمِ نُـوحٍ، فلـمَّا دلَّـتِ القِصَّـةُ عـلَى مَـا يُبـيِّنُ هلكتهُـم؛ أغْنَـى عـنْ نعْـتِ الأمْـرِ[5].

[٣٧٣/أ] قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ يعْنِـي: السَّـفِينةَ ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾: وهـوَ اسْـمُ جبَـلٍ.

وقرَأَ الأعْمَشُ، وابْنُ أبِي عبْلَةَ: ﴿عَلَى الْجُودِيْ﴾ بسُكونِ اليَاءِ[6].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥)، وإشمام الضم: الميل إلى الضمِّ قليلاً في الغين.

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٨٥).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧- ٣٨٨)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٧) (١٠٩١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٥) إلى أبي الشيخ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٨١).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ١٦٠).

(٦) قراءة شاذة، انظر عزوها للأعمش في المحتسب (١/ ٣٢٣)، ولهما في الكامل للهذلي (ص: ٥٧١).

قالَ ابنُ الأنبارِيِّ: وتشْدِيدُ اليَاءِ فِي ﴿الْجُودِيِّ﴾؛ لأنَّها ياءُ النِّسْبة، فهِيَ كاليَاءِ فِي عَلَوِيٍّ، وهَاشِمِيٍّ، وقدْ خفَّفَها بعْضُ القُرَّاءِ، ومِنَ العرَبِ مَنْ يُخفِّفُ ياءَ النِّسبَة، فيُسكِّنُها فِي الرَّفعِ، والخفْضِ، ويفتحُهَا فِي النَّصْبِ، فيَقُولُ: قامَ زيْدٌ العَلَوِيْ، ورَأَيتُ زيدًا العَلوِيَ[١].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: دَارَتِ السَّفِينَةُ بالبيْتِ أرْبعِينَ يوْمًا، ثُمَّ وجَّهَهَا اللهُ إلى الجُودِيِّ فاسْتقرَّتْ عليْهِ[٢].

واخْتلَفُوا أيْنَ هذَا الجبَلُ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه بالمَوْصِلِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ[٤].

والثَّاني: بالجزيرَةِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هوَ بالجزِيرَةِ قرِيبٌ مِنَ المَوْصِلِ[٥].

والثَّالث: أنَّه بناحِيةِ آمِدَ[٦]، قالَه الزَّجَّاجُ[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٨٢) عن عكرمة عن ابن عبَّاس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣١) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة به.

(٣) تنوير المقباس (١/ ١٨٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٨)، قال: حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول: {واستوت على الجودي}، هو جبل بالموصل. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩١٨) من طريق آخر عن الضحاك.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٢).

(٦) آمد: بكسر الميم؛ بلدٌ قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نَشَز وجلة، من الثغور المعروفة، ينسب إليها علماء، أشهرهم أبو الحسن الآمدي. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٧).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥).



وفِي عِلَّةِ اسْتِوَائِهَا عليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لم يغْرَقْ؛ لأنَّ الجِبالَ تشَامَخَتْ يومَئذٍ وتطَاوَلَتْ، وتوَاضَعَ هوَ فلم يغْرَقْ، فأَرْسَتْ عليْهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ[١].

والثَّانِي: أنَّهُ لَمَّا قلَّ الماءُ أرسَتْ عليْهِ، فكانَ اسْتِوَاؤُها عليهِ دِلالَةً علَى قِلَّةِ المَاءِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بُعدًا مِن رحْمَةِ اللهِ للْقَوْم الكافِرينَ[٢].

فإنْ قيلَ: ما ذَنْبُ مَن أُغْرِقَ مِنَ البهَائِمِ والأطْفَالِ؟.

فالجَوَابُ: أنَّ آجَالهُم حضرَتْ، (فأُمِيتُوا بالغرَقِ)[٣]، قالَهُ الضَّحَّاكُ[٤]، وابْنُ جُريجٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ إنَّما قالَ نوحٌ هذَا؛ لأنَّ اللهَ تعَالى

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٨)، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٧) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩١٥) من طريق ورقاء، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٥) إلى أبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٣٢- ٤٣٣).

(٣) ليست في (ج).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٩) قال: حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول: تزعُم أناسٌ أن من غرق من الولدان مع آبائهم، وليس كذلك، إنما الولدان بمنزلة الطير وسائر من أغرق الله بغير ذنب، ولكن حضرت آجالهم فماتوا لآجالهم.

وعَـدَهُ نجـاةَ أهْلِـه، فقَـال: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [بالحـقِّ] (١)، قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ (٢): أعْـدَلُ العَادِلِـينَ.

وقالَ ابْنُ زَيْدٍ: وأنْتَ أحْكمُ الحَاكِمينَ بالحَقِّ (٣).

واخْتلَفُوا فِي هذَا الَّذِي سأَلَ (٤) فيهِ نوحٌ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّـه ابْـنُ نُـوحٍ لِصلْبِـه، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وعِكرِمَـةُ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، والضَّحَّـاكُ، والجُمهُـورُ.

والثَّاني: أنَّه وُلِدَ علَى فِراشِهِ لِغيرِ رِشْدَةٍ (٥) ولَمْ يكُنْ ابْنه (٦).

---

(١) من (ف).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٤٣٤- ٤٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {وأنت أحكم الحاكمين} قال: أحكم الحاكمين بالحق، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩٢٣)، من طريق أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول في قول الله: {وأنت أحكم الحاكمين} قال: بالحق.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ويقصدون بقولهم: ليس ولد رشدة؛ أي: أنَّه ولد زنا.

(٦) وهو قول ابن جريج، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٢)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٦): وقد نصَّ غيرُ واحدٍ من الأئمة على تخطِئةِ مَن ذهبَ في تفسير هذَا إلى أنَّه ليس بابنه، وإنما كان ابْنَ زِنْية، ويُحكى القوْلُ بأنَّه ليس بابْنه، وإنَّما كان ابْنَ امرأتِهِ عن مُجاهدٍ، والحسنِ، وعُبيدِ بْنِ عُميرٍ، وأبي جعفرٍ الباقرِ، وابْنِ جُريجٍ، واحتجَّ بعْضُهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، وبقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] فمِمَّن قالَهُ الحَسَنُ البصريُّ، احْتجَّ بهاتَينِ الآيَتَيْنِ. وبعْضُهم يقُول: كان ابْنَ امْرأتِهِ، وهذا يُحتملُ أن يكونَ أرَادَ مَا أرَادَ الحسَنُ، أوْ أرَادَ أنَّه نُسِب إليه مجازًا؛ لكوْنِه كان ربِيبًا عنده، والله أعلم. وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وغيْرُ واحِدٍ مِنَ السَّلفِ: ما زَنَتْ امْرأةُ نَبيٍّ=

رَوى ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ بإسْـنادِهِ عـنِ الحَسـنِ أنَّـه قـالَ: لم يكُـن ابْنَـهُ[١]، إنَّ امْرأتَـهُ فجَـرَتْ.

وعنِ الشَّعْبِيِّ قالَ: لم يَكُن ابْنَهُ، إنَّ امْرأَتَهُ خَانَتْهُ[٢]، وعن مُجاهِدٍ نحْوُ ذلِك.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ[٣]: نادَاهُ نُوحٌ وهوَ يحْسِبُ أنَّه ابْنُه، وكان وُلِد علَى فِراشِهِ.

فعَلى القوْلِ الأوَّلِ؛ يكُونُ في معْنَى قوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهُما: ليْسَ مِنْ أهْلِ دينِك.

والثَّاني: ليْس مِنْ أهْلِكَ الَّذِين وعدْتُكَ نَجاتَهُم.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: مَـا بغَـتِ امْـرَأَةُ نَبـيٍّ قـطُّ، وإنَّـما **المعْنَـى**: ليْـسَ مِـنْ أهْلِـكَ الَّذِيـنَ وعَدْتُـكَ نَجاتَهُـم[٤].

=قـطُّ، قـالَ: وقوْلُـه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾؛ أي: الذيـن وعَدْتُـك نَجاتَهـم. وقـولُ ابْـنِ عبَّـاسٍ في هـذَا هـوَ الحـقُّ الـذي لا مَحِيـدَ عنْـهُ، فـإنَّ اللهَ سُبحانه أغْـيَرُ مِـن أنْ يُمكِّـنَ امْـرأةَ نَبـيٍّ مِـنَ الفاحِشـةِ، ولهـذا غَضِـب اللهُ عـلَى الَّذِيـن رَمُـوا أُمَّ المؤمِنـينَ عائِشـةَ بِنـتَ الصِّدِّيـقِ زَوْجَ النَّبـيِّ ﷺ وأنْكَـر عـلى المؤْمِنـينَ الَّذِيـن تكلَّمُـوا بهـذَا وأشـاعُوه.

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٤٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٣٩) مـن طريـق هشـيم عـن عـوف، عـن الحسـن، في قولـه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ قـال: لم يكـن ابنـه. ولم أقـف عـلى روايـة ابـن الأنبـاري.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٣٦) عن الشعبي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٧٥).

(٤) أخرجـه عبـد الـرَّزَّاق في تفسـيره (٢/ ٣٠٧)، وسـعيد بـن منصـور في سـننه (٥/ ٣٥٢)، والطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٤٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٣٩)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٦٠٦) إلى الفريـابي وأبي الشـيخ وابـن عسـاكر.

وعَلَى القَوْلِ الآخَرِ؛ الكلَامُ علَى ظاهِرِه، والأوَّلُ أصَحُّ؛ لِموافقتِهِ ظاهِرَ القُرآنِ، ولِاجْتِماعِ الأكْثَرِينَ علَيْهِ، وهوَ أوْلَى مِن رمْيِ زوْجةِ[١] نَبِيٍّ بفاحِشَةٍ. [٣٧٣/ ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾.

قرَأ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عَامِرٍ، وعَاصِمٌ، وحمْزَةُ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ رفعٌ[٢] مُنوَّنٌ ﴿غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ برفْعِ الرَّاءِ[٣].

وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يرجِعُ إلى السُّؤَالِ فيهِ.

فالمعْنَى: سُؤَالُك إيَّايَ فيهِ عمَلٌ غيْرُ صَالِحٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ، وهذَا ظاهِرٌ؛ لأنَّه قد تقدَّم السُّؤالُ فيهِ في قوْلِه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ فرَجعَتِ الكِنَايةُ إليْهِ.

والثَّاني: أنَّه يرجِعُ إلى المسْؤُولِ فيهِ.

وفِي هذَا المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لِغيْرِ رِشْدَةٍ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّانِي: أنَّ المعْنى: إنَّه ذو عمَلٍ غيْرِ صالِحٍ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) في (ف): وجه.

(٢) في (ف): برفع.

(٣) قراءة الجمهور، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥).

قَـالَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ: مَـنْ قَـالَ: «هُـوَ لِغَـيْرِ رِشْـدَةٍ»؛ قَـالَ: المعْنَـى: إنَّ أَصْلَ ابْنِكَ الَّـذِي تظُـنُّ أَنَّـه ابْنُـكَ عمَـلٌ غَـيْرُ صَالِـحٍ. ومَـنْ قَـالَ[1]: إنَّـه ذو عمَـلٍ غَـيْرِ صَالِـحٍ؛ قَـالَ: حـذَفَ المُضَـافَ، وأَقَـامَ العَمَـلَ مَقامَـهُ؛ كـما تقُـولُ العـرَبُ: عبـدُ اللهِ إِقْبَـالٌ وإِدْبَـارٌ؛ أي: صاحِـبُ إِقْبَـالٍ وإِدْبَـارٍ[2].

وقـرَأَ الكِسـائِيُّ: {عَمِـلَ} بكـسْرِ المِيـمِ وفتْـحِ الـلَّامِ {غَـيْرَ صَـٰلِحٍ} بفتْـحِ الـرَّاءِ، يُشـيرِ إلى أنَّـه مُـشرِكٌ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «فَـلاَ تَسْـأَلَنِّ» بفتْـحِ الـلَّامِ، وتشْـدِيد النُّـونِ، غـيْرَ أنَّ نافِعًـا، وابْـنَ عامِـرٍ[4]، كـسَرَا النُّـونَ، وفتَحَهَـا ابْـنُ كثِـيرٍ، وحذَفُـوا اليـاءَ فِي الوَصْـلِ والوَقْـفِ.

وقرَأَ عاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ[5]، والكِسائِيُّ: بسُكونِ اللَّامِ، وتخْفِيفِ[6] النُّونِ، غيْرَ أنَّ أبَا عمْرٍو، وأبَا جعْفرٍ[7]، أثْبَتَا اليَاءَ في الوَصْلِ، وحذَفَاهَا في الوَقْفِ، ووَقَفَ عليْهَا يعْقُوبُ بالياءِ، والباقُونَ يَحْذِفُونَها في الحَالَيْنِ[8].

---

(١) من قوله: (من قال: هو لغير رشدة)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧١٣- ٧١٤).

(٣) قراءة سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) في (ج)، و(ف) زيادة: وحمزة.

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ف): وتشديد.

(٧) ليس في (ج).

(٨) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٥)، وتفسير ابغوي=

قالَ أبو عَلِيٍّ: مَن كسرَ النُّونَ؛ فقَدْ عدَّى السُّؤالَ إلى مفْعُولَيْنِ: أحدُهما: اسْمُ المتكلِّم، والآخَر: الإسْمُ الموْصُولُ، وحُذفَتِ النُّونُ المُتصلةُ بياءِ المتكلِّم؛ لاجْتِماعِ النُّونَاتِ. فأمَّا إثْباتُ الياءِ في الوَصْلِ فهوَ الأصْلُ، وحذْفُها أخَفُّ، والكسْرَةُ تدُلُّ عليها، وتُعْلِم[1] أنَّ المفْعُولَ مُرادٌ في المعْنَى[2].

ثُمَّ في معْنَى الكلامِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه نسْبتُه إليْهِ، وليْس منْهُ.

والثَّاني: في إدْخالِهِ إيَّاه في جُملَةِ أهْلِه الَّذِين وعَدَهُ نجاتَهُم.

والثَّالث: سُؤالُه في إنْجاءِ كَافِرٍ مِنَ العَذَابِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنْ تكُونَ مِنَ الجاهِلينَ فِي سُؤالِكَ مَنْ ليْسَ مِنْ حِزْبِكَ.

والثَّاني: مِنَ الجاهِلِين بوَعْدِي؛ لأنِّي وعْدتُ بانْجَاءِ المؤْمِنينَ.

والثَّالث: مِنَ الجَاهِلِينَ بنَسَبِكَ؛ لأنَّه ليْسَ مِن أهْلِكَ.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [هود: ٤٨].

=(٢/ ٤٠٥)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(١) في المطبوع من الحجة، و(ج): ويعلم. وليست في (ف).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٤٦).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـدُ: مِـنَ السَّـفِينةِ إلى الأرْضِ[1]. ﴿بِسَلَـٰمٖ مِّنَّا﴾؛ أي: بِسَـلامِهِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ﴾.

قـالَ المفَسِّرُونَ: البَرَكَاتُ عليْـه: أنَّـه صـارَ أبًـا للْبَـشرِ[2] جَمِيعًـا؛ لأنَّ جميعَ الخلْقِ مِنْ نسْـلِه. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قـالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريـدُ: مِنْ ولَدِكَ[3].

قـالَ ابْنُ الأنْبَـارِيِّ[4]: المعْنَى: مِـن ذَرَارِي مَنْ معَـكَ، والمـرَادُ: المؤْمِنُونَ مِن ذُرِّيَّتِـه. ثُمَّ ذكَـرَ الكفَّارَ، فقـالَ: ﴿وَأُمَمٞ﴾؛ أي: مِـنَ الذُّرِّيَّةِ أيضًا. [٣٧٤/ أ]

والمعْنَـى: وفيمَـنْ نَصِـفُ لَـكَ أُمَـمٌ، وفيمَـنْ نَقُـصُّ عليْـكَ أمْرَهُ أُمَـمٌ ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾؛ أي: في الدُّنْيـا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخِـرَةِ.

قـالَ مُحَمَّـدُ بْـنُ كعْـبٍ القُرَظِـيُّ[5]: لم يبْـقَ مُؤمِـنٌ ولَا مُؤْمِنـةٌ في أصْـلابِ الرِّجـالِ وأرْحَـامِ النِّسـاءِ يومئـذٍ إلى (أنْ تقُـومَ السَّـاعةُ)[6] إلَّا وقـد دخَـلَ في ذلِـكَ السَّـلامِ والـبَرَكاتِ، ولم يبْـقَ كافِـرٌ إلَّا دخَـل في ذلِـك المتَـاعِ والعـذَابِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٤٤١).

(٢) في (ج)، و(ف): البشر.

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (١١/ ٤٤٢).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي التفسير البسيط (١١/ ٤٤٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤١).

(٦) في (ف): إلى يوم القيامة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾ [هود: ٤٩ - ٥٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾.

في المُشَارِ إليْهِ[1] بـ﴿تِلْكَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: قِصَّةُ نُوحٍ.

والثَّاني: آيَاتُ القُرآنِ.

والمعْنَى: تلْك مِنْ أخْبَارِ ما غَابَ عنْكَ وعنْ قوْمِك.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ هَاهُنا: ﴿تِلْكَ﴾ وفي مكانٍ آخرَ ﴿ذَلِكَ﴾؟.

فقَدْ أجَابَ عنْهُ ابْنُ الأنْبَاريِّ، فقَالَ: ﴿تِلْكَ﴾ إشَارةٌ إلى آيَاتِ القُرآنِ، و﴿ذَلِكَ﴾ إشَارةٌ إلى الخبَرِ والحدِيثِ، وكلَاهما معْرُوفٌ في اللُّغةِ الفَصيحَةِ؛ يقُول الرَّجُلُ: قد قدِمَ فُلانٌ، فيقُولُ سامِعُ قوْلِه: قد فرِحْتُ بِه، وقد سُررتُ بِهَا[2]، فإذا ذكَّر، عنَى القُدومَ، وإذا أنَّث، ذهبَ إلى القَدْمَة[3].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ج): قد سررت، وقد فرحت بها.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٨).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ يعْنِـي: القُـرآنَ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ كـما صـبَرَ نـوحٌ عـلَى أذَى قوْمِـه ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾؛ أي: آخِـرَ الأمْـرِ بالظَّفـرِ والتَّمْكـينِ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لَـك ولِقوْمِـك كـما كانَ لِمُؤمِنـي قـوْمِ نُـوحٍ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾؛ أي: مـا أنْتُـم إلَّا كاذِبُـونَ فِي إشْراكِكـم مـعَ اللهِ عـزَّ وجـلَّ الأوْثَـانَ. ومـا بعْـدَ هـذَا قـد سـبَقَ تفسْـيرُهُ [يونـس: ٧٢]... إلى قولـه تعَـالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، وهـذا أيضًـا قـد سـبَقَ تفْسِـيرُه(١) في سُـورة الأنْعـامِ [آيـة: ٦١].

والسَّـببُ في قوْلِـه لَهُـم ذلِـك: أنَّ اللهَ تعَـالى حبَس المطرَ عنْهُم ثلاثَ سِنينَ، وأعْقَـمَ أرْحـامَ نِسـائِهم، فوَعَدَهُـم إحْياءَ بِلادِهِم وبسْـطَ الـرِّزْقِ لَهُـم إنْ آمَنُوا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الولدُ وولدُ الوَلدِ، روَاه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يزدكُمْ شِدَّةً إلى شِدَّتِكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّالِثُ: خصْبًا إلى خصْبِكُم، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ قـالَ مُقاتِـلٌ: لَا تُعرِضُـوا عـنِ التَّوْحيـدِ مُشرِكِـينَ(٢).

---

(١) ليست في (ف).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾؛ أي: بحجَّةٍ واضِحَةٍ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ يعْنُونَ: الأصْنامَ ﴿عَن قَوْلِكَ﴾؛ أي: بقوْلِك، و «الباء» و «عَنْ» يتعاقَبانِ.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هـود: ٥٤ - ٥٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِن نَّقُولُ﴾؛ أي: مـا نقُـول فِي سـبَبِ مُخالفتِـك إيَّانَـا إلَّا أنَّ بعْـضَ آلهتِنَـا أصابَـكَ بِجُنـونٍ لِسـبِّكَ إيَّاهَـا، فالَّـذِي تُظهِـر مِـن عيْبِهَا لِمَا لِحَق[1] عقْلَـك مِـنَ التَّغْيـيرِ[2].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ[3]: يُقـال: عَـرَانِي كـذَا، واعْـتَرانِي: إذَا أَلَمَّ بِي. ومنْـهُ[4] قِيـلَ لِمَـن أتَـاكَ يطْلُـب نائِلَـك: عَـارٍ، ومنْـهُ قـوْلُ النَّابغـةِ [مـن الوافـر]: [٣٧٤/ب]

أَتَيْتُـكَ عَارِيًـا خَلَقًـا ثِيَـابِي عَـلَى خَـوْفٍ تُظَـنُّ بِيَ الظُّنُـونُ[5]

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾... إلى آخر الآية.

حرَّكَ ياءَ ﴿إِنِّيٓ﴾ نَافعٌ.

---

(١) في (ج): محق.

(٢) ذكره الواحدي في الوجيز (ص: ٥٢٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٤).

(٤) ليست في (ج).

(٥) البيـت في ديوانـه (ص: ٢٢٢)، وجمهـرة أشـعار العـرب (ص: ٧٣)، والشـعر والشـعراء (ص: ٨٤)، وتهذيـب اللغـة (٣/ ٢٣٧٣) (عـرا)، ليـس قولـه: عاريًـا، مـن عريـت، وإنـما هـو مـن عروتـه؛ إذا ألممـت بـه، والخلـق: البـالي.



ومعْنَى الآيةِ: إنْ كنتُم تقُولونَ: إنَّ الآلهةَ عاقَبتْني لِطَعْني عليْهَا؛ فإنِّي على يقينٍ مِن عيبِهَا والبراءةِ منْهَا، وهَا أنَا ذَا أزِيدُ في الطَّعْنِ عليْهَا.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾؛ أي: احْتالُوا أنْتم وأوْثَانُكم في ضرِّي. ﴿ثُمَّ [لَا تُنظِرُونِ﴾؛ أي][1]: لا تُمهلُون.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا مِن أعْظمِ آياتِ الرُّسُلِ[2]، أنْ يكُونَ الرَّسُولُ وحْدَهُ، وأُمتُه مُتعاونَةٌ عليْهِ، فيقُولُ لَهُم: كِيدُوني، فلا يسْتطِيعُ أحَدٌ منْهُم ضَرَّهُ، وكذلِكَ قالَ نوحٌ لِقوْمِه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، وقالَ مُحمَّدٌ ﷺ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩] [3].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ قالَ أبُو عُبيدَةَ[4]: المعْنَى: أنَّها في قبْضَتِهِ ومُلْكِه وسُلْطانِه[5].

فإنْ قِيلَ: لِمَ خصَّ النَّاصِيةَ؟.

فالجوَابُ: أنَّ النَّاصِيةَ هِي شَعرُ مُقدَّمِ الرَّأسِ، فإذا أخذْتَ بها مِن شخْصٍ، فقدْ ملَكْتَ سائرَ بدَنِه، وذَلَّ لكَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) من (ج).

(٢) في (ج): الرسول.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٨).

(٤) قوله: (قال أبو عبيدة) ليس في (ج).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٩٠).

قَالَ مُجاهِدٌ: عَلَى الحَقِّ[1]. وقَالَ غَيْرُه: فِي الكَلَام إِضْمَارٌ، تَقْدِيرُه: إِنَّ ربِّي يَدُلُّ عَلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ[2].

فَإِنْ قِيلَ: مَا وجْهُ المُنَاسبَةِ بَيْن قَوْلِه: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ وبَيْنَ كَوْنِه عَلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ؟.

فعَنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه لمَّا أخْبَرَ[3] أنَّه آخِذٌ بِنوَاصِي الخلْقِ، كانَ معْناهُ: أنَّهُم لا يَخْرُجونَ عنْ قبْضَتِهِ، فأخْبَرَ أنَّه علَى طريقٍ لا يعْدِلُ عنْه هارِبٌ، ولا يَخْفَى عليْه مُستَتِرٌ.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: أنَّه وإنْ كانَ قادِرًا عليْهِم، فهوَ لا يظْلِمُهُم، ولا يُريدُ إلَّا العدْلَ، ذكَرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[4].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه فعْلٌ ماضٍ، معْناهُ: فإنْ أعْرَضُوا؛ فعلَى هذا فِي الآيَةِ إضْمارٌ، تلْخِيصُه: فإنْ أعْرَضُوا فقُل لَهُم: قد أبْلَغْتُكُم، هذَا مذْهبُ مُقاتلٍ في آخَرِينَ[5].

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨٧) (٧٢٦٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٧) إلى أبي الشيخ.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٨/ ١٤) دون عزو.

(٣) في (ف): أخبره.

(٤) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٤٩).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

والثَّاني: أنَّه خِطابٌ لِلْحاضِرينَ، وتقْدِيرُه: فإن تتولَّوا، فاسْتثْقلُوا الجمْعَ بيْنَ تاءَيْنِ مُتحرِّكَتيْنِ، فاقْتُصر على إحْداهُما، وأُسْقِطتِ الأُخْرَى؛ كما قالَ النَّابغَةُ [من مجزوء الكامل]:

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيـ ـشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْقَـ ـى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ
وَتَصَرَّفُ الْأَيَّامُ حَتـ ـى مَا[1] يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهْ[2]

أرادَ: وتتصرف الأيام، فأسقَط إحْدَى التَّاءَيْنِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ[3].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيهِ وعِيدٌ لهُم بالهَلاكِ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: حفِيظٌ علَى أعْمالِ العِبادِ حتَّى يُجازِيَهم بِهَا.

والثَّاني: أنَّ «علَى» بمعْنَى اللَّامِ، فالمعْنَى: لِكلِّ شيْءٍ حافِظٌ، فهوَ يحْفظُني مِن أنْ تنالُوني بِسُوءٍ. [٣٧٥/أ]

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨].

---

(١) في (ج)، و(ف): لا.

(٢) تنازع هذا البيت ثلاثة: النابغة الذبياني، والجعدىّ ولبيد، وهو فى دواوينهم، صفحات (ص: ٢٣٠)، و(ص: ١٩١)، و(ص: ٣٦٥)، كما تُنسب لأبي العتاهية، وهي في ديوانه (ص: ١٠٤) وفي الحماسة؛ للبحتري (ص: ٩٥) مع بعض الاختلاف في اللفظ.

(٣) من قوله: (أراد)... إلى هنا ساقط من (ج).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: جاءَ[1] عذَابُنَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: جاءَ أمْرُنا بِهلَاكِهِم.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: نجَّيْنَاهُم[2] مِنَ العذَابِ بِنعْمَتِنَا.

والثَّاني: نجَّيْنَاهُم بأنْ هدَيْنَاهُم إلى الإيمَانِ[3]، وعصَمْنَاهُم مِنَ الكُفْرِ، رُوي القوْلَانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾؛ أي: شدِيدٍ؛ وهوَ مَا استحقَّهُ قوْمُ هودٍ مِنْ عذَابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [هود: ٥٩].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ [جَحَدُواْ][4] ﴾ يعْنِي: القَبِيلَةَ ﴿ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ ﴾ لِقائِلٍ أنْ يقُولَ: إنَّما أُرسِل إليهِم هودٌ وحْدَهُ، فكيْفَ ذُكِر بلفْظِ الجمْعِ؟.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ف): أنجيناهم.

(٣) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: الإسلام.

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ر)، و(م).

فالجوابُ مِن ثلاثَةِ أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّه قد يُذكر[١] بلفظِ[٢] الجمْعِ ويُرادُ بهِ الواحِدُ؛ كقوْلِه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ والمرَادُ بهِ: النَّبيُّ ﷺ وحْدَهُ[٣].

والثَّاني: أنَّ مَنْ كذَّبَ رسُولًا واحِدًا[٤]؛ فقَدْ كذَّبَ الكُلَّ.

والثَّالث: أنَّ كُلَّ مرَّةٍ يُنذرهُم فيهَا هِي رِسالَةٌ مُجدَّدةٌ، وهوَ بها[٥] رَسُولٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾؛ أي: واتَّبعَ الأَتْباعُ أمْرَ الرُّؤسَاءِ.

والجبَّارُ: الَّذي طالَ وفَاتَ [اليَدَ][٦][٧].

ولِلْعُلماء فِي الجبَّارِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الَّذِي يقْتُلُ علَى الغضَبِ ويُعاقِبُ علَى الغضَبِ، قالَهُ الكلْبِيُّ.

والثَّانِي: أنَّه الَّذِي يجبُرُ النَّاسَ علَى مَا يُريدُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٨].

والثَّالث: أنَّه المسلَّطُ.

---

(١) في (ف): يذكره.

(٢) في (م): لفظ.

(٣) من قوله: (من ثلاثة أوجه)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ج): فيها.

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) انظر: الصحاح؛ للجوهري (٢/ ٦٠٨).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٣).

والرَّابع: أنَّه العَظِيمُ فِي نفْسِه، المتكبِّرُ علَى العِبادِ، ذكرَهُما[١] ابْنُ الأنْبارِيِّ[٢].

والَّذي ذكرْناه يجْمَعُ هذهِ الأقْوالَ، وقد زدْنَا هذَا شرْحًا في [سورة][٣] المائدة [آية: ٢٢].

فَأمَّا العَنِيدُ: فهوَ الَّذي لا يقْبَلُ الحقَّ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ[٤]: العَنُودُ، والعَنِيدُ[٥]، والعَانِدُ: المعَارِضُ لَك بالخِلافِ عليْكَ[٦].

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

---

(١) في (ف): ذكره.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧١).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): قال أبو عبيد.

(٥) في (ج): العنيد والعنود.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٥).

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود: ٦٠ - ٦٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: أُلحِقُوا لعْنَةً تنْصَرِفُ معَهُم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: وفي يوْمِ[1] القِيامَةِ لعِنُوا[2] أيْضًا ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: بِربِّهِم، فحذَفَ الباءَ، وأنْشدُوا [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرتَ بِهِ[3] ....

قالَ الزَّجَّاجُ: وقوْلُه: «أَلَا»: ابْتِداءٌ وتنْبِيهٌ، و﴿بُعْدًا﴾ منْصُوبٌ على معْنَى[4]: أَبْعدَهُمُ اللهُ فبَعِدُوا[5] بُعدًا، والمعْنَى: أَبْعدَهُم [اللهُ][6] مِن رحْمَتِهِ[7].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (فيهِ قوْلَانِ:

---

(١) ليس في (ج).

(٢) في (ج): لعنوا به.

(٣) البيت بلا نسبة في الكامل؛ للمبرد (١/ ٣٦)، والمقتضب (٢/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٣٥١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٣١٧)، (١/ ٣٣٧)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٧٢)، وعجزه: فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) من (ج).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٩).

أحدُهما: خلقَكُم مِن آدَمَ، وآدَمُ خُلِق مِنَ الأرْضِ)[١].

والثَّاني: أنْشأَكُم فِي الأرْضِ.

وفِي قوْلِه: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: «أعْمَرَكُـم فِيهـا»؛ أي: جعَلَكُـم سَـاكِنيها مُـدَّةَ أعْمارِكُـم، ومنْـه العُمْـرَى[٢]، وهـذَا قـوْلُ مُجاهِـدٍ[٣].

والثَّـاني: أطَـال أعْمَارَكُـم، وكانَـتْ أعْمارُهُـم[٤] مِـن ألْـفِ سـنَةٍ إلى ثلاثِمائَـةِ [سـنةٍ][٥]، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ.

والثَّالث: جعَلَكُم عُمَّارَهَا، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ فيهِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهُـم كانُـوا يرْجُونَـهُ للممْلَكـةِ بعْـدِ ملكِهِـم؛ لأنَّـه كانَ ذا حسَـبٍ وثـروَةٍ، قالَـهُ كعْبٌ. [٣٧٥/ ب]

---

(١) في (ج): أي: أنشأكم من آدم، وآدم خلق من الأرض.

(٢) هـي بضـم العـين وإسـكان الميـم؛ هـي مـا تجعلـه للرجـل مـدة عمـرك أو عمـره، وقـال ثعلـب: العمـرى: أن يدفـع الرجـل لأخيـه دارًا، فيقـول: هـذه لـك عمـرك، أو عمـري، أينـا مـات دفعـت الـدار إلى أهلـه؛ أي إلى ورثتـه.

(٣) تفسـير مجاهـد (ص: ٣٨٩)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٦٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٤٨) (١٠٩٧٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٣٣٨) إلى أبي الشـيخ.

(٤) في (ر): أعمارکم

(٥) من (ج).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٩١) بلفظ: جعلكم عمّار الأرض.

والثَّاني: أنَّه كان يبْغضُ أصْنامَهُم ويعْدِلُ عنْ دِينِهِم، وكانُوا يرْجُونَ رُجوعَهُ إلى دِينِهِم، فلمَّا أظْهَر إنْذارَهُم؛ انْقطَع رجَاؤُهُم منْهُ، وإلى نحْوِ هذَا ذهَبَ مُقاتِلٌ[١].

والثَّالث: أنَّهُم كانوا يرْجُون خيْرَه، فلمَّا أنْذرَهُم، زعمُوا أنَّ رجاءَهُم لِخيْرِه قدِ انْقطَعَ، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾ إنْ قالَ قائِلٌ: لِمَ قالَ هاهُنا: ﴿وَإِنَّنَا﴾، وقالَ فِي «إبْرَاهِيم»: «وإنَّا»؟.

فالجوَابُ: أنَّهُما لُغتانِ مِن لُغاتِ قُريشٍ السَّبعِ الَّتِي نزَلَ القُرآنُ علَيْهَا.

قالَ الفرَّاء[٣]: مَنْ قالَ: {إنَّنَا} أخْرجَ الحرْفَ علَى أصْلِه؛ لأنَّ كِنايةَ المتكلِّمِينَ «نا» فاجْتمعَتْ ثلَاثُ نُوناتٍ: نُونَا «إن»، والنُّونُ المضْمُومَةُ إلَى الألِفِ، ومَنْ قالَ: «إنَّا» اسْتثْقَلَ الجمْعَ بيْنَ ثلاثِ نُونَاتٍ، وأسْقطَ الثَّالِثةَ؛ وأبْقَى الأُولَتَين، وكذلِكَ يُقالُ: «إنَّ وإنَّنِي»، و«لعَلِّي ولَعلَّنِي»، و«ليْتِي وليْتَنِي»، قالَ اللهُ تعَالى فِي [اللُّغة][٤] العُليا: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦﴾ [غافر: ٣٦]، وقالَ الشَّاعِرُ فِي اللُّغةِ الأُخرَى [من الطويل]:

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا[٥]

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٨).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٧٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٦).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) البيت للأسود ابن يعفر في مجاز القرآن (١/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٣/ ٧٨)، والحجة؛=

وقالَ [اللهُ][1] تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ [النساء: ٧٣]، وقالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

كَمُنْيَةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ: لَيْتِي أُصَادِفُهُ وَأُتْلِفُ بَعْضَ مَالِي[2]

فأمّا المريبُ: فهوَ الموقِعُ للرِّيبة والتُّهمَةِ، والرَّحمَةُ يُراد بها هاهُنا: النُّبوَّةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ التَّخْسِير: النُّقْصانُ.

وفِي معْنَي الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فَمَا تزِيدُونَنِي غيْرَ بِصَارَةٍ في خَسَارَتِكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[3].

=لأبي علي (٢/ ٢٢٥)، والكنز اللغوي؛ لابن السكيت (ص: ٢٣)، والأغاني (١٣/ ٣٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٤١)، وجاءت في رواية: (لأنني) بدل: (لعلني)، وجاء في الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٧٧٤): «وأنشد أبو زيد لحاتم»... فذكره، وفي تاج العروس (٣٤/ ٢٠٤): «قال ابن بري: وهو الصحيح، وقيل: هو لدريد، قال: وقد وجدته في شعر معن بن أوس المزني»، وجاء في تفسير القرطبي (٧/ ٦٤) معزوًّا لدريد بن الصمة.

(١) من (م).

(٢) البيت لزيد الخيل الطَّائي في ديوانه (ص: ٨٧)، ونوادر اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٢٦٩)، وكتاب سيبويه (٢/ ٣٧٠)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٩٧)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٧٧)، وبلا نسبة في المقتضب (١/ ٢٥٠)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٥٥٠)، المنية: ما يتمناه الإنسان، جابر: رجل من غطفان تمنى أن يلقى زيدًا، فلما التقيا طعنه زيد برمح، فانكسر ظهره.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٩٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٥٧).

وقَالَ الفـرَّاءُ: المعْنَـى: فَـمَا تَزِيدُونَنِـي غَـيْرَ تَخْسِـيرٍ لكُـم؛ أي: كُلَّـما اعْتذرْتُـم عنْـدِي بعُـذْرٍ؛ فهـوَ يزِيدُكـم تخْسِـيرًا[1].

وقالَ ابْنُ الأعْرَابِيِّ[2]: غيْرَ تَخْسِيرٍ لكُم، لَا لِي.

وقالَ بعْضُهم[3]: المعْنَى: فَمَا تَزِيدُونَنِي بِما قُلْتُم إلَّا نِسْبَتِي لكُم إلى الخَسارَةِ.

والقَـوْلُ الثَّـاني: فَـمَا تَزِيدُونَنِـي غَـيْرَ الخُـسْرانِ إنْ رجعْـتُ إلَى دِينِكُـم، وهـذَا معْنَـى قَـوْلِ مُقاتِـلٍ[4].

فَـإِنْ قِيـلَ: فظَاهِـرُ هـذَا أنَّـه كانَ خَـاسِرًا، فـزَادُوهُ خسَـارًا، فقـدْ أسْـلفْنَا الجـوَابَ فِي قوْلِـه تعَـالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبـة: ٤٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾ قـدْ شرحْنَاهَـا فِي سـورَةِ[5] الأعْـرَاف [آيـة: ٧٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ﴾؛ أي: اسْـتَمْتِعُوا بحيَاتِكُـم، وعـبَّرَ عـنِ الحَيـاةِ بالتَمتُّـعِ؛ لأنَّ الحَـيَّ يكـونُ مُتمتِعًـا بالحـوَاسِّ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠).

(٢) انظر قـول ابـن الأعـرابي في تهذيـب اللغـة؛ للأزهـري (١/ ١٠٢٩) (خسـر)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١١/ ٤٥٨). وفي (ج): وقـال ابـن الأنبـاري.

(٣) ذُكـر هـذا القـول عـن الحسـين بـن الفضـل؛ كـما في الكشـف والبيـان (١٤/ ٣٩٣)، وتنسـير البغـوي (٤/ ١٨٦).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٨).

(٥) ليست في (ج)، و(ف).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

قَالَ المفَسِّرُونَ: لَمَّا عُقرتِ[١] النَّاقةُ صعَد فَصِيلُها إلى الجبَلِ، ورَغَا[٢] ثلاثَ مرَّاتٍ، فقَالَ صَالِحٌ: لِكُلِّ رغْوَةٍ أجَلُ يوْمٍ، أَلَا إنَّ اليَوْمَ الأَوَّلَ تُصبِحُ وجُوهُكُم مُصفَرَّةً، واليوْمَ الثَّانِي مُحمرَّةً، واليوْمَ الثَّالثَ مُسْودَّةً، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليوْمِ الأوَّلِ، إذَا وجُوهُهُم مُصفرَّةً، فصَاحُوا وضَجُّوا، وبَكَوا، وعرَفُوا أنَّه العذَابُ، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليوْمِ الثَّانِي؛ إذَا وجُوهُهُم مُحمرَّةٌ، [٣٧٦/أ] فضَجُّوا، وبَكوا، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ؛ إذَا وجْوُهُهُم مُسودَّة كأنَّما طُلِيَتْ بالْقَارِ، فصَاحُوا جمِيعًا: أَلَا قَدْ حضَرَكُمُ العَذَابُ؛ فتكَفَّنُوا وألْقَوْا أنْفسَهُم بالأرْضِ، لَا يدْرُونَ مِن أيْنَ يأْتِيهمُ العَذَابُ، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليوْمِ الرَّابِعِ، أتَتْهُم صيْحَةٌ مِنَ السَّماءِ فِيها صوْتُ كُلِّ صاعِقَةٍ، فتَقَطَّعتْ قلُوبُهُم فِي صُدُورِهِم[٣].

وقالَ مُقاتِلٌ: حفَرُوا لِأَنْفُسِهِم قُبورًا، فلمَّا ارْتفَعتِ الشَّمْسُ مِنَ اليوْمِ الرَّابِعِ، ولم يأْتِهِمُ العذَابُ، ظَنُّوا أنَّ اللهَ قدْ رَحِمَهُم، فخَرَجوا مِنْ قُبورِهِم يدْعُو

---

(١) نقل عن الأزهري قوله: «العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم يجعل النحر عقرًا؛ لأنَّ العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل، ثم جعل النحر عقرًا وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب». انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٥١٣) مادة: (عقر).

(٢) الرُّغاء: صوت ذوات الخف، رغا البعير والناقة ترغو رغاءً، انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٤٣١) (رغا).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٧٤- ٣٧٦)، وتاريخه (١/ ٢٢٧- ٢٣٠) مسندًا عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة، قال: قلنا له: حدِّثنا حديث ثمود... فذكره مطولًا.



بعْضُهُم بعْضًا؛ إذْ نَزَلَ جِبريلُ عليه السَّلام، فقَامَ فوْقَ المدِينَةِ فسَدَّ ضوْءَ الشَّمْسِ، فلمَّا عَايَنُوه، دخَلُوا [إِلَى][1] قُبورِهِم، فصَاحَ بِهِم صَيْحَةً: مُوتُوا، علَيْكُم لعْنَةُ اللهِ، فخرَجَتْ أرْواحُهُم، وتزَلْزلَتْ بُيوتُهُم فوَقَعتْ علَى قُبورِهِم[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ﴾؛ أي: العذَابُ ﴿غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾؛ أي: غيْرُ كذِبٍ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، ابْنُ عامِرٍ: ﴿يَوۡمِئِذٍ﴾ بكسْرِ المِيمِ. وقرَأَ الكِسائِيُّ بفتْحِهَا معَ الإضَافَةِ[4].

قال مكِّيٌّ[5]: مَن كسَرَ المِيمَ؛ أعْرَبَ وخفَضَ؛ لإضافَةِ الخِزْيِ إلى اليوْمِ، ولم يبْنِهِ؛ ومَن فتَح؛ بَنى اليوْمَ علَى الفتْحِ؛ لإضافَتِه[6] إلى غيْرِ مُتمكِّنٍ، وهوَ «إِذْ».

وقرَأَ ابْنُ مسْعُودٍ: {وَمِنْ خِزْيٍ} بالتَّنْوينِ {يَوْمَئِذٍ} بفتْحِ الميمِ[7].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٧١٣).

(٣) في (ف): مكذب.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٦).

(٥) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٦٧).

(٦) ليست في (ج).

(٧) قراءة شاذة، عزاها أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ١٧٨) لطلحة وأبان بن تغلب، وفي الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣٦).

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: وهذِه الوَاوُ في قَوْلِه: ﴿وَمِنْ خِزْيِ﴾ معْطُوفَةٌ علَى محْذُوفٍ، تقْدِيرُه: نجَّيْنَاهُم مِنَ العذَابِ ومِنْ خِزيِ يومِئذٍ.

قَالَ: ويجُوزُ أنْ تكُونَ[1] دخلَتْ لِفِعْلٍ مُضمَرٍ، تأْوِيلُه: نجَّيْنَا صَالحًا والَّذِين آمَنُوا معَهُ برحْمَةٍ مِنَّا، ونجَّيْنَاهُم مِن خِزيِ يوْمِئذٍ. قَالَ: وإنَّما قالَ: ﴿وَأَخَذَ﴾؛ لأنَّ الصَّيحةَ محْمُولَةٌ علَى الصِّياحِ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

اخْتَلَفُوا في صرْفِ «ثَمُود» وترْكِ إجْرَائِه[3] فِي خمْسَةِ مواضِعَ:

- في «هُود» موْضعانِ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.
- وفي «الْفُرْقَان»: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [آية: ٣٨].
- وفي: «الْعنكَبُوتِ»: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ [آية: ٣٨].
- وفي «النَّجْمُ»: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [آية: ٥١].

قرَأ ابْنُ كثِير، وأَبو عمْرٍو، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ بالتَّنْوِين فِي أرْبعَةِ موَاضِعَ منْهَا، وترَكُوا ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ فلم يَصْرِفُوه. وقرَأ حمْزةُ بترْكِ صَرْفِ هذِه الخمْسَةِ الأَحْرُفِ، وصَرَفَهُنَّ الكِسَائِيُّ.

واخْتُلف عنْ عَاصِمٍ؛ فروَى حُسينُ الجُعفِيُّ عنْ أبي بكْرٍ عنْهُ أنَّه أجْرَى الأرْبَعَةَ الأَحْرُفِ مثْلَ أبي عمْرٍو، وروَى يحْيَى بنُ آدم عَنْ أبي بكْرٍ

(١) في الأصل، و(ج): يكون، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٠).

(٣) يعني بالإجراء: الصرف.

أَنَّـه أجـرَى ثلاثـةً: فِي «هُـود»: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾، وفِي «الْفُرْقَـان»، و«الْعَنكَبُوت»، ورَوى حفْـصٌ عنْـهُ أنَّـه لمْ يُجـرِ شـيْئًا منْهَـا مثْـلَ[1] حمْـزَةَ[2].

[٣٧٦/ب] واعْلَـمْ أنَّ «ثمُـود» يُـراد بـهِ القَبيلَـةُ تـارَةً، ويُـرادُ بـهِ الحَـيُّ تـارَةً. فـإذَا أُريـدَ بـهِ القَبيلَـةُ، لم يُـصرفْ[3]، وإذا أُريـدَ بـه الحَـيُّ صُرِفَ.

ومَـا أخللْنَـا بـهِ، فقـد سـبَقَ تفْسِـيرُه... إلى قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والرُّسُـلُ هَاهُنـا: الملَائِكَـةُ.

وفِي عدَدِهِم سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهُـم كانُـوا ثلاثـةً: جِبْرِيـلَ، ومِيكائِيـلَ، وإسْرَافِيـلَ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وسَـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: جِبْرِيلُ، ومِيكائِيلُ، ومَلَكُ الموْت[4].

والثَّاني: أنَّهُم كانوا اثْني عشَرَ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: ثَمانِيةً، قالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كعْبٍ.

والرَّابع: تسْعَةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامس: أحدَ عشَرَ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

---

(١) في (ف): بمثل.

(٢) كلها سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، والتيسير (ص: ١٢٥).

(٣) في (ج)، و(ف): ينصرف.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

والسَّادس: أرْبعَةً، حكَاه الماوردِيُّ[١].

وفي هذه البُشْرى أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها[٢] البُشْرى بالوَلَدِ، قالَهُ الحسَنُ، ومُقاتِلٌ[٣].

والثَّاني: بِهلَاكِ قوْمِ لُوطٍ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالثُ: بِنُبوَّتِهِ، قالَهُ[٤] عِكْرمَةُ.

والرَّابع: بأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يخْرُجُ مِن صُلْبِهِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٥].

قوْله تعَالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: انْتصب بالقوْلِ؛ لأنَّه حرْفُ مقُول، والسَّلامُ الثَّاني مرْفُوعٌ بإضْمَارِ «عليْكُم»[٦].

وقالَ الفرَّاءُ[٧]: فيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أنَّه أضْمرَ {عَلَيْكُمْ}؛ كما قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٨٢).

(٢) ليست في (ج).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

(٤) في (ف): حكاه.

(٥) النكت والعيون (٢/ ٤٨٢).

(٦) نصب «سلامًا» لوجهين: أحدهما: أن يكون منصوبًا بقالوا، كما يقال: قلت خيرًا، وقلت شعْرًا. والثاني: أن يكون منصوبًا على المصدر. انظر: البيان في غريب القرآن (٢/ ٢١).

(٧) معاني القرآن (٢/ ٢١).



فَقُلْنَا السَّلَامُ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا فَمَا كَانَ إِلَّا وَمْؤُهَا بِالْحَوَاجِبِ[1]

والعرَبُ تقُولُ: الْتَقَيْنَا فقُلْنَا: سلَامٌ سلَامٌ.

والثَّانِي: أنَّ القوْمَ سلَّمُوا، فقَالَ حينَ أنْكرَهُم هوَ: سلَامٌ، فمَنْ أنْتُم؟ لإنْكَارِه إيَّاهُمْ.

وقرَأَ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «قَالَ سِلْمٌ»[2]، وهوَ بمعْنَى سلَام؛ كما قالُوا: حِلٌّ وحَلالٌ، وحِرمٌ وحَرامٌ؛ فعَلى هذَا يكونُ، معْنَى «سِلْمٌ»: سَلام علَيْكُم.

قالَ أبو علِيٍّ: فيَكُونُ معْنَى القِراءَتَيْنِ واحِدًا وَإِنِ اخْتلَفَ[3] اللَّفْظَانِ[4].

وقالَ الزَّجَّاجُ: مَن قَرَأَ: «سِلْمٌ» فالمعْنَى: أمْرُنَا سِلْمٌ، أي: لا بأْسَ علَيْنَا[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾؛ أي: ما أقَامَ حتَّى جاءَ بعِجْلٍ حَنِيذٍ؛ لأنَّه ظنَّهم أضْيافًا، وكانتِ الملائِكةُ قد جاءَتْهُ في صُورةِ الغِلْمانِ الوِضاءِ.

---

(١) البيت بلا نسبة في معاني القرآن (١/ ٤٠)، (٢/ ٢١)، (٣/ ١٢٤)، وإيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٩٠٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٥)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٤/ ٢٢٠)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٣٤)، أميرها: الذي له عليها الولاية والأمر يريد زوجها، وَمْؤُها: إشارتها.

(٢) قراءة سبعيَّة، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٣) في (ف): اختلفت.

(٤) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٦٣) بلفظ: فيكون على هذا قراءة من قرأ: «قال سلم وسلام» بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٤).

وفي الحَنِيذِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنّه النَّضِيجُ، قالَهُ ابْنُ عبّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ.

والثّاني: أنّه الّذِي[1] يقْطُر ماؤُهُ ودَسمُهُ (وقد شُويَ)[2]، قالَهُ شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ[3].

والثّالث: أنّه ما حَفرْتَ [في][4] الأرْضَ ثُمَّ غَمَمْتَهُ، وهوَ مِنْ فعْلِ أهْلِ البَادِيةِ، معْرُوفٌ[5]، وأصْلُه: محْنُوذٌ، فقِيلَ: حنِيذٌ، كما قِيل: طَبِيخٌ للمطْبُوخِ، وقَتِيلٌ للمقْتُولِ. هذا قوْلُ الفرَّاءِ[6].

والرّابع: أنّه المشْوِيُّ، قالَهُ أبو عُبيدَةَ[7].

والخامِس: المشوِيُّ بالحِجارَةِ الْمُحْماةِ، قالَه مُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[8].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) هو: شِمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكُوفي، قال النَّسائيّ، وابن معين، وابن سعد، والعجلي، والدارقطني: ثِقَة. وذكره ابن حبان في الثِّقات، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير. وقال ابن حجر: صدوق. توفي بعد سنة (١٠٠هـ). انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٦/ ٣١٠)، وتاريخ أسماء الثِّقات؛ لابن شاهين (ص: ٢٢٣)، الكاشف (١/ ٤٩٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٧٩).

(٤) من (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٢١).

(٧) مجاز القرآن (١/ ٢٩٢).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١).



والسَّادسُ: السَّمِيط، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ، وقالَ: يُقالُ: إنَّه المشوِيُّ فقطْ، ويُقالُ: المشْوِيُّ الَّذي يَقْطُرُ، ويُقالُ: المشْوِيُّ بالحِجَارةِ(١).

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعْنِي: الملائكةَ ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يعْنِي: العِجلَ ﴿نَكِرَهُمْ﴾؛ أي: أنْكرَهُم.

[٣٧٧/أ] قالَ أبو عُبيدةَ: نكِرَهُم وأنْكرَهُم واسْتَنْكرَهُم، سَواءٌ(٢)، قالَ الأعْشَى [من البسيط]:

فَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا(٣)

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ أي: أضْمَرَ فِي نفسِهِ خوْفًا.

قالَ الفرَّاءُ: وكانَت سُنَّةً فِي زمَانِهِم إذا وردَ عليْهِمُ(٤) القوْمُ فأتَوْهُم بالطَّعامِ فلَم يمَسُّوه، ظَنُّوا أنَّهُم عدُوٌّ ولُصوصٌ(٥)، فهُنالِكَ أوجَسَ فِي

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٥)، والخصائص (٣/ ٣١٠)، والمحتسب (١/ ٣٤٧)، وشرح المفصل (٣/ ١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣) وقال أبو عبيدة: قال يونس: قال أبو عمرو: أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره فذهب، فأتوب إلى الله منه، وهو في تفسير الطبري (١٢/ ٧١)، وتفسير الثعلبي (١٤/ ٤٠١)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٢).

(٤) في (ج): إذا جاءهم.

(٥) في (ف): أو لصوص.

نفْسِـه خِيفَـةً، فـرَأَوْا ذلِـكَ فِي وجهْـهِ، فقَالُـوا: ﴿لَا تَخَفۡ﴾[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أيْ: أُرْسلْنَا بالعذَابِ إليْهِم[٢].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: وإنَّـما أضْمَـر ذلِـك هَاهُنـا؛ لِقيـامِ الدَّلِيـلِ عليْـهِ بذكْرِ اللهِ تعَـالى لـه فِي سُـورةٍ أُخْـرى[٣].

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هود: ٧١ – ٧٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ واسْمُها: سارَّة.

واخْتلَفُوا أيْنَ كانَتْ قائِمةً علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: ورَاءَ السِّتْرِ تسْمَعُ كلامَهُم، قالَهُ وهْبٌ.

والثَّاني: كانتْ قائِمةً تخْدِمُهم، قالَهُ مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالث: كانتْ قائِمةً تُصلِّي، قالَهُ محمَّد بْنُ إسْحاقَ[٤].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٨١).

(٣) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٧٣).

(٤) ذكره عن محمد بن إسحاق الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٨٤).

وفي قوْلِه: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الضَّحِكَ هَاهُنا بمعْنَى: التَّعجُّبِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنى «ضَحِكَتْ»: حَاضَتْ، قالَه مُجاهِدٌ، وعِكْرمَةُ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهذا مِنْ قوْلِهم: ضَحِكَتِ الأرْنَبُ؛ إذا حَاضَتْ. فعَلى هـذَا يكُونُ حيْضُها حينئِذٍ تأْكِيدًا للْبِشارةِ بالولَدِ؛ لأنَّ مَنْ لا تَحِيضُ لا تَحْملُ[1].

وقالَ الفرَّاءُ: لمْ نَسْمَعُ مِن ثِقةٍ أنَّ معْنَى «ضَحِكَتْ»: حَاضَتْ[2].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: أنْكَر الفرَّاءُ[3]، وأبو عُبيدَةَ[4]، أنْ يكُونَ «ضَحِكَتْ» بمعْنَى: حاضَتْ، وعَرفَهُ غيْرُهُم[5]، قالَ الشَّاعِرُ [من المديد]:

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ   وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ[6]

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم أقف عليه في مجاز القرآن في موضعه (١/ ٢٩٣).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٤٧٦).

(٦) البيت من قصيدة تنسب للشنفري ولتأبط شرًّا، ولابن أخت تأبط شرًّا ولخلف الأحمر. انظر: ديوان الشنفري (ص: ٨٤)، وللشنفري في الأغاني (٦/ ٨٣)، ولخلف الأحمر في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٢/ ٨٣٧)، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (٢/ ١٦٤)، ولتأبط شرًّا في لسان العرب (١٠/ ٤٦٠) (ضحك)، وجمهرة اللغة (ص: ٥٤٦)، ولابن أخت تأبط شرًّا في العقد الفريد (٣/ ٣٠٠)، ولأحد الأربعة المتقدمين في سمط اللآلي (ص: ٩١٩)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٨٩)، والمعاني الكبير (١/ ٢١٤).

قال بعْضُ أهْلِ اللُّغة: معْنَاه: تحيضُ[١].

والثَّالث: أنَّه الضَحِكُ المعْرُوفُ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرينَ.

وفِي سببِ ضَحِكِهَا سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ضَحِكتْ مِن شِدَّةِ خوْف إبْراهِيمَ مِن أضْيافِه، وقالَتْ: مِن ماذا[٢] يخَافُ إبراهيمُ، وإنَّما هُم ثلاثةٌ، وهوَ فِي أهْلِه وغِلْمانِه؟! رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبهِ قالَ مُقاتِلٌ[٤].

والثَّاني: أنَّها ضَحِكتْ مِن بِشارَةِ الملَائِكةِ لإبْراهِيمَ بالوَلَدِ، وهذَا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاس أيضًا، ووهْبِ بْنِ مُنبِّهٍ؛ فعلَى هذا إنَّما ضحِكَتْ سُرورًا بالبِشَارةِ، ويكونُ فِي الآيةِ تقْدِيمٌ وتأخِيرٌ.

المعْنَى: وامْرأتُه قائِمةٌ فبشَّرْنَاهَا فضَحِكَتْ، وهوَ اخْتِيارُ ابْنِ قُتيبةَ[٥].

والثَّالث: ضحِكَتْ مِن غفْلةِ قوْم لوطٍ وقرْبِ العذَابِ منْهُم، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: ضحِكَتْ مِن إمْساكِ الأضْيافِ عنِ الأَكْلِ، وقالَتْ: عجبًا لِأَضْيافِنَا[٦]، نخْدِمُهم بأنْفُسِنا، وهُم لَا يأْكُلُون طعامَنَا، قالَهُ السُّدِّيُّ.

(١) انظر: جمهرة اللغة (ص: ٥٤٦).

(٢) في (ج):ممَّ.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٣١٠) من طريق جويبر عن الضحاك به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤٨) إلى إسحاق بن بشر، وابن عساكر.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٦) في (ج): عجبًا من أضيافنا.



والخامِس: ضحِكت سُرورًا بالأمْنِ؛ لأنَّها خافَتْ كخوْفِ إبْراهِيمَ، قالَهُ الفرَّاءُ[١].

والسَّادس: أنَّها كانتْ قالَتْ لإبْراهِيمَ: اضْمُم إليْكَ ابْنَ أخِيكَ لوطًا، فإنَّه سيَنْزِلُ العذَابُ بقوْمِه، فلمَّا جاءتِ الملائِكةُ بعذَابِهِم؛ ضحِكَتْ [٣٧٧/ب] سُرورًا بموَافقتِهَا للصَّوابِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٢].

قالَ المفَسِّرونَ: قالَ جبريل عليه السلام لسارَّةَ: أبْشري أيَّتُها الضَّاحِكةُ بوَلدٍ اسْمُه إسْحاقُ، ومِنْ ورَاءِ إسْحاقَ يعْقُوبُ، فبَشَّرُوها[٣] أنَّها تلِدُ إسْحاقَ، وأنَّها تعِيشُ إلى أنْ ترَى ولَدَ الوَلَدِ.

وفِي معْنى الورَاءِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه بمَعْنى: «بَعْدَ»، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ مُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[٤].

والثَّاني: أنَّ الورَاءَ ولَدُ الوَلَدِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[٥]، وبهِ قالَ الشَّعْبيُّ[٦]، واخْتارَهُ أبو عُبيدٍ[٧].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٢) حكى هذا القول الزجَّاجُ في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١)، وانظر البحر المحيط (٦/ ١٨١).

(٣) في (ف): فبشرها. وليست في (ج).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٦) من طريق حبيب به.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٥).

(٧) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ١٩٨).

فَإِنْ قِيلَ: كيْفَ يكونُ يعْقُوبُ ورَاءَ إسْحاقَ وهوَ ولَدُه لِصُلْبِه، وإنَّما الورَاءُ، ولَدُ الولَدِ؟

فقدْ أجَاب عنْهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[1]، فقَالَ: **المعْنى**: ومِن ورَاءِ المنْسُوبِ إلى إسْحاقَ يعْقُوبُ؛ لأنَّه قد كان الورَاءَ لإبْراهيمَ مِن جِهةِ إسْحاقَ، فلوْ قالَ: ومِنَ الورَاءِ يعْقوبُ، لمْ يُعلم أهذَا الورَاءُ منْسوبٌ إلى إسْحاقَ، أمْ إلى إسْماعِيلَ؟ فأُضِيفَ إلى إسْحاقَ؛ لِينْكشِفَ المعْنَى ويزولَ اللَّبْس.

قال: ويجُوز أنْ يُنسبَ ولدُ إبْراهيمَ مِن غيرِ إسْحاقَ إلى سارَّةَ علَى [جِهَةِ][2] المجازِ. **فكانَ تأْويلُ الآيةِ**: مِن الورَاءِ المنْسُوبِ إلى سارَّةَ، وإلى إبْراهِيمَ مِن جِهةِ إسْحاقَ، يعْقُوبُ. ومَن حمَلَ الورَاءَ علَى «بَعْدَ» لزِمَ ظاهِرَ العربيَّةِ.

واخْتلَفَ القُرَّاءُ فِي ﴿يَعْقُوبَ﴾: فقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، والكِسَائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: {يَعْقُوبُ} بالرَّفْعِ. وقرَأَ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: {يَعْقُوبَ} بالنَّصْبِ[3].

قالَ الزَّجَّاجُ: وفي رفْعِ {يَعْقُوبَ} وجْهَانِ:

أحدُهما: علَى الِابْتداءِ المؤخَّرِ، ومعْناه التَّقْديمُ؛ **والمعْنَى**: ويعقوبُ يحْدُثُ[4] لها مِن ورَاءِ إسْحاقَ.

---

(١) الأضداد (ص: ٦٩)، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٧٨).

(٢) من سائر النسخ، إلا أن في (ج): وجه.

(٣) روى حفص النصب، وشعبة الرفع، انظر: التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٨).

(٤) الذي في المعاني المطبوع: مُحْدَثٌ.

والثَّاني: وثَبت لَها مِن ورَاءِ إسْحاقَ يعْقُوبُ.

ومَنْ نصَبه حمَلَهُ علَى المعْنَى، والمعنى: وهبْنا لها إسْحاقَ، ووهَبْنَا لها يعْقُوبَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾.

هـذه الكلِمـةُ تُقـال عنْـدَ الإِيـذانِ بـورُودِ الأمْـرِ العَظِيـم. ولم تُـرِدْ بهـا[٢] الدُّعـاءَ عـلى نفْسِـها، وإنَّـما هـيَ كلِمَـةٌ تخِـفُّ عـلَى ألْسِـنةِ النِّسـاءِ عنْـد الأمْـرِ العَجيـبِ. وقولهـا: ﴿ءَأَلِدُ﴾: اسْـتفْهَامُ تعجُّـبٍ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: و﴿شَيْخًا﴾ منْصـوبٌ عـلى الحـالِ[٣]. قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: إنَّـما أشـارَتْ بقوْلِهـا هـذَا لتُنبِّـهَ[٤] عـلَى شـيْخُوختِهِ[٥].

واخْتلَفُوا في سِنِّ إبْراهِيمَ وسَارَّةَ يومئذٍ علَى أرْبعةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه كانَ إبْراهيـمُ ابْـنَ تسـعٍ وتِسـعينَ سـنَةً، وسـارَّةُ [يومئـذٍ][٦] بِنْـتَ ثَـمانٍ وتِسْـعينَ [سـنَةً][٧]. قالَـهُ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٢).

(٢) في الأصل: به، والمثبت من سائر االنسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٣).

(٤) في (ج): التنبيه.

(٥) البيـان في غريـب إعـراب القـرآن (٢/ ٢٢)، قـال: «هـذا» مـن معنـى الإشـارة أو التنبيـه، فـكأنَّ المعنـى: أشـير إليـه شـيخًا، أو أُنبِّـهُ عليـه شـيخًا.

(٦) من (ج).

(٧) من (ف).

والثَّـاني: أنَّـه كانَ [إبْراهِيـمُ][1] ابْـنَ مائَـةِ سـنةٍ، وسـارَّةُ بنْـتَ تِسْـعٍ وتسْـعِينَ [سـنةً][2]، قالَـهُ مُجاهِـدٌ[3].

والثَّالث: كانَ إبْراهِيمُ ابْنَ تسْعِينَ (سنةً)[4]، وسارَّةُ مثْلُه، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: كانَ إبْراهِيـمُ ابْـنَ مائـةٍ وعشْرِيـنَ سـنَةً، وسـارَّةُ بنْـتَ تِسْـعينَ، قالَـهُ عُبيـدُ بْـنُ عُمـيرٍ، وابْـنُ إسْـحاقَ[5].

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هـود: ٧٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: مِـن قضَائـهِ وقُدرتِـهِ، وهـوَ إيجـادُ ولَـدٍ مِـن بـيْنِ كبِيرَيْـنِ.

قـالَ السُّـدِّيُّ: قالَـتْ سـارَّةُ لجبريلَ: مَا آيـةُ ذلِـكَ؟ فأخَذَ بيـدِهِ عُودًا يابسًـا [٣٧٨/أ] فلَـوَاهُ بـيْنَ أصَابعِـهِ فاهْتَزَّ أخْـضَرَ، فقالَـتْ[6]: هـوَ إذَنْ للهِ ذَبِيحٌ[7].

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٨).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) أخرجـه ابـن جريـر الطـبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٨)، وتاريخـه (١/ ٢٤٩) عـن ابـن حميـد بـه، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٥٩) مـن طريـق سـلمة عـن ابـن إسـحاق بنحـوه.

(٦) في (ف): قال.

(٧) أخرجـه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٩٥)، وتاريخـه (١/ ٢٧٢- ٢٧٣) مـن طريـق أسـباط عـن السـدي، قـال جبرائيـل لسـارَة: أبـشري بولـد اسـمه إسـحاق، ومـن وراء إسـحاق يعقـوب، فضربـت جبهتهـا عَجَبًـا، فذلـك قولـه: ﴿ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾،=

قوْلُه تعَالى: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ فِيهِ وجْهَانِ:

أحدُهُما: أنَّه مِن دُعاءِ الملائِكَة لهُم.

والثَّاني: أنَّه إخْبارٌ عنْ ثُبوتِ ذلِك لهُم.

ومِن تلْكَ البركَاتِ وجُودُ أكثَرِ الأنْبِياءِ والأسْبَاطِ مِنْ إبْراهِيمَ وسَارَّةَ. و«الحمِيدُ» بمعنى: المحمُود.

فأمَّا «المجِيدُ»، فقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: بمعْنى: الماجِد، وهوَ الشَّريفُ[1].

وقالَ أبو سُليْمانَ الخطَّابيُّ: هو الوَاسِعُ الكرَمِ، وأصْلُ المجْدِ في كلامِهِم: السَّعَةُ، يُقالُ: رَجُلٌ ماجِدٌ؛ إذا كانَ سخيًّا واسِعَ العطَاءِ، وفي بعْضِ الأمْثالِ: «فِي[2] كُلِّ شَجرٍ نَارٌ، واسْتَمْجَدَ المرْخُ والْعفَارُ»[3]؛ أي:

=و﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾... إلى قوله: ﴿حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ قالت سارَة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عودًا يابسًا، فلوَّاه بين أصابعه، فاهتزَّ أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذَبيح.

(١) غريب القرآن (ص: ١٦).

(٢) في (ف): من.

(٣) المثل في غريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ١٤٧)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٩٢)، وكتاب الأمثال؛ لأبي عبيد (ص: ٣٦١)، ومجمع الأمثال (٢/ ٧٤)، قال الأزهري: وقد رأيتها في البادية، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. قال الزمخشري في المستقصى (٢/ ١٨٣): هما شجرتان من أسرع الشجر خروج نار. وفي الميداني استمجد المرخ والعفار؛ أي: استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما. شُبِّها بمن يكثر العطاء طلبًا للمجد. قال أبو زياد: ليس في الشجر كله أورى زنادًا من المَرْخ، قال: وربما كان المرْخ مجتمعًا ملتفًّا، وهبت الريح فحك بعضه بعضًا فأورى فاحترق الوادي كله... والزند الأعلى يكون من العفار، والأسفل من المرخ. انظر تفسير الأسماء؛ للزجاج (ص: ٥٣).

اسْـتكثَرا منْهَـا[١].

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هـود: ٧٤ - ٧٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ يعْنِـي: الفـزَعَ الَّـذِي أصَابَـهُ حـينَ امْتَنَعُـوا مِـن الأكْلِ ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ فيـهِ إضْـمارٌ؛ أخـذَ وأقْبـلَ يُجادِلُنـا، والمـرَادُ: يُجـادِلُ رُسُـلَنَا.

قـالَ المفَـسِّرُونَ: لَمَّـا قالُـوا لَـهُ[٢]: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبـوت: ٣١] قـالَ: أَتُهلِكُـونَ قريـةً فيهـا مائِـةُ مُؤمِـنٍ؟ قالُـوا: لَا. قـالَ: أَتُهلِكُـونَ قرْيـةً فيهَـا خمْسُـون مُؤمِنًـا؟ قالُـوا: لَا. قَـالَ: أرْبعُـونَ؟ قالُـوا: لَا. فـمَا زَالَ يُنقِـصُ حتَّـى قـالَ: فوَاحِـدٌ؟ قالـوا: لَا. فقَـال حِينئـذٍ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبـوت: ٣٢]، هـذَا قـوْلُ ابْـنِ إسْـحاقَ[٣].

وقـالَ غـيْرُه: قِيـلَ لَـهُ: إنْ كانَ فِيهـم خمْسـةٌ لم نُعذِّبْهـم، فـمَا كانَ فيهِـم سِـوى لـوطٍ وابْنَتَيْـهِ.

وقـالَ سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ: قـالَ لَهُـم: أَتُهلِكـونَ قرْيـةً فيهَـا أربعَـةَ عـشَرَ مُؤمِنًـا؟ قالُـوا: لَا؛ وكانَ إبْراهِيـمُ يعدُّهـم أربعَـةَ عـشَرَ مـعَ امْـرأةِ لُـوطٍ،

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٧٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٠٤).

فسكَتَ[(١)] واطْمأنَّتْ نفسُه؛ وإنَّما كانُوا ثلاثةَ عشَرَ فأُهْلِكُوا[(٢)].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ قد فسَّرْناه في براءة [آية: ١١٤] فعنْدَ ذلك قالَتِ الرُّسُلُ لإبْراهِيمَ: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ يعْنُونَ: الجِدالَ ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابِهِم. وقِيلَ: قد جاءَ عذابُ ربِّكَ، فليْس بمَرْدُودٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد قضَى بهِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٧٧ - ٨١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: خرَجتِ الملائِكةُ مِن عنْدِ إبْراهِيمَ نحْوَ قريةِ لُوطٍ، فأَتَوْها عِشاءً[(٣)].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٣)، وتاريخه (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٨) من طريق يعقوب به.

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٦).

وقالَ السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِهِ: أتَوْهَا نِصْفَ النَّهارِ، فلمَّا بلَغُوا نَهْر سَدُومَ، لقوا ابْنَةَ[1] لوطٍ تسْتَقِي الماءَ لأَهْلِها، فقالُوا: لهَا يَا جارِيةُ، هلْ مِن منْزِلٍ؟ قالَتْ: نعَمْ! مكَانَكُم لا تدْخُلوا حتَّى آتِيَكُم؛ فَرَقًا[2] عليْهِم مِن قوْمِها، فأَتَتْ أبَاهَا، فقالَتْ: يا أبَتَاه! أدْرِك فِتْيانًا علَى بابِ المدينَةِ، مَا رأيتُ وُجوهَ قوْمٍ هيَ أحْسن منْهَم[3]، لَا يأْخذُهُم قوْمُك فيَفْضَحُوهُم؛ وقد كانَ قوْمُه نَهَوْهُ أنْ يُضِيفَ رجُلًا؛ فجاءَ بِهم، ولم يعْلَمْ بِهم أحدًا إلَّا أهْلَ بيْتِ لُوطٍ؛ فخرَجَتِ امْرأَتُه فأخْبَرَتْ قوْمَها، فجَاءُوا يَهْرعُون إليْهِ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿ سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ **فِيهِ قولَانِ:**

أحدُهُما: ساءَ ظَنُّه بقوْمِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ. [٣٧٨/ ب]

والثَّاني: ساءَهُ مَجِيءُ الرُّسُلِ؛ لأنَّه لم يعرِفْهُم، وأشْفَقَ عليْهِم مِن قوْمِه، قالَهُ ابْنُ جريرٍ[5].

قالَ الزَّجَّاجُ: وأصْلُ ﴿ سِيٓءَ بِهِمْ ﴾: سُوِئَ بِهِم، مِنَ السُّوءِ[6]، إلَّا أنَّ الواوَ أُسكِنَتْ ونُقِلَتْ كسْرتُها إلَى السِّينِ[7].

---

(١) في (ج): بنت. وفي (ف): بيت.

(٢) أي: خوْفًا.

(٣) في (ج): ما رأيت وجوهًا من وجوههم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٩)، وتاريخه (١/ ٢٩٩) بإسناد السدي، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٠)، والحاكم (٢/ ٥٦٢-٥٦٣) من طريق عمرو بن حماد به.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٤٠٧).

(٦) في (ج)، و(ف): سيء بهم من السوء.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٦).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ضاقَ ذرْعًا بأضْيَافِه[1].

قالَ الفرَّاءُ: الأصْلُ فيهِ: وضَاقَ ذرْعُه بِهم، فنَقَل الفعْلَ عنِ الذَّرع إلى ضمِير لوطٍ، ونَصَب الذَّرعَ بتحوُّلِ الفِعْل عنْه؛ كما قالَ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، ومعناه: اشْتعَل شيْبُ الرَّأسِ[2].

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: ضَاقَ فُلانٌ بأمْرِه ذرْعًا؛ إذَا لم يجِدْ مِن المكْرُوهِ فِي ذلِك الأمْرِ مخْلَصًا[3].

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ[4] فيهِ ثَلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: وقَعَ بهِ مكْروهٌ عظِيمٌ، لايصِلُ إلى دفْعهِ عن نفْسِه، فالذَّرْعُ كِنايةٌ عنْ هذَا المعْنَى.

والثَّاني: أنَّ معْناه: ضاقَ صبْرُه وعظُمَ المكْرُوهُ عليْه؛ وأصْلُه: مِن ذَرعَ فُلانًا القيْءُ؛ إذَا غلبَهُ وسبَقَهُ.

والثَّالثُ: أنَّ المعنى: ضاقَ بِهم وسْعُه، فنابَ الذَّرعُ والذِّراعُ عنِ الوُسعِ؛ لأن الذِّراعَ مِن اليدِ، والعربُ تقُولُ: ليْس هذَا في يدي، يعْنُون: ليس هذَا فِي وُسعِي؛ ويدلُّ على صحَّةِ هذَا أنَّهم يجعلُون الذِّراعَ، فِي موْضِع

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦١) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٢) إلى أبي الشيخ.

(٢) لم أقف على قول الفراء في المعاني، وانظره في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٦).

(٤) انظر ما ذكره ابن الأنباري من أقوال في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٣).

الذَّرْع، فيقولُونَ: ضِقْتُ بهذَا الأمْرِ ذِراعًا، قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

.... إِلَيْكَ إِلَيْكَ ضَاقَ بِهِمْ ذِرَاعَا(١)

فأمَّا «العَصِيبُ»؛ فقَالَ أبو عُبيدةَ(٢): العَصِيبُ: الشَّدِيدُ الَّذِي يَعْصِبُ النَّاسَ بالشَّرِّ، وأنْشدَ [من الرجز]:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَا
عَصْبَ الْقَوِيِّ السَّلَمَ الطِّوَالَا(٣)

وقالَ أبو عُبيدٍ: يُقال: يوْمٌ عَصِيبٌ، ويوْمٌ عَصَبْصَبٌ؛ إذا كانَ شَديدًا(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ(٥)، ومُجاهِدٌ(٦): ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسْرِعُونَ.

---

(١) عجز بيت للقطامي في ديوانه (ص: ٤٤)، والزاهر (١/ ٤٥٣)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٣١)، وبلا نسبة في الخصائص (٣/ ١٠٤)، وصدره:

إِذَا التَّيَّازُ ذُو الْعَضَلَاتِ قُلْنَا *** ....

وهذا في أبيات يصف بكرة أحسن القيام عليها حتى قويت وعزت على القوي أن يركبها. والتَّيَّازُ: كثير اللحم. انظر: اللسان (تيز).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٣) بيتان من الرجز، نسبها الواحدي في تفسير البسيط (١١/ ٤٩٤) إلى هانئ العنبري، وبلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٢٩٤)، الطبري (١٥/ ٤١٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤١٤).

(٤) الغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١٢٨١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦١) من طريق عبد الله بن صالح.

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٢).

وقالَ الفرَّاءُ(١)، والكِسائِيُّ(٢): لا يكُونُ الإهْراعُ إلَّا إسْراعًا معَ رِعْدَةٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الإهْراعُ: شَبيهٌ بالرِّعدةِ، يُقال: أُهْرِعَ الرَّجُلُ؛ إذا أسْرعَ، علَى لفْظِ ما لم يُسمَّ فاعِلُه؛ كما يُقال: أُرْعِدَ(٣).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الإهْراعُ: فعْلٌ واقِعٌ بالقوْمِ وهوَ لهُم في المعْنَى؛ كما قالَتِ(٤) العرَبُ: قد أُولِعَ الرَّجُلُ بالأمْرِ، فجعَلُوه مفْعولًا، وهو صَاحِبُ الفعْلِ؛ ومثْلُه: أُرْعِدَ زيدٌ، وسُهْيَ عمْرٌو مِنَ السَّهوِ، كلُّ واحدٍ مِن هذِه الأفَاعيلِ خرَجَ الاسْمُ معَهُ مُقدَّرًا تقْديرَ(٥) المفْعُولِ، وهوَ صاحِبُ الفِعْلِ لا يُعرف له فاعِلٌ غيْرُه.

قالَ: وقالَ بعْضُ النَّحْويِّينَ: لا يجُوز للفِعلِ(٦) أن يُجعلَ فاعِلُه مفْعولًا، وهذِه الأفْعالُ المذْكُورةُ فاعِلُوها محذُوفُونَ، وتأويلُ «أُولِعَ زَيْدٌ»: أوْلَعَهُ طبْعُه وجِبلَّتُه، «وأُرْعِدَ الرَّجُلُ»: أرْعَدَه غضَبُه، «وسُهِي عمْرٌو»: [ومعناه](٧): جعلَهُ سَاهِيًا مالُه أوْ جهْلُهُ، و«أُهْرِع» معناه: أهْرَعَهُ خوْفُه ورُعْبُه؛ فلهذِه العلَّةِ خَرجَ هؤلاء الأسْماء مَخرجَ المفْعُولِ به.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٨٧).

(٢) انظر قول الكسائي في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ١٠١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٤) في (ف): قال.

(٥) في (ج): بتقدير.

(٦) في (ج): الفعل.

(٧) من (ج)، و(ف)، و(م).

قـالَ: وقالَ بعْـضُ اللُّغويين: لا يكـونُ الإهْراعُ إلَّا إسْراعَ المذْعُـورِ الخائِفِ؛ [٣٧٩/أ] لا يُقـال لِـكُلِّ مُـسرعٍ: مُهرَعٌ حتَّى ينْضَـمَّ إلى إسْراعِه جـزَعٌ وذُعْرٌ[١].

قالَ المفَسِّرونَ: سبَبُ إهْرَاعِهِم: أنَّ امْرأةَ لُوطٍ أخْبَرتْهُم بالأضْيافِ[٢].

﴿وَمِن قَبْلُ﴾؛ أي: ومِـن قبْـلِ مجيئِهِـم إلى لُـوطٍ ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعْنِـي: فعلَهُـمُ المنْكـر.

وفِي قوْلِه: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ قوْلَان:

أحدُهما: أنَّهُنَّ بناتُه لِصُلبِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ جمَعَ، وإنَّما كُنَّ[٣] اثْنتَيْنِ؟.

فالجـوَابُ: أنَّـه قـد يقَـعُ الجمْـعُ عـلَى اثْنَـيْنِ؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الأنبيـاء: ٧٨].

والثَّاني: أنَّه[٤] عنَى نِساءَ أُمَّتِهِ؛ لأنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أبو أُمَّتِهِ.

والمعْنَـى: أنَّـه عـرَض عليهِـم التَّزويـجَ، أوْ أمرَهُـمِ أنْ يكْتَفُـوا بِنسـائِهم، وهـذَا مذْهـبُ[٥] مُجاهِـدٍ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، وقتـادةَ، وابْـنِ جُريـجٍ.

---

(١) انتهى قول ابن الأنباري، وانظره في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٥).

(٢) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٤/ ٣٢٢).

(٣) في (ج): وإن كان، وفي (ف): وقد كنَّ.

(٤) في (ف): أنها.

(٥) في (ج): قول.

فإنْ قِيلَ: كيفَ عرَضَ تزْوِيجَ المؤْمِناتِ[١] على الكافِرينَ؟.

فعنْهُ جَوابَانِ:

أحدُهما: أنَّه قد كان يجُوز ذلِكَ في شريعَتِه، وكانَ جائِزًا في صدْرِ الإسْلامِ حتَّى نُسخَ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه عرَضَ ذلِك عليْهِم بشرْطِ إسْلامِهِم، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

ويُؤكِّدُه أنَّ عرْضَهُنَّ عليْهِم موْقُوفٌ علَى عقْدِ النِّكاحِ؛ فجازَ أنْ يقِفَ على شرْطٍ آخَرَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: هُنَّ أحَلُّ [لَكُم][٣] مِن إتْيانِ الرِّجالِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: اتَّقُوا عُقوبتَهُ.

والثَّاني: اتَّقُوا معْصِيتَهُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ حرَّكَ ياءَ ﴿ضَيْفِيَ﴾ أبو عمْرٍو، ونافِعٌ[٥].

---

(١) في (ج): البنات.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٧)، ولفظه: فقيل: إنهم عُرِضَ عليهم التزويج، وكأنَّه عرضه عليهم إنْ أسْلَمُوا.

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٢)، ولفظه: أحل لكم من إتيان الرجال.

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، والنشر (٢/ ٢٩٢).

وفي معنَى هذَا الخِزْي ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الفضِيحةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: الِاسْتِحياءُ.

والمعْنَى: لا تفْعلُوا بأضْيافِي فعلًا يُلْزمُني الاسْتِحياءُ منْهُ؛ لأنَّ المضِيفَ يلزمُه الاسْتِحياءُ مِن كُلِّ فعْلٍ يصِلُ إلى ضيْفِه. والعرَبُ تقُولُ: قد خزِي الرَّجلُ يخْزَى خِزايةً؛ إذَا اسْتحْيى، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

مِنَ الْبِيضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ ... بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَايَلَ الْحَلْيَ جِيدُهَا[٢]

والثَّالثُ: أنَّه بمعْنَى: الهلاكِ؛ لأنَّ المعرَّة الَّتي تقَعُ بالمضيفِ فِي هذهِ الحَالِ تُلزمُه[٣] هلكةً، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والضَّيفُ هاهُنا: بمعْنَى الأضْيافِ، والواحِدُ يدلُّ على الجمِيعِ[٤]، كما تقُول: هؤلاءِ رسُولِي ووَكِيلي[٥].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١١/ ٤٩٩).

(٢) البيت لابن الدُّمينة في ديوانه (ص: ٥٢)، وفيه: ألزقت، بدل: ألصقت، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء (ص: ١٣٤) لعلي بن حسان البكري، وفيه: درعها، بدل: مرطها، ونسبه البكري في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ١٠٨)، للحسين بن مطير، وهو بلا نسبة في النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٨٩)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٧٩).

(٣) في (ف): يلزمه.

(٤) الذي في الغريب؛ لابن قتيبة: الجمع.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

فِي المرَادِ بالرَّشِيدِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: المؤمِنُ.

والثَّانِي: الآمِرُ بالمعرُوفِ والنَّاهِي عنِ المنكرِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ[1]: يجُوز أنْ يكُونَ الرَّشِيدُ بمعْنى: المرشِدِ، فيكونُ المعنى: أَلَيْس منْكُم مُرشِدٌ يعظُكُم ويُعرِّفُكم قبيحَ ما تأْتُونَ؟ فيكونُ الرَّشيدُ مِن صفَةِ الفاعِلِ؛ كالعَلِيم، والشَّهِيدِ.

ويجُوز أن يكونَ الرَّشيدُ بمعْنى: المرشَدِ[2]، فيكون المعنى: ألَيْس منْكُم رجُلٌ قد أسْعدَهُ اللهُ بما منَحَه مِنَ الرَّشادِ يصْرِفُكم عن إتْيانِ هذِه المعرَّة؟ فيُجرِي «رَشِيدٌ» مُجرى مفْعولٍ؛ كالكتَابِ الحكِيم بمعْنَى: المحكَم. [٣٧٩/ ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ما لَنَا فيهنَّ [مِن][3] حاجَةٍ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: لسْنَ لنَا بأزْواجٍ فنَسْتحِقُّهنَّ، قالَه ابْنُ إسْحاقَ، وابْنُ قُتيبةَ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ قالَ عطَاءٌ[5]: وإنَّك لَتعْلَمُ أنَّا نُريدُ

(١) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٠٠).

(٢) في (ف): الرشد.

(٣) من (ج).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٧-٤١٨) عن السدي، وذكره الواحدي في التفسير=

الرِّجـالَ، لَا النِّسـاءَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾؛ أي: جماعَـةً أقْـوى بِهـم عليْكُـم. وقيـل: أرَاد بالقُوَّةِ: البطْشَ. ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾؛ أي: أنضمُّ إلى عشـيرةٍ وشـيعَةٍ[١] تمنَعُنِـي. وجـوَابُ ﴿لَوۡ﴾: محـذُوفٌ عـلى تقْديـرِ: لحُلْـتُ بيْنكُم وبـيْنَ المعْصِيةِ.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: قوْلُـه تعَـالى: ﴿ءَاوِيٓ﴾ مِـنْ قوْلِهـم: آويْـتُ إليْـكَ، فأنَـا آوِي أُوِيًّـا، **والمعنـى:** صِرْتُ إليْـكَ وانْضَمَمْـتُ، ومجـاز الرُّكـن هاهُنـا: العَشِـيرةُ العَزِيـزةُ الكثِـيرةُ المنِيعَـةُ[٢]، وأنْشَـدَ[٣] [مـن الرجـز]:

يَـأْوِي إِلَى رُكْـنٍ مِـنَ الْأَرْكَانِ
فِي عَـدَدٍ طَيْـسٍ وَمَجْـدٍ بَـانِ[٤]

والطَّيْسُ: الكَثِيرُ، يُقال: أَتَانا بِلبَنٍ[٥] طَيْسٍ، وشَرَابٍ طيْسٍ؛ أي: كثِيرٍ.

واختلَفُوا أيَّ وقْتٍ قالَ هذَا لوطٌ عليه السَّلام؟.

فـرُوِي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: أنَّ لُوطًـا كانَ قـد أغْلَـق بابَـهُ، والملَائِكـةُ معَـهُ في

=البسيط (١١/ ٥٠١) عن عطاء.

(١) ليست في (ج).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٤).

(٣) في (ف): وأنشدوا.

(٤) الرجـز بـلا نسـبة في مجـاز القـرآن (١/ ٢٩٤)، وتفسـير الطـبري (١٥/ ٤٢٢)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١١/ ٥٠٤).

(٥) في (ف): لبن.

الـدَّارِ، وهـوَ يُناظِرُهُـم ويُناشِـدُهم مِـن[١] وراءِ البـابِ، وهـم يُعالِجُـونَ البـابَ ويرُومُـونَ تَسـوُّرَ الجِـدَارَ؛ فلـمَّا رأَتِ الملائِكـةُ مَـا يَلْقَـى مِـنَ الكَـرْبِ، قالُـوا: يَـا لُـوطُ! إنَّـا رُسُـل ربِّـكَ، فَافْتـحِ البَـابَ ودَعْنَـا وإِيَّاهُـم؛ ففَتَـح البَـابَ، فدَخلُـوا، واسْـتَأذَنَ جِبريـلُ رَبَّـه عَـزَّ وجـلَّ فِي عُقُوبتِهِـم، فـأَذِنَ [لَـهُ][٢]، فـضَرَبَ بِجنَاحِه وجُوهَهُـم فأعْمَاهُـم، فانْصَرَفُـوا يقُولُـونَ: النَّجـاءَ النَّجـاءَ! فـإِنَّ في بيْـتِ لُـوطٍ أَسْـحَرُ قَـوْمٍ في الأرْضِ، وجعَلُـوا[٣] يقُولُـون: يـا لُـوطُ! كـما أنْـتَ حتَّـى تُصْبحَ، يَتوعَّدُونَـهُ؛ فقَـالَ لهُـم لـوطٌ: متَـى موْعِـدُ هلَاكِهِـم؟ قالُـوا: الصُّبـحُ، قـالَ: لَـو أَهْلَكْتُمُوهـمُ الآنَ، فقَالُـوا: أليْـسَ الصُّبـحُ بقَرِيـبٍ؟[٤].

وقـالَ أبـو صَالِـحِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: إنَّهُـم لَمَّـا تَواعَـدُوهُ، قـالَ في نفْسِـه: ينْطَلِـق هـؤلَاءِ القـوْمُ غـدًا مِـن عنْـدِي، وأبْقَـى مـعَ هـؤلَاءِ فيُهْلِكـونِي، فقـالَ: لـوْ أنَّ لِي بكُـم قـوَّةً.

قَالَ الشَّيخُ[٥]: وإنَّما يتوجَّه هذا إذا قُلنا: إنَّه كانَ قبْلَ علْمِه أنَّهم ملائِكةٌ.

وقـال قـوْمٌ: إنَّـه إنَّـما قـالَ هـذَا لَمَّـا كـسَرُوا بابَـهُ وهجَمُـوا عليْـهِ. وقـالَ آخَـرُونَ: لمَّـا نَهاهُـم عـنْ أضْيافِـه فأَبَـوْا قـالَ هـذَا.

وفِي الجُمْلَـة: مَـا أرَادَ بالرُّكـنِ نـصْرَ اللهِ وعوْنَـهُ؛ لأنَّـه لم يَخْـلُ مِـن ذلِـك،

(١) ليست في (ف).

(٢) من (ف)، و(م).

(٣) في (ج): وجعلوا الملائكة.

(٤) ذكره الثعلبي مختصرا في الكشف والبيان (١٤/ ٤٢٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٩٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٢٦- ٤٢٧) عن قتادة، والسدِّي.

(٥) في (ج)، و(ر)، و(م): قلت. وفي (ف): قال المصنف.

وإنَّما ذهَب إلى العَشِيرةِ والأُسرَةِ.

ورَوى أبُو هُريرةَ عنْ رسُولِ اللهِ أنَّه قالَ: «رَحِمَ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ومَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا بَعْدَهُ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: فيهِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: لنْ يصِلُوا إليْكَ بسُوءٍ، وذلِك [٣٨٠/أ] أنَّهُم قالُوا لِلُوطٍ: إنَّا نرَى معَكَ رِجالًا سحَرُوا أبْصارَنا، فستَعْلَمُ غدًا ما تلْقَى أنْتَ وأهْلَك؛ فقالَ له جِبريلُ عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾.

قرَأَ عاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: ﴿فَأَسۡرِ﴾ بإثْباتِ الهمْزِ في اللَّفظِ مِن أسْريْتُ. وقرَأَ (ابْنُ كثِيرٍ)[3]، ونافِعٌ: {فَاسْرِ بِأَهْلِكَ} بغيْرِ همْزٍ مِن سَريْتُ، وهُما لُغتانِ[4].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٩٤)، ومسلم حديث (٤/ ١٨٣٩)، والترمذي حديث (٣١١٦)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٩- ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٥٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦١) كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٢).

(٣) ليست في (ف).

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٣٨)، والتيسير (ص: ١٢٥)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، والإتحاف (ص: ٢٥٩)، والحجة (٤/ ٣٦٧).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: سَريْتُ، وأَسْريْتُ؛ إذَا سِرْتُ ليْلًا[١]، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ[٢]

وقالَ النَّابغَةُ [من البسيط]:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي[٣] الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ[٤]

وقد رَوَوه: سَرَتْ.

فأمَّا أهْلُه؛ فقالَ مُقاتِلٌ: همُ امْرأتُه وابْنَتَاهُ[٥]. واسْمُ ابْنَتَيْهِ: رُبْثَا وزُغرثَا[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٩).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٩٣)، والكتاب (٣/ ٢٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٤٢٠)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢٢٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٦٩)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٣٣)، وأسرار العربية (ص: ٢٦٧)، **مطيهم**؛ أي: مددت بهم في السير، **ما يقدن بأرسان**؛ أي: أعيت فلا تحتاج إلى أرسان، **والأرسان**: جمع رسن؛ وهو الحبل. وبأرسان متعلق بيقدن.

(٣) في (ج): حتى.

(٤) البيت ديوانه (ص: ١١)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٦٩)، والزاهر (٢/ ٦٧)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (١٣/ ٣٨)، **السارية**: السحابة التي تسري ليلًا، وجمعها: السواري، وسرت: إذا أمطرت، وقوله: «من الجوزاء سارية»؛ كقولك: سقينا بنوء كذا وكذا؛ أي: أصابة المطر ليلًا، و«تزجي»: تسوق وتدفع على الثور جامد البرد.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٦) في (ج): ريثا، بالياء، جاء في هامش الأصل: الصحيح «ربثا» بالباء المنقوط بواحدة من تحت، وفي الطبري: رثيا، و«زغرتا»، وفي مرآة الزمان للمصنف: واسم الكبرى: ريثا،=

وقال السُّدِّيُّ: اسْمُ الكُبرى: رُبَّة[١]، واسْمُ الصُّغْرى: عروبة[٢].

والمـرَاد بأهْلـهِ: ابْنتَـاه. فأمَّـا القِطْـعُ، فهـو بمعْنـى القِطعـةُ؛ يُقـال: مـضَى قِطـعٌ مِـن اللَّيـل؛ أي: قطْعـةٌ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بهِ: آخِرَ اللَّيلِ[٣].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: «بقِطع»؛ أي: ببقيَّةٍ تبْقَى[٤] مِن آخِرهِ[٥].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبَـاري: ذكْـر القِطـع بمعْنَـى القِطْعـةِ مُختـصٌّ باللَّيـل، ولا يُقـال: عنْـدِي قِطـع مِـنَ الثَّـوبِ، بمعْنَـى: عنْـدِي قِطعـةٌ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنى: لا يتَخلَّفُ منْكُم أحَدٌ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

=وقيل: ربة، واسم الصغرى: زغورا، وقيل: عروبة.

(١) في (ج)، و(ر): ربة.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٠٦) من رواية السدي عن أبي مالك، وذكر أن اسم ابنته الكبرى: «ربة» بالباء الموحدة.

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٨٩)، والرواية: بطائفة من الليل، عن علي عن ابن عباس، وفي رواية أخرى: جوف الليل، عن ابن جريج عن ابن عبَّاس، انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٠).

(٤) ليست في (ج).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٩).

والثَّاني: أنَّه الالْتِفاتُ المعْرُوفُ، قالَهُ مُجاهِدٌ(١)، ومُقاتِلٌ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ قـرَأَ نافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ بنصْـبِ التَّـاءِ. وقـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ جمَّـازٍ عـنْ أبي جعْفـرٍ برفْـعِ التَّـاءِ(٣).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـنْ قـرَأَ بالنَّصـبِ، فالمعنـى: فـأَسْرِ بأهْلِـكَ إلَّا امْرأَتَـكَ. ومَـن قـرَأَ بالرَّفْـعِ، حمَلَـه عـلى ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتُكَ﴾(٤). وإنَّـما أُمِـروا بـتَرْكِ الالْتِفـاتِ؛ لئـلَّا يـرَوْا عظِيـمَ مـا ينْـزِلُ بِهِـم مِـنَ العـذَابِ.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: وعـلَى قِـراءةِ الرَّفـعِ، يكـونُ الإِسْـتِثناءُ مُنقطعًـا، معْنـاه: لكـنِ امْرأَتُـكَ، فإنَّهـا تلْتَفِـتُ فيُصِيبُهَـا مَـا أصابَهُـم؛ فـإذا كانَ اسْـتِثناءً مُنقطِعًـا، كان الْتِفاتُهـا معْصِيـةً لِربِّهـا(٥)؛ لأنَّـه نـدَب إلى تـرْكِ الالْتِفـافِ(٦).

قـالَ قتـادَةُ: ذُكِـر لنَـا: أنَّهـا كانَـتْ مـعَ لُـوطٍ حِـينَ خـرَجَ مِـنَ القرْيـةِ، فلمَّا سـمِعَتْ هَـدَّةَ العـذَابِ؛ الْتفتَـتْ، فقَالَـتْ: وَا قوْمَـاهُ، فأصَابَهَا حجَـرٌ فأهْلَكَهَا(٧)،

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤١٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٣).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٩- ٧٠).

(٥) في (ج): لله عزَّ وجلَّ.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٦).

(٧) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٤٢٥)، وتاريخـه (١/ ١٥٥)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٦٦) (١١٠٨٨).

وهـو قوْلـه: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ العـذَاب[1] الصُّبْـحُ.

قوْله تعَالى: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قـالَ المفَسِّرُون: قالَـتِ الملائِكـةُ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقـالَ: أُريـدُ أعْجَـلَ مِـن ذلِـك، فقَالُـوا لَـه: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[2]؟.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

قوْله تعَالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ: [٣٨٠/ ب]

أحدُها: أمْرُ اللهِ للملائِكَةِ بعذَابِهِم.

والثَّاني: أنَّ الأمْرَ بمعْنَى العذَابِ.

والثَّالث: أنَّه بمعْنَى القضَاءِ بعذَابِهِم.

قوْلـه تعَـالى: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الكِنايـةُ تعُـودُ إلى المؤْتفـكَاتِ، وهـيَ قُـرى قـوْمِ لُـوطٍ، وقـد ذكرْنَاهَـا في «بَـرَاءة» ونحْـن نُشـير إلى قِصَّـةِ هَلاكِهِـم هَاهُنـا.

---

(١) في (ف): للعذاب.

(٢) ذكـر ذلـك الواحـدي في التفسـير البسـيط (١١/ ٥٠٩)، والبغـوي في تفسـيره (٤/ ١٩٣)، والقرطبـي في تفسـيره (٩/ ٨١).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أمَرَ جِبريلُ لُوطًا بالخُرُوجِ، فقَالَ: اخْرُجْ وأَخْرجْ غنَمَك وبقرَكَ، فقَالَ: كيْفَ لِي بذلِكَ وقدْ أُغْلِقتْ أبْوابُ المدِينَةِ؟ فبَسطَ جنَاحَهُ، فَحمَلَهُ وبِنْتَيْهِ ومَا لهُم مِنْ شيْءٍ، فأَخْرجَهُم[1] مِنَ المدينَةِ، وسأَلَ جِبريلُ ربَّهُ، فقالَ: يَا ربِّ! ولِّنِي هلَاكَ هؤُلاءِ القوْمِ، فأوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليْه أنْ تولَّ هلاكَهُم؛ فلمَّا أنْ بدَا[2] الصُّبْحُ، غدَا عليْهِم جِبريلُ فاحْتَمَلَهَا علَى جَناحِه، ثُمَّ صعَدَ بها حتَّى خرَج الطَّيرُ فِي الهوَاءِ لا يدْرِي أيْنَ يذْهَبُ، ثُمَّ كَفأَها عليْهِم، وسمِعُوا وَجْبَةً[3] شَديدَةً، فالْتَفتتِ امْرأةُ لُوطٍ، فرَمَاها جِبريلُ بِحجَرٍ فقتَلَهَا، ثُمَّ صَعدَ حتَّى أشْرَف علَى الأَرْضِ، فجعَلَ يتَّبِعُ مُسافِرَهم وَرُعَاتَهم ومَنْ تحوَّلَ عنِ القريَةِ، فرَمَاهُم بالحجَارةِ حتَّى قتَلَهُم[4].

وقَالَ السُّدِّيُّ: اقْتلَع جِبريلُ الأَرْضَ مِن سبْعِ أرضِينَ، فاحْتمَلَها حتَّى بلَغ بها إلَى أهْلِ السَّماءِ الدُّنْيا، حتَّى سمِعَ أهْلُ السَّماءِ نباحَ كِلابِهِم، ثُمَّ قلَبَها[5].

---

(١) في (ف): فأخرجه.

(٢) في (ج)، و(ر): فلما جاء.

(٣) **الوجبة**: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهدّة. القاموس، مادة: (و ج ب).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٨٠٩) (١٥٨٩٣) مختصرا، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٠).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٥١) من طريق عمرو، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٢)، وتاريخه (١/ ٣٠٦) عن السدي.

وقـالَ غـيْرُه: كانَـتْ خمْـسَ قُـرى، أعْظَمُهـا سَـدومُ، وكانَ القـوْمُ أربَعـةَ ألْـفِ[١] ألْـفٍ[٢]. وقيـل: كانَ فِي كُلِّ قريَـةٍ مائَـةُ ألْـفِ مُقاتـلٍ، فلـمَّا رفَعَهـا[٣] إلى السَّـماءِ، لم ينْكَسِرْ لهُـم إنَـاءٌ، ولم يسـقُطْ حتَّـى قلَبَهـا عليْهِـم. وقِيـل: نجَـا مِـنَ الخمْـسِ واحِـدَةٌ لم تكُـنْ تعْمَـلُ مِثْـلَ عمَلِهِـم.

وانْفرَدَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، فقَال: إنَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ توَلَّيَا قلْبَهَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ فِي هاءِ الكِنايَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى القُرى.

والثَّاني: [ترْجِعُ][٤] إلى الأُمَّةِ.

وفِي السِّجْيلِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا بالفارسـيَّةِ: «سَـنْكِ وَكِلْ»، **السَّـنْكُ:** الحجَـرُ، والـكِلْ:

---

(١) في (م): آلاف.

(٢) أخـرج ذلـك الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٤٤٢) مـن روايـة محمـد بـن كعـب القرظـي قـال: حدثـت أن نبـي الله ﷺ، قـال: «بعـث الله جبريـل عليـه السـلام إلى المؤتفكـة قريـة لـوط عليـه السـلام التـي كان لـوط فيهـم، فاحتملهـا بجناحـه، ثـم صعـد بهـا حتـى إنَّ أهـل السـماء الدنيـا ليسـمعون نُبـاح كلابهـا وأصـوات دجاجهـا، ثـم كفأهـا عـلى وجههـا، ثـم أتبعهـا الله بالحجـارة، يقـول الله: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، فأهلكهـا الله ومـا حولهـا مـن المؤتفـكات، وكـنّ خمـس قريـات: «صنعـة»، و«صعـوة»، «وعثـرة»، و«دومـا»، و«سـدوم»، وسـدوم هـي القريـة العظمـى، ونجـا الله لوطًـا ومـن معـه مـن أهلـه، إلا امرأتـه كانـت فيمـن هلـك.

(٣) في (ج)، و(ف)، و(م): رفعهم.

(٤) من (ج).

الطِّينُ، هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ[١]، وعكرِمةَ[٢]، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ[٣].

وقالَ مُجاهِدٌ: أوَّلُها حجَرٌ، وآخِرُها طِينٌ[٤].

وقالَ الضَّحَّاكُ: يعْنِي: الآجُرَّ[٥].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: مَن ذهَب إلى هذا القَوْلِ، اعْتَبَره بقوْلِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذاريات: ٣٣] يعْنِي: الآجُرَّ[٦].

وحكَى الفرَّاءُ: أنَّه طِينٌ قد طُبِخَ حتَّى صَار بمنْزِلَةِ الأرْحَاءِ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٤) عن ابن عباس: وهو بالفارسية: سنك وجل، سنك هو: الحجر، وجل: الطين، يقول: أرسلنا عليهم حجارة من طين، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨) (١١١٠٣)، عن عطاء بن السائب عن عكرمة، في قوله: {حجارة من سجيل}، قال: لها اسمٌ بالنبطية، واسم بالفارسية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٣)، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال: فارسية أعربت سنك وكل. وحكاه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٣٩٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٣)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، بالفارسية، أوَّلها حَجَر، وآخرها طين. وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٢٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٢)، البغوي في تفسيره (٤/ ١٩٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٧) في نسخة: الرَّحاء، وفي اللسان الرحاء من الرحا: الحجارة، والصخرة العظيمة، وانظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤).

والثَّاني: أنَّه بحْرٌ معلَّقٌ في الهوَاءِ بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، ومنْهُ نزلَتِ الحِجارَةُ، قالَهُ عكرِمَةُ.

والثَّالث: أنَّ السِّجيلَ: اسْمُ السَّماءِ الدُّنْيا، فالمعْنَى: حِجارةٌ مِنَ السَّماءِ الدُّنْيا، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والرَّابع: أنَّه الشَّدِيدُ مِن الحجَارةِ الصّلبِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(١)، وأنْشدَ لابْنِ مُقبل [من البسيط]:

[وَرَجْلَةً يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرُضٍ](٢) ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا(٣)

وردَّ هذا القوْلَ ابْنُ قُتيبةَ؛ فقالَ: هذَا بالنُّونِ، وذاكَ باللَّام، وإنَّما هوَ في [٣٨١/أ] هذَا البيْتِ فِعِّيل؛ من سَجَنْتُ؛ أي: حَبَسْتُ، كأنَّه يُثْبِتُ صاحِبَهُ(٤).

والخامس: أنَّ قوْلَه: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ كقوْلِك مِن سِجِلٍّ؛ أي: ممَّا كُتب لهُم أن يُعذَّبوا به، وهذا اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ(٥).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٩٦).

(٢) صدر البيت ليس في الأصل، والمثبت من (م)

(٣) البيت لابن مقبل- تميم بن أُبَيٍّ- ديوانه (ص: ٣٣٣)، والرواية فيه: «ضربا تواصىَ...»، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري ١٥/ ٤٣٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣١٠)، ومنتهى الطالب (ص: ٤٤)، والمعاني الكبير (ص: ٩٩١)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٦٣٤)، (٢/ ١٦٣٦)، وجمهرة اللغة (ص: ٤٦٤، ١١٩٢)، والرجلة: جماعة الرجال. والبيض- بالكسر-: كناية عن السيوف؛ أي: يضربون بها، وإن قرئ بالفتح فهي المغافر على رؤس الفرسان. وسجين وسجيل بمعنى واحد، والعرب تعاقب بين النون واللام.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧١).

والسَّادس: أنَّه مِن أسْجلْتُه؛ أي: أرْسَلْتُه، فكأنَّها مُرسَلَةٌ عليْهِم.

والسَّابع: أنَّه مِن أسْجَلْتُ: إذَا أعْطَيْتُ، حكَى القوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ[١].

وفِي قوْلِه: ﴿مَنضُودٍ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: يتْبَعُ[٢] بعْضُه بعضًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مصْفُوفٌ، قالَه عِكرِمةُ، وقَتادَةُ.

والثَّالث: نُضِّدَ بعْضُه على بعْضٍ؛ لأنَّه طِينٌ جُمِعَ فجُعِل حِجارةً، قالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: مُعلَّمةً، أُخِذ مِنَ السَّومَةِ، وهيَ العَلامَةُ[٣].

وفِي عَلامَتِها سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: بَياضٌ فِي حُمرةٍ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤]، وبهِ قالَ الحَسَنُ.

والثَّاني: أنَّها كانَتْ مخْتُومةً، فالحَجرُ أبْيضُ، وفِيه نُقطةٌ سوداءُ، أو أَسْودُ وفيهِ نُقطةٌ بيْضاءُ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ف): أتبع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٩) (١١١٠٨) عن أبي روق، عن الضَّحاك، عن ابن عبَّاس.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٩).

والثَّالث: أنَّها المخَطَّطةُ بالسَّوَادِ والحُمرةِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والرَّابع: عليْهَا نضْحٌ مِن حُمرةٍ فِيها خُطوطٌ حمْرٌ على هيْئَةِ الجَزْعِ[٢]، قالَهُ عِكرمةُ، وقتادَةُ.

والخامِس: أنَّها كانَتْ مُعلَّمةً بعلَامةٍ تُعرف[٣] بها أنَّها ليْستْ مِن حِجارةِ الدُّنْيا، قالَهُ ابْنُ جُريجٍ.

والسَّادس: أنَّه كانَ علَى كلِّ حجَرٍ منْهَا اسْمُ صَاحِبِه، قالَهُ الرَّبِيعُ.

وحُكي عنْ بعْضِ مَنْ رأى تلْكَ الحِجارةَ أنَّه قالَ: كانَتْ مثْلَ رؤوسِ[٤] الإِبْلِ، ومثْلَ مبارِكِ الإبلِ، ومثْلَ قبْضَةِ الرَّجُلِ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: جاءَتْ مِن عنْدِ ربِّك، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ[٥].

والثَّاني: عنْد ربِّك مُعدَّةٌ، قالَهُ أبو بكْرٍ الهُذَليُّ[٦].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٨٩)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٦٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٧) عن الفراء. وانظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤).

(٢) الجَزع -بفتح الجيم-: ضرب من الخرز فيه سواد وبياض. انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٥٣)، والمحكم والمحيط (١/ ٣٠٢)، والقاموس، مادة (ج ز ع).

(٣) في (م): يعرف.

(٤) في (ج)، و(ف): رأس.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٦) أبو بكر الهذلي البصري، اسمه: سُلمى بن عبد الله بن سلمى. وقيل: اسمه روح، وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري. ضعَّفه أحمد، وأبو زرعة. وقال ابن=

والثَّالث: أنَّ المعنَى: أنَّ[١] هذا التَّسويمُ لَزِمَ هذِه الحِجارَةَ عنْد اللهِ[٢] إيْذانًا بنفَاذِ قُدْرتِهِ وشدَّةِ عذَابِه، قالَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٣].

والرَّابع: أنَّ معْنى قوْلِه: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزَائِنه الَّتي لَا يُتصرَّفُ فِي شيْءٍ منْها إلَّا بإذْنِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

في المراد بالظَّالمين هاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المراد بالظَّالمين هَاهُنا: كُفَّارُ قُريشٍ، خوَّفَهمُ اللهُ بِها، قالَهُ الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه عَامٌّ فِي كُلِّ ظالمٍ؛ قالَ قتادَةُ: واللهِ مَا أجَارَ اللهُ منْهَا ظَالمًا بعْدَ قوْمِ لُوطٍ[٤]، فاتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مِنْهُ علَى حذَرٍ.

=معين: ليس بشيء. وفي رواية: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: لين الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النَّسائيّ وعلي بن الجنيد والدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف جدًّا. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: لين الحديث. وقال في الكاشف: واهٍ. وقال ابن حجر: أخباري متروك الحديث. تُوفِّي سنة (١٦٧هـ). انظر: تاريخ يحيى بن معين رواية الدُّوريّ (٢/ ٦٨٧)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٣٣/ ١٥٩)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (٤/ ٤٩٧)، والكاشف؛ للذهبي (٢/ ٤١٤)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٤/ ٤٩٨).

(١) ليست في (م).

(٢) في (ج): ربك.

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٠)، وهو قول أكثر المفسرين؛ كما في التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٨٥).

والثَّالث: أنَّهم قومُ لُوطٍ، فالمعْنَى: وما هِي مِنَ الظَّالِمين؛ أي: مِن قوْمِ لُوطٍ بِبعيدٍ، والمعْنَى: لم تكُن لِتُخطِئهم، قالَهُ الفرَّاءُ[١].

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ قد فسَّرْناه[٢] في الأعْرافِ [آية: ٨٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾؛ أي: لا تُطَفِّفُوا؛ وكانوا يُطَفِّفُون معَ كُفْرِهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رُخصُ الأسْعارِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومجاهِدٌ. [٣٨١/ ب]

والثَّاني: سِعَةُ المالِ، وهو مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبهِ قالَ قتادةُ، وابْنُ زيْدٍ.

وقالَ الفرَّاءُ: أمْوالُكم كثِيرةٌ، وأسْعارُكم رخِيصةٌ، فأيُّ حاجةٍ بكُم إلى سُوءِ الكيلِ والوزْنِ[٣]؟.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

(٢) في (م): ذكرناه

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ مُّحِيطٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنّه غلاءُ السِّعرِ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: القحطُ والجدْبُ والغلاءُ[١].

والثَّاني: العذابُ في الدُّنيا، وهوَ الَّذي أصابَهُم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

والثَّالث: عذابُ النَّارِ في الآخِرةِ، ذكرَهُ الماورديُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: أتمُّوا ذلك بالعدْلِ. والإيفاءُ: الإتْمامُ. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ بنقصِ المكْيالِ والميزانِ.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٣٣) عن مجاهد بلفظ: خصب وسعة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٣٦٥).

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩١ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾

[هود: ٨٦ - ٩٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ **فيهِ ثَمانيةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: مَا أبْقَى اللهُ لكُم مِنَ الحلَالِ بعْدَ إيفَاءِ الكيْلِ والوزْنِ، خيْرٌ مِنَ البَخْسِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ(١).

و[القولُ](٢) **الثَّاني:** رزْقُ اللهِ خيْرٌ لكُم، (رُويَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبهِ قالَ سُفيانُ(٣).

والثَّالث: طاعَةُ اللهِ خيْرٌ لكُم)(٤)، قالَه مُجاهِدٌ(٥)، والزَّجَّاجُ(٦).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٧)، ثم قال: وهذا قول روي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل. وانظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٥/ ٥٨٦)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٢/ ٣٩٨).

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٩).

(٤) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٢).

والرَّابع: حظُّكُم مِنَ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَهُ قتَادةُ[١].

والخامس: رحْمةُ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَه ابْنُ زيْدٍ[٢].

والسَّادس: وصيَّةُ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَهُ الرَّبيعُ[٣].

والسَّابع: ثَوابُ اللهِ فِي الآخِرَة خيرٌ لكُم، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

والثَّامن: مُراقَبةُ اللهِ خيرٌ لكُم، ذكرَهُ الفرَّاءُ[٥].

وقرَأ الحسَنُ البصرِيُّ[٦]: «تَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ» بالتَّاء.

قوْلُه تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرْطُ الإيمانِ في كوْنِه خيْرًا لهم؛ لأنَّهم إنْ كانوا مُؤمنِينَ باللهِ عزَّ وجلَّ؛ عرَفُوا صِحَّةَ مَا يقُولُ.

وفي قوْلِه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما أُمِرت بقِتالِكُم وإكْراهِكُم علَى الإيمانِ.

والثَّاني: ما أُمِرت بِمُراقبتِكُم عنْد كيْلِكُم لئلَّا تبْخَسُوا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢) (١١١٣٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٤).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٥/ ٢٥٢).

والثَّالث: ما أحْفَظُكُم مِن عذَابِ اللهِ إنْ نالَكُم[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وقرأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ، وحفْصٌ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ علَى التَّوْحيدِ[٢].

وفِي المرَادِ بصَلَوَاتِه ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: دينُه، (قالَه عطَاءٌ)[٣].

والثَّاني: قِراءتُه، قالَهُ الأعْمشُ.

والثَّالث: أنَّها الصَّلواتُ المعْروفةُ، وكان شُعيبٌ كثِيرَ الصَّلاةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ[٤] فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾.

قال الفرَّاءُ: معْنى الآيةِ: أَصلَواتُك تأْمُرُك أنْ نترُكَ ما يعبُدُ آباؤُنا، أوْ أنْ نترُكَ أنْ نفعَلَ في أمْوالِنا ما نَشاء[٥]؟.

---

(١) في (ف)، و(ر): أن يأتيكم.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالتَّوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، وحجة من وحَّد أن «الصلاة» بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد وهي مصدر، والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه، وحجة من جمع أنَّه قدر أن الدعاء مختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لذلك، انظر: الكشف (١/ ٥٠٧)، والسبعة (ص: (٣١٧)، والإتحاف (ص: ٢٥٩).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في الأصل: تفعل.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

وفي معْنى الكلامِ علَى قِراءة مَن قرَأ بالنُّون قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ فِعلَهُم في أمْوَالِهِم هوَ البخْسُ والتَّطْفِيفُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ؛ فالمعْنَى: قد ترَاضَيْنا فيما بيْنَنَا بذلِك.

والثَّاني: أنَّهم كانوا يقْطَعُون الدَّراهمَ والدَّنانِير، فنهَاهُم عن ذلِك، قالَهُ ابْن زيْدٍ.

وقال القُرظيُّ: عُذِّبُوا في قطْعِهِمُ الدَّراهِمَ[1].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقرَأَ الضَّحَّاكُ بْنُ قيْسٍ الفِهريُّ[2]: «مَا تَشَاء» بالتَّاءِ[3]، ونسَقَ «أَن نَفْعَل» على «أَن نَترك»[4]، واسْتغْنَى عنِ الإِضْمارِ. [٣٨٢/ أ]

قالَ سُفيان الثَّوريُّ: في معْنى هذِه القِراءَةِ: أنَّه أمرَهُم بالزَّكاةِ فامْتَنعُوا[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١)، من طريق موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: عُذِّب قوم شعيب في قطعهم الدراهم.

(٢) سبقت ترجمته في سورة يونس.

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٣٨)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٢٥)، والبحر المحيط (٥/ ٢٥٣).

(٤) في (م): تترك.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٣) (١١١٣٩) من طريق عيسى بن جعفر عن سفيان الثوري، قال: في قوله: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ قال: الزكاة. وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٩٦).

وقرأ أبو عبْدِ الرَّحمن السُّلَمِيُّ، والضَّحَّاكُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «أَوْ أَن تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا تَشَاء» بالتَّاء فِيهما[1]؛ ومعْنَى هذِه القِراءَةِ كمعْنَى قِراءة الفِهْرِيِّ.

وفِي قوْلِه[2]: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم قالُوه اسْتِهزاءً بِهِ، رَواه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبِهِ قالَ قتادَةُ[3]، والفرَّاءُ[4].

والثَّاني: أنَّهم قالُوا له: إنَّك لَأنْتَ السَّفِيهُ الجاهِلُ، فكنَّى بِهذا عن ذلِك، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[5].

والثَّالث: أنَّهم سبُّوه بأنَّه ليْس بحَلِيمٍ[6] ولا رشِيدٍ، فأثْنَى اللهُ عزَّ وجلَّ عليْهِ، فقالَ: بلْ إنَّك لَأنْتَ الحَلِيمُ[7] الرَّشِيدُ، لا كما قالَ لكَ الكافِرُونَ، حكَاه أبو سُليمان الدِّمشْقِيُّ[8]، عنْ أبي الحسَنِ المِصِّيصي.

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله (١٥/ ٤٥٢): فمن قرأ ذلك كذلك، فلا مؤونة فيه، وكانت «أن» الثانية حينئذ معطوفة على «أن» الأولى. والذي قرأ بالتاء فيهما ابن أبي عبلة فقط، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والضَّحاك: «نفعل» بالنون، وقرءوا جميعًا «تشاء» بالتاء، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣٨).

(٢) في (ج): وفي معنى.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٣) (١١١٤٢) عن قتادة قوله: {إنك لأنت الحليم الرشيد} قال: استهزاء بالنبي ﷺ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

(٦) في الأصل: بحكيم، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في الأصل: الحكيم، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن سليمان السَّعدي، أبو سليمان الدمشقي الشافعي، مُفَسِّرٌ،=

والرَّابع: أنَّهمُ اعْترفُوا له بالحِلْم والرُّشدِ حقِيقةً، وقالُوا: أنْت حلِيمٌ رشِيدٌ، فلِمَ تنْهانَا أنْ نفعَلَ في أمْوالِنا ما نَشاءُ؟! حكَاه الماوردِيُّ[1]، وذهبَ إلى نحوْهِ ابْنُ كيْسان[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ قد تقَدَّم تفْسِيرُه.

وفِي قوْلِه: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الحلالُ؛ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وكانَ شعيبٌ كثِيرَ المَالِ[3].

والثَّاني: النُّبوَّةُ.

والثَّالث: العِلْم والمعرِفةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وجوابُ الشَّرْطِ هَاهُنا مترُوكٌ، والمعْنَى: إنْ كنْتُ على بيِّنةٍ مِن ربِّي، أَتَّبِعُ الضَّلالَ[4]؟ فترَك الجوَابَ؛ لعِلْم المخاطَبِينَ بالمعْنَى، وقد مرَّ مثْلُ هذَا[5].

=صنف مجتبى التفسير، والمهذب في التفسير، عاش في القرن الرابع. ينظر: تاريخ دمشق (٥٣/ ٣٤٩)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص:٨٩).

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٩٧).

(٢) انظر إلى ما ذهب إليه ابن كيسان في الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٤٣٧)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٢٧).

(٣) من رواية الكلبي؛ كما في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٢٧)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٩٧) عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) أي: أأتبع الضلال، فهي جملة استفهامية.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ قـالَ قتـادةُ: لَمْ أكُـنْ لأَنْهاكُـم عـنْ أمْـرٍ ثـم أرْتكِبُـه[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ[٢]: ما أقْصِدُ بخِلافِكُم القَصْدَ إلى ارْتكَابِه[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾؛ أي: مـا أُريـد بـمَا آمُرُكُـم بـهِ إلَّا إصْـلاحَ أُمُورِكـم بقـدْرِ طَاقَتِـي. وقـدْرُ طَاقَتِـي: إبْلاغُكُـم لَا إجْبَارُكُـم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فتَـحَ يَـاءَ: {تَوْفِيقِـيَ} أهْـلُ المدِينـةِ، وابْـنُ عامِـرٍ[٤].

ومعْنـى الـكلَامِ: (أي)[٥]: مـا إصَابتِـي الحَـقَّ في مُحاولـةِ صَلاحِكُـم إلَّا بـاللهِ. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: فوضْـتُ أمْـري، وذلِـك أنَّهُـم تَواعَـدُوه بقوْلِهـم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ﴾ [الأعـراف: ٨٨] ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ أي: أرْجِـعُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ﴾ حـرَّكَ هـذِه اليـاءَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، ونَافِـعٌ[٦].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٤٥٣) قـال: حدثنـا بـشر قـال، حدثنـا يزيـد قـال، حدثنـا سـعيد، عـن قتـادة: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾، يقـول: لم أكـن لأنهاكـم عـن أمـر أركبـه أو آتيـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

(٣) في نسخة المعاني المطبوعة: أَرْتكِبه. أي: ما أريد بمخالفتكم مجرد المخالفة.

(٤) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والكشف؛ لمكي (١/ ٥٣٩).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) قـراءة سـبعية، انظـر: التيسـير؛ للـداني (ص: ١٢٧)، والكشـف؛ لمكـي (١/ ٥٣٩)، النـشر (٢/ ٢٩٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: لَا تُكْسِبَنَّكُم عداوتكُم إيَّايَ أَنْ تُعَذَّبُوا[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم كانُوا قرِيبًا مِنْ مسَاكِنِهم.

والثَّاني: أنَّهُم كانُوا حدِيثِي عهْدٍ بعذَابِ قوْمِ لُوطٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كانَ إهلَاكُ قوْمِ لُوطٍ أقرَبَ الإِهلَاكاتِ الَّتي عرَفُوهَا[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: إنَّما وحَّد بعيدًا؛ لأنَّه أزالَه عنْ صِفةِ القوْمِ، وجعلَهُ نعْتًا مكانَ[٣] محذُوفٍ، تقْدِيرُه: وما قوْمُ لُوطٍ منْكُم بمكانٍ بعِيدٍ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ قد سبَقَ معْنَى الرَّحِيم.

[٣٨٢/ب] فأمَّا الوَدُودُ: فقالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: معنَاه: المُحِبُّ لعِبادِهِ؛ مِن قوْلِهم: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّه وُدًّا وَوَدًّا (وِدًّا)[٥]، ويُقالُ: ودِدْتُ الرَّجُلَ وِدَادًا وَوِدَادَةً وَوَدادةً[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (ف): لمكانٍ.

(٤) انظر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٥٣١).

(٥) ليست في (ر)، و(م).

(٦) الزاهر (١/ ٨٨- ٨٩).

وقالَ الخطَّابِيُّ: هو اسْمٌ مأْخُوذٌ مِنَ الوُدِّ؛ وفيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أنْ يكونَ فعُولًا في محلِّ مَفْعُولٍ؛ كما قِيلَ: رَجُلٌ هَيُوبٌ؛ بمعْنَى: مَهِيبٍ، وفرَسٌ رَكُوبٌ؛ بمعْنَى: مَرْكوبٍ، فاللهُ سُبْحانهُ مَوْدودٌ في قُلوبِ أوْليائِه لما يتعرَّفُونَهُ مِنْ إحْسانِهِ إليْهم.

والوجْهُ الآخَرُ: أنْ يكُونَ؛ بمعْنَى: الوَادِّ؛ أي: أنَّه يوَدُّ عبادَهُ الصَّالِحِينَ، بمعْنَى: أنَّه يرْضَى عنْهُم بتقبُّلِ[١] أعمالِهِم؛ ويكُون معْناه: أنْ يُوَدِّدَهُم إلى خَلْقِه؛ كقوْلِه: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٢] [مريم: ٩٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾.

قال ابْنُ الأنْبارِيِّ: **معْناه**: ما نَفْقهُ صِحَّةَ كثِيرٍ ممَّا تقُول؛ لأنَّهم كانُوا يتديَّنُونَ بغيْرِه، ويجُوز أنْ يكونُوا لاِسْتِثْقالِهِم ذلِك كأنَّهم لَا يفْقَهُونَهُ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ وفيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ضَرِيرًا؛ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٤]، وابْنُ جُبيرٍ[٥]، وقتادَةُ[٦]: كان أعْمَى.

---

(١) في الأصل: يتقبل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انتهى كلام الخطَّابي، وهو في شأن الدعاء (ص: ٧٤).

(٣) انظر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٥٣١)

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٦) (١١١٦٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٧)، وفي تاريخه (١/ ٣٢٥) عن عبد الأعلى به، وابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٧٢) من طريق أسيد به.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٣٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: ويُقال: إنَّ حِمْيرَ تُسمِّي المكْفُوفَ ضعِيفًا[١].

والثَّانِي: ذلِيلًا، قالَهُ الحسَنُ، وأَبُو رَوقٍ، ومُقاتِلٌ[٢].

وزعَم أَبُو روْقٍ أنَّ اللهَ تعَالى لمْ يبْعثْ نبيًّا أعْمَى، ولا نبِيًّا بِهِ زمَانةٌ.

والثَّالث: ضعِيفُ البصرِ، قالَهُ سُفيانُ.

والرَّابع: عاجزًا عنِ التَّصرُّف فِي المكاسِبِ، ذكرَهُ ابْنُ الأَنْبارِيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: لوْلَا عشِيرتُك لَقتلْنَاكَ بالرَّجمِ، والرَّجْمُ مِن سيِّئِ القِتْلاتِ، وكانَ رهْطُه مِن أهْلِ ملَّتِهِم، فلِذلِك أظْهرُوا الميْلَ إليْهِم والإكْرَامَ لهُم[٣].

وذكَرَ بعْضُهُم أنَّ الرَّجْمَ هاهُنا بمعْنَى: الشَّتْمِ والأذَى.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ **فيهِ قوْلَانِ**:

أحدُهما: بكرِيمٍ.

والثَّانِي: بمُمْتنعٍ أن نقْتلَك.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وأسَكَنَ ياءَ {رَهْطي} أهْلُ الكُوفةِ، ويعْقُوبُ[٤]، والمعْنَى: أتُراعُونَ رهْطِي فيَّ، ولَا تُراعُونَ اللهَ فيَّ؟.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

(٣) معاني القرآني وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٤) قرأ الكوفيون، ويعقوبُ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، انظر: التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ﴾ فِي هاءِ الكِنايَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَهُ الجمْهُورُ.

قالَ الفرَّاءُ: المعْنَى: رمَيْتُم بأمْرِ الله وراءَ ظُهورِكُم[1].

قالَ الزَّجَّاجُ: والعرَبُ تقُولُ لكُلِّ مَنْ لَا يعْبَأُ بأمْرٍ: قد جعَلَ فُلانٌ هذَا الأَمْرَ بظَهْرٍ[2]، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

تَمِيمَ بْنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ فَلَا يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا[3]

والثَّاني: أنَّها كِنايةٌ عمَّا جاءَ بهِ شُعيبٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾؛ أي: عالمٌ بأعْمالِكم، فهوَ يُجازِيكم بها. وما بعْدَ هذا قد سبَقَ تفْسِيرُه إلى قوْلِه: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

فإنْ قَالَ قائِلٌ: كيْفَ قالَ هاهُنا ﴿سَوۡفَ﴾، وفِي سُورةٍ أُخْرى ﴿فَسَوۡفَ﴾؟ [الأنعام: ١٣٥].

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٥).

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه (١/ ٨٦) في سياق قصة، وورد بلفظ:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي *** لديك ولا يعيا عليَّ جوابها

وهو له أيضًا في الأضداد؛ لابن الأنباري (٢٥٦)، وفيه: «... فلا يخفى علي جوابها»، قال ابن الأنباري: «وأراد الفرزدق بقوله: لا تكنن حاجتي بظهر، لا تطَّرحها»، وذكره الأزهري (٦/ ٢٥٦) بلا نسبة، ونسبه القرطبي في تفسيره (١٣/ ٦٣) إلى الفرزدق، وفيه: تميم بن قيس.

[٣٨٣/أ] فالجوابُ: أنَّ كِلَا الأمْرَيْنِ حسنٌ عنْدَ العرَبِ، إنْ أدْخلُوا الفاءَ، دلُّوا على اتِّصالِ ما بعْدَ الكلامِ بِمَا قبْلَه، وإنْ أسْقَطُوها، بَنَوا الكلامَ الأوَّل على أنَّه قدْ تمَّ، وما بعْدَه مُستأنَفٌ؛ لِقوْلِه[١]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ [البقرة: ٦٧].

والمعْنَى: فقالُوا: أتتَّخِذُنا، [بالفاءِ][٢]، فحُذفتِ الفاءُ لِتمامِ ما قبْلَها، قالَ امْرؤُ القيْسِ [من الطويل]:

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ ... وَمَا إنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[٣]

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: أرادَ فخرجْتُ، فأسْقَطَ الفاءَ لِتمامِ ما قبْلَها. ويُروى: «فقُمْت بِها أمْشِي».

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ارْتَقِبُوا العذَابَ، فإنِّي أرْتَقِب[٤] الثَّوابَ[٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ قالَ المفَسِّرُون: صَاح بِهم

---

(١) في (ف): كقوله.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (م).

(٣) البيتان في ديوانه ديوانه (ص: ١٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٥)، معاهد التنصيص (١/ ٨)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ١٠)، المرحّل: ضرب من برود اليمن، سمي مرحّلًا؛ لأنَّ عليه تصاويرَ رحل. ومرط مرحّل: إذا وخز فيه علم.

(٤) في (ج): مرتقب.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٣٩).

جِبْرِيلُ عليه السَّلام فماتُوا فِي أمْكِنَتِهِم[١].

قالَ مُحمَّدُ بْنُ كعْبٍ: عُذِّب أهْلُ مدْينَ بثلاثَةِ أصْنافٍ مِنَ العذابِ: أخذَتْهُم رجفَةٌ في دِيارِهم، حتَّى خافُوا أن تسْقطَ[٢] عليْهِم، فخرَجُوا منْها فأصابَهُم حرٌّ شدِيدٌ، فبعَث اللهُ الظُّلَّةَ، فتنادَوا: هلُمَّ إلى الظِّلِّ؛ فدخلُوا جميعًا في الظُّلَّةِ، فصِيحَ بهم صيحةً واحِدةً فماتُوا كلُّهم[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم تُعذَّبْ أُمَّتانِ قطُّ بعذابٍ واحِدٍ، إلَّا قوْمَ شُعيبٍ وصالحٍ، فأمَّا قوْمُ صَالِحٍ، فأخذَتْهُمُ الصَّيحَةُ مِن تحْتِهِم، وأمَّا قوْمُ شُعيبٍ، فأخذَتْهُم مِن فوْقِهِم، نشَأَتْ لهم سحَابةٌ كهيْئةِ الظُّلَّةِ فيها رِيحٌ بعْدَ أنِ امْتنعتِ الرِّيحُ عنْهُم، فأتَوْها يَسْتظِلُّون تحتَها فأحْرَقَتْهُم[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾؛ أي: كما هلَكَتْ [ثمُودُ][٥].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: يُقال: بعِدَ يبْعُدُ: إذا كانَ بُعْدُه هلَكةً؛ وبَعُدَ يَبْعُدُ: إذا نأَى[٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١١/ ٥٤٠).

(٢) في (ف): يسقط.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٩) (١١١٨١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١٦) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي.

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٦٩) عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (م).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: بِعلاماتِنا الَّتي تدُلُّ علَى صِحَّةِ نُبوَّتِه[1]. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حُجَّةٍ بيِّنَةٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرَهُم بهِ مِن عبادتِه واتِّخاذِه إلهًا. ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾؛ أي: مرشِدٍ إلى خيْرٍ.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

قوْلُه تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: قدَمْتُ القَوْمَ أقْدُمُهُم، قَدْمًا وقُدُومًا: إذَا تَقدمْتُهُم؛ والمعْنَى: تَقدَّمَهُم[2] إلى النَّارِ؛ ويدُلُّ عليْهِ قوْلُه: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[3]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أوْرَدَهُم بمعْنَى: أدْخَلَهُم[4].

وقالَ قتَادةُ: يمْضِي بيْنَ أيْدِيهم حتَّى يَهجُمَ بهم علَى النَّارِ[5].

قوْلُه تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٦).

(٢) في (ف): يقدمهم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٦٧) عن معمر عن قتادة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٠).

(٥) أخرجه الطبري في (١٥/ ٤٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٠) عن محمد بن عبد الأعلى عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١٢) عن معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٨) إلى أبي الشيخ.

قالَ المفسِّرُون: **الوردُ**: الموْضِعُ الَّذي ترِدُه.

وقالَ [ابْنُ][١] الأنْبارِيِّ: **الورِدُ**: مصْدَرٌ ومعْناه: الوُرُودُ، تجعلُه العرَبُ بمعْنَى: الموْضِعُ الموْرُودُ؛ **فتلخِيصُ الحرْفِ**: وبئْسَ المدْخلُ المدْخُولُ النَّارُ[٢].

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [هود: ٩٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

في هذِه اللَّعنةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها في الدُّنيا الغرَقُ، وفِي الآخِرةِ عذَابُ النَّارِ، هذَا قوْلُ الكلْبِيِّ، ومُقاتِلٍ[٣].

والثَّاني: أنَّها اللَّعنةُ فِي الدُّنيا مِنَ المؤمِنينَ، وفي الآخِرةِ مِنَ الملائِكةِ، [٣٨٣/ ب] ذكرَهُ الماورِدِيُّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الرِّفْدُ: العطِيَّةُ؛ يقُولُ: اللَّعنَةُ بئِسَ العطِيَّةُ؛ يُقال: رَفَدْتُه أرْفِدُهُ: إذَا أعْطَيْتُه وَأَعَنْتُه[٥].

والمرْفُود: المعطى.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [هود: ١٠٠].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ٥٤٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٧).

(٤) النكت والعيون (٢/ ٥٠٢).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

قوْلُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعْنِي: ما تقدَّم مِنَ الخبَرِ عنِ القُرى المهْلَكَةِ. ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾؛ أي: نُخْبِرُكَ بهِ.

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ قالَ قتادةُ: القائِمُ: ما يُرى مكانُه[1]. والحصِيدُ: لا يُرى أثَرُه. وقالَ ابنُ قُتيبةَ: القائِمُ: الظَّاهِرُ العَينِ[2]. والحصِيدُ: الَّذي قد أُبِيد وحُصِد.

وقالَ الزَّجَّاجُ: القائِم: ما بقِيتْ حيطَانُه[3]. والحصِيدُ: الَّذي خُسِفَ بهِ ومَا قدِ امَّحَى أثَرُهُ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بالعذابِ والإهْلاكِ. ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفْرِ والمعَاصِي. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾؛ أي: فما نفعَتْهُم ولَا دفعَتْ عنْهُم شيْئًا ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالهلاكِ. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ يعْنِي: الآلهةَ.

﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ **وفِيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه التَّخْسيرُ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4]، وبهِ قالَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٩) إلى أبي الشيخ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

مُجاهِدٌ[1]، وقتادَةُ[2]، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيبةَ[3]، والزَّجَّاجُ[4].

والثَّاني: أنَّه الشَّرُّ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: التَّدْمِيرُ والإِهْلاكُ، قالَهُ أَبو عُبيدةَ[5].

فإنْ قِيلَ: الآلهَةُ جَمادٌ، فكيْفَ قالَ: «وَمَا زَادُوهم»؟

فعَنْهُ جوابَانِ:

أحدُهما: ومَا زَادَتْهُم عِبادَتُها.

والثَّاني: أنَّها فِي القِيامةِ تكُونُ عوْنًا عليْهِم فتَزِيدُهُم شرًّا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾؛ أي: كما ذُكِر مِن إهْلاكِ الأُممِ وأخْذِهِم بالعذَابِ أخْذُ ربِّك ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ وصفَ القُرى بالظُّلم، والمرَادُ أهْلُها.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الظُّلمُ هَاهُنا: بمعْنَى: الكُفْرِ.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٩١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٣) (١١٢٠٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٨) (١٢٤٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٩٩).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعْنِي: ما ذُكِر مِن عذابِ الأُممِ وأخْذِهِم. والآيةُ: العِبرَةُ والعِظةُ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾؛ لأنَّ الخلْقَ[1] يُحشرونَ فيهِ، ويشْهدُه البَرُّ والفاجِرُ، وأهْلُ السَّماءِ والأرْضِ.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ وروَى زيْدٌ عن يعْقُوبَ، وأبو زيْدٍ عنِ المفضَّل: «وَمَا يُؤَخِّرُهُ» بالياءِ[2]، والمعْنَى: وما نُؤخِّر ذلِك اليوْمَ إلَّا لِوقتٍ[3] معْلُومٍ لا يعْلمُه إلَّا اللهُ.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، والكِسَائِيُّ: «يَوْمَ يَأْتِي» بياءٍ في الوَصْلِ، وحذَفُوهَا في الوقْفِ؛ غيْرَ أنَّ ابْنَ كثِيرٍ كان يقِفُ بالياءِ، ويصِلُ بالياءِ. وقرَأ عاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ بغيرِ ياءٍ في الوصْلِ والوَقْفِ[4].

---

(١) في (ج): الناس.

(٢) قراءة شاذة، وهي للأعمش أيضًا، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٨)، وتفسير المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٣٨١).

(٣) في (ج): لأن الوقت.

(٤) قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: الَّذِي يَخْتَارُه النَّحْوِيُّونَ[١]: «يَوْمَ يَأْتِي» بإثْبَاتِ اليَاءِ، والَّذِي فِي المُصْحَفِ وعليْهِ أكثَرُ القِراءاتِ بكسْرِ التَّاءِ، وهُذيلٌ تَستعْمِلُ حذفَ هذِه اليَاءَاتِ كثِيرًا. وقدْ حكَى الخليلُ، وسِيبويه، أنَّ العرَبَ تقُولُ: «لَا أَدْرِ»، فتحْذِفُ اليَاءَ، وتجْتزِئُ بالكسْرَةِ، ويزعمُونَ أنَّ ذلك لِكثرةِ الاِسْتعمالِ[٢].

وقَالَ الفرَّاءُ: كُلُّ يَاءٍ سَاكنَةٍ ومَا قبْلَها مكْسُورٌ، أو واوٍ سَاكنَةٍ ومَا قبْلَها مضْمُومٌ؛ فإنَّ العرَبَ تحْذِفُها وتجتزِئُ بالكسْرةِ مِنَ اليَاءِ، وبالضَّمَّةِ [٣٨٤/أ] مِنَ الواوِ، وأنْشدَنِي بعْضُهُم[٣] [من الرجز]:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا ... جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا[٤]

قَالَ المفَسِّرُونَ: وقوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يعْنِي: يأْتِي ذلِك اليوْمُ ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٥] فكُلُّ الخلَائقِ سَاكِتُونَ، إلَّا مَن أذِنَ اللهُ لَه فِي الكلَامِ. وقِيلَ: المرَادُ بهذَا الكلَامِ الشَّفاعَةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾.

---

(١) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: اللغويون.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٧).

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٢٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٧٩)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص. ٢٦٤)، والزاهر (٢/ ٨٠).

(٥) في (ج): بإذن الله تعالى.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: منْهُم مَن كُتِبتْ عليهِ الشَّقاوةُ، ومنْهُم مَنْ كُتِبت لـه السَّعادَةُ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الزَّفِيرَ كزفِيرِ الحِمارِ فِي الصدْرِ، وهوَ أوَّل ما ينْهقُ، والشَّهِيق كشهِيقِ الحِمارِ في الحلْقِ، وهوَ آخِرُ ما يفْرغُ مِن نهيقهِ، روَاه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[٣]، والفرَّاءُ[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: **الزَّفِيرُ**: شدِيدُ الأَنِينِ وقبِيحُه، **والشَّهيقُ**: الأنِينُ الشَّدِيدُ المرتَفعُ جدًّا، وهُما مِن أصْوَات المكرُوبِينَ.

وزعَم أهْلُ اللُّغةِ مِنَ الكُوفِيِّينَ والبصريِّينَ: أنَّ الزَّفِيرَ بمنْزلَةِ ابْتدَاءِ صوْتِ الحِمارِ فِي النَّهِيقِ، والشَّهيقَ بمنْزلَةِ آخرِ صوْتِه فِي النَّهِيقِ[٥].

والثَّانِي: أنَّ الزَّفِيرَ فِي الحلْقِ، والشَّهِيقَ فِي الصُّدُورِ[٦]، رَواهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٧]، وبهِ قالَ أبو العَالِيةِ، والرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٤٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٥٤).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٨).

(٥) انتهى كلام الزجاج، انظره في: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٩).

(٦) في (ج): الصدر.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٥) (٢٠٨٥).

وفي رِوايةٍ أُخْرى عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: **الزَّفِيرُ**: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، **والشَّهِيقُ**: الصَّوْتُ الضَّعِيفُ(١).

وقالَ ابْنُ فارسٍ: **الشَّهِيقُ**: ضِدُّ الزَّفِيرِ؛ لأنَّ الشَّهِيقَ رَدُّ النَّفَسِ، **والزَّفِيرُ**: إخْرَاجُ النَّفَسِ(٢).

وقالَ غيْرُه: **الزَّفِيرُ**: الشَّدِيدُ؛ مأْخُوذٌ مِنَ الزَّفْرِ؛ وهوَ الحِمْلُ علَى الظَّهْرِ لِشِدَّتِه. **والشَّهِيقُ**: النَّفَسُ الطَّوِيلُ المُمْتَدُّ(٣)، مأْخُوذٌ مِنْ قوْلِهم: جَبَلٌ شَاهِقٌ؛ أي: طَوِيلٌ(٤).

والثَّالث: أنَّ الزَّفِيرَ زفِيرُ الحِمَارِ، والشَّهِيقَ شَهِيقُ البِغَالِ، قالَهُ ابْنُ السَّائِبُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها السَّموَاتُ المعرُوفَةُ عِندنَا، والأرْضُ المعْرُوفةُ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ(٥)، وابْنُ الأنْبارِيِّ(٦): للْعَربِ فِي معْنَى الأَبَدِ أَلْفاظٌ؛ تقُولُ: لَا أفْعَلُ ذلِك مَا اخْتلَفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ، ومَا دَامَتِ السَّموَاتُ والأَرْضُ، ومَا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٥) (١١٢٢٤)، (١١٢٢٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٢- ٢٢٣).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٥٠٤).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٨٥)، وانظر البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٥٧).

اخْتلَفَـتِ الجِـرَّةُ والدِّرَّةُ[١]، ومَـا أطَّتِ الإبلُ[٢]، فِي أشـبَاهٍ لهذَا كثِـيرةٍ، ظنًّا منْهُم أنَّ هذِه الأشـياءَ لا تتغَـيَّرُ، فخاطَبَهُـم اللهُ بِمَا يسْـتَعملُونَ فِي كلامِهِم.

والثَّاني: أنَّها سمَواتُ الجنَّةِ والنَّارِ وأرْضُهُما.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

فِي الاسْتِثناءِ المذْكُورِ فِي حَقِّ أهْلِ النَّارِ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الاسـتثناءَ فِي حـقِّ الموحّديـنَ الَّذيـن يخْرُجـونَ بالشَّـفاعةِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والضَّحَّاكُ.

والثَّـاني: أنَّـه اسْـتثناءٌ لا يفْعلُـه، تقُـول: واللهِ لأَضْربنَّـك إلَّا أنْ أرَى غـيْرَ [٣٨٤/ب] ذلِـك، وعزِيمَتُـكَ علَـى ضرْبِـهِ، ذكرَهُ الفـرَّاءُ[٣]، وهـوَ معْنَـى قـوْلِ أبي صالِحٍ عنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: «إلَّا مَـا شَـاءَ رَبُّـكَ» قـالَ: فقَـد شـاءَ أنْ يُخلَّـدُوا فِيهَا[٤].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وفائِـدةُ هـذَا: أنَّـه لـو شـاءَ أنْ يرحمَهُـم لَرَحِمَهُـم، ولكنَّـه أعْلمَنَـا أنَّهُـم خالِـدُون أبـدًا[٥].

---

(١) الجِرَّة: ما يخرجه البعير للاجترار، والدِّرَّة: كثرةُ اللبن وسَيَلانُه؛ واختلافهما أن الدِّرة تسفل والجِرة تعلو. الصحاح للجوهري، مادة: (ج ر ر) و(درر).

(٢) أي: حنت الإبل. انظر: القاموس المحيط (ص: ٨٤٩) مادة: (أطّ)، ولسان العرب؛ لابن منظور (٧/ ٢٥٦) (أطّ).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٩)، بلفظ: فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لَقَدَرَ، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

والثَّالث: أنَّ المعنى: خالِدِينَ فيها أبدًا، غيْرَ أنَّ اللهَ تعالى يأمُرُ النَّارَ فتَأْكلُهُم وتُفْنِيهم، ثُمَّ يجددُ خلْقَهم، فيرجِعُ الاسْتثناءُ إلى تلك الحالِ، قالَه ابْنُ مسعودٍ.

والرَّابع: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «سوى»، تقُول: لو كانَ معَنَا رجلٌ إلَّا زيْدٌ، أي: سِوى زيدٍ؛ **فالمعْنَى**: خالِدِين فيها مِقدارَ دَوامِ السَّمواتِ والأرْضِ سِوى ما شاءَ ربُّك مِنَ الخُلودِ والزِّيادةِ، وهذا اخْتِيارُ الفرَّاءِ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومثْلُه في الكلامِ أنْ تقُولَ: لَأُسْكِنَنَّكَ فِي هذهِ الدَّارِ حوْلًا إلَّا مَا شئْتَ؛ تُرِيدُ: سِوَى مَا شِئْتَ أنْ أزِيدَكَ[٢].

والخامس: أنَّهُم إذا حُشروا وبُعِثوا، فهُم في شُروط القِيامةِ؛ فالِاسْتِثناءُ واقِعٌ مِنَ[٣] الخُلودِ بمِقدَار موْقِفِهم فِي الحِسابِ.

فالمعْنَى: خالِدينَ فيها ما دامتِ السَّمَواتُ والأرْضُ إلَّا مِقدارَ موْقِفِهم للمُحاسبَةِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

وقالَ ابْنُ كيسانَ: الِاسْتثناءُ يعُودُ إلى مُكثِهِم فِي الدُّنْيا والبرْزخِ والوقُوفِ للْحِسابِ[٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣).

(٣) في (ف): في.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٥٩).

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: فالمعْنَـى: خالِديـنَ فِي النَّـارِ وخالِديـنَ فِي الجنَّـةِ دوَامَ السَّماءِ والأرْضِ إلَّا مَـا شـاءَ ربُّـكَ مِـن تعْمِيرِهِـم فِي الدُّنْيـا قبْـلَ ذلِـك، فكأنَّـه جعَـل دَوامَ السَّماءِ والأرْضِ بمَعْنَـى الأبـدِ عَـلى مـا كانـتِ العـرَبُ تسـتعْمِلُ، وإنْ كانَتَـا قـد تتغَـيَّرانِ، واسْـتثنَى المشـيئةَ مِـن دوامِهِـا؛ لأنَّ أهـلَ الجنَّـةِ والنَّـارِ قـد كانـوا في وقْـتٍ مِـنْ أوْقـاتِ دوَامِ السَّماءِ والأرْضِ في الدُّنْيـا، لا فِي الجنَّـةِ، ولا في النَّـارِ[1].

والسَّادس: أنَّ الإسْـتثناءَ [قـدْ][2] وقـعَ عـلى أنَّ لهُـم فيهـا زفـيرًا وشَـهيقًا، إلَّا مـا شَـاءَ ربُّـك مِـنْ أنْـواعِ العـذَابِ الَّتِـي لم تُذكـرْ؛ وكذلِـك لأهْـلِ الجنَّـة نعِيـمٌ ممَّـا ذُكـر، ولهُـم مما لَمْ يُذكَـرْ مـا شَـاءَ ربُّـك، ذكـرَهُ الزَّجَّـاجُ أيضًـا[3].

والسَّـابع: أنَّ «إلَّا» بمعْنَـى: «كـما»، ومنْـهُ قوْلُـه: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النسـاء: ٢٢] ذكـرَهُ الثَّعلَبِـيُّ[4].

فأمَّا الِاسْتِثناءُ فِي حقِّ أهْلِ الجنَّةِ، ففِيهِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْتِثناءٌ لا يفْعلُه.

والثَّانِي: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «سِوَى».

والثَّالث: أنَّه يرْجِعُ إلى وقُوفِهِم للحِسَابِ ولُبْثِهِم في القُبورِ.

---

(١) مشكل القرآن وغريبه (١/ ٢١٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٧٦).

(٢) من (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٠).

(٤) الكشف والبيان (١٤/ ٤٥٧).

والرَّابع: أَنَّه بمعْنَى: إِلَّا ما شَاءَ أنْ يزِيدَهُم مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لم يُذكرْ.

والخامِس: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «كمَا» وهذِه الأقْوَالُ قد سبَق شرْحُها.

والسَّادس: أنَّ الإِسْتثناءَ يرجِعُ إلى لُبثِ مَنْ لبِثَ في النَّارِ مِن الموحِّدينَ، ثُمَّ أُدخل الجنَّةَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: فيكُونُ الإِسْتثناءُ مِنَ الخُلودِ مُكْثَ أهْلِ الذُّنُوبِ مِنَ المسلِمِينَ في النَّارِ، فكأنَّه قالَ: إلَّا ما شَاءَ ربُّك مِنْ إخْرَاجِ المذْنِبِين إلى الجنَّةِ، وخالِدِينَ فِي الجنَّة إلَّا ما شَاءَ ربُّكَ مِنْ إدْخال المذْنِبينَ النَّارَ مُدةً[٢].

واخْتلَفَ القُرَّاءُ فِي: «سُعِدُوا»:

فقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ [٣٨٥/أ] عاصِمٍ: «سَعِدُوا» بفتْحِ السِّين. وقرَأَ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عَاصِمٍ: بضمِّهَا، وهُما لُغتانِ[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣). قال الإمام الطبري رحمه الله (١٥/ ٤٨٩): وأوْلى الأقْوال في ذلك عندي بالصَّواب: القولُ الذي ذكرته عن الضَّحاك وهو: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من قدر مُكْثهم في النار، من لدن دخولها إلى أن دخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص؛ لأن الأشهر من كلام العرب في «إلَّا» توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلَّا أن يكون معها دلالةٌ تدلُّ على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، أعْني في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيوَجَّه إليه.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ نصبَ «عطَاءً» بما دلَّ عليه الكلَامُ، كأنَّه قالَ: أعْطاهُم النَّعيمَ عطَاءً[1].

والمجذوذُ: المقْطوعُ. قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: جَذَذْتُ، وَجَدَدْتُ، وجَذَفْتُ، وجَدَفْتُ: إذَا قَطعْتُ[2].

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ١٠٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾؛ أي: فلَا تَكُ يَا مُحَمَّدُ فِي شَكٍّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ المشْرِكُونَ مِنَ الأصْنَامِ، أنَّه باطِلٌ وضلالٌ، إنَّما يُقلِّدُون آباءَهُم.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وفِيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما قُدِّر لهم مِنْ خيْرٍ وشرٍّ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: نَصِيبُهُم مِنَ الرِّزْقِ، قالَهُ أبو العالِيَةِ.

والثَّالث: نَصِيبُهُم مِنَ العذَابِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وقالَ بعْضُهُم: لا يُنقصهم مِن عذَابِ آبائِهم[3].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هود: ١١٠].

---

(١) من قوله: (نصب عطاء)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٩٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعْنِـي: التَّـوْراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمِـن مُصـدِّقٍ بـه ومُكـذِّبٍ كـما فعَـلَ قوْمُـك بالقُـرآنِ.

قالَ المفَسِّرُونَ: وهذِه تعْزِيةٌ للنَّبِيِّ ﷺ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـدُ: إنِّي أخَّـرْتُ أُمَّتَـك إلى يـوْمِ القِيامـةِ، ولـوْلَا ذلِـك لعجَّلْـتُ عقَابَ مَـنْ كذَّبَـكَ[1].

وقالَ بْنُ قُتيبةَ: لوْلَا نَظِرَةٌ لهُم إلى يوْمِ الدِّينِ[2] ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنْيا[3].

وقـالَ ابْـنُ جَريـرٍ: سـبَقَتْ مِـن ربِّـك أنَّـه لا يُعجِّـلُ علَى خلْقِه بالعـذَابِ، لَقُـضِي بـيْنَ المصَـدِّقِ منْهُـم والمكَـذِّبِ بإهْـلاكِ المكـذِّبِ وإنْجاءِ المصَـدِّقِ[4].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾؛ أي: مِـنَ القُـرآنِ ﴿مُرِيبٍ﴾؛ أي: مُوقِـعٍ للرِّيـب.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود: ١١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ يُشير إلى جميع مَنْ قَصَّ قِصَّتَهُ في هذِه السُّورةِ.

---

(١) تنوير المقبس (ص: ١٩٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٦٧) بلفظه.

(٢) في (ج): إلى يوم يبعثون.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٤٩٣).

وقـالَ مُقاتِـلٌ: يعْنِـي بـهِ كُفَّـارَ هـذِهِ الأُمَّـةِ[١]. وقيـلَ: المعْنَـى: وإنَّ كُلًّا لخَلْـقٌ أوْ بـشَرٌ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

قـرَأ أبـو عمْـرٍو، والكِسـائِيُّ: «وإنَّ» مُشـدَّدةَ النُّـونِ، «لَمَـا» خفِيفـةً. والـلَّامُ فِي «لما» لامُ التَّوكيـدِ، دخلَـتْ علَى «مَا» وهـي خـبَرُ: «إنَّ»، والـلَّامُ فِي: «لَيُوَفِّيَنَّهُـمْ» الـلَّامُ الَّتِـي يتلقَّـى بهـا القسَـمُ، والتَّقدِيـر: واللهِ لَيُوفِّينَّهـم، ودخلَـتْ «مَـا» للفَصـل بـيْنَ اللَّامـيْنِ.

قـال مكـيُّ بْـنُ أبي طالِـبٍ: وقيـل: إنَّ «مَـا» زائِـدةٌ، لكـنْ دخلَـتْ لِتفْصِـلَ بـيْنَ اللَّامَـيْنِ اللَّذَيْـنِ يتَلَقَّيَـانِ القسَـمَ، وكِلاهُمـا مفْتُوحٌ، ففُصِـلَ بـ«مَـا» بيْنَهما[٢].

وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «وَإِنْ» بالتَّخْفيـفِ، وكذلِـكَ «لَمَـا» قـالَ سِـيبويهِ: حدَّثَنـا مَـنْ نثِـقُ بـه أنَّـه سـمِعَ مِـنَ العـرَبِ مَـنْ يقُـولُ: إنَّ عمْـرًا لَمُنطلِـقٌ، فيُخَفِّفُـونَ «إنْ» ويُعْمِلُونَهـا، وأنْشـدَ[٣]: [مـن الهـزج]:

وَوَجْـهٌ حَسَـنُ النَّحْـرِ كَأَنْ ثَدْيَيْـهِ حُقَّـانِ[٤]

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٠).

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٤- ٣٧٥).

(٣) الكتاب (٢/ ١٤٠).

(٤) في روايـة: «وَوَجْـهٌ مُـشْرِقُ النَّحْـرِ» وهـو مـن شـواهد سـيبويه التـي لم تنسـب، وانظـره في: الكتـاب (٢/ ١٤٠)، ومعـاني القـرآن؛ للأخفـش (١/ ٣٧٠)، والمحتسـب (١/ ٩)، والطـبري (١٥/ ٤٩٧)، والأصـول في النحـو (١/ ٢٤٦)، والإنصـاف؛ لابـن الأنبـاري (١/ ١٩٧)، وتهذيـب اللغـة (١/ ٢٢٣)، وشرح المفصـل (٨/ ٨٢)، حقـان: تثنيـة حـق، وهـو الوعـاء المعـروف. والعـرب تشـبه الثديـين بحُـقِّ العـاج.

وقرَأَ نافِعٌ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «وإنْ» خفِيفةً، «لَمَّا» مُشدَّدةً.

والمعْنى: ومَا كُلًّا إلَّا؛ وهـذَا كمَا تقُولُ: سأَلْتُكَ لَمَّا فعَلْتَ، وإلَّا فعَلْتَ، ومثْلُه قوْلُه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

وقرَأَ حمْزةُ، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «وإنَّ» بالتَّشْدِيدِ، «لَمَّا» بالتَّشْديدِ أيْضًا[1].

قالَ أبو علِي: هذِه قِراءَةٌ مُشكِلةٌ؛ لأنَّه كمَا[2] لا يحسُنُ: إنَّ زيْدًا إلَّا [٣٨٥/ ب] مُنطلِقٌ، كذلِكَ لَا يحسُنُ تثْقِيلُ «إنَّ» وتثْقِيلُ «لَمَّا»[3].

وحُكي عنِ الكِسائِيِّ أنَّه قالَ[4]: لا أعْرفُ وجْهَ التَّثْقيلِ في: «لَمَّا» ولم يبعدْ فِيما قالَ.

وقالَ مكِيُّ بْنُ أبي طَالبٍ: الأصْلُ فيهَا: «لَمِنْ مَا»، ثُم أُدْغمتِ النُّونُ في الميمِ، فاجْتمعَتْ ثلَاثُ مِيماتٍ فِي اللَّفْظِ، فحُذفتِ الميمُ[5] المكْسُورةُ؛ والتَّقْديرُ: وإنَّ كُلًّا لَمِن خلْقٍ فَلَنوفِّيَنَّهُم[6]، قالَ: وقيلَ: التَّقدير: «لَمَنْ مَا» (بفتْحِ الميمِ)[7] في «مَنْ» فتكُونَ «مَا» زائِدةٌ وتُحذفُ إحْدَى المِيماتِ؛ لِتكريرِ

---

(١) كل ما سبق من قراءات واردة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٣٩)، والتيسير (١٢٦).

(٢) في (ف): كان.

(٣) الحجة (٤/ ٣٨٧).

(٤) انظر: حجة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ٣٥٢- ٣٥٣).

(٥) في (ج): النون.

(٦) في (ج)، و(ف): ليوفينهم.

(٧) ليست في (ف).



الميمِ فِي اللَّفْظِ؛ والتَّقْدير: لخلقٌ لَنُوفِّيَنَّهُم[١][٢]. ومعنى الكلام: لَنُوفِّيَنَّهُم[٣] جـزَاءَ أعْمَالِهِم.

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ ﴾ [هود: ١١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾.

قَالَ ابْنُ عُيينَةَ: فَاسْتَقِمْ علَى القُرآنِ[٤]. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: امْضِ علَى مَا أُمِرْتَ بِهِ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَن تابَ معَكَ مِنَ الشِّرْكِ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: لا تَطْغَوْا فِي القُرآنِ، فتُحِلُّوا وتُحرِّمُوا مَا لَمْ آمُرْكُمْ بِهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لَا تعْصوا ربَّكُم ولَا تُخالِفُوه، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) في (ف): ليوفينهم.

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٤).

(٣) في (ف)، و(م): ليوفينهم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥١) إلى أبي الشيخ.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٦) تنوير المقباس (ص: ١٩٢).

والثَّالث: لا تخلِطُوا التَّوحيدَ بشِرْكٍ[١]، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

رَوى عبْدُ الوَارثِ عنْ أبي عمْرٍو: «تَرْكُنُوا» بفتْحِ التَّاءِ وضَمِّ الكافِ، وهيَ قِراءةُ قتادَةَ[٣]. ورَوى هارُونُ عنْ أبي عمْرٍو: «تَرْكِنُوا» بفتْحِ التَّاءِ وكسْرِ الكافِ. ورَوى محْبُوبٌ عنْ أبي عمْرٍو: «تِرْكَنُوا» بكسْرِ التَّاءِ وفتْحِ الكافِ. وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «تُرْكَنُوا» بضمِّ التَّاءِ وفتْحِ الكافِ على ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه[٤].

وفي المرَادِ بِهذَا الرُّكُونِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لا تَميلُوا إلى المشرِكِين، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا ترضَوا أعمالَهُم، قالَه أبو العالِيةِ.

والثَّالث: لا تلْحَقُوا بالمشرِكينَ، قالَهُ قَتادَةُ.

والرَّابع: لا تُداهِنُوا الظَّلمَةَ، قالَهُ السُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

---

(١) في (ج)، و(ف): بشكٍّ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٤٧٨)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها؛ لليشكري (ص: ٥٧٤).

(٤) انظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة (ص: ٥٧٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٢٠).



وفي قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وجهان:

أحدُهما: فتُصِيبكُمُ النَّارُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: فيتعدَّى إليْكُم ظلْمُهُم كما تتعَدَّى النَّارُ إلى إحْراقِ ما جاوَرَها، ذكرَهُ الماورديُّ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: ليْسَ لكُم أعْوانٌ يمنعُونكُم مِنَ العذَابِ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾.

أمَّا سببُ نُزُولِها: فروى علْقمَةُ والأسْودُ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ أنَّ رجلًا قالَ للنَّبيِّ -ﷺ-، إنِّي أخذْتُ امْرأةً فِي البُسْتانِ فقَبَّلْتُهَا، وضَمَمْتُهَا (إليَّ وباشَرْتُها)[(٢)]، وفعلْتُ بِها كُلَّ شيْءٍ، (غيْرَ أنِّي لمْ أُجامعْهَا)[(٣)]، فسَكتَ النَّبيُّ ﷺ، فأنْزلَ اللهُ تعالى[(٤)]: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾... الآيةَ، (فدَعا الرَّجُلَ فقرَأَها عليْهِ)[(٥)]، فقَالَ عُمَرُ: أهِيَ لَه خَاصَّةً، أَمْ للنَّاسِ كَافَّةً؟ قَالَ: «لَا بَلْ

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٥٠٨).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): إلا الجماع.

(٤) في (ج): فنزلت.

(٥) في (ج): فجاء الرجل يقرأها عليه.

للنَّـاسِ كَافَّـةً»(١).

وفي رِوايـةٍ أُخْـرى عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ: أنَّ رجُـلًا أصَـابَ مِـنِ امْـرَأةٍ قُبْلَـةً، فأتَـى رسُـولَ اللهِ، فذَكَـر ذلِـكَ لَـهُ، فنزَلَـتْ هـذِهِ الآيَـةُ، فقـالَ الرَّجُـلُ: إلَيَّ هـذِهِ الآيَـةُ؟ فقَـالَ: «لِمَنْ عَمِـلَ بِهَـا مِـنْ أُمَّتِـي»(٢). [٣٨٦/أ]

وقـالَ مُعـاذُ بْـنُ جبَـلٍ: كُنْـتُ قاعِـدًا عنْـدَ رسُـولِ اللهِ -ﷺ-، فجـاءَ رَجُـلٌ، فقَـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! مَـا تقُـولُ في رَجُـلٍ أصَـابَ مِـنِ امْـرَأةٍ مَـا لَا يَحِـلُّ(٣) لَـهُ، فلَـمْ يـدَعْ شـيْئًا يُصِيبُـهُ الرَّجُـلُ مِـنِ امْرَأتِـهِ إلَّا أصَابَـهُ منْهَـا، غـيْرَ أنَّـه لم يُجامعْهَـا؟ فقـالَ لَـهُ النَّبـيُّ ﷺ: «تَوَضَّـأْ وضُـوءًا حَسَـنًا، ثُـمَّ قُـمْ فَصَـلِّ» فأنْـزَلَ اللهُ تعَـالى هـذِه الآيـةَ، فقَـالَ مُعـاذٌ: أهِـيَ(٤) لَـهُ خَاصَّـةً، أَمْ للْمُسْـلِمِينَ عَامَّـةً؟ فقَـالَ: «بَـلْ هِـيَ للْمُسْـلمينَ عَامَّـةً»(٥).

(١) أخرجـه مسـلم (٢٧٦٣/ ٤٢)، وأبـو داود (٤٤٦٨)، والترمـذي (٣١١٢) مـن طـرق عـن أبي الأحـوص.

(٢) أخرجـه البخـاري (٤٦٨٧)، والترمـذي (٣١١٤)، والطـبراني في المعجـم الكبـير (١٠/ ٢٨٤) (١٠٥٦٠) مـن طريـق سـليمان التيمـي عـن أبي عثمان.

(٣) في الأصل، و(ج): تحل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: هي.

(٥) أخرجـه الدارقطني (١/ ١٣٤) (٤)، وابـن جريـر (١٢/ ٨٢)، والطـبراني في المعجـم الكبـير (٢٠/ ١٣٧) (٢٧٨)، والترمـذي (٣١١٣) مـن طريـق عبـد الرحمـن بـن أبي ليـلى عـن معـاذ بـه، وإسـناده منقطـع.

واخْتلَفُوا فِي اسْمِ هذَا الرَّجُلِ:

فقَالَ أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: هوَ عمْرُو بْنُ غُزيَّةَ الأنْصَارِيُّ[١]، وفيهِ نزَلَتْ هذِه الآيةُ، كانَ يبِيعُ التَّمْرَ، فأتَتْه امْرَأةٌ تبْتَاعُ منْهُ تمرًا، فأعْجَبتْهُ، فقَالَ: إنَّ فِي البيْتِ تمرًا أجْودَ مِنَ هذَا، فانْطَلِقِي معِي حتَّى أُعطِيَكِ منْهُ؛ فذكَرَ نحْوَ حديثِ مُعاذٍ[٢].

وقالَ مُقاتِلٌ: هو أبو مُقبل عَامِرُ بْنُ قيْسٍ الأنْصَارِيُّ[٣].

وذكَرَ أحْمدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثابِتٍ [الخَطِيبُ][٤] الحَافِظُ: أنَّه أبو اليُسْر[٥] كعْبُ بْنُ عمْرٍو الأنْصَارِيُّ[٦].

وذُكِرَ فِي الَّذِي قالَ للنَّبِيِّ ﷺ: «أَلَهُ خَاصَّةً»؟ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه أبُو اليُسر[٧] صاحِبُ القِصَّةِ.

---

(١) أبو حبة عمرو بن غزيّة بن عمرو بن بن عطية بن خنساء بن مبذول بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري المازني. شهد العقبة وبدرًا ينظر: الاستيعاب (٣/ ١١٩٧)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٢٣)، والإصابة (٣/ ١٠).

(٢) تنوير المقباس، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة (٢١٥) في ترجمة عمرو بن غزية، وعزاه لابن مندة، وأبو نعيم من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وانظر: الإصابة؛ لابن حجر (٤/ ٦٦٨)، ورواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٢٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٤) من (ف)، و(م).

(٥) في (ج): البشر، وفي (ف): البسر.

(٦) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٦/ ٤٣٨).

(٧) في (ج): البشر، وفي (ف): البسر.

والثَّاني: مُعاذ بْنُ جبَلٍ.

والثَّالث: عُمرُ بْنُ الخطَّابِ.

فأمَّا التَّفْسيرُ: فقوْلُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: أتمَّ رُكوعَها وسُجودَهَا.

فأمَّا طرفَا النَّهارِ: ففِي الطَّرفِ الأوَّلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه صلَاةُ الفجْرِ، قالَهُ الجمهُورُ.

والثَّانِي: أنَّه الظُّهرُ، حكَاهُ ابْنُ جَريرٍ[١].

وفِي الطَّرفِ الثَّانِي ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه صَلاةُ المغْرِبِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ[٢].

والثَّاني: العصْرُ، قالَهُ قتادَةُ. وعنِ الحَسنِ كالقوْلَيْنِ.

والثَّالث: الظُّهرُ، والعصْرُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والقُرظِيُّ. وعنِ الضَّحَّاكِ كالأَقْوَالِ الثَّلاثَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾.

وقرَأ أَبو جعْفَرٍ، وشَيْبةُ: «وزُلُفًا» بضَمِّ اللَّامِ[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٣) عن علي عن ابن عباس في قوله: {أقم الصلاة طرفي النهار} يقول: صلاة الغداة وصلاة المغرب، وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) من طريق أبي صالح به، وكذلك أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠٣) عن ابن زيد في قوله: {أقم الصلاة طرفي النهار}: الصبح، والمغرب.

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٢٩١).



قَالَ أَبُو عُبيدةَ[1]: الزُّلَفُ: السَّاعَاتُ، وَاحِدُهَا: زُلْفَة، أي: سَاعَةٌ ومنزِلةٌ وقُربةٌ، ومنْهَا[2] سُمِّيتِ المزدلِفَةُ، قَالَ العجَّاجُ [من الرجز]:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا
طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا
سَمَاوَةَ الهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا[3]

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومنْهُ يُقَالُ: أَزْلَفَنِي كَذَا عِنْدَكَ؛ أَيْ: أَدْنَانِي؛ والمزَالِفُ: المَنَازِلُ والدَّرَجُ، وكذلِكَ الزُّلَفُ[4].

وفيهَا لِلْمُفسِّرينَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها صلَاةُ العتَمَةِ[5]، رَواهُ ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[6]، وعوْفٌ عنِ الحسَنِ، وابْنُ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهِدٍ، وبهِ قالَ ابْنُ زيْدٍ.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٠٠).

(٢) في (ج)، و(ف): ومنه.

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٤٩٦)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٥٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٠٥)، الكامل؛ للمبرد (٣/ ٩٩)، وكتاب العين (٧/ ٣١٩)، ومجمل اللغة (٢/ ٢٤٦)، **والأين**: التعب، **وجفا**: من الوجيف: سرعة السير، **سماوة الهلال**: شخصه إذا ارتفع في الأفق شيئًا، **احقوقف**: اعوج، وإنما هو: «افعوعل» من الحقف، **والحقف**: النقا من الرمل يعوج ويدق. يريد طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٥) **العتمة**: سميت صلاة العشاء العتمة تسمية بالوقت؛ إذ العتمة ظلمة الليل وهو وقت لصلاة العشاء.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) (١١٢٦٦) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثَّـاني: أنَّهـا صـلَاةُ المغْـربِ والعِشـاءِ، رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيْضًـا، ورَواه يُونُـسُ عـنِ الحسَـنِ[١]، ومنْصُـورٌ عـنْ مُجاهِـدٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، ومُقاتِـلٌ[٢]، والزَّجَّـاجُ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

فِي المَرَاد بالحسَنَاتِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا الصَّلَـواتُ الخمْـسُ، قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ المسيِّـبِ، ومـسْروقٌ، ومُجاهِـدٌ، والقُرظـيُّ، والضَّحَّـاكُ، والمقَاتِـلانِ: ابْـنُ [٣٨٦/ ب] سُـليمانَ، وابْـنُ حيَّـانَ.

والثَّـاني: أنَّهـا سـبْحَانَ اللهِ، والحمْـدُ للهِ، ولَا إلـهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْـبَرُ، رواه منْصُـورٌ[٤] عـنْ مُجاهِـدٍ.

والأوَّل أصَـحُّ؛ لأنَّ الجمْهُـورَ عليْـهِ، وفيـهِ حدِيـثٌ مُسـندٌ عـن رسُـولِ اللهِ ﷺ، روَاهُ عُثمانُ بْـنُ عفَّـانَ عـنْ رسُـولِ اللهِ ﷺ (أنَّـه توضَّـأَ، و)[٥] قَـالَ: «**مَـنْ تَوَضَّـأَ وضُوئِـي هـذَا، ثُـمَّ صَـلَّى الظُّهْـرَ، غُفِـرَ لَـهُ مَـا كَانَ بَيْنَهَـا وَبَـيْنَ صَـلَاةِ**[٦]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) (١١٢٦٧) عن أبي رجاء عن الحسن.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١٤).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٦) ليست في (ف).



الصُّبْحِ، وَمَنْ[1] صَلَّى العَصْرَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ[2] وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَمَنْ[3] صَلَّى المَغْرِبَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى العِشَاءَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ المَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَرَّغُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا[4] وَبَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ، وَهِيَ[5] الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»[6].

فأمَّا السَّيِّئَاتُ المذْكُورةُ هَاهُنا، فقالَ المفَسِّرونَ: هيَ الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وقد رَوى مُعاذُ بْنُ جبَلٍ، قالَ: قلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ! أوْصِنِي؛ قالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، قالَ: قُلْتُ: زِدْنِي؛ قَالَ: «أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»،

---

(١) في الأصل، (ج): ثم، والمثبت من (ر)، و(ف)، و(م).

(٢) في (م): بينها.

(٣) في الأصل، و(ج): ثم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ف): بينه.

(٥) في (ج): وهن.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧) (٥١٣)، الطبري (١ / ٣٨٣) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ، بإسناد الإمام أحمد، والبزار (٤٠٥) من طريق عبد الله بن يزيد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٢) من طريق حيوة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣/ ٣٥٣) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه. وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٧)، وقال: في الصحيح بعضه، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله (كذا قال، وصوابه: ابن عبد، ويغلب على الظن أنَّه خطأ من الناسخ) مولى عثمان بن عفان وهو ثقة.

قُلْتُ[١]: زِدْنِي؛ قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ [لِلذَّٰكِرِينَ][٣]﴾.

في المشَارِ إليْهِ بـ«ذلِكَ» ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: إقَامُ[٤] الصَّلاةِ.

والثَّالث: جميعُ مَا تقَدَّمَ مِنَ الوصِيَّةِ بالإسْتِقامةِ، والنَّهيِ عنِ الطُّغيانِ، وتركِ الميْلِ إلَى الظَّالِمين، والقِيامِ بالصَّلاةِ.

وفي المرَادِ بالذِّكرَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى التَّوبَةِ.

والثَّاني: بمعْنَى العِظَةِ.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

---

(١) في (ج): فقلت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٩)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٧) من طريق جرير بن عبد الحميد، و(٢٩٨) من طريق فضيل بن عياض، كلاهما عن ليث، وأخرجه الطبراني في الكبير أيضًا (٢٠/ ٢٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧٦) من طريق أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، والطبراني في الأوسط (٣٧٩١)، والصغير (٥٣٠) من طريق الأعمش، كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت.

(٣) من (م).

(٤) في (ج): إيقاع.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ فيمَا أُمِر بالصَّبْرِ عليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لِمَا[1] يلْقَاه مِن أذَى قوْمِه.

والثَّاني: الصَّلاةُ.

وفِي المرَادِ بالمحْسِنينَ ثَلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: المصلُّونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المخْلِصُونَ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّالث: أنَّهمُ المحْسِنُونَ فِي أعْمالِهِم، قالَهُ أبو سُليمانَ.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود: ١١٦].

قوْلُه تَعَالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[3]، والفرَّاءُ[4]: المعْنَى: فلَمْ يَكُنْ. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المعْنَى: فهَلَّا[5].

---

(١) في (ج)، و(ف): ما.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٢٨)، عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٦) إلى ابن جرير الطبري وأبي الشيخ وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ ورَوى ابْـن جمَّـازٍ عـنْ أبي جعْفَـرٍ: «أُولُـو بِقْيَـةٍ» بكَـسْرِ البَـاءِ وسُـكونِ القَـافِ وتخْفِيـفِ اليَـاءِ[1].

وفِي معْنَى «أُولُو بَقِيَّةٍ» ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أُولُو دينٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُقـالُ: قـوْمٌ لهُـم بقِيَّـةٌ، وفِيهـم بقِيَّـةٌ: إذَا كانَـتْ بِهِـم مُسْـكَةٌ وفِيهـم خَـيْرٌ[2].

والثَّانِي: أُولُو تَمْييزٍ.

والثَّالـث: أُولـو طَاعَـةٍ، ذكرَهُمَـا الزَّجَّـاجُ، وقـالَ: إذَا قُلْـتَ: فُـلانٌ فِيـه بقِيَّـةٌ، فمَعْنَـاه: فيـهِ فضْـلٌ[3].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: اسْـتِثناءٌ[4] مُنقطِـعٌ؛ أي: لَكِـنَّ قلِيـلًا مِمَّـن أنْجيْنَـا منْهُـم ممَّـن نَهـى عـنِ الفسَـادِ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: لم يكُـنْ مِـنَ القُـرونِ مَـنْ ينْهَـى عـنِ المعَـاصِي والـشِّرْكِ إلَّا قلِيـلًا مِمَّـنْ أنْجَيْنَـا مِـنَ العـذابِ مـعَ الرُّسُـلِ[5].

---

(١) قـراءة متواتـرة عـن أبي جعفـر في روايـة ابـن جمـاز عنـه، كـما في النـشر (٢/ ٢٩٢) عنـه وعـن شـيبة، قـال: وقـد ترجمهـا أبـو حيَّـان بضـمِّ البـاء، فَوَهِـمَ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٣).

(٤) في (ج)، و(ف): الاستثناء.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: اتَّبَعُوا [٣٨٧/ أ] مـعَ ظُلمِهِـم ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ مـعَ اسْـتدامَةِ نعِيمِهِـم، فلَـم يقْبَلُـوا مَـا ينْقُـص مِـن تَرَفِهِـم.

قـالَ الفـرَّاءُ(١): آثَـرُوا اللَّـذاتِ عـلَى أمْـرِ الآخِـرَةِ. قـالَ: ويُقـال: اتَّبَعُـوا ذُنُوبَهُـمُ السَّـيِّئَةَ إلى النَّـارِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ۝١١٧﴾ [هود: ١١٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: بغَيْرِ جُرمٍ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بشِرْكٍ، ذكرَهُ ابْنُ جريرٍ(٢)، وأبو سُليمانَ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ينْتَصِفُ بعْضُهم مِن بعْضٍ، رَواه قيْسُ بْنُ أبِي حَازمٍ عنْ جَريرٍ(٣).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣١).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢٨١) من طريق أبي الأشعث، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢/ ١٥٢) (٦٥٦) من طريق محمد بن القاسم الأسدي عن إسماعيل به موقوفًا على جرير، وأخرجه ابن الأعرابي في المعجم (٥/ ٣٥٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٩٣) مرفوعًا، ثم روى عن يحيى بن معين قوله عن عبيد بن القاسم راوي الحديث: هو كذاب. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٩): رواه الطبراني؛ وفيه عبيد بن القاسم الكوفي وهو متروك.

قَالَ أبو جَعْفرٍ الطَّبَرِيُّ: فيكونُ المعْنَى: لا يُهلِكُهم إذا تناصَفُوا وإنْ كانُوا مُشركِينَ، وإنَّما يُهلِكُهم إذا تَظَالَمُوا[١][٢].

والثَّاني: مُصلِحُون لأعْمالِهم، مُتمَسِّكُونَ بالطَّاعةِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: مُؤمِنُونَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لو شاءَ أنْ يجعلَهم كلَّهم مُسلِمِينَ لَفعلَ[٤].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المشَارِ إليْهِم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم أهْلُ الحقِّ وأهْلُ البَاطِلِ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]، فيكُونُ المعْنَى: إنَّ هؤُلاءِ يُخالِفُون هؤلاءِ.

والثَّاني: أنَّهم أهْلُ الأَهْواءِ لا يَزَالُون مُختلِفِينَ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) في (ر): إذا ظلموا.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٣) (١١٢٨٠).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٢٨١).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: هُـم أهْـلُ الحَـقِّ[١]. وقـالَ الحسَـنُ: (أهْـلُ رحْمَـةِ اللهِ)[٢] لا يَختَلِفُـونَ[٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾.

فِي المشَارِ [إليْهِ][٤] بذلِكَ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه يرجِعُ إلى مَا هُم عليْهِ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: خلقَهُـم فرِيقَـيْنِ: فرِيقًـا يُرْحَـمُ فـلَا يَختلِـفُ، وفرِيقًـا لَا يُرْحَـمُ يَخْتلِـفُ[٥].

والثَّـاني: أنَّـه يرجِـعُ إلى الشَّـقاءِ والسَّـعادةِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيضًـا، واخْتـارَهُ الزَّجَّـاجُ، قـالَ: لأنَّ اخْتلافَهُـم مُؤدِّيهـم إلى سـعادَةٍ وشـقَاوَةٍ[٦].

قالَ ابْنُ جريرٍ: واللَّامُ فِي قوْلِه: «ولِذَلِكَ» بمَعْنَى: «عَلَى»[٧].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٣- ٢٠٩٤) عـن ابـن عبـاس.

(٢) في (ج): هم أهل رحمته.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٥) مـن طريـق منصـور عـن الحسـن.

(٤) من سائر النسخ.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٦)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٥) مـن طريـق أبي صالـح.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٨).

والثَّالث: أنَّه يرجعُ إلى الاخْتلافِ، رَواه مُباركُ عنِ الحسَنِ[١].

والرَّابع: أنَّه يرجِعُ إلى الرَّحمةِ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ عِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقتَادَةُ؛ فعلَى هذَا يكُونُ المعْنَى: ولِرحمَتِه خُلِقَ الَّذِين لا يَخْتَلِفُونَ في دينِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وجَبَ قوْلُ ربِّكَ[٣]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ مِن كُفَّارِ الجنَّةِ، وكُفَّارِ النَّاس.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «كُلًّا» منْصُوبٌ بـ«نَقُصُّ» المعْنَى: وَكلُّ الَّذِي تحْتَاجُ[٤] إليْهِ مِن أنْبَاءِ الرُّسُلِ نقُصُّ عليْكَ. و«مَا» منْصُوبةٌ بدلًا مِنْ كُلٍّ. المعْنَى: نقُصُّ عليْكَ ما نُثبِّتُ به[٥] فؤَادَكَ؛ ومعْنَى تثبيتِ الفُؤادِ: تسْكِينُ القلْبِ هَاهُنا، ليْسَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٦) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١٦) من طريق آخر عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٧)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩١) عن الحكم بن أبان، عن ابن عباس.

(٣) تنوير المقباس (٢/ ٥٤).

(٤) في الأصل: يحتاج، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ليست في (ر).

للشَّكِّ، ولكنْ كلَّما كانَ البرهَانُ والدِّلالةُ أكثرَ كانَ القلْبُ أثْبتَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ﴾.

فِي المشارِ إليْهِ بـ«هذِه» أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

[٣٨٧/ ب] **أحدُها:** أنَّها السُّورةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وسَعيدُ بْنُ جُبيرٍ وأبو العَاليةِ، ورَواه شيْبانُ عنْ قتادَةَ.

والثَّاني: أنَّها الدُّنْيا، **فالمعْنَى:** وجاءَكَ في هذِه الدُّنْيا، رواهُ سعِيدٌ عنْ قتادَةَ؛ وعنِ الحسَنِ[٢] كالقوْلَيْنِ.

والثَّالث: أنَّها الأقاصِيصُ المذْكُورةُ.

والرَّابع: أنَّها هذِه الآيةُ[٣] بعيْنِها، ذكرَ القوْلَيْنِ ابْنُ الأنْباريِّ[٤].

وفِي المرَادِ بالحَقِّ هَاهُنا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُ[٥] البيانُ.

والثَّاني: صِدْقُ القَصصِ والأنْبَاءِ.

والثَّالث: النُّبوَّةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٢) في الأصل: الحسين.

(٣) في (ج): الآيات.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٩٢).

(٥) في (م): أنها.

فإنْ قيلَ: أليْس قدْ جاءَهُ الحقُّ فِي كُلِّ القُرآنِ، فلِمَ خصَّ هذِه السُّورةَ؟.

فالجوابُ: أنَّا إنْ قُلْنا: إنَّ الحَقَّ النُّبوَّةُ، فالإشارَةُ بـ﴿هَٰذِهِ﴾ إلى الدُّنْيا، فيكُون المعْنَى: وجاءَكَ فِي هذِه الدُّنْيا النُّبوَّةُ، فيرْتَفِعُ الإشْكالُ.

وإنْ قُلْنا: إنَّها السُّورةُ؛ فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ بالحقِّ البيانُ، وهذِه السُّورةُ جمعتْ (مِن تبْيينِ)[1] إهْلاكِ الأُمَمِ، وشرْحِ مَآلِهم، ما لمْ يجمَعْ غيرُها فبَان أثَرُ التَّخْصِيصِ، وهذا مذْهَبُ بعْضِ المفَسِّرينَ.

والثَّاني: أنَّ بعْضَ الحقِّ أوْكدُ مِن بعْضٍ في ظُهورِهِ عنْدَنا وخفَائِهِ علينَا، ولهذَا يقُولُ النَّاسُ: فُلانٌ في الحَقِّ: إذا كانَ فِي الموْتِ، وإنْ لم يكُنْ قبْلَهُ في بَاطِلٍ، ولكَن لِتعْظِيم ما هو فيهِ، فكأنَّ الحَقَّ المبيَّنَ في هذه السُّورةِ أجْلى مِنْ غيْرِه، وهذَا مذْهبُ الزَّجَّاجِ[2].

والثَّالثُ: أنَّه خصَّ هذِه السُّورةَ بذلِكَ لِبيانِ فضْلِها، وإنْ كانَ فِي غيْرِها حَقٌّ أيضًا، فهوَ كقوْلِه: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوْلِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وهذا مذْهَبُ ابْنِ الأنْبارِيِّ[3].

---

(١) في (ج): بين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٩٣).

والرَّابع: أنَّ المعْنَى: وجاءَكَ فِي هذِه السُّورَةِ الحَقُّ معَ مَا جاءَكَ مِنْ سائرِ السُّوَرِ[١]، قالَهُ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يتَّعِظُون إذا سمِعُوا هذِه السُّورةَ ومَا نزَلَ[٣] بالأُمَمِ فتَلِينُ قُلوبُهم.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢)﴾ [هود: ١٢١ - ١٢٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذَا تهدِيدٌ ووَعِيدٌ، والمعْنَى: اعْملُوا علَى ما أنْتُم عامِلُون، فستَعْلَمُون عاقِبةَ أمْرِكُم، ﴿وَانتَظِرُوا﴾ ما يعِدُكمُ الشَّيطانُ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ مَا يعِدُنا ربُّنَا.

---

(١) في (ف): السورة.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٤٣).

(٣) في (ف): نزلت.

فَصْلٌ

قَالَ المفَسِّرونَ: وهذِه الآيةُ اقْتضتْ ترْكَهم على أعْمالِهم، والاقْتِناعَ بإنْذارِهم، وهيَ منْسُوخةٌ بآيةِ السَّيْفِ(١).

واعْلَم أنَّه إذا قُلْنا: إنَّ المرادَ بالآيةِ التَّهْديدُ، لم يُتوجَّه نسْخٌ.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: عِلْمُ(٢) مَا غابَ عنِ العِبادِ فِيهِما.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ قرَأَ نافِعٌ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ [كُلُّهُۥ](٣) ﴾ بضَمِّ الياءِ. وقرَأَ الباقُونَ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: {يَرجِعُ} بفتْحِ الياءِ(٤)(٥). **والمعْنَى:** إنَّ كُلَّ الأُمورِ ترجِعُ إليْهِ [في المعَادِ](٦).

﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾؛ أي: وحِّدْهُ. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: ثِقْ بِهِ. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرَأَ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٤١).

(٢) في الأصل: عالِمٌ، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: التاء، والمثبت من

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

بالتَّـاءِ. وقـرَأَ الباقُـون باليَـاءِ[١].

[٣٨٨/أ] قـالَ أبـو عـلِّيٍ: فمَـن قـرَأَ باليـاءِ؛ فالمعْنَـى: قُـلْ لهُـم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾. ومَـنْ قـرَأَ بالتَّـاءِ؛ فالخِطـابُ للنَّبِـيِّ ﷺ والجمِيـعِ[٢] الخلْـقِ مُؤمِنِهـم وكافرِهِـم، فهـوَ أعَـمُّ مِـنَ اليـاءِ، وهـذا وعِيـدٌ، والمعْنَـى: إنَّـه[٣] يجـزِي المحسِـنَ بإِحْسـانِهِ، والمسـيءَ بإسـاءتِهِ[٤].

[٣٨٨/ ب] قالَ كعْبٌ: خاتمةُ التَّوراةِ خاتمةُ هُودٍ[٥][٦].

---

(١) قراءتان سبعيتان أيضًا، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

(٢) في (ف): وجميع.

(٣) ليست في (ف).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٨٩- ٣٩٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٤٥)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٠٢) من طريق جعفر بن سليمان، والدارمي (٢/ ٤٥٣) من طريق أبي عمران الجوني، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٧) إلى عبد الله بن أحمد في زوائده الزهد وأبي الشيخ.

(٦) في نسخة الأصل: تم الجزء الأول من كتاب زاد المسير يتلوه في الجزء الثاني سورة يوسف، والحمد لله وحده وصلاواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه. على يد الفقير المحتاج إلى عفو ربِّه المتعال الفخر الناسخ المعروف بالرمال تجاوز الله عن سيئاته بمنه وكرمه.
بتاريخ نهار الأربعاء السادس والعشرون من شهر رمضان المعظم، مختتم سنة ثمانمئة هلالية. بلغ مقابلة على نسخة عليها خط المؤلف رحمه الله، وذلك على حسب الجهد والطاقة.



سُورَةُ يُوسُفَ عليه السلام

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

هيَ مكيَّةٌ بالإجْماعِ.

وفي سبَبِ نُزولها قوْلَانِ:

أمَّا القوْلُ الأوَّلُ: فرُوي عنْ سعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ قالَ: أُنزل القرْآنُ علَى رسُول اللهِ ﷺ، فتَلَاه عليْهِم زمَانًا، فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ! لو قصَصْتَ علينَا، فأنْزل اللهُ تعَالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾... إلى قوْلِه تعَالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ فتَلاهُ عليْهِم زمَانًا، فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ! لو[1] حدَّثتَنَا، فأنْزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] كلُّ ذلِك يُؤمَرُون بالقُرآنِ[2].

وقالَ عوْنُ بْنُ عبْدِ الله: ملَّ أصْحابُ رسُولِ اللهِ ﷺ ملَّةً، فقَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ! حدِّثْنا، فأنْزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثُمَّ إنَّهم[3] مَلُّوا مَلَّةً أُخْرى، فقالُوا: يا رسُولَ الله!

---

(١) في (ج): لقد.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٠٩٩) (١١٣٢٣) من طريق محمد بن سعد العطار به، وأخرجه إسحاق بن راهويه، كما في المطالب (٤٠١٣)، ومن طريقه ابن حبان (٦٢٠٩)، والحاكم (٢/ ٣٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٣)، وابن مردويه، كما المطالب (٤٠١٤)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والبزار (١١٥٢- ١١٥٣) من طريق عمرو بن محمد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

فَوْقَ الحدِيثِ، ودُونَ القُرآنِ، يعْنُون القصَصَ، فأنْزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فأرادُوا الحدِيثَ، فدلَّهُم على أحْسَنِ الحدِيثِ، وأرَادُوا القصَصَ، فدلَّهُم على أحْسَنِ القصَصِ[1].

والثَّاني: رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: سألَتِ اليهودُ النَّبيَّ ﷺ، فقَالُوا: حدِّثْنَا عنْ أمْرِ[2] يعْقُوبَ وولَدِهِ وشأْنِ يُوسفَ، فأنْزلَ اللهُ تعَالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[3]، وذلِك أنَّ التَّوراةَ بالعِبرانيَّةِ، والإنْجِيلَ بالسُّريانِيَّةِ، وأنْتُم قوْمٌ عربٌ، ولو أنْزلتُهُ بغيْرِ العربيَّةِ مَا فهِمتمُوهُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١].

وقد بيَّنَّا تفسْيرَ أوَّلِ هذِه السُّورةِ في أوَّلِ «يُونُسَ»، إلَّا أنَّه قد ذكَرَ ابْنُ الأنْبارِيِّ زيادَةَ وجْهٍ في هذِه السُّورةِ، فقَالَ: لَمَّا لحِقَ أصْحَابَ رسُولِ اللهِ ﷺ مَلَلٌ وسَآمةٌ، فقَالُوا لهُ: حدِّثْنَا بمَا يُزيلُ عنَّا هذَا الملَلَ، فقَالَ: تلْكَ الأحادِيثُ الَّتِي تقدرُونَ الانْتفَاعَ بها وانصرافَ الملَلِ، هي آياتُ الكتَابِ المبِينِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٢) من طريق المسعودي، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤٨) من طريق وكيع به، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٢) من طريق المسعودي به. وينظر: جامع بيان العلم وفضله (١٩١٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٦٠١).

وفي معنى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: البيِّنُ حلالُه وحرامُه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ.

والثَّاني: المبينُ للحرُوفِ[1] الَّتي تسْقطُ عنْ[2] ألْسُنِ الأعاجِمِ، رَواه خالدُ بْنُ معدان عنْ مُعاذ بْنِ جبلٍ[3].

والثَّالث: البيِّنُ[4] هُداه ورُشدُه، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: المبيِّنُ للحَقِّ مِنَ الباطِلِ.

والخامس: البيِّن[5] إعْجازُه[6] فلا يُعارض، ذكرَهُما الماوردِيُّ[7].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى الكتَابِ، قالَهُ الجمهُورُ.

(١) في (ف): للحرف.

(٢) في (ج): على.

(٣) أخرجه الطبري (١٨٧٧١) من طريق الوليد بن سلمة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ أنَّه قال في قوله تعالى: {الكتاب المبين} قال: بيَّن الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم، وهي ستة أحرف، والوليد بن سلمة الطبراني، قال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال دحيم وغيره: كذاب، وقال ابن حبَّان: يضع الحديث على الثقات. انظر: ميزان الاعتدال (٧/ ١٣١).

(٤) في الأصل: المبين، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: المبين، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ليست في (ج).

(٧) النكت والعيون (٣/ ٥).

والثَّانِي: إلى خبَرِ يُوسفَ، ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ[١]، وابْنُ القَاسِمِ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرْنا معْنَى القرآنِ واشْتِقاقَهُ فِي سُورة النِّساءِ [آية: ٨٢].

[٣٨٩/أ] وقدِ اخْتلفَ النَّاسُ، هلْ في القُرآنِ شيْءٌ بغيْرِ العربيَّةِ، أمْ لَا؟.

فمذْهبُ أصْحابِنَا أنَّه ليس فيهِ شيْءٌ بغير العربيَّةِ. وقالَ أبو عُبيدةَ: مَن زعَم أنَّ فِي القُرآنِ لِسانًا سِوى العربيَّة فقَدْ أعْظم علَى اللهِ القوْلَ[٣]، واحْتجَّ بقوْلِه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

ورُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ أنَّ فيهِ مِن غيْرِ لِسانِ العرَبِ؛ مثْلُ: «سِجِّيل» و«المشْكاة» و«اليَم» و«الطُّور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك.

(قَالَ الشَّيخُ)[٤]: وقرأْتُ على شيْخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ قالَ: قالَ أبو عُبيدٍ: وهؤلاءِ أعْلَم مِنْ أبي عُبيدةَ، ولكنَّهُم ذهَبُوا إلى مذْهبٍ، وذَهب هوَ إلى غيْرِه. وكِلاهُما مُصيبٌ إنْ شاء اللهُ تعَالى.

وذلِك: أنَّ هذِه الحرُوفَ بغيْرِ لِسانِ العرَبِ في الأَصْلِ، فقَالَ: أولئك علَى الأصْلِ، ثُمَّ لفظَتْ بهِ العرَبُ بألْسِنَتِها فعرَّبته فصارَ عربيًّا بتعْريبِهَا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٧).

(٢) أي: أبا بكر بن الأنباري، انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٨).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٧-١٨).

(٤) زيادة من الأصل فقط.

إِيَّاه، فهيَ عربيَّةٌ في هذِه الحالِ[١]، أعْجَمِيَّةُ الأصْلِ. فهذَا القوْلُ يصدِّقُ الفريقَيْنِ جميعًا[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لكي تفْهَمُوا[٣].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قد ذكرْنَا سببَ نُزولِهَا في أوَّلِ الكلامِ.

وقد خُصَّت بِسببٍ آخَرَ: فرُوي عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ قالَ: اجْتمعَ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إلى سلْمانَ[٤]، فقَالُوا: حدِّثْنَا عنِ التَّوْراةِ فإنَّها حسَنٌ ما فيهَا، فأنْزلَ اللهُ تعَالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعْنِي: قصصَ القُرآنِ أحْسنَ ممَّا في التَّوراةِ[٥].

قالَ الزَّجَّاج: **والمعْنَى:** نحن نُبيِّنُ لكَ أحْسَنَ البيانِ، **والقَاصُّ:** الَّذي[٦] يأْتِي بالقِصَّة على حقيقتِهَا. قالَ: وقوْلُه: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾؛ أي: بوحْيِنَا إليْكَ هذَا القُرآنَ[٧].

---

(١) في نسخة: الحالة.

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم (ص: ٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٩)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١١).

(٤) لا يصحُّ ذلك، بل هو باطل، فإنَّ السورة مكية كما تقدم بإجماع، وإسلام سلمان مدني.

(٥) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس (ص: ٩٨).

(٦) في (ف): التي.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٨).

قَالَ العُلَماءُ: وإنَّما سُمِّيت قِصَّةُ يُوسفَ أحْسَنَ القصَصِ؛ لأنَّها جمعَتْ ذكْرَ الأنْبياءِ، والصَّالحينَ، والملَائكةِ، والشَّياطِينِ، والأنْعَامِ، وسِيرِ الملوكِ، والمَمَالِيكِ، والتُّجارِ، والعُلَماءِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ وحِيلِهِنَّ، وذكْرِ التَّوْحيدِ، والفِقهِ، والسِّرِّ، وتعْبيرِ الرُّؤيا، والسِّياسَةِ، والمعَاشرَةِ، وتدْبِير المعاشِ، والصَّبْرِ على الأذَى، والحِلْمِ، والعِزِّ، والحُكمِ، إلى غيْرِ ذلك مِنَ العجائِبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كُنتَ﴾ **في «إنْ» قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: «قَدْ».

والثَّاني: بمَعْنَى: «مَا».

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مِن قبْلِ نُزولِ القُرآنِ ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عنْ عِلْمِ خبَرِ يُوسفَ وما صنَعَ بهِ إخْوتُه[1].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٤ – ٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ **في «إذْ» قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها صِلةٌ للفِعْلِ المتقدِّم[2]، والمعْنَى: نحْنُ نقُصُّ عليْكَ إذْ قالَ يُوسفُ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٤٦).

(٢) في (ف): صلة الفعل المقدم.

والثَّـاني: أنَّهـا صِلـةٌ لفعْـلٍ مُضمَـرٍ، تقْدِيـرُه: اذْكُـر إذْ قـالَ يُوسـفُ، ذكرَهُمـا الزَّجَّـاجُ[1]، وابْـنُ الأَنْبَـارِيِّ[2].

قوْلـه تعَـالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ قـرَأَ أبـو جعْفـرٍ، وابْـنُ عامِـرٍ بفتْـحِ التَّـاءِ، ووقفَـا بالهَـاءِ، وافَقَهُـا ابْـنُ كثِـيرٍ في الوقْـفِ بالهَـاءِ. وقـرَأَ البَاقُـون بكسْـرِ التَّـاءِ[3].

فمَـنْ فتَـح التَّـاءَ، أرَادَ: يَـا أَبَتَـا، فحذَفَ الأَلِـفَ كما تُحـذفُ اليـاءُ[4]، فبَقِيتِ الفتْحَـةُ دَالَّـةٌ عـلَى الأَلِـفِ، كـمَا أنَّ الكَسْرةَ تبْقَـى دَالَّةً على اليَـاءِ. ومَـنْ وقَفَ على الهَـاءِ؛ فلأنَّ تـاءَ التَّأنِيـثِ تُبدل منْهـا الهـاءُ في الوقْفِ[5]. [٣٨٩/ ب]

وقرَأَ أبو جعْفَرٍ: «أحد عْشر»، و«تسعة عْشر»، بسُكونِ العَيْنِ فيهما[6].

وفي مَا رَآه يوسُفُ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رأَى الشَّمْسَ والقمَرَ والكواكِبَ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرِينَ.

(قـالَ الفـرَّاءُ)[7]: وإنَّـما قـالَ: «رَأَيْتَهُـم» عـلَى جمْـعِ مَـا يعْقِلُ؛ لأنَّ السُّـجودَ فعْلُ مَـا يعْقِلُ؛ كقوْلِه تعَـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨][8].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٨).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٣٢).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٣).

(٤) في (ف): التاء.

(٥) انظر: التيسير (ص: ٦٠).

(٦) قراءة عشرية، قرأ بها أبو جعفر، كما في النشر (٢/ ٢٧٩)، وانظر: المحتسب (١/ ٣٣٢).

(٧) ليس في (ج).

(٨) معاني القرآن (٢/ ٣٥).

قَالَ المفَسِّرُونَ: كانتِ الكوَاكِبُ فِي التَّأْويلِ إخوتَه، والشَّمْسُ أمَّهُ، والقمَرُ أبَاهُ، فلمَّا قصَّها علَى يعْقُوبَ أشْفقَ مِن حسَدِ إخْوتِه.

وقالَ السُّدِّيُّ: الشَّمْسُ أَبُوه، والقمَرُ خالَتُه؛ لأنَّ أُمَّه كانتْ قد ماتَتْ[1].

والثَّاني: أنَّه رأى أبويْهِ وإخْوتَهُ سَاجِدينَ له، فكنَّى عنْ ذكْرِهم، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ.

فأمَّا تكرارُ قوْلِه: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ﴾ فقَالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما كرَّره لمَّا طالَ الكلامُ توْكيدًا[2].

وفِي سِنِّ يُوسفَ لمَّا رَأى هذَا المنَامَ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: سبْعُ سِنينَ.

والثَّانِي: اثْنتا عشْرةَ سنَةً.

والثَّالث: سبَعَ عشْرَةَ سنةً.

قَالَ المفَسِّرونَ: علِمَ يعْقوبُ أنَّ إخْوةَ يُوسفَ يعْلَمُون تأويلَ رُؤياه، فقَالَ: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يَحْتالُوا لكَ حِيلةً ويغْتالُوكَ[3]. وقَالَ غيْرُه: اللَّام صِلةٌ، والمعْنَى: فيكِيدُوكَ. والعدُوُّ المبِينُ: الظَّاهِرُ العدَاوةِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠١) (١١٣٣١)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ[١]، وابْنُ الأنْبارِيِّ[٢]: ومثْلُ ما رأيْتَ مِنَ الرِّفعة والحالِ الجليلةِ، يختَارُك ربُّك ويصْطَفِيك مِن بيْنِ[٣] إخوتِك.

وقد شرحْنَا في الأنعامِ [آية: ٨٧] معْنَى الاجتباء. وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يصْطَفِيكَ بالنُّبوَّةِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه تعْبِيرُ الرُّؤيَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ، فعَلى هذَا سُمِّي تأويلًا؛ لأنَّه بيانُ مَا يؤُول أمْرُ المنَامِ إليْهِ.

والثَّاني: أنَّه العِلْمُ والحكْمَةُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: تأويلُ أحاديثِ الأنْبياءِ والأُمَم والكُتبِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

قالَ مُقاتِلٌ: و«مِن» هَاهُنا صِلَةٌ[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٠٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٠) عن عكرمة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٩) إلى ابن جرير وأبي الشيخ عن ابن عبَّاسٍ.

(٥) معاني انقرآن وإعرابه (٣/ ٩٢).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٨)، وانظر التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٦٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: بالنُّبوَّةِ[١]، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بإعْلاءِ الكلِمةِ.

والثَّالث: بأنْ أحْوجَ[٢] إخْوتَه إليْه حتَّى أنْعَم عليْهِم، ذكرَهُما الماوردِيُّ[٣].

وفِي ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم ولدُه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يعْقُوبُ وامْرأتُه وأوْلادُه الأحَدَ عشَرَ، أتمَّ عليْهِم نعْمتَهُ بالسُّجودِ لِيوسُفَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٤].

والثَّالث: أهْلُه، قالَهُ أبو عُبيدَةَ[٥]، واحْتجَّ بأنَّك إذَا صغَّرْتَ «الآل»، قلْتَ: أُهيلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

قالَ عِكرمَةُ: فنعْمتُه علَى إبْراهِيمَ: أنْ نجَّاه مِنَ النَّار، ونعْمتُه علَى إسْحاقَ: أنْ نجَّاه مِنَ الذَّبح[٦].

---

(١) في (ج)، و(ف): النبوة.

(٢) في (ف): أخرج.

(٣) النكت والعيون (٣/ ٨).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٩)، وقوله: (قاله مقاتل) ليس في (ف).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٠٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٦١) (١٨٧٩٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور=

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾؛ أي: علِيـمٌ حيْـثُ يضَـعُ النُّبـوةَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدْبِـير خلْقِـه.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾؛ أي: في خـبَرِ يُوسـفَ وقصَّـةِ[١] إخْوتِـهِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾؛ أي: عِـبرٌ لِمَـن سـأَلَ عنْهُـم، فـكُلُّ حـالٍ مِـن أحْوَالِـه آيـةٌ. [٣٩٠/أ]

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ: {آيَةٌ}[٢].

قـالَ المفسِّرُون: وكان اليهـودُ قـدْ سـأَلُوا رسُـولَ اللهِ ﷺ عنْ قِصَّةِ يُوسـفَ، فأخْبَرَهُـم بهَـا كـما في التَّـوراةِ، فعجِبُـوا مِـن ذلِك.

وفِي وجْه هذِه الآيَاتِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: الدّلالَـةُ عـلَى صِـدْقِ مُحمَّـدٍ ﷺ حِـينَ أخْـبَرَ أخبَـارَ قـوْمٍ لم يُشـاهدْهُم، ولا نظَـرَ في الكُتُـبِ.

والثَّاني: ما أظْهرَ اللهُ في قِصَّةِ يُوسفَ مِن عوَاقِبِ البغْيِ عليْه.

والثَّالث: صدْقُ رُؤياه وصِحَّةُ تأْوِيلِه.

والرَّابع: ضبْطُ نفْسِه وقهْرُ[٣] شهوْتِه حتَّى قامَ بحَقِّ الأمَانةِ.

=(٤/ ٤) إلى ابن جرير، وقال أكثر المفسرين: الذبيح هو إسماعيل، والقول بأنّه إسحاق قول مرجوح.

(١) ليست في (ف).

(٢) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧).

(٣) في (ج): وقمع.

والخامس: حدُوثُ السُّرورِ بعْدَ اليأْسِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ خصَّ السَّائِلينَ، ولغيْرِهم فيهَا آياتٌ أيْضًا؟.

فعنْهُ جوَابانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: للسَّائلين وغيْرِهم، فاكْتَفى بذكْرِ السَّائِلين مِن غيْرِهِم، كما اكْتَفى بذكْرِ الحرِّ مِنَ البرْدِ في قوْلِه تعَالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

والثَّاني: أنَّه إذَا كانَ للسَّائلين عن خبَرِ يُوسفَ آيَةٌ؛ كانَ لِغيرِهِم آيةٌ أيضًا؟ وإنَّما خصَّ السَّائِلين؛ لأنَّ سُؤالَهُم نتَجَ الأعْجُوبةَ وكشفَ الخبَرَ.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ يعْنِي: إخْوةَ يُوسفَ. ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يعْنُون: ابْن يامِينَ. وإنَّما قِيل له: ابْن يامِين؛ لأنَّ أُمَّه ماتَتْ نُفساءَ. ويَامِين بمعْنَى: الوجَع، وكان أخاه لِأُمِّه وأبيهِ. والبَاقُون إخْوتُه لأَبِيه دُون أُمِّه.

فأمَّا العُصبةُ: فقالَ الزَّجَّاجُ: هيَ فِي اللُّغةِ الجماعَةُ الَّذِين أمْرُهُم واحِدٌ يُتابع بعْضُهم بعْضًا في الفِعْل، ويتَعصَّبُ بعْضُهم لِبعْضٍ[1].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

وللمُفسِّرينَ في العُصبةِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ما كانَ[١] أكْثرَ مِن عشرةٍ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّها ما بين العشْرة إلى الأرْبَعِينَ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا، وبهِ قالَ قتادَةُ.

والثَّالث: أنَّها سِتَّةٌ أو سبعَةٌ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والرَّابع: أنَّها مِنْ عشرةٍ إلى خمسةَ عشرَ، قالَهُ مجُاهِدٌ.

والخامس: الجماعَةُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ، وابْنُ قُتيبةَ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣].

والسَّادس: عَشرة، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

وقالَ الفرَّاءُ: العُصبة: عشرةٌ فما زَادَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لَفِي خطأٍ مِن رَأْيِه، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: فِي شقَاءٍ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٦]؛ والمَرَادُ بِه: عناء الدُّنيا.

---

(١) في (ف): كانت.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).



والثَّالث: لَفِي ضَلالٍ عنْ طَريقِ الصَّوابِ الَّذِي يقْتَضِي تعديلَ المحبَّةِ بيْنَنَا؛ لأنَّ نفعَنَا له أعَمُّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ولو نسَبُوه إلى الضَّلالةِ(١) في الدِّين كانُوا كُفَّارًا، إنَّما أرَادُوا أنَّه قدَّم ابْنَينِ صَغِيرَيْنِ علَيْنَا في المحبَّةِ ونحْنُ جماعَةٌ نفْعُنا أكْثَرُ(٢).

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [يوسف: ٩].

قوْله تعَالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾.

قالَ أبو علِيٍّ(٣): قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، والكِسائِيُّ: «مُبِينٌ اقْتُلُوا» بضمِّ التَّنْوِينِ؛ لأنَّ تحْرِيكَهُ يلْزَمُ لِالْتقاءِ السَّاكنَيْنِ، فحرَّكُوه بالضَّمِّ؛ لِيُتبعُوا الضَّمةَ الضَّمةَ، كما قالُوا: «مُدَّ» و«ظُلُمات».

[٣٩٠/ب] وقرَأَ أبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، (والكِسَائِيُّ)(٤): بكسْرِ التَّنوين، فلم يُتبعوا الضَّمَّة كما قالُوا: «مُدَّ» و«ظُلُمات»(٥).

---

(١) في نسخة: الضلال.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(٤) من الأصل، و(م).

(٥) قراءتان سبعيتان، إلا أن ابن عامر مع نافع، لا عاصم، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة (ص: ١٧٤).

قالَ المفَسِّرُون: وهذا قوْلُهم بيْنَهُم: ﴿أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: نصَب «أرْضًا» علَى إسْقاط «في» وإفْضاءِ الفعْلِ إليْهَا[1]؛ والمعْنَى: أوِ اطْرحوه أرضًا يبْعُد بها عنْ أبِيهِ.

وقال غيْرُه: أرضًا تأكلُه فيها السِّباعُ.

قوْلُه تعالَى: ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾؛ أي: يفرُغُ لكُم مِنَ الشُّغل بيُوسفَ.

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعْدِ يُوسف ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: صَالحين بالتَّوبةِ مِن بعْدِ قتْلِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تصلُحُ[2] حالُكُم عنْد أبِيكم، قالَهُ مُقاتلٌ[3].

وفِي قِصَّتِهِم نُكتةٌ عجِيبةٌ: وهوَ أنَّهم عزَمُوا علَى التَّوبةِ قبْلَ الذَّنْب، وكذلِكَ المؤْمِنُ لَا ينْسَى التَّوبةَ وإنْ كانَ مُرتَكِبًا للخطَايَا.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف: ١٠ - ١٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٢) في (م): يصلح.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

قَوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه يَهُـوذا، قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ وهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ، والسُّـدِّيُّ، ومُقاتِـلٌ(١).

والثَّاني: أنَّه شَمعُونُ، قالَهُ مُجاهِدٌ(٢).

والثَّالث: رُوبِيلُ، قالَهُ قتادَةُ(٣)، وابْنُ إسْحاقَ.

فأمَّـا غيَابَـةُ الجُـبِّ: فقـالَ أبـو عُبيـدةَ: كُلُّ شيْءٍ غَيَّـبَ عنْـكَ شـيْئًا فهـوَ غيابَـةٌ(٤). والجـبُّ: الرَّكيـةُ الَّتـي لم تُطـو.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: الغيابَـةُ: كُلُّ مـا غـابَ عنْـكَ، أو غيَّـب شـيْئًا عنْـكَ(٥)، قـالَ المنخَّـلُ(٦)[مـن الطويـل]:

فَـإِنْ أَنَـا يَوْمًـا غَيَّبَتْنِـي غَيَابَتِـي ... فَسِيرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ(٧)

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٦)(١١٣٥٩) من طريق سفيان عن رجل عن مجاهد، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: وفي كتاب غيري: عن ابن جريج عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٦)(١١٣٥٧) من طريق سعيد عن قتادة.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٠٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٦) هو المنخل بن سبيع بن زيد بن معاوية بن العنبر، له ترجمة في المؤتلف (ص: ١٧٨)، ومعجم المرزباني (ص: ٣٨٨).

(٧) البيت للمنخل في مجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، ومعجم المرزباني (ص: ٣٨٨)، ومعاني=

فَالجُبُّ: البِئرُ الَّتِي لم تُطو؛ سمِّيت جُبًّا مِن أجْل أنَّهَا قُطِّعت قطْعًا، ولم يحْدُثْ[1] فيهَا غيْرُ القطْعِ مِن طيٍّ وما أشبهَهُ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: {فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} أي: في ظُلُماتِه[2]. وقالَ الحسَنُ: في قعْرِه[3].

وقرَأ نافِعٌ: {فِي غَيَابَاتِ الجُبِّ} فجعَل كُلَّ جزْءٍ منه غيابةً[4]. ورَوى خارِجَةُ[5] عن نافِعٍ: «غيَّابات» بتَشْديدِ اليَاءِ[6]. وقرَأ الحسَنُ، ومجاهدٌ، وقتادَةُ[7]: «غَيْبَةِ الْجُبِّ» بغيْرِ ألِفٍ معَ إسْكانِ اليَاءِ[8].

=الزجاج (٣/ ٩٣)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٣١)، وشواهد الكشاف (ص: ٩٦).

(١) في الأصل: يحذف، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تنوير المقبس (ص: ١٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٢).

(٤) قراءة سبعية، وهي قراءة نافع، وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وابن كثير بالإفراد. انظر: التيسير (ص: ١٠٤).

(٥) هو أبو لحجَّاج خارجة بن مصعب الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع وأبي عمرو، وله عنهما شذوذٌ كثيرٌ، روى عنه ابن الفضل وغيره. توفِّي سنة (١٦٨هـ). انظر: الغاية (١/ ٢٦٨).

(٦) قراءة شاذة، نسبها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٣٣) إلى الأعرج، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٥) إلى خارجة عن نافع. وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢).

(٧) في نسخة: وقتادة، ومجاهد.

(٨) قراءة شاذة، نسبها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٣٣) إلى الحسن، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٥) إلى مجاهد والحسن وقتادة واللؤلؤي، وهارون عن أبي عمرو. وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢).

وأيْنَ كانَ هذَا الجُبّ، فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بأرْضِ الأَرْدنِ، قالَهُ وهْبٌ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هوَ بأرْضِ الأَردُنِ علَى ثلاثِ فرَاسِخَ مِن منْزِل يعْقُوبَ[١].

والثَّانِي: بِبيْتِ المقدِسِ، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٢]: يأخذُهُ بعْضُ مَنْ يسِيرُ. ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: إنْ أضْمرتُم له مَا تُريدُونَ.

وأكْثرُ القُرَّاء قرَءُوا ﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾ بالياءِ. وقرَأ الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: بالتَّاءِ[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: وجمِيعُ النَّحْويينَ يُجيزونَ ذلِك؛ لأنَّ بعْضَ السَّيارةِ سيَّارةٌ، فكأنَّه قالَ: تَلْتقِطهُ[٤] سيَّارةُ بعْضِ السَّيَّارةِ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٥)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٢١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠١).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٤٧)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤).

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣١٦)، والتبيان؛ للعكبري (١/ ٦٨٥).

(٤) في الأصل، و(ف): يلتقطه، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٤).

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ[١]: مَن قرَأَ بالتَّاء، فقَدْ أنَّثَ فعْلَ «بعْض»، و«بعْض» مذكَّرٌ، وإنَّما فعَلَ ذلِكَ حمْلًا علَى المعْنَى؛ إذِ التَّأْوِيلُ: تلْتَقِطُه[٢] السَّيَّارةُ، قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

رَأَتْ[٣] مَرَّ السِّنِين أَخَذْنَ مِنِّي … كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ[٤]

أرادَ: رأَتِ السِّنينَ، وقالَ الآخَرُ [من الرجز]: [٣٩١/أ]

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي
طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي[٥]

---

(١) المذكر والمؤنث (٢/ ١٨٨).

(٢) في (ف): يلتقطه.

(٣) في (ف): رأيت.

(٤) البيت لجرير بن عطية في ديوانه (ص: ٥٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٨)، (٢/ ٨٣)، والكامل؛ للمبرد (٢/ ١٤١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤/ ٨٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٧)، وتفسير الطبري (٧/ ٨٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، والسرار -بكسر السين وفتحها-: آخر ليلة من الشهر، ليلة يستتر القمر؛ أي: يختفي، وأراد جرير بالسرار في هذا البيت: نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالًا، حتى يخفى في آخر ليلة، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة.

(٥) الرجز للعجاج في تفسير الطبري (٧/ ٨٧)، وكذا نسبه إليه سيبويه في الكتاب (١/ ٥٣)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٩٩)، ونسبه أبو حاتم في المعمرين (ص: ١٠٨)، وأبو الفرج في الأغاني (٢١/ ٢٨) إلى الأغلب العجلي، وفي روايته اختلاف، وينظر الخزانة (٤/ ٢٢٤- ٢٢٦).

أَرَادَ: اللَّيالي[١] أسْرعَتْ، وقالَ جَريرٌ[٢] [من الكامل]:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ[٣]

أرادَ: تَوَاضَعَتِ المدِينةُ، وقالَ الآخَرُ [من الطويل]:

وَتَشْرَقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتُهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[٤]

أرادَ: كَما شرِقَتِ القَناةُ.

قالَ المفَسِّرونَ: فلَمَّا عزَم القوْمُ على كيْدِ يُوسفَ، قالُوا لِأبيهِ: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾.

---

(١) في (ج): بالليالي.

(٢) في (ف): الآخر.

(٣) البيت لجرير في ديوانه (٢/ ٩١٣)، ومجاز القرآن (١/ ١٩٧)، والكامل (٢/ ١٤١)، والمقتضب (٢/ ١٩٧)، والمذكر والمؤنث؛ لابن الأنباري (ص: ٥٩٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٧٢٣)، والخصائص (٢/ ٤١٨)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٢٩٦)، ورصف المباني (ص: ١٦٩)، من قصيدة قالها جرير في هجاء الفرزدق، يقول: لما وافى خبر قتل الزبير إلى المدينة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزنًا له؛ لأنَّ قاتل الزبير من رهط الفرزدق.

(٤) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٢٣)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٣٢)، والكتاب؛ لسيبويه (١/ ٥٢)، والمذكر والمؤنث؛ لابن الأنباري (٢/ ١٨٥)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٠)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٩٤)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٨٧)، والمقتضب (٤/ ١٩٧)، وتشرق: اشتدت حمرته بدم، أو بحسن لون أحمر، والشاهد في البيت: أنَّه أنث الفعل شرق بالتاء، مع أنَّ فاعله وهو «صدر» مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، فكأنَّه جعل الفعل للقناة لا لصدرها.

قَـرَأ الجماعـةُ: «تأمَنـا» بفتْـحِ الميـم وإدْغَـام النُّـونِ الأُولى فِي الثَّانِيـة والإشـارة إلى إعْـرابِ النُّـون المدْغمَـةِ بالضَّـمِّ[١].

قـالَ مكـيُّ بْـنُ أبي طَالِـبٍ: لأنَّ الأصْـل «تَأْمَنُنَـا» ثُـمَّ أُدغمـتِ النُّـونُ الأُولى، وبقِـيَ الإشْـمامُ يـدُلُّ عـلى ضمَّـةِ النُّـون الأُولى.

والإشْمَامُ: هـو ضـمُّ شـفَتَيْكَ مِـن غـيرِ صـوْتٍ يُسـمعُ، فهـوَ بعْـدَ الإدغَامِ وقبْـل فتْحـةِ النُّـونِ الثَّانِيـةِ. وابْـنُ كِيسـانَ يُسـمِّي الإشـامَ الإشَـارةَ، ويُسـمِّي الـرَّومَ إشْـمامًا.

والرَّومُ: صوْتٌ ضعِيفٌ يُسمعُ خفيًّا[٢].

وقـرَأ أبـو جعْفـرٍ: «تأمنَّـا» بفتْـحِ النُّـونِ مِـن غـيرِ إشْـامٍ إلى إعْـرابِ المدغـمِ[٣]. وقـرَأ الحَسَـنُ: «مَالَـك لا تأمُنـا» بضَـمِّ الميـمِ[٤].

وقـرَأ ابْنُ مِقسـم: «تأمننـا» بنُونَيْنِ عـلى الأصْـلِ[٥]، **والمعْنَى**: مالَـك لا تأمنَّا علَى يُوسـفَ فتُرسِـلُه[٦] معَنا، فإنَّـه قد كـبُرَ ولا يعْلَمُ شـيْئًا مِن أمْـرِ المعاشِ.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٤٠٠)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٤٥).

(٢) انتهى نقله من مكي بن أبي طالب هنا، وانظره في: مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٨٠- ٣٨١).

(٣) أبـو جعفـر يقـرأ بالإدغـام المحض بـلا إشـمام ولا روم. انظـر: الإتحـاف (ص: ٢٦٢)، وذكـر البغـوي في تفسيره (٢/ ٤٤١) أنَّ قـراءة أبي جعفـر هـي روايـة عـن نافـع أيضًـا.

(٤) قـراءة شـاذة، عزاهـا الكرمـاني في الشـواذ (ص: ٢٤٢) إلى ابـن هرمـز، وانظـر: الـدر المصـون (٦/ ٤٤٨).

(٥) قـراءة شـاذة، عزاهـا النحـاس في إعـراب القـرآن (٢/ ١٩٤) إلى طلحـة ابـن مـصرف، وعزاهـا الكرمـاني في الشـواذ (ص: ٢٤٢) إلى ابـن مسـعود وطلحـة بـن مـصرف.

(٦) في (ف): فأرسله.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فيما أشرْنا بهِ عليْكَ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصَّحراءِ.

وقالَ مُقاتِلٌ: في الكلَامِ تقْدِيمٌ وتأْخِيرٌ، وذلِك أنَّهم قالُوا له: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾، فقالَ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ فقالُوا: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا﴾[1].

قوْلُه تعالى: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو: «نَرْتَعْ ونَلْعَب» بالنُّونِ فيهما، والعينُ ساكنةٌ؛ (وافقَهُم)[2] زيْدٌ عنْ يعْقُوبَ فِي «نرْتَع» فحسَبْ[3].

وفي معْنَى «نَرْتَع» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: (نَلْهُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: نَسْعَ[4]، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث)[5]: نأْكُل؛ يُقال: رتَعتِ الإبِلُ؛ إذَا رعَتْ، وأرْتعْتُها؛ إذا ترَكْتُها ترْعَى. قالَ الشَّاعِرُ [من الرمل]:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

(٢) في (ج) زيادة فيها: إلا أنَّ ابن كثير يكسر العين ويصلها، كما في رواية ابن شنبوذ ووافقهم.

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٤٥).

(٤) في الأصل: يسعى، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

وَحَبِيبٍ لِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُوا لَهُ لَحْمِي رَتَعْ[١]

أي: أكلَهُ، هذا قوْلُ ابْنِ الأَنْبارِيِّ[٢]، وابْنِ قُتيبةَ[٣].

وقرَأ عاصِمٌ، و حمْزةُ، والكِسائِيُّ: «يرْتَع ويلْعَب» بالياءِ فيهِمَا وجزمَ العَينِ والبَاء[٤]، يعنُونَ «يُوسفَ». وقرَأ نافِعٌ: «نرتعِ» بكسْرِ العَيْنِ مِن «نرْتَعِ» مِن غيْر بلُوغٍ إلى الياءِ[٥].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومعْناهَا: نتحَارسُ، ويرْعَى بعْضُنا بعضًا؛ أي: يحْفَظُ؛ ومنْهُ يُقال: رعَاكَ اللهُ؛ أي: حفِظكَ[٦].

و[قدْ][٧] رُويت عنِ ابْنِ كثِيرٍ (أيْضًا: «نرْتَعِي» بإثْباتِ ياءٍ بعْدَ العينِ في الوصْلِ والوقْفِ)[٨][٩]. وقرَأ أنسٌ، وأبُو رجاءٍ: «نُرتِعْ» بنونٍ

---

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في المفضليات (١٩٠ - ٢٠٢) تعد من علي الشعر وأنفسه، وانظر: ديوانه (ص: ٣١)، والشعر والشعراء (ص: ٢٧٠)، (ص: ٣٨٤)، والزاهر (٢/ ٣١)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٣٨) ولفظ صدره:= =ويُحَيِّيني إذا لاقَيْتُه.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

(٤) في الأصل: الياء، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

(٧) من (ف).

(٨) ما بين الهلالين ليس في (ج)، واكتفى بقوله: (كما تقدَّم).

(٩) هي رواية ربيعة وابن الصباح عن قنبل، كما في التيسير (ص: ١٣١).

مرْفُوعَـةٍ وكَسْرِ التَّـاء وسُكونِ العـيْنِ، و«نلْعب» بالنُّـونِ[١].

قالَ أبُو عُبيدةَ: أيْ: نُرتع إبلَنَا[٢].

[٣٩١/ ب] فأمَّا قوْلُه تعَالى: {وَنَلْعَبْ} فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ونلْهُو[٣].

فإنْ قيلَ: كيْفَ لم يُنْكِر عليْهِم يعْقُوبُ ذكْرَ اللَّعِبِ؟

فالجوَابُ: مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهم[٤] لم يكونوا حينئِذٍ أنْبياءَ، قالَهُ أبو عمْرو بْنُ العلاءِ[٥].

والثَّاني: أنَّهم عنُوا مُباح اللَّعِبِ، قالَهُ الماورِديُّ[٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: يحْزُنُنـي ذهابُكُـم بـهِ؛ لأنَّـه يُفارِقُنِـي فـلَا أراهُ.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو،

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٢)، وإعراب القراءات الشاذة؛ للعكبري (١/ ٦٨٧)، والهداية؛ لمكي (٥/ ٣٥١٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٠٣).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٨) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أبو عمرو بن العلاء: زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠- ١٥٤ هـ) من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة. انظر: إنباه الرواة (٤/ ١٢٥)، ومعجم الأدباء (٣/ ٣٤٥)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٣١).

(٦) النكت والعيون (٣/ ١٢).

وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ: «الذِّئْبُ» بالهمْزِ فِي الثَّلاثةِ[١] المَواضعِ. وقرأ الكِسائِيُّ، وأبو جعْفرٍ، وشيْبةُ بغيْرِ همْزٍ.

قالَ أبو علِيٍّ: «الذِّئْبُ» مهمُوزٌ في الأصْلِ، يُقالُ: تَذاءَبَتِ الرِّيحُ؛ إذَا جاءَتْ مِنْ كُلِّ جِهةٍ كما يأْتِي الذِّئْبُ[٢].

وفي علَّةِ تخْصِيصِ[٣] الذِّئبِ بالذِّكْرِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه رأَى في منامِهِ أنَّ الذِّئبَ شدَّ علَى يُوسفَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ أرْضَهُم كانتْ كثِيرةَ الذِّئابِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٤].

والثَّالث: أنَّه خافَهُم عليْه فكنَّى بذكْرِ الذِّئْبِ، قالَه الماورديُّ[٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: غافِلُونَ في اللَّعِبِ.

والثَّاني: مُشْتَغِلُونَ برعيَّتِكُم.

قوْلُه تعالَى: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ نرَى الذِّئبَ قد قصدَهُ ولَا نردُّ عنْهُ ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: عاجِزُونَ.

---

(١) في (ج): الثلاث.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٠٨).

(٣) في (ج): تخصيصه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

(٥) النكت والعيون (٣/ ١٣).



قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: ومَن قرَأ: «عُصْبةً» بالنَّصْبِ[١]، فتقْدِيرُه: ونحن نجْتمِعُ عُصْبةً[٢].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ فِي الكلامِ اخْتصارٌ وإضْمارٌ، تقْديرُه: فأرْسَلَه معهُم {فلمَّا ذهَبُوا وَأَجْمَعُوا}؛ أي: عزَمُوا علَى أن يجْعَلُوه في غيابَةِ الجُبِّ.

الإِشَارَةُ إِلَى قِصَّةِ ذِهابِهِم

قَالَ المفَسِّرونَ: قالُوا ليوسُفَ: أمَا تشْتاقُ أنْ تخْرُجَ معَنَا فتلعَبَ وتتصيَّدَ؟ قَالَ: بلَى، قالُوا: فسَلْ أبَاكَ أنْ يُرسِلَك معَنَا، قَالَ: أفْعَلُ، فدَخَلُوا بجماعتِهِم علَى يعْقُوبَ عليه السَّلام، فقَالُوا: يا أبانَا إنَّ يُوسفَ قدْ أحبَّ أنْ يخْرُجَ معَنَا، فقَالَ: ما تقُولُ يا بُنيَّ؟ قَالَ: نعَمْ يا أبتِ! قد أرَى مِن إخْوَتي اللِّينَ واللُّطفَ، فأنَا أُحبُّ أنْ تأذَنَ لي، فأرْسَلَهُ معَهُم، فلمَّا أصْحَرُوا، أظْهَرُوا له ما فِي أنْفُسِهِم مِنَ العدَاوَةِ، وأغْلَظُوا له القوْلَ، وجعَلَ يلْجأُ إلى هذَا، فيَضرِبُه، وإلى هذَا، فيُؤْذِيه، فلمَّا فطِنَ[٣] لِمَا قد عزَمُوا عليْهِ، جعَل يُنادِي: يا أبَتَاهُ، يَا يعْقُوبُ! لو رأيْتَ يُوسفَ ومَا

---

(١) قراءة شاذة، وقراءة النصب بعيدةٌ؛ ووجهه أن يكون حذف الخبر ونصب هذا على الحال؛ أي: ونحن نتعصَّب، أو نجتمع عصبة. انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن؛ لأبي البقاء العكبري (٢/ ٧٢٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٤٢).

(٣) في (ج): نظر.

ينْـزِلُ بـهِ مِـن إخْوَتِـه لأحْزَنَـك ذلِـكَ وأبْـكاكَ، يَـا أبَتَـاه مَـا أسْرعَ مـا نَسُـوا عهْـدَك، وضيَّعُـوا وصِيَّتَـكَ، وجعَـل يبْكِـي بُـكاءًا شـدِيدًا[١].

قـالَ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: فأخَـذَهُ رُوبيـلُ فجلَـدَ بـهِ الأرْضَ، ثُـم جثَـمَ عـلى صـدْرِه وأرَاد قتْلَـهُ، فقَـال لَـه يُوسـفُ: مهْـلًا يـا أخِـي لا تقْتلْنِـي، قـالَ: يـا ابْـنَ رَاحيـلَ صاحِـبَ الأحْـلامِ، قُـلْ لِرؤْيَـاك تُخلِّصْـكَ مِـن أيدِينَـا، ولـوَى عُنقَـهُ لِيكسرَهـا، فنَـادى يُوسـفُ: يـا يَهُـوذَا اتَّـقِ اللهَ فِيَّ، وخَـلِّ بيْنِـي [٣٩٢/أ] وبـيْنَ مَـن يُريـدُ قتْـلِي، فأدْركتْـه لـه رحْمَـةٌ، فقَـال يهُـوذَا: يـا إخْوتَـاهُ، ألَا أدلُّكُـم علَى أمْـرٍ هـو خـيْرٌ لكُـم وأرْفَـقُ بـهِ؟ قالُـوا: ومَـا ذَاكَ؟ قـالَ: تُلقونَـهُ[٢] في هـذَا الجُـبِّ فيلْتقِطُـه بعْـضُ السَّـيَّارةِ، قالُـوا: نفْعـلُ؛ فانْطلَقُـوا بـهِ إلى الجُـبِّ، فخَلعُـوا قمِيصَـهُ، فقَـالَ: يـا إخوتَـاهُ! لم نزَعْتُـم قمِيـصي؟ رُدُّوه علَيَّ أسْـترُ بـه عـوْرَتِي ويكـونُ كفنًـا لي فِي ممـاتِي؛ فأخْـرجَ اللهُ عـزَّ وجـلَّ لـه حَجـرًا في البِئْـرِ مُرتفِعًـا مِـنَ المـاءِ، فاسْـتقرَّتْ عليْـهِ قدمَـاهُ.

وقـالَ السُّـدِّيُّ: جعَلُـوا يدْلُونَـهُ فِي البئْـرِ، فيتَعلَّـقُ بشـفِيرِ البِئْـرِ؛ فرَبطُـوا يدَيْـهِ ونزَعُـوا قميصَـه، فقَـالَ: يـا إخْوتَـاهُ! رُدُّوا علَيَّ قيمِـصي أتَـوارَى بـهِ، فقَالُـوا: ادْعُ الشَّـمْسَ والقمَـرَ والأحَـدَ عـشَرَ كوْكبًـا، فدلُّـوه فِي البئْـرِ، حتَّـى إذا بلَـغَ نِصفَهَـا ألْقـوه إرَادةَ أنْ يمُـوتَ، فـكانَ فِي البئْـرِ مـاءً فسـقَطَ فيـهِ، ثُـم أوَى إلى صخْـرَةٍ فيهَـا فقَـامَ عليْهَـا، فلـمَّا ألْقـوه في الجُـبِّ جعَـل يبْكِـي، فنـادوهُ، فظَـنَّ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٢١).

(٢) في (ف): تلقوه.

أنَّهـا رحْمـةٌ أدْركتْهُـم فأجَابَهُـم، فـأرَادُوا أن يرْضَخُـوه بصخْـرَةٍ، فمنَعَهُـم يهـوذَا، وكانَ يهـوذَا يأتِيـهِ بالطَّعـامِ[١].

وقـالَ كعْـبٌ: جمَعُـوا يدَيْـه إلى عُنُقِـه ونزَعُـوا قمِيصَـه، فبعَـثَ اللهُ إليْـهِ ملَـكًا، فحَـلَّ عنْـهُ وأخْـرجَ لـه حجَـرًا مِـنَ المـاءِ، فقَعـدَ عليْـه؛ وكان يعْقُـوبُ قـدْ أدْرجَ قمِيـصَ إبْراهِيـمَ الَّـذِي كسَـاهُ اللهُ إيَّـاه يـوْمَ أُلقِـيَ في النَّـارِ فِي قصَبـةٍ، وجعَلَهـا فِي عُنُـقِ يُوسـفَ، فألْبسَـهُ إيَّـاه الملَـكُ حينئـذٍ، وأضَـاءَ لَـهُ الجُـبَّ[٢].

وقـال الحسَـنُ: أُلقِـي في الجُـبِّ، فعَـذُبَ مـاؤُه، فـكانَ يُغْنِيـه عـنِ الطَّعـامِ والـشَّرابِ، فَدخَـلَ عليـه جبْرِيـلُ عليـه السـلام، فأنِـسَ بـه، فلـمَّا أمْسـى، نهـضَ جِبريـلُ لِيذهـبَ، فقَـالَ لـه يُوسـفُ: إنَّـك إذَا خرجْـتَ عنِّـي اسْتوحَشْـتُ، فقَـال: إذَا رهبْـتَ شـيْئًا؛ فقُـل: يـا صَريـخَ المسـتصْرِخينَ، ويا غـوْثَ المسـتَغِيثِينَ، ويـا مُفـرِّجَ كـرْبِ المكْرُوبِـينَ، قـد تـرَى مـكانِي وتعْلَـمُ حـالِي ولا يَخْفـى عليْـكَ شيْءٌ مِـن أمْـرِي.

فلـمَّا قالهـا حفَّتْـهُ الملائِكـةُ، فاسْـتأنَسَ فِي الجُـبِّ ومكـثَ فيـهِ ثلاثـةَ أيَّـامٍ، وكانَ إخْوتُـه يرْعَـونَ حـوْلَ الجُـبِّ.

وقـالَ مُحمَّـدُ بْـنُ مُسـلِمٍ الطَّائِفـيُّ: لَمَّـا أُلقِـي يُوسـفُ في الجـبِّ، قـالَ: يَـا شـاهِدًا غـيْرَ غَائـبٍ، ويـا قرِيبًـا غـيْرَ بعِيـدٍ، ويـا غالِبًـا غـيْرَ مغْلُـوبٍ، اجْعـلْ لي

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٧٣- ٥٧٤)، عـن أسـباط، عـن السـدي، وأخرجـه أيضًـا في تاريخـه (١/ ٣٣٢) بنفـس الإسـناد، وأخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٠٨-٢١٠٩) (١١٣٧٥- ١١٣٧٦) مـن طريـق أسـباط بـه.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٢١).

فرجًا ممَّا أنَا فيهِ؛ قالَ: فما باتَ فيهِ[1].

وفِي مِقدارِ سِنِّهِ حِينَ أُلْقِي في الجُبِّ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: اثْنتَا عشرَ سنَةً، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّانِي: ستُّ سِنِينَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: سبْعَةَ عشرَ [سنةً][2]، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ، ورُوي عنِ الحسَنِ أيضًا.

والرَّابع: ثمانِيَةَ عشرَ [سنةً][3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه إلهامٌ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه وحْيٌ حقِيقةً.

قالَ المفَسِّرونَ: أُوحي إليْه لتُخْبرنَّ إخْوتَك بأمْرِهم؛ أي: بما صَنعُوا بكَ وأنْت عالٍ عليْهِم.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قوْلَانِ: [٣٩٢/ ب]

أحدُهما: لا يشْعُرونَ أنَّك يُوسفُ وقْتَ إخْبارِك لهُم، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُقاتِلٌ[4].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٠٣).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

والثَّاني: لا يشْعُرونَ بالوحْيِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادةُ، وابْنُ زيْدٍ.

فعلَى الأوَّلِ يكونُ الكلامُ مِن صلَةِ «لَتُنبِّئَنَّهم»؛ وعلَى الثَّاني مِن صلةِ «وأوْحَيْنا إليْهِ» قالَ حُميدٌ: قلْتُ للحسَنِ: أيَحْسُدُ المؤْمِنُ المؤْمِنَ؟ قالَ: لَا أبا لَكَ، ما نسَّاكَ بنِي يعْقُوبَ؟[1].

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٦ - ١٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾.

وقرَأ أبو هُريرةَ، والحسَنُ، وابْنُ السَّميْفَعِ، والأعْمَشُ: {عُشَاءً} بضَمِّ العَينِ[2].

قالَ المفسِّرُون: جاءُوا وقتَ العتَمَةِ لِيكونُوا أجْرأَ فِي الظُّلْمةِ على الِاعْتذارِ بالكذِبِ، فلمَّا سمِعَ صوْتَهم فزِعَ، وقالَ: ما لَكُم يا بَنِيَّ، هلْ أصابَكُم فِي غنَمِكُم شيْءٌ؟ قالُوا: لَا، قالَ: فَما أصابَكُم؟ وأيْنَ يُوسفُ؟ ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ﴾.

وفيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: نَنْتَضِلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتيبةَ، قالَ: والمعْنَى، يُسابِقُ بعْضُنا بعضًا في الرَّمْيِ[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠٣)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ١٢).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٣)، وتوجيهها في المحتسب (١/ ٣٣٥)، وقراءة الحسن (عُشًى) على مثال (دجًى).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

والثَّاني: نشْتَدُّ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والثَّالث: نتَصَيَّدُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[1].

فيكونُ المعْنَى على الأوَّل: نسْتَبِق في الرَّمِي لِننظرَ أيّنا أسْبق سهمًا؛ وعلَى الثَّاني: نستَبِقُ على الأَقْدامِ؛ وعلَى الثَّالث: للصَّيْدِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾؛ أي: ثِيابِنَا. ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾؛ أي: بمُصدِّقٍ.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: وإنْ كُنَّا قد صدقْنَا، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّاني: لو كُنَّا عنْدكَ مِن أهْلِ الصِّدْقِ لَاتَّهَمْتَنَا فِي يُوسفَ لِمحبَّتِكَ إيَّاهُ، وظننْتَ أنَّا قد كذَبْنَاكَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[2].

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [يوسف: ١٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ﴾.

قالَ اللُّغويُّونَ: معْنَاه: بدَمٍ مكْذُوبٍ فيهِ، والعربُ تجْعلُ المصْدرَ في كثِيرٍ مِنَ الكلامِ مفْعُولًا، فيقولُونَ للكذِبِ: مكْذُوبٌ، وللعَقْلِ: معْقولٌ، وللجلْدِ: مجْلُودٌ، قالَ الشَّاعِرُ [من الكامل]:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

حَتَّـى إِذَا لَـمْ يَتْرُكُـوا لِعِظَامِـهِ لَحْـمًا وَلَا لِفُـؤَادِهِ مَعْقُـولَا[1]

أَرَاد: عقلًا. وقالَ الآخَرُ [من الكامل]:

قَـدْ وَالَّـذِي سَـمَكَ السَّـمَاءَ بِقُـدْرَةٍ بُلِـغَ العَـزَاءُ وَأُدْرِكَ الْمَجْلُـودُ[2]

يُريد: أُدْرِكَ الجلد.

ويقُولُـونَ: ليْـسَ لِفـلانٍ عقْـدُ رأْيٍ، ولَا معْقُـودُ رأْيٍ، ويقُولُـون: هـذا مـاءٌ سَـكْبٌ، يُريـدُون: مسْـكوبًا، وهـذَا شرَابٌ صَـبٌّ، يُريـدونَ: مصْبوبًـا، ومـاءٌ غـوْرٌ، يعْنُـون: غائِـرًا، ورجُـلٌ صـوْمٌ، يُريـدُون: صائـمًا، وامْـرأةٌ نـوْحٌ، يُريـدُون[3]: نائِحَـةً؛ وهـذا الـكلَام مجْمـوعُ قـوْلِ الفـرَّاءِ[4]، والأَخْفـشِ[5]، والزَّجَّـاجِ[6]، وابْـنِ قُتيبـةَ[7] في آخَرِيـنَ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: أَخَـذُوا جدْيًـا فذَبَحُـوه، ثُـمَّ غمَسُـوا قمِيـصَ يُوسُـفَ

---

(١) البيت للراعي النمري في ديوانه (ص: ٢١٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٨٣)، وأساس البلاغة (١/ ٦٧٠)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣٧)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٨)، والزاهر (١/ ٣٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٨١).

(٢) البيت لجرير في ديوانه (ص: ٣٣٧)، وبلا نسبة في المخصص (١٤/ ٢٠١)، وأمالي المرتضى (١/ ١٠٦)، ولفظ صدره في المصادر: إن التذكر فاعْذِلَاني أوْدَعَا.

(٣) في الأصل، و(ج): يعنون، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٨).

(٥) معاني القرآن (١/ ٣٩٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

في دَمِـهِ، وأَتَـوْهُ بـهِ وليْـس فيـهِ خـرْقٌ، فقَـالَ: كذبْتُـم، لـو كانَ أكَلَـهُ الذِّئْـبُ لَخَـرقَ القَمِيـصَ[١]. وقـالَ قتـادَةُ: كانَ دمَ ظَبيـة[٢].

وقـرَأ ابْـنُ أبي عبْلَـةَ: {بِـدَمٍ كَذِبًـا} بالنصب[٣]. وقـرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَـنُ، وأبـو العالِيَـةِ: «بِـدَمٍ كَـدِبٍ» بالـدَّالِ غير مُعجمـةٍ، أي: بدَمٍ طـريٍّ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: زيَّنَـتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ غـيْرَ مـا تصِفُـونَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قـالَ الخلِيـلُ: المعنـى: فشـأْنِي صـبْرٌ جمِيـلٌ، والَّـذِي أعْتقـده صـبْرٌ جميـلٌ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: الصَّـبْرُ مرْفُـوعٌ؛ لأنَّـه عـزَّى نفْسَـه، وقـالَ: مَـا هـوَ إلَّا الصَّـبْرُ، ولـو أمَرَهُـم بالصَّـبر، لـكانَ نصْبًـا.

وقالَ قُطربُ: المعْنَى: فصبْرِي صَبْرٌ جمِيلٌ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وأُبَيٌّ، وأبو المتوكِّلِ: «فصبْرًا جمِيلًا» بالنَّصْبِ[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٠) (١١٣٨٥)، عن السدي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١١١) (١١٣٩٣) من طريق سعيد، عن قتادة: قوله: {وجاؤ على قميصه بدم كذب} قال: صادوا ظبيًا فذبحوه فلطخوا به القميص، فجعل يقلب القميص فيقول: ما أرى به أثر ناب ولا ظفر، إن هذا لسبع رحيم.

(٣) قراءة شاذة، شواذ القراءات (ص: ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٤٥٧).

(٤) قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٣٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٥)، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٤٣) إلى أبي السمال، وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٣).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٣)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٩٥).

قال الزَّجَّاجُ: والصَّبْرُ الجمِيلُ، لا جزَع فيهِ، ولا شكَوَى إلى النَّاسِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: على مَا تصِفُونَ مِنَ الكذِبِ.

والثَّاني: على احْتِمَال مَا تصِفُونَ.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف: ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾؛ أي: قومٌ يسِيرُونَ.

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ قالَ الأخْفشُ: أنَّث السَّيارةَ وذكَّر الوَارِدَ؛ لأنَّ السَّيَّارة فِي المعْنَى للرِّجالِ[٢]. وقالَ الزَّجَّاجُ: **الوَارِدُ**: الَّذِي يرِدُ الماءَ لِيستقِيَ للْقوْمِ[٣].

وفِي اسْمِ هذَا الوَارِدِ قوْلَانِ:

أحدهما: مالِكُ بْنُ ذَعْر بْنِ بُويبَ بْنِ عيْفَا بْنِ مَدْيَنَ[٤] بْنِ إبْراهِيمَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّاني: مُجْلَثُ[٦] بْنُ رَعْوِيلَ، قالَهُ وهبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

(٢) معاني القرآن (١/ ٣٩٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).

(٤) في تفسير الطبري: عفقان بن مَدْيانَ.

(٥) تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٦) في (ج): مجلز.

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾؛ أي: أرْسلَها.

قـال الزَّجَّـاجُ: يُقـال: أدْليْـتَ الدَّلـوَ؛ إذا أرْسـلْتَهَا لِتملأَهَـا ودلوْتَهـا؛ إذا أخْرجْتَهـا[١].

﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ قـرَأهُ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ: [«يا بُـشْرايَ»][٢] بفتْـح اليـاءِ[٣] وإثبَـاتِ الألِـفِ. وروى ورْشٌ عـن نافِـعٍ: «بُـشْرَايْ» و«مَحْيَـايْ» [الأنعـام ١٦٢] و«مثْـوَايْ» [يوسـف: ٢٣] بسُـكونِ اليـاءِ[٤].

وقَــرَأ عاصِــمٌ، وحمْــزةُ، والكِسَــائِيُّ: «يــا بُــشْرَى» بألِــفٍ بغَــيْر يــاءٍ. وعَاصِــمٌ بفتْــحِ الــرَّاءِ، وحمْــزَةُ، والكِســائِيُّ يُمِيلَانِهَــا[٥].

قــالَ الزَّجَّــاجُ: مَـن قـرَأ: «يَـا بُـشْرَايَ» فهـذَا النِّـداءُ لِتنْبِيـه المُخاطَبِـينَ[٦]؛ لأنَّ البُـشْرى لا تُجِيـب ولا تعْقِـلُ؛ فالمعْنَـى: أَبْـشِرُوا، ويَـا أَيُّهَـا البُـشْرى هـذَا مِـن أَوَانِكِ[٧].

وكذلِـكَ إذا قلْـتَ: يَـا عجبَـاهُ، فكأنَّـك قلْـتَ: اعْجَبُـوا، ويَـا أَيُّهَـا العَجَبُ هـذَا مِـن حينِكَ، وقـد شرحْنَـا هـذَا المعْنَـى [هـود: ٦٩- ٧٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (ج): الباء.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٤٧)، وليست من طريق الشاطبية والتيسير ولا النشر.

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظرهما مع إمالة الأخوين وتقليل ورش في التيسير (ص: ١٢٨).

(٦) في (ج)، و(ف): تنبيه للمخاطبين.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).



فأمَّا قِراءةُ مَنْ قرأَ: «يَا بُشْرَى» فيجوز أن يكُونَ المعْنَى: يا مَنْ حضَرَ! هذِه بُشرى. ويجُوزُ أن يكونَ المعْنَى: يا بُشرى هذَا أوَانُكِ على ما سبَقَ بيانُه مِن تنْبيهِ الحاضِرينَ.

وذكر السُّدِّيُّ أنَّه نادَى بذَلِكَ أحَدَهُم وكانَ اسْمُه بُشْرَى[1].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: يجُوزُ فيهِ هذِهِ الأقْوَالُ، ويجُوز أنْ يكُونَ اسْمَ امْرَأةٍ.

وقرَأَ أبو رَجاءَ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «يا بُشْرَيَّ» بتَشْديدِ الياءِ وفتْحِهَا مِن غيْرِ ألِفٍ[2].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا أدْلَى دلْوَهُ؛ تعلَّقَ يُوسفُ بالحبْلِ فنَظَر إليْهِ؛ فإذا غُلامٌ أحسَنُ مَا يكونُ مِنَ الغِلْمانِ، فقَالَ لأصْحابِه: البُشْرى، فقالُوا: مَا ورَاءَكَ؟ قالَ: هذَا غُلامٌ فِي البئْرِ، فأَقْبَلُوا يسْألُونَهُ الشَّرِكةَ فيهِ، واسْتخْرَجُوه [٣٩٣/ ب] مِنَ الجُبِّ، فقَالَ بعْضُهم لِبعْضٍ: اكْتُموهُ عنْ أصْحابِكُم؛ لئلَّا يسْألُونَكُمُ الشَّرِكَةَ فيهِ، فإنْ قالُوا: مَا هذَا؟ فقُولُوا: اسْتبْضَعَنَاهُ[3] أهْلُ الماءِ لِنَبيعَه لهُم بِمصْرَ؛ فجاءَ إخْوةُ يُوسفُ فطَلَبُوه فلم يجِدُوه فِي البئْرِ، فنَظَرُوا، فإذا هُمْ بالقوْمِ ومعَهُم يُوسفُ، فقَالُوا لهُم: هذا غُلامٌ أبِقَ مِنَّا، فقَال مالِكُ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣) (١٨٨٨٦)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣) (١١٤٠٩) من طريق يحيى بن آدم عن قيس بن الربيع عن السُّدِّي في قوله: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ قال: كان اسم صاحبه بُشْرَى.

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٦)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٣)، وعزاها إلى ابن أبي إسحاق والجحدري وابن أبي عبلة.

(٣) في (ف): استبضعنا.

بْـنُ ذَعْـر: فأَنَـا أشْـتريهِ منكُـم، فبَاعُـوه بعِشْريـنَ دِرْهمًـا وحُلَّـةٍ ونعْلَـيْنِ، وأَسَرَّهُ مالِـكُ بْـنُ ذَعْـر مِـن أصْحابِـه، وقـالَ: اسْـتبضعْنَاهُ أهْـلُ المـاءِ لِنبيعَـه لهُـم بمِـصرَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «بِضَاعَـةً» منْصُـوبٌ عـلى الحَـالِ، كأَنَّـه قـالَ: وأَسَرُّوهُ جَاعِليـهِ بِضَاعَـةً[1].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أَسَرُّوا فِي أنْفُسِهِم أنَّه بِضاعَةٌ وتِجارٌ[2].

فِي الفاعِلينَ لِذلِكَ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهُـم وَارِدُو الجـبِّ. أَسَرُّوا ابْتِياعَـهُ عـنْ باقِـي أصْحابِهِـم، وتوَاصَـوا أنَّـه بِضاعـةٌ اسْـتبضعَهُم إيَّاهَـا أهْـلُ المـاءِ؛ وقـد ذكرْنَـا هـذا المعْنَـى عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ.

والثَّـاني: أنَّهُـم إخوتُـهُ، أَسَرُّوا أمْـرَه وبَاعُـوهُ، وقالُـوا: هـوَ بِضاعَـةٌ لنَـا، وهـذَا المعْنَـى مـرْوِيٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيْضًـا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ يعُمُّ الباعةَ والمشْتَرِين.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٍ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسـف: ٢٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٤).



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ هـذا حـرفٌ مِـن حُـروفِ الأضْـدَادِ، تقُـولُ: شريْـتُ الـشَّيْءَ، بمعْنَـى: بعْتُـه؛ وشَرَيْتُـه؛ بمعْنَـى: اشْـتَرَيْتُه.

فإنْ كانَ بمعْنَى باعُوهُ؛ ففِيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم إخْوتُه، وهوَ قوْلُ الأكْثَرِين.

والثَّاني: أنَّهُمُ السَّيَّارةُ، ولم يبِعْهُ إخْوتُه، قالَهُ الحسَنُ، وقتادَةُ.

وإنْ كانَ بمعْنَى: اشْتروهُ؛ فإنَّهُمُ السَّيَّارةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِثَمَنٍۭ بَخۡسٍ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الحرَامُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

والثَّاني: أنَّه القَلِيلُ، قالَهُ عِكْرِمةُ، والشَّعْبِيُّ.

قالَ ابْنُ قُتيْبَةَ: البخْسُ: الخَسِيسُ الَّذِي بخِس بهِ البَائِعُ[١].

والثَّالِـثُ: النَّاقِـصُ، وكانـتِ الدَّراهِـمُ عِشريـنَ [دِرْهمًـا][٢] في العـدَدِ، وهـيَ تنْقُـصُ عـنْ عِشريـنَ في الميـزَانِ، قالَـهُ أبـو سُـليْمانَ الدِّمَشْـقِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: إنَّما قِيل: «مَعْدُودَةٍ» لِيُستدَلَّ بهِ[٣] علَى القِلَّةِ[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (م): بها.

(٤) غريب القرآن (٢/ ٤٠).

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: أي: يَسِـيرةً، سـهُلَ عدَدُهَـا لِقِلَّتِها، فلـوْ كانَـتْ كثِـيرةً لثَقُـل عدَدُهَـا[١].

وقـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: كانُـوا في ذلِـكَ الزَّمَـانِ لا يزِنُـونَ أقَـلَّ مِـن أرْبَعِـينَ دِرْهمًـا. وقِيـلَ: إنَّـما لم يزِنُوهـا لِزُهْدِهِـم فيـهِ.

وفِي عدَدِ تلْكَ الدَّرَاهِمِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: عـشْرُونَ دِرهمًـا، قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ (فِي رِوايـةٍ، وعكْرِمـةُ فِي رِوايـةٍ، ونـوْفٌ الشَّـامِيُّ، ووهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ، والشَّـعبِيُّ، وعطِيَّـةُ، والسُّـدِّيُّ، ومُقاتِـلٌ فِي آخَرِيـنَ)[٢].

والثَّانِي: عشْرُونَ دِرهمًا وحُلَّةٌ، ونعْلانِ، رُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالِـث: اثْنـانِ وعـشْرُونَ دِرهمًـا، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبِـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ.

والرَّابع: أرْبعُون دِرهمًا، قالَه عِكرِمَةُ فِي رِوايةٍ، وابْنُ إسْحاقَ. [٣٩٤/أ]

والخامِـس: ثلاثُـونَ دِرهمًـا، ونعْـلَانِ، وحُلَّـةٌ، وكانُـوا قالُـوا لـه بالعبْرَانيَّةِ: إمَّـا أنْ تُقِـرَّ لنـا بالعُبودِيَّـةِ، وإمَّـا أنْ نأْخُـذَكَ منْهُـم فنَقْتُلَـك، قـالَ: بـلْ أُقِـرُّ لكُـم بالعبُوديَّـةِ، ذكـرَهُ إسْـحاقُ بْـنُ بِـشْرٍ[٣] عـنْ بعْضِ أشْـيَاخِه.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٤).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٣) هـو: إسـحاق بـن بـشر الكاهلي، أبو يعقـوب الكوفي، لـه كتاب المبتـدأ، كذَّاب، يضـع الحديث. قـال أبـو زرعـة: كان يكـذب، يحدث عـن مالـك وأبي معـشر بأحاديـث موضوعة. وقـال أبو=

قالَ المفَسِّرُونَ: اقْتَسَمُوا ثَمَنَهُ، فاشْتَرَوا بهِ نِعالًا وخِفافًا.

وكانَ بعْضُ الصَّالِحِينَ يقُولُ: واللهِ مَا يُوسفُ ـ وإنْ باعَهُ أعْداؤُهُ ـ بأعْجَبَ منْكَ فِي بيعِكَ نفْسَك بِشهْوَةِ ساعَةٍ مِنْ معاصِيكَ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ **الزُّهد:** قِلَّةُ الرَّغبةِ فِي الشَّيْءِ.

وفِي المشَارِ إليْهِمْ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم إخْوتُه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

فعلَى هذَا فِي هاءِ «فِيهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى يُوسفَ؛ لأنَّهُم لم يعْلَمُوا مكانَهُ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وابْنُ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى الثَّمَنِ.

وفِي علَّةِ زُهْدِهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: ردائتُهُ.

والثَّاني: أنَّهم قصدُوا بُعْدَ يُوسفَ، لَا الثَّمنَ.

والثَّاني: أنَّهُمُ السَّيَّارةُ الَّذِين اشْترَوهُ.

=حاتم: كان يكذب. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: كذاب. وقال ابن عدي: هو في عداد من يضع الحديث. توفي سنة (٢٢٨ هـ). انظر: الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٢/ ٢١٤)، والكامل؛ لابن عدي (١/ ٥٥٥)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (١/ ١٨٨).

وفي عِلَّة زُهدِهِم [فيه][١] **ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّهم ارْتَابُوا لِقلَّةِ ثمَنِه.

والثَّاني: أنَّ إخْوتَهُ وصَفُوه عنْدَهُم بالخِيانَةِ والإِبَاقِ.

والثَّالث: أنَّهم[٢] علِمُوا أنَّه حُرٌّ.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: ٢١].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ﴾.

قالَ وهْبٌ: لَمَّا ذهبَتْ[٣] بهِ السَّيَّارةُ إلى مصْرَ، وقفُوهُ فِي سُوقِها يَعْرِضُونَهُ[٤] للبيْعِ، فتَزايَدَ النَّاسُ فِي ثمَنِه حتَّى بلغَ ثمَنُه[٥] ووَزْنُه مِسْكًا، وَ[وَزْنُهُ][٦] ورِقًا، وَوَزْنُهُ حَرِيرًا، فاشْتَرَاه بذلِك الثَّمنِ رجُلٌ يُقالُ له: قِطْفِيرُ، وكانَ أمِينَ فرْعَونَ وخازِنَهُ، وكانَ مُؤمِنًا[٧].

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) في (ج)، و(ف): لأنهَّم.

(٣) في الأصل: ذهب، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ج): عرْضًا.

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٢٩).



وقـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: إنَّـما اشْـتَرَاهُ قِطْفِـيرُ مِـن مالِـكِ بْـنِ ذَعْـرٍ بِعشْرِيـنَ دِينـارًا، وزَوجَـيْ نعْـلٍ، وثَوْبـينِ أبْيَضَـيْنِ، فلـمَّا رجَـعَ بِـهِ[١] إلى منْزِلِـه قـالَ لِامْرأتِـهِ: أكْرِمِـي مثْـوَاهُ[٢]. وقـالَ قـوْمٌ: اسْـمُه: إطْفِـيرُ[٣].

وفِي اسْمِ المَرْأَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: رَاعِيلُ بِنْتُ رَعَابِيلَ[٤]، قالَه ابْنُ إسْحاقَ[٥].

والثَّانِي: أُزْلِيخَا بِنْتُ تمليخَا، قالَهُ مُقاتِلٌ[٦].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ يعْنِـي: أكْرِمِـي[٧] منْزِلَـهُ ومُقامَـهُ عنْـدَكِ، مِـن قوْلِـكَ: ثَوَيْـتَ بالمـكانِ: إذَا أقمْـتَ بـهِ[٨].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أحْسِنِي إليْهِ فِي طُولِ مُقامِه عنْدَنَا[٩].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٩٤١)، وابن أبي حاتم (١١٤٣٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وانظر هذا اللفظ في: تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٢٥)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٢٨- ٥٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٧)، وفيه: إطفير بن روحيب.

(٤) في نسخة: رعاييل، أو رعائيل.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٧) (١١٤٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٧).

(٧) ليست في (ج)، و(ف).

(٨) غريب القرآن (ص: ٢١٤).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٨).

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ: أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاثَةٌ: العَزِيزُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ، فقَالَ لِامْرأَتِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَنهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، وَابْنَةُ شُعَيْبٍ حِينَ قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾[القصص: ٢٦]، وأبو بكْرٍ حينَ اسْتَخْلَفَ عُمرَ[١].

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: يكفِينَا إذَا بلَغَ أُمورَنَا.

والثَّاني: بالرِّبحِ فِي ثمَنِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نَتبنَّاه[٢]. وقَالَ غيْرُه: لم يكُن لهُما ولَدٌ، وكانَ العَزِيزُ لا يأْتِي النِّسَاءَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥- ٣٤٦)، والخلال في السنة (٣٤٠) من طريق وكيع، وأخرجه الطبراني (٨٨٢٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ٥٠٦) من طريق محمد بن كثير، عن سفيان، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٨) (١١٤٣٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٣) من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، ابن مسعود، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١٣)، ومن طريقه الطبراني (٨٨٣٠) عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن ناس من أصحاب عبد الله بن مسعود، قالوا: قال عبد الله... فذكره، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩) بدون نسبة.



قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾؛ أي: وكـما أنْجيْنَـاه مِــن [٣٩٤/ ب] إخْوتِـه وأخرجْنَـاهُ مِـنْ ظُلمَـةِ[1] الجُـبِّ، مكنَّـا لـه فِي الأرْضِ؛ أي: ملَّكنَـاهُ في أرْضِ مِـصْرَ فجعلْنَـاهُ عـلَى خزَائِنِهَـا.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: إنَّـما دخلَـتِ الـوَاوُ فِي «وَلِنُعَلِّمَـهُ» لِفعْـلٍ مُضمَـرٍ هـوَ المجتلِـبُ لـلَّامِ[2]، والمعْنَـى: مكنَّـا لِيوسُـفَ في الأرْضِ، واخْتصَصْنَـاهُ بذلِـكَ لِكـي نُعلِمَـه مِـن تأْوِيـلِ الأحَاديـثِ[3].

وقد سبَقَ تفْسِيرُ تأويلِ الأحَاديثِ [يوسف: ٦].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ فِي هاءِ الكِنايَةِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا ترجِـعُ إلى اللهِ عـزَّ وجـلَّ. فالمعْنَـى: أنَّـه غالِـبٌ علَى مـا أرَادَ مِـن قضَائِـهِ، وهـذَا معْنَـى قـوْلِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[4].

والثَّاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى يُوسـفَ، فالمعْنَـى: غالِـبٌ علَى أمْـرِ يُوسـفَ حتَّى يبلِّغَـه مـا أرَادَهُ لـه، وهـذا معْنَى قـوْلِ مُقاتـلٍ[5].

وقـالَ بعْضُهـم: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ حيْـثُ أمَـر يعْقـوبُ يوسـفَ أنْ لا يقُـصَّ رُؤيـاهُ عـلى إخْوتِـه، فعلِمُـوا[6] بهـا، ثُـمَّ أرادَ يعْقُـوبُ أنْ لا يَكِيـدُوهُ

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ف): للأمر.

(٣) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ٦١).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٧).

(٦) في (ج): فيعلموا.

فـكَادُوهُ، ثُـمَّ أرادَ إخـوةُ يوسـفَ قتْلَـهُ فلم يُقـدِّرْ لهُـم، ثـمَّ أرادُوا أنْ يلْتَقطَـه بعْـضُ السَّـيَّارةِ فينْـدَرس أمْـرُه، فعَـلَا أمْـرُه، ثـمَّ باعـوهُ لِيكـونَ مملُـوكًا، فغلَـبَ[١] أمْـرُه حتَّـى ملَـك، وأرَادُوا أن يعْطفـوا أبَاهـم فأبَاهُـم، ثـمَّ أرَادوا أن يغـروا يعْقُـوبَ بالبُـكاء والـدَّم الَّـذي ألقَـوْه عـلى القمِيـص، فلـم يَخْـفَ عليْـه، ثـمَّ أرَادُوا أن يكُونـوا [مِـنْ][٢] بعـده قوْمًـا صالِحِـين، فنَسُـوا ذنْبَهُـم إلى أن أقـرُّوا بـه بعْـدَ سـنين؛ فقَالُـوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾، ثُـمَّ أرَادُوا أن يمْحُـوا محبَّتـه مِـنْ قلْـبِ أبيـهِ، فـازْدَادتْ، ثـم أرَادَتْ أُزْليخَـا[٣] أنْ تُلقِـيَ عليـه التُّهمـةَ بقوْلِهـا: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ فغلَـبَ أمْـرُه، حتَّـى شـهِدَ شَـاهِدٌ مِـن أهْلِهـا، وأرادَ يُوسـفُ أنْ يتخلَّـصَ مِـنَ السِّـجنِ بذكْـرِ السَّـاقِي، فنَسِـيَ السَّـاقِي حتَّـى لبِـثَ في السِّـجْن بِضـعَ سِـنِينَ[٤].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ قد ذكرْنَا معْنَى الأَشُدِّ فِي الأنْعَامِ [آية: ١٥٢].

واخْتلَفَ العُلماءُ فِي المرادِ بِهِ هَاهُنا علَى ثمانِيةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه ثـلاثٌ وثلاثـونَ سـنَةً، رَواهُ سـعيدُ بْـنُ جُبـيرٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٥]، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ[٦]، وقتـادَةُ.

---

(١) في (ف): فغلب على.

(٢) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) في (ج): زليخا.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥٤٥- ٥٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٩)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ٢١).

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢) (١٨٩٥٧).



والثَّاني: ثَماني عشرةَ سنَةً، قالَهُ[١] أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عِكرِمَةُ.

والثَّالث: أربعُونَ سنَةً، قالَهُ الحسَنُ[٢].

والرَّابع: بلُوغ الحُلمِ، قالَهُ الشَّعْبِيُّ، وربِيعةُ[٣]، وزيْدُ بنُ أسْلمَ، وابنُه.

والخامِس: عِشرونَ سنَةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ[٤].

والسَّادس: أنَّه مِن نحْوِ سبعَ عشرَةَ سنَةً إلى نحْوِ الأرْبَعِينَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

والسَّابع: أنَّه بُلوغُ ثمانٍ وثلاثِينَ سنَةً، حكَاهُ ابْنُ قُتيبةَ[٦].

والثَّامن: ثَلاثُون سنَةً، ذكرَهُ بعْضُ المفَسِّرينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الفِقهُ والعقْلُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: النُّبوَّةُ، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

---

(١) في (ج): رواه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٧) (١١٤٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حات في تفسيره (٩/ ٢٩٥١) (١٦/ ١٦٧٤١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٨) إلى ابن أبي حاتم عن ربيعة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ٢١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

والثَّالث: أنَّه جُعِل حكيمًا، (قالَهُ الزَّجَّاجُ)[1]، [قالَ][2]: وليْس كُلُّ عالمٍ حكيمًا، إنَّما الحكيمُ: العالمُ المستعمِلُ علْمَهُ، المُمْتنِعُ بهِ مِنِ اسْتعْمالِ ما يُجهَلُ فيهِ[3].

والرَّابع: أنَّه الإصابَةُ في القوْلِ، ذكرَهُ الثَّعْلبِيُّ[4].

قالَ اللُّغويُّونَ: الحُكْمُ عنْد العرَبِ ما يَصْرِفُ عنِ الجَهْلِ والخطَأِ، ويمْنَعُ منْهُما، ويرُدُّ النَّفْسَ عمَّا يُشِينُها ويعُودُ عليهَا بالضَّررِ، ومنْهُ: حَكَمَةُ [٣٩٥/أ] الدَّابَّةِ.

وأصْلُ أحْكَمْتُ فِي اللُّغةِ: مَنَعْتُ، وسُمِّي الحاكمُ حاكمًا؛ لأنَّه يمْنعُ مِنَ الظُّلْمِ والزَّيغِ.

وفِي المرَادِ بالعِلْمِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: الفِقْه.

والثَّانِي: علْمُ الرُّؤيَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: ومثْلُ ما وصفْنَا مِن تعَلُّمِ[5] يُوسفَ وحِراستِهِ، نُثِيبُ مَن أحْسَن عملَهُ، واجْتَنَب المعاصِي،

---

(١) ليس في (ج).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

(٤) الكشف والبيان (١٤/ ٥٣٨).

(٥) في (ج)، و(ف): تعليم.

فنُنجِّيه مِنَ الهلَكةِ، ونَسْتنقِذُه مِنَ الضَّلالةِ فنجعَلُه مِنْ أهْلِ العِلْمِ والحِكمَةِ كما فعلْنَا بِيُوسفَ.

وفِي المرَاد بالمحْسِنينَ هَاهُنا ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: الصَّابِرُونَ علَى النَّوائِبِ.

والثَّاني: المهْتَدُونَ، رُويَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: المؤمِنُونَ.

قالَ مُحمَّدُ بْنُ جَريرٍ: هذَا، وإنْ كانَ مَخْرَجُ ظاهرِهِ علَى كُلِّ مُحسنٍ، فالمرَادُ بهِ مُحمَّدٌ ﷺ، **والمعْنَى:** كما فعلْتُ بِيُوسفَ بعْدَ مَا لَقِيَ مِنَ البَلاءِ فمَكَّنْتُهُ فِي الأرْضِ وآتَيْتُه العِلْمَ، كذلِكَ أفْعلُ بكَ وأُنَجِّيكَ مِن مُشركِي قوْمِكَ[1].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عنْ نفسِهِ﴾؛ أي: طلَبَتْ منْهُ المُوَاقعَةَ، وقد سبَقَ اسمُهَا.

قالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى:** رَاودَتْهُ عمَّا أرَادَتْهُ ممَّا يُريد النِّساءُ مِنَ الرِّجالِ[2].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: «هَيْتُ لَكَ» بفتحِ الهاءِ، وتسكينِ الياءِ، وضمِّ التَّاءِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «هِيتَ لَكَ» بكسرِ الهاءِ، وتسكينِ الياءِ، وفتحِ التَّاءِ، وهيَ مرْويةٌ عنْ عليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ.

ورَوى الحُلْوانِيُّ عنْ هِشامٍ، عنِ ابْنِ عَامرٍ مثْلَه، إلَّا أنَّه همَزَهُ. قالَ أبو عليٍّ الفَارسيُّ: هو خطَأٌ[١].

ورُوِي عنِ ابْنِ عامِرٍ: «هِئْتُ لَكَ» بكسْرِ الهاءِ، وهمْزِ اليَاءِ، وضمِّ التَّاءِ، وهِيَ قِراءَةُ ابْنِ عبَّاسٍ، وأبي الدَّرْداءِ، وقتَادَةَ[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: وهو[٣] مِنَ الهيْئَةِ، كأنَّها قالَتْ: تَهيَّأْتُ لَكَ[٤].

وعنِ ابْنِ مُحيْصنٍ، وطلحَةَ بْنِ مُصرِّف مثْلُ قِراءةِ ابْنِ عبَّاسٍ؛ إلَّا أنَّها بغَيْرِ همْزٍ، (وعنِ ابْنِ مُحيصنٍ بفتْحِ الهَاءِ وكسْرِ التَّاءِ، وهِي قِراءةُ أبي رَزِينٍ، وحُميدٍ)[٥].

وعنِ الوَليدِ بْنِ عُتبةَ بكسْرِ الهَاءِ والتَّاءِ معَ الهمْزِ، وهيَ قِراءةُ أبي العاليةِ، وقرَأ ابْنُ خُثيْمٍ مثْلَه، إلَّا أنَّه لمْ يهمِزْ.

وعنِ الوَليدِ بْنِ مُسلمٍ عنْ نافِعٍ بكسْرِ الهاءِ وفتْحِ التَّاءِ معَ الهمْزِ، وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ السَّمَيْفعِ، وابْنُ يعْمُرَ، والجحْدَرِيُّ: «هُيِّئْتُ لَكَ»

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤١٧).

(٢) كلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، والنشر (٢/ ٣٣١).

(٣) في (ج): وهي.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٠).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

برفْـعِ الهَـاءِ والتَّـاءِ وبيـاءٍ مُشـدَّدةٍ مكسـورةً بعْدَهـا همْـزةٌ سـاكِنةٌ.

وقـرَأ أُبيُّ بْـنُ كعْـبٍ: «هَـا أَنَـا لَـكَ». وقـرَأ البَاقُـونَ بفتْـحِ الهَـاءِ والتَّـاءِ بغَـيْرِ(١) همْـزٍ(٢).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـوَ أجْـودُ اللُّغـاتِ، وأكثرُهَـا في كلَامِ العـرَبِ، ومعْنَاهَـا: هلُـمَّ لَـكَ؛ أي: أقْبِـلْ علَـيَّ مَا أدْعُـوكَ إليْـهِ(٣)، قَالَ الشَّـاعِرُ [من مجـزوء الكامل]:

أَبْلِـغْ أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِـ ـينَ أَخَـا الْعِـرَاقِ إِذَا أَتَيْتَـا

أَنَّ الْعِـرَاقَ وَأَهْلَـهُ عُنُـقٌ إِلَيْـكَ فَهَيْـتَ هَيْتَـا(٤)

أي: فأقْبِلْ وتَعَالَ. [٣٩٥/ب]

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُقـالُ: هَيَّـتَ فُـلانٌ لفُـلانٍ؛ إذَا دَعَـاه وصَـاحَ بـهِ(٥)، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الرجـز]:

قَـدْ رَابَنِـي أَنَّ الْكَـرِيَّ أَسْـكَتَا

---

(١) في الأصل، و(ج): من غير، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) قـراءات شـاذة، انظرهـا في معـاني القـرآن (٢/ ٤٠)، والمحتسـب (١/ ٣٣٧)، وشـواذ ابـن خالويـه (ص: ٦٣)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٤٤)، والبحـر المحيـط (٥/ ٢٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩- ١٠٠).

(٤) البيتـان لرجـل مـن أهـل العـراق كـما في تاريـخ الطـبري (٤/ ٥٦٤)، وبـلا نسـبة في مجـاز القـرآن (١/ ٣٠٥)، ومعـاني القـرآن؛ للفـراء (٢/ ٤٠)، والمحتسـب (١/ ٣٣٧)، وعنـق إليـك: جماعـة إليـك.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

لَـــوْ كَانَ مَعْنِيًّـــا بِهَـــا هَيَّتَـــا[١]

(أسْكَتَا؛ أي: صَارَ ذَا سُكُوتٍ)[٢].

واخْتلَف العُلماءُ فِي قوْلِه: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بأيِّ لُغةٍ هِيَ، علَى أرْبعَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها عربِيَّةٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ[٣].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: وقـدْ قِيـل: إنَّهـا مِـن كلَامِ قُرَيْـشٍ، إلَّا أنَّها ممَّـا درَسَ وقـلَّ فِي أفْوَاهِهِـم آخِـرًا، فأَتَـى اللهُ بـهِ؛ لأنَّ أصْلَـهُ مِـنْ كلَامِهِـم، وهـذِه الكلمـةُ لا مصْـدرَ لهَـا، ولا تـصَرُّفَ، ولَا تثْنِيـةَ، ولا جمْـعَ، ولَا تأْنِيـثَ، يُقـالُ للاثْنَـيْنِ: هيْـتَ لكُـمَا، وللجَمِيـعِ: هيْـتَ لكُـمْ، وللنِّسـوةِ: هيْـتَ لكُـنَّ[٤].

والثَّانِي: أنَّها بالسُّرْيانِيَّةِ، قالَهُ الحسَنُ[٥].

---

(١) البيـت بلا نسـبة في غريب القـرآن؛ لابن قتيبـة (ص: ٢١٥)، وفقه اللغـة (ص: ١٤٨)، ومعجم ديـوان الأدب (٢/ ٢٨٥)، وتهذيب اللغـة (٦/ ٢٠٩)، والحجة؛ للفارسي (٤/ ٤١٨).

(٢) ساقط من (ج)، و(ف).

(٣) تفسـير مجاهـد (ص: ٣٩٤)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٢١) (١١٤٦٤)، عـن ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد في قـول الله تعـالى: {هيـت لـك} قـال: لغـة عربيـة، تدعـوه بها.

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٦٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧) (١٨٩٧٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٢) (١١٤٦٧) من طريق عمرو، عن الحسن: {هيت لك} قال: كلمة بالسريانية؛ أي: عليك.

والثَّالث: بالحُورانِيَّةِ، قالَه عِكرِمةُ[١]، والكِسَائِيُّ[٢].

وقـالَ الفـرَّاءُ: يُقـال: إنَّهـا لُغـةٌ لأهْـلِ حُـوران، سـقَطَتْ إلى أهْـلِ مكَّـةَ فتكلَّمُـوا بِهَا[٣].

والرَّابع: أنَّها بالقِبطيَّة، قالَهُ السُّدِّيُّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاج: هـوَ مصْدرٌ، والمعْنَـى: أعُوذُ بـاللهِ أنْ أفْعَلَ هـذَا، يُقال: عُذتُ عِيـاذًا ومَعَاذًا ومعَـاذةً. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾؛ أي: إنَّ[٥] العزِيزَ صَاحِبي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾، [قـالَ: ويجُـوزُ أنْ يكُـونَ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يعْنِـي: اللهَ عزَّ وجَـلَّ][٦] ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾؛ أي: تَولَّانِي فِي طُـولِ مَقَامِي[٧].

---

(١) أخرجـه الطـبري (١٦/ ٢٦) (١٨٩٧٢) عـن عكرمـة، مـولى ابـن عبَّـاس في قولـه: {هيـت لـك} قـال: هلـم لـك، قـال: هـي بالحوْرانيـة، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٢) إلى ابـن أبي شـيبة وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٠٥).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠).

(٤) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٧) (١٨٩٧٥)، عـن أسـباط، عـن السـدِّي: {وقالـت هيـت لـك} قـال: هلـمَّ لـك، وهـي بالقبطيـة، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٢) إلى ابـن جريـر.

(٥) ليست في (ف).

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: إنْ فعلْـتُ هـذَا فخُنْتُـه فِي أهْلِـه بعْدَمَـا أكْرَمَنِـي فأنَـا ظَـالِمٌ.

وقِيل: الظَّالِمُون هَاهُنا: الزُّنَاةُ.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ الهَـمُّ بالـشَّيْءِ فِي كلَامِ العـرَبِ: حَدِيـثُ المـرْءِ نفْسَـهُ بمُواقَعتِـهِ مـا لم يُواقِـعْ.

فأمَّا هَمُّ أُزلِيخَا[١]: فقَال المفَسِّرُونَ: دعتْهُ إلى نفْسِها واسْتَلْقَتْ لَهُ.

واخْتلَفُوا فِي همِّه بِهَا علَى خمْسةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه كانَ مِـن جنْـسِ همِّهـا، فلـوْلَا أنَّ اللهَ تعَـالى عصَمَـهُ لَفَعَـلَ، وإلى هـذَا المعْنَـى ذهَـبَ الحسَـنُ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، والضَّحَّـاكُ، والسُّـدِّيُّ، وهـوَ قـوْلُ عامَّـةِ المفَسِّريـنَ المتقدِّمِـينَ، واخْتـارَهُ مِـنَ المتَأخِّريـنَ جمَاعـةٌ منْهُـم ابْـنُ جريـرٍ[٢]، وابْـنُ الأنْبَـاريِّ.

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لا يجُوزُ فِي اللُّغـةِ: همَمْـتُ بِفُـلانٍ، وهَـمَّ بِي، وأنْـتَ تُريـدُ: اخْتـلافَ الهَمَّـيْنِ[٣].

(١) في (ج): زليخا.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٩).

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٢٠).

واحتجَّ مَن نصَر هذَا القوْلَ بأنَّه مذْهبُ الأَكْثرِينَ مِنَ السَّلفِ والعُلماءِ الأكابِرِ، ويدُلُّ عليْهِ ما سنذْكُره مِن أمْرِ البُرهانِ الَّذِي رَآه.

قالُوا: ورُجوعُه عمَّا همَّ بهِ مِن ذلِك؛ خوْفًا مِنَ اللهِ تعَالى يمْحُو عنْهُ سيْءَ الهَمِّ، ويُوجِبُ له عُلوَّ المنازِلِ.

ويدلُّ علَى هذَا الحدِيثُ الصَّحِيحُ عنْ رسُول اللهِ ﷺ: «**أنَّ ثلاثَةً خَرَجُوا فلَجَؤُوا إلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَتْ علَيْهِم صَخْرَةٌ، فقَالُوا: لِيذْكُرَ كُلُّ واحِدٍ منْكُم أفْضَلَ عمَلِهِ.**

فقَالَ أحَدُهُم: اللَّهُمَّ إنَّكَ تعْلَمُ أنَّه كانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ فرَاوَدْتُها عنْ نفْسِهَا فأَبَتْ إلَّا بِمائَةِ دِينَارٍ، فلمَّا أَتيتُهَا بِهَا، وجَلسْتُ منْهَا مجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ المرْأَةِ، أُرْعِدَتْ، وقالَتْ: إنَّ هذَا العَمَلَ[1] ما عمِلْتُه قطُّ، فقُمْتُ عنْهَا، [٣٩٦/ أ] **وأعْطَيْتُهَا المائَةَ دِينَارٍ[2]، فإنْ كُنْتَ تعْلَمُ أنِّي فعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ فَافْرُجْ عنَّا، فزَالَ ثُلُثُ الحَجَرِ»[3]**... والحديثُ معْرُوفٌ. وقد ذكرْتُه في «الحدَائقِ»[4].

فعَلى هذَا نقُولُ[5]: إنَّها[6] همَّت، فترَقَّتْ همَّتُها إلى العَزِيمةِ، فصارَتْ مُصرَّةً على الزِّنَا.

---

(١) في (م): لعمل، وفي (ج)، و(ف): لعملاً.

(٢) في (م): الدينار.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (١٠٠- ٢٧٤٣).

(٤) الحدائق في علم الحديث والزهديات (٣/ ٣٧٥).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ج): إنما.

فأمَّا هوَ، فعَارَضَهُ مَا يُعارِضُ البَشرَ مِن خطِرَاتِ القلْبِ، وحدِيثِ النَّفسِ، مِن غيْرِ عزْمٍ، فلم يُلزمْهُ هذَا الهمُّ ذنْبًا، فإنَّ الرَّجُلَ الصَّالحَ قد يخطُرُ بقلْبِه وهوَ صائِمٌ شُرْبَ الماءِ البارِدِ، فإذَا لم يشْرَبْ لم يُؤاخَذْ بمَا هجَسَ في نفْسِه، وقدْ قالَ عليْهِ السَّلامُ: «**عُفِيَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ**»[1]. وقالَ عليْهِ السَّلامُ: «**هَلَكَ الْمُصِرُّونَ**»[2]، ولَيْسَ الإصْرارُ إلَّا عزْمَ القلْبِ، فقَدْ فرَّقَ بيْن حديثِ النَّفْسِ وعزْمِ القلْبِ.

وسئِلَ سُفيانُ الثَّورِيُّ: أَيُؤاخَذُ العبْدُ بالهمَّةِ؟ فقالَ: إذا كانتْ عزْمًا[3]، ويُؤيده الحدِيثُ الصَّحِيحُ عنْ رسُولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «**يقُولُ اللهُ تعَالى: إذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً**»[4].

واحْتجَّ القاضِي أبو يعْلَى على أنَّ همَّتَه لم تكُن مِن جِهةِ العَزيمَةِ، وإنَّما كانَتْ مِن جِهةِ دَوَاعِي الشَّهْوةِ بقوْلِه: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٢٨) من طريق سفيان بن عيينة عن مِسعَر، ومسلم (٢٠٢) من طريق وكيع، عن مِسعرٍ وهشام الدَّستوائي، ومن طريق شيبان كلهم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٢٣) (٧٨٥٧) موقوفًا على قتادة بلفظ: «إياكم والإصرار فإنما هلك المصرون الماضون قدمًا لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك».

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٧٩) قال: حدثنا إسحاق بن علي، ثنا إبراهيم بن يوسف بن خالد، ثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثني محمد بن توبة، عن عبد الله بن المبارك، قال: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة قال: إذا كانت عزما أخذ بها، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٥٤٧)، والبغوي في تفسيره (١/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠١)، ومسلم حديث (١٣٠).

وقوْلِـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ وكُلُّ ذلِـك إخْبـارٌ بِـبراءَةِ سـاحتِهِ مِـنَ العَزيمَـةِ عـلى المعْصِيـةِ.

وعلَى هذَا تكُون همّتُه مُجرَّدَ خَاطِرٍ لم يخْرُجْ إلى العَزْمِ[1].

فإنْ قِيلَ: فقَدْ سوَّى القُرآنُ بيْنَ الهمَّتَيْنِ، فلِمَ فرَّقْتُمْ؟

فالجـوَابُ: أنَّ الاسْـتواءَ وقَـعَ في بِدايـةِ الهمَّـةِ، ثُـمَّ ترقَّـتْ همَّتُهَـا إلى العزيمَـةِ، بدلِيـلِ مُراودَتِهَـا [لَـهُ][2] واسْـتِلْقائِهَا بـيْنَ يدَيْـهِ، ولم تَتَعـدَّ هِمَّتُـه مقامَهَـا، بـل نزَلَـتْ عـن رُتْبَتِهَـا، وانْحَـلَّ معْقودُهَـا، بدلِيـلِ هرَبِـهِ[3] منْهَـا، وقوْلِـه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

ولا يَصِـحُّ مَـا يُـروى عـنِ المفَسِّريـنَ أنَّـه حـلَّ السَّراوِيـلَ وقعَـدَ منْهَـا مقْعـدَ الرَّجُـلِ، فإنَّـه لَـوْ كانَ هـذَا، دَلَّ عـلَى العـزْمِ، والأنْبِيـاءُ عليهـم السَّـلامُ معْصُومُـونَ مِـنَ العـزْمِ عـلَى الزِّنـا.

والقـوْلُ الثَّـاني: أنَّهـا همَّـتْ بـهِ أنْ يفْتَرِشَـهَا، وهَـمَّ بِهَـا؛ أي: تمنَّاهَـا أنْ تكُـونَ لـه زوْجَـةً، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

و[القـوْلُ][4] الثَّالـث: أنَّ فِي الـكلامِ تقْدِيـمًا وتأْخِـيرًا، تقْدِيـرهُ: ولقـدْ همَّـتْ بـهِ، ولـوْلَا أنْ رأَى بُرهـانَ ربِّـه لهَـمَّ بِهَـا، فلـمَّا رأَى البُرْهـانَ، لم يقَـعْ منْـهُ

---

(١) هذه العبارة متأخرة بعد الجواب في (ف).

(٢) من (م).

(٣) في (ج): هروبه.

(٤) من (ج)، و(م).

الهَمُّ، فقَدَّم جوَابَ «لـوْلَا» عليْهَا، كَما يُقال: قـد كُنـتَ مِـنَ الهالِكـين، لـوْلَا أنَّ فُلانًـا خلَّصَـكَ؛ لكُنْـتَ مِـنَ الهالِكـين، ومنْـهُ قـوْلُ الشَّـاعرِ [مـن الطويـل]:

فَـلَا يَدْعُنِـي قَوْمِـي صَرِيحًـا لِحُـرَّةٍ   لَئِـنْ كُنْـتُ مَقْتُـولًا وَتَسْـلَمُ عَامِـرُ[١]

أرَاد: لَئِنْ كنْتُ مقْتُولًا وتَسْلم عَامِرٌ؛ فلا يَدْعُنِي قوْمِي، فقدَّمَ الجوَابَ.

وإلى هـذا القـوْلِ ذهـبَ قُطـربُ، وأنْكـرَهُ قـوْمٌ، منْهُـم ابْـنُ الأنْبَـاريِّ[٢]، وقالـوا: تقدِيـمُ جَـوابِ «لـوْلَا» عليْهَـا شـاذٌّ مُسـتكرهٌ[٣]، لا يُوجـد في فصيـحِ[٤] [٣٩٦/ب] كلَامِ العـرَبِ.

فأمَّـا البيـتُ المستَشْـهَدُ بـهِ، فمِـنِ اضْطـرارِ الشُّـعراءِ؛ لأنَّ الشَّـاعرَ يضِيـقُ الـكلَامُ بـهِ عنْـدَ اهْتمامَـهِ بتصْحِيـح أجْـزاءِ شـعْرِه، فيضَـعُ الكلِمَـةَ في غـيْرِ موْضعِهَـا، ويُقـدِّمُ مَـا حُكمُـه التَّأخِـيرُ، ويُؤخِـرُّ مـا حُكمُـه التَّقدِيـمُ، ويعْـدِلُ عـنِ الِاخْتِيـارِ إلى المستقْبَحِ للـضَّرُورةِ، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الطويـل]:

جَـزَى رَبُّـهُ عَنِّـي عَـدِيَّ بْـنَ حَاتِـمٍ   بِتَرْكِـي وَخِـذْلَانِي جَـزَاءً مُوَفَّـرَا[٥]

---

(١) القائـل قيـس بـن زهـير، في الكتـاب لسـيبويه (٣/ ٤٦)، وشرح التسـهيل (٣/ ٢١٨)، والـرد عـلى النحـاة (ص: ١٥٠)، والـدرر (٢/ ١٠)، وهـو لورقـاء بـن زهـير في شرح أبيـات سـيبويه؛ لابـن السـيرافي (٢/ ١٨٩)، وبـلا نسـبة في معـاني القـرآن (١/ ٦٧)، والهمـع (٢/ ١٦)، وأمـالي المرتـضي (١/ ٤٨٠).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٣٨)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧٦).

(٣) في الأصل: مستكرهًا، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م)، وفي (ف): مستنكر.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أبـو الأسـود الـدؤلي، أو النابغـة الذبيـاني، أبـو عبـد الله بـن همـارق بـن غطفـان. انظـر:=

تقدِيرُه: جزَى عنِّي عدِيَّ بْنَ حاتم رَبُّه، فاضْطَّره إلى تقديم الرَّبِّ.

وقالَ الآخَرُ [من السريع]:

لَمَّا جَفَا إِخْوَانُهُ مُصْعَبًا أَدَّى بِذَاكَ الْبَيْعَ صَاعًا بِصَاعِ[1]

أرَاد: لمَّا جفَا مُصعبًا إخوانُهُ، وأنْشدَ الفرَّاءُ [من الكامل]:

طَلَبًا لِعُرْفِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى بَعْدَمَا تَتَقَطَّعَتْ بِي دُونَكَ الأَسْبَابُ[2]

فزَاد تاءً علَى [تاءِ][3] «تَقَطَّعَتْ» لَا أصْلَ لَهَا ليصْلُحَ وزْنُ شعْرِه، وأنْشدَ ثعْلَبٌ [من الخفيف]:

إِنَّ شَكْلِي وَإِنَّ شَكْلَكِ شَتَّى فَالْزَمِي الخَفْضَ وَانْعَمِي تَبْيَضِّي[4]

=مستدرك ديوان أبي الأسود (ص: ١٢٤)، وديوان النابغة (ص: ٢١٤)، والفاخر (ص: ٢٣٠)، والخصائص (١/ ٢٩٤)، وشرح الجمل (٢/ ١٤)، وضرائر الشعر (ص: ٢٠٩)، والخزانة (١/ ٢٧٧)، ورواية عجزه: جزاء الكلاب العاويات وقد فعل.

(١) صدر البيت بلا نسبة في الصاحبي؛ لابن فارس (ص: ٢١٣)، والمزهر؛ للسيوطي (٢/ ٤٢٣)، والشاهد هنا على إعادة الضمير في «إخوانه» على ما هو متأخر رتبة ومكانًا، انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٤١٨).

(٢) البيت بلا نسبة في ضرائر الشعر (ص: ٥٥)، وارتشاف الضرب (٥/ ٢٣٨٩)، وشرح أبيات المغني (٧/ ١٧٥)، وعجزه فقط في المغني (ص: ٦٧٧)، وهمع الهوامع (٢/ ١٥٧).

(٣) من (م).

(٤) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١/ ٢١٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٦)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٢٦)، وأمالي الشجري (١/ ٣٣٦)، وضرائر الشعر (ص: ٥٥).

فزادَ ضادًا لا أصْل لَهَا لتكملَ أجزاءُ البيْتِ، وقالَ الفرزْدَقُ:

هُمَـا تَفَـلَا فِـي فِـيَّ مِـنْ فَمَوَيْهِمَـا عَـلَى النَّابِـحِ الْعَـاوِي أَشَـدُّ لِجَامِيَـا[١]

فزادَ واوًا بعْد الميمِ[٢] لِيَصْلُحَ شعْرُهُ.

ومثْـلُ هـذِه الأشْـياءِ [كثـيرٌ][٣] لا يُحمـلُ عليهـا كِتَـابُ[٤] اللهِ النَّـازلِ بالفَصاحَـةِ؛ لأنَّهَـا مِـنْ ضرورَاتِ الشُّـعراءِ.

والقـوْلُ الرَّابـع: أنَّـه هَـمَّ أنْ يضربَهَـا ويدفعَهَـا عـنْ نفْسِـه، فـكانَ البُرهـانُ الَّـذِي رَآه مِـنْ ربِّـه أنَّ اللهَ أوْقَـع في نفْسِـه إنْ ضرَبَهَـا كان ضرْبُـه إيَّاهـا حُجَّـةً عليْـهِ؛ لأنَّهَـا تقُـول: رَاودْنِي فمنعْتُـه فضَرَبَنِـي، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ[٥].

والقـوْلُ الخامـس: أنَّـه هَـمَّ بالفِـرَارِ منْهَـا، حـكَاهُ الثَّعْلبِـيُّ[٦]، وهـو قـوْلٌ مـرذُولٌ[٧]، أفَـتَراهُ أرَادَ الفِـرارَ منْهَـا، فلـمَّا رأَى البُرهـانَ، أقَـام عنْدَهـا؟.

---

(١) البيـت للفـرزدق في ديوانـه (ص: ٧٧١)، الكتـاب (٢/ ٨٣- ٢٠٢)، والمقتضـب (٣/ ١٥٨)، والخصائـص (١/ ١٧٠)، (٣/ ١٤٧)، والمحتسـب (٢/ ٢٣٨)، والإنصـاف (١/ ٣٤٥)، والخزانـة (٢/ ٢٦٩)، (٣/ ٣٤٦)، وفي روايـة: «نفثَـا»، بـدل: «تفـلا».

(٢) في (ف): ميم.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) في (ج): كلام.

(٥) الأضداد (ص: ٤١١).

(٦) الكشـف والبيـان (١٤/ ٥٥٣)، وقـال: وهـذا لا يصـح؛ لأن الفـرار مذكـر وليـس لـه في الآيـة ذكـر.

(٧) في (ج): مردود.



قَالَ بعْضُ العُلَماء: كانَ هَمُّ يُوسفَ خَطِيئةً مِنَ الصَّغائِرِ الجائزَةِ علَى الأنْبياءِ، وإنَّما ابْتلاهُم بذلِك لِيكُونوا على خوْفٍ منْهُ، ولِيعرِّفَهُم مواقِعَ نعْمَتِه فِي الصَّفْحِ عنْهُم، ولِيجعلَهُم أئمَّةً لأهْلِ الذُّنُوبِ فِي رجاءِ الرَّحْمةِ.

قَالَ الحسَنُ: إنَّ اللهَ تعَالى لم يقْصُصْ عليْكُم ذنُوبَ الأنْبياءِ تعْيِيرًا لهُم، ولكنْ لئلَّا تقْنَطُوا مِن رحمتِهِ. يعْنِي الحسَنَ: أنَّ الحُجَّةَ للأنْبِياءِ ألْزمُ، فإذَا قُبلَ التَّوبةُ منْهُم؛ كانَ إلى قَبُولها منْكُم أسْرَعُ[1].

ورُوي عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى اللهَ عزَّ وجلَّ إِلَّا وَقَدْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ أَوْ عَمِلَهَا، إِلَّا يَحْيَى بْنَ زَكرِيَّا -عليه السَّلامُ- فَإِنَّهُ لَمْ يَهِمَّ وَلَمْ يَعْمَلْهَا»**[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوَابُ «لوْلَا» محْذُوفٌ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى:** لوْلَا أنْ رأَى بُرهانَ ربِّه لأَمْضَى مَا هَمَّ بِهِ[3].

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٣١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢١٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٦)، بروايات مختلفة وضعفها جميعًا. وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٤/ ٢٢٦): والظاهر أنَّه لم يثبت شيء من ذلك مرفوعًا: إما بانقطاع، وإما بعنعنة مدلس، وإما بضعف راوٍ كما أشار له ابن كثير وغيره.
وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص (١١/ ٥٦١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧١)، وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتاده.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠١).

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِي: لزَنَا، فلمَّا رأَى البُرهانَ كانَ سببَ انْصرَافِ الزِّنا عنْهُ[١]. [٣٩٧/أ]

وفِي البُرهانِ ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه مُثِّلَ له يعْقُوبُ.

رَوى ابْنُ أبِي مُلَيْكَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: نُودِي يَا يُوسفُ! أَتَزْنِي فَتكُونُ مِثْلَ الطَّائِرِ الَّذِي نُتِفَ رِيشُهُ فَذَهَبَ يَطِيرُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ؟ فلَمْ يُعْطِ علَى النِّدَاءِ شيْئًا، فنُودِيَ الثَّانِيةُ، فلَمْ يُعْطِ علَى النِّدَاءِ شيْئًا، فتمَثَّلَ لَه يعْقُوبُ فضَرَبَ صدْرَهُ، فقَامَ، فخرَجَتْ شهْوتُه مِنْ[٢] أنَامِلِهِ[٣].

ورَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: رأَى صُورةَ أبيهِ يعْقُوبَ فِي وسَطِ البَيْتِ عَاضًّا علَى أنَامِلِهِ، فأَدْبَرَ هارِبًا، وقالَ: وَحَقِّكَ يَا أَبَتِ لَا أَعُودُ أبدًا[٤].

---

(١) الأضداد (ص: ٤١٣).

(٢) في (ف): في.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩) (١٩٠٣٢-١٩٠٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٤) (٧٦٥٢) مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الثعلبي (١٤/ ٥٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٤) (١١٤٧٩)، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٢١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عبَّاسٍ.

وقَالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: رأى مِثَالَ يعْقُوبَ فِي الحَائِطِ عاضًّا علَى شَفَتَيْهِ[١].

وقَالَ الحَسَنُ: مُثِّلَ لَهُ جِبريلُ فِي صُورةِ يعْقُوبَ فِي سقْفِ البَيْتِ عاضًّا علَى إِبْهَامِه أوْ بعْضِ أصْابعِه[٢].

وإلى هذَا المعْنَى ذهَب مُجاهِدٌ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ، وقتادَةُ، وابْنُ سيرِينَ، والضَّحَّاكُ فِي آخَرِينَ.

وقَالَ عِكرِمَةُ: كُلُّ ولَدِ يعْقُوبَ، قد وُلِد له اثْنا عشَرَ ولدًا، إلَّا يُوسُفَ فإنَّه وُلِد لَه أحَدَ عشَرَ ولدًا، فنقَصَ بتلْكَ الشَّهوةِ ولدًا[٣].

والثَّاني: أنَّه جِبْرِيلُ عليْهِ السَّلام.

رَوى ابْنُ أبي مُليكَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قَالَ: مُثِّلَ له يعْقُوبُ فلَمْ يزْدَجِرْ، فنُودِيَ: أتَزْنِي فتكُونُ مِثْلَ الطَّائِرِ نُتِفَ رِيشُه؟ فلم يزْدَجِرْ حتَّى ركضَهُ جِبْرِيلُ في ظهْرِه، فوَثَبَ[٤].

والثَّالثُ: أنَّها قامَتْ إلى صَنمٍ فِي زاويةِ البَيْتِ فستَرَتْهُ بثَوْبٍ، فقَال لهَا يُوسفُ: أيُّ شيْءٍ تصْنَعِينَ؟ قالَتْ: اسْتحِي مِنْ إلَهِي هذَا أنْ يرانِي علَى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٦) (١٩٠٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٤) إلى أبي عبيد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه عبد الرَّزاق في تفسيره (٢/ ٣٢١)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣) إلى أبي الشيخ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٥) (١١٤٨٤)، وهو من الإسرائليَّات الشنيعة.

(٤) تقدم قريبًا.

هـذِه السَّـوأَةِ، فقَـالَ: أَتَسْـتحِينَ مِـن صَنَـمٍ لَا يعْقِـلُ ولَا يسْـمَعُ[١]، ولَا أسْـتَحِي مِـن إِلهـي القَائِـمِ عـلَى كُلِّ نفْـسٍ بـمَا كسبَتْ؟ فهـوَ البُرهـانُ الَّـذِي رأَى، قالَـهُ عـليُّ بْـنُ أبي طَالِـبٍ عليـه السَّـلام، وعـليُّ بْـنُ الحُسـينِ[٢]، والضَّحَّـاكُ.

والرَّابـع: أنَّ اللهَ تعَـالى بعَـثَ إليـه ملـكًا، فكتَـبَ فِي وجْـهِ المـرْأَةِ بالـدَّمِ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ قالَـهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّاسٍ.

ورُوِي عـنْ محُمَّـدِ بْـنِ كعْـبِ القُرَظِـيِّ: أنَّـه رأَى هـذِه الآيـةَ مكْتُوبـةً بـيْنَ عيْنَيْهَـا، وفِي رِوايـةٍ أُخْـرى عنْـهُ: أنَّـه رَآهـا مكْتُوبـةً فِي الحائـطِ[٣].

ورَوى مجاهِـدٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قـالَ[٤]: بـدَتْ فِيـما بيْنَهُما كـفٌّ ليْـس لهَا[٥] عَضُـدٌ ولَا مِعْصَـمٌ، وفيهَـا مكْتُـوبٌ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقَـامَ هارِبًـا، وقامَـتْ، فلـمَّا ذهَـبَ عنْهَـا الرُّعـبُ عـادَتْ وعـادَ، فلـمَّا قعَـدَ إذا بِكـفٍّ قـدْ بـدَتْ فِيـما بيْنَهُـما فيهَـا مكْتُـوبٌ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾... الآيـةَ [البقـرة: ٢٨١]، فقَـامَ هارِبًـا، فلـمَّا عـادَ، قـالَ اللهُ تعَـالى لجبْرِيـلَ: أدْرِكْ عبْـدِي قبْـلَ أَنْ يُصِيـبَ الخطِيئـةَ، فانْحـطَّ جبْرِيـل عَاضًّـا

---

(١) في (ج): أتستحين من إله لا يسمع ولا يبصر.

(٢) أخرجـه الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٤/ ٥٧١)، إسـناده موضـوع، آفتـه عبـد الله بـن أحمـد الطَّائـي وأبيه.

(٣) أخرجـه الطـبري (١٦/ ٤٧) (١٩٠٨٤)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٤) إلى ابـن أبي شـيبة وابـن جريـر وابـن المنـذر وأبي الشـيخ.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): فيها.



علَى كفِّه أوْ أُصبعِه وهوَ يقُول: يا يُوسُفُ! أتعْملُ عمَلَ السُّفهاءِ، وأنْتَ مكْتُوبٌ عنْدَ اللهِ في الأنْبياءِ[1]؟.

[٣٩٧/ ب] وقالَ وهْبُ بنُ منبِّهٍ: ظهَرَتْ تلْكَ الكَفُّ وعليْهَا مكْتُوبٌ بالعِبرانيَّةِ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، فانْصرَفَا، فلَمَّا عادَا رجعَتْ وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] فانْصرَفَا، فلَمَّا عادَا[2] عادَتْ، وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾... الآيةَ، فعادَ، وعادَتِ الرَّابعةُ وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فولَّى يُوسفُ هَاربًا[3].

والخامِس: أنَّه سيِّدُه العزيزُ دنَا مِنَ البَابِ، رَواه ابْنُ إسْحاقَ عنْ بعْضِ أهْلِ العِلْمِ.

وقالَ ابْنُ إسْحاقَ: يُقال: إنَّ البُرْهانَ خَيالُ سيِّدِه، رَآه عنْدَ البَابِ فهرَبَ[4].

والسَّادس: أنَّ البُرْهانَ أنَّه علْمُ مَا أحلَّ اللهُ ممَّا حرَّمَ اللهُ، فرَأى تحْرِيمَ الزِّنَا، رُوي عنْ محمَّدِ بْنِ كعْبٍ القُرظيِّ.

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٦٦- ٥٦٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٠٨) من طريق الثعلبي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ عن وهب بن منبه نحوه، وهو من المنقول عن بني إسرائيل.

(٢) في الأصل: عادت، والمثبت من

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٥٦٩- ٥٧٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ، وهو من المنقول عن بني إسرائيل.

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ٤٩) بدون إسناد.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: رأَى حُجَّةَ اللهِ عليْهِ[١]، وهيَ البُرْهانُ. وهذَا هوَ القوْلُ الصَّحِيحُ، ومَا تقدَّمَهُ فليس بشيْءٍ، وإنَّما هيَ أحاديثُ مِن أعْمالِ القُصَّاصِ.

وقد أشرْتُ إلى فسادِهَا في كتاب «المغْنِي فِي التَّفْسير» وكيف يُظنُّ بنبيٍّ للهِ كريمٍ أنَّه يخوَّفُ ويرعَبُ ويُضطَّرُّ إلى ترْكِ هذه المعْصيةِ وهوَ مُصِرٌّ؟! هذَا غايَةُ القُبْحِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كذلِك أرَيْناه البُرْهانُ ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهوَ خِيانَةُ صاحِبِهِ ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ ركُوبَ الفَاحشَةِ.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: بكسْرِ اللَّامِ، والمعْنَى: إنَّه مِن عِبادِنَا الَّذِين أخْلَصُوا دِينَهُم[٢].

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: بفتْحِ اللَّام[٣]، أرَادُوا: مِنَ الَّذِين أخْلَصَهُمُ اللهُ مِنَ الأَسْواءِ والفَواحِشِ. وبعْضُ المفسِّرينَ يقُول: السُّوءُ: الزِّنا، والفحشاءُ: المعَاصي.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يوسف: ٢٥ - ٢٧].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، (ص: ١٤٩).



قَوْلُــه تعَــالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ يعْنِــي: يوسـفَ والمـرأةَ تبـادرَا إلى البـاب، يجْتهِـدُ كلُّ واحـدٍ منْهُـما أن يسْـبِقَ صاحِبَـهُ، وأراد يُوسـفُ أن يسْـبِقَ لِيفتـحَ البـابَ ويخـرُجَ، وأرادَتْ هـيَ إنْ سـبقَتْ إمْسـاكَ البـابِ؛ لئـلَّا يخْـرُجَ، فأدْرَكتْـهُ فتعلَّقـتْ بقمِيصِـه مِـن ورائـه[١]، فجذبَتْـهُ إليْهَـا، فقَـدَّتْ قمِيصَـهُ مِـنْ دُبُـرٍ؛ أي: قطعَتْـهُ مِـن خلْفِـه؛ لأنَّـه كانَ هـوَ الهـارِبُ وهـيَ الطَّالِبـةُ لَـه.

قـالَ المفَـسِّرونَ: قطعَـتْ قمِيصَـهُ نِصْفَـيْنِ، فلـمَّا خرَجَـا ألْفَيـا[٢] سَـيِّدَها؛ أي: صادفَـا زوْجَهَـا عنْـدَ البَـابِ، فحضرَهَـا في ذلِـكَ الوْقـتِ[٣] كيْـدٌ، فقالَـتْ سـابِقةً بالقـوْلِ مُبرِّئـةً لِنفسِـها مِـنَ الأمْـرِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: تُريـدُ الزِّنَـا ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ ﴾؛ أي: مَـا جـزَاؤُه إلَّا السِّـجنَ ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ تعْنِـي: الـضَّرْبَ بالسِّـياطِ، فغَضِـبَ يُوسـفُ حينَئـذٍ، وقـالَ: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾، وقـالَ وهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ: قـالَ لَـهُ العَزِيـزُ حينَئـذٍ: أَخُنْتَنِـي يَـا يُوسُـفُ فِي أهْـلِي، وغـدَرْتَ بِي، وغَررْتَنِـي بـمَا كنْـتُ أرَى مِـن صلَاحِـكَ؟ فقَـالَ حينَئـذٍ: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾.

قَوْلُــه تعَــالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ وذلِـك أنَّـه لَمَّـا تعـارَضَ قوْلَاهُمَـا، احْتاجَـا إلَى شـاهِدٍ يُعْلَـمُ بـهِ قـوْلُ[٤] الصَّـادِقِ. [٣٩٨/أ]

---

(١) في (م): خلفه.

(٢) في الأصل: لقيا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ج): صدق.

وفي ذلك الشَّاهِدِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ صبيًّا في المهْدِ، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)]، وشهْرُ بْنُ حوْشَب عنْ أبي هُريرةَ[(٢)]، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، وهِلالُ بْنُ يَسافَ فِي آخَرين.

والثَّاني: أنَّه كان مِنْ خاصَّةِ الملِكِ، رَواه ابْنُ أبي مُليكةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٣)].

وقالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: كانَ ابْنَ عمٍّ لها، وكانَ رجُلًا حكِيمًا، فقَالَ: قدْ سمِعْنَا الاشْتدادَ والجلَبَةَ مِن وراءِ البابِ، فإنْ كانَ شقُّ القَمِيصِ مِن قُدَّامِه فأنْتِ صادِقةٌ وهوَ كاذِبٌ، وإنْ كانَ مِنْ[(٤)] خلْفِه فهوَ صادِقٌ وأنْتِ كاذِبةٌ[(٥)]. وقالَ بعْضُهُم: كانَ ابْنَ خالةِ المرْأةِ[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٨) (١١٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٤) (١٩١٠٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى ابن جرير الطبري، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٩٥) من طريق ابن سرين عن أبي هريرة، بلفظ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة بنت فرعون» مرفوعًا، وينظر: الضعيفة (٨٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦) (١٩١١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٩) (١١٥٠٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى الفريابي وأبي الشيخ.

(٤) ليست في (ر).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٨٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٨٢) من رواية الكلبي.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٣٥).

والثَّالث: أَنَّه شِقُّ القميصِ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنِ مُجاهِدٍ[١]، وفيهِ ضعْفٌ؛ لقوْلِه تعَالى: ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ وقعَتْ شهادَةُ الشَّاهِدِ هاهُنا مُعلَّقةً بشرْطٍ، والشَّارِطُ[٢] غيْرُ عالمٍ بما يشرطُهُ؟.

فعنْهُ جوَابانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأَنْبَاريِّ[٣]-:

أحدُهما: أنَّ الشَّاهِدَ شهِدَ[٤] بأمْرٍ قد علِمَهُ، فكأنَّه سمِعَ بعْضَ كلامِ يُوسُفَ وأُزلِيْخا[٥]، فعلِمَ، غيْرَ[٦] أنَّه أوْقَعَ في شهادَتِه شرْطًا ليُلزِمَ المخاطَبِينَ قبُولَ شهادتِهِ مِنْ جِهةِ العقْلِ والتَّمْييزِ، فكأنَّه قالَ: هوَ الصَّادِقُ عنْدِي، وإنْ تدبَّرْتُم مَا اشترَطهُ لكُم؛ عقلْتُم قوْلي.

ومثْلُ هذا قوْلُ الحُكماءِ: إنْ كانَ القَدَرُ حقًّا، فالحرْصُ باطِلٌ، وإنْ كانَ الموْتُ يقِينًا، فالطُّمأنِينةُ إلى الدُّنْيا حُمْقٌ.

والجوَابُ الثَّاني: أنَّ الشَّاهِدَ لم يقْطَعْ بالقوْلِ، ولم يعْلَمْ حقِيقةَ ما جرَى، وإنَّما قالَ مَا قالَ على جِهةِ إظْهارِ مَا يسنَحُ لَه مِنَ الرَّأي، فكانَ معْنَى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨) (١٩١٣١)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٩)، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) في (ج): والشاهد.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٨٢).

(٤) في نسخة: شاهد.

(٥) في (ج): زليخا.

(٦) ليست في (ج).

قوْلِـه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: أعْلَـم وبـيَّنَ، فقَـال: الَّـذِي عنْـدِي مِـنَ الـرَّأيِ أنْ نقِيسَ القَمِيـصَ لِيُوقـفَ عـلى الخائِـنِ.

فهذَانِ الجوَابانِ يدُلَّانِ على أنَّ المتكلِّم رجُلٌ.

فـإنْ قُلنـا: إنَّـه صبِـيٌّ فِي المهْـدِ، كانَ دُخـولُ الـشرْطِ مصحِّحًـا لـبرَاءةِ يُوسـفَ؛ لأنَّ كلامَ مثْلِـه أُعْجوبـةٌ ومُعجـزةٌ لا يبْقَـى معَهَـا شَـكٌّ.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسـف: ٢٨].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ في هـذَا الرَّائِـي و[فِي][1] القائِـلِ: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ قـوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الزَّوْجُ.

والثَّاني: الشَّاهِدُ.

وفِي هاءِ الكنَايةِ فِي قوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ **ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدها: أنَّها ترجِعُ إلى تمْزِيقِ القَمِيص، قالَهُ مُقاتِلٌ[2].

والثَّـاني: إلى قوْلِهـا: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ فالمعْنَـى: قوْلُـك هـذَا مِـن كيْدِكُـنَّ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[3].

---

(١) من (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٣).



والثَّالث: إلى[1] السُّوء الَّذِي دعتْهُ إليْهِ، ذكرَهُ الماورديُّ[2].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾؛ أي: عملَكُنَّ ﴿عَظِيمٌ﴾ تخلطْنَ البريءَ والسَّقِيمَ[3].

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٢٩ - ٣٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ المعْنَى: يا يوسفُ أعْرِض.

وفي القائِلِ له هذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ابْنُ عمِّها وهوَ الشَّاهِدُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

[٣٩٨/ب] والثَّاني: أنَّه الزَّوْجُ، ذكرَهُ جماعةٌ مِنَ المفَسِّرينَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أعرِضْ عن هذَا الأمْرِ فلا تذْكُرْهُ لأحدٍ، واكْتُمْه عليْهَا[4].

ورَوى الحلبيُّ عنْ عبْدِ الورِاثِ: «يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا» بفتْحِ الرَّاء علَى الخبَرِ[5].

---

(١) في (ج): أن.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٦)، والذي فيه: يخلص إلى البريء والسقيم.

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٦)، وانظر: تفسير الطبري ١٦/ ٦٠).

(٥) قراءة شاذة، ذكرها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٤٤) وعزاها إلى عبد الوارث من طريق الخياط.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: اسْتعْفِي زَوْجَك[١] لِئلَّا يُعاقبَكِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تُوبي مِن ذنْبك [فإنَّكِ][٢] قدْ أثِمْتِ.

وفي القائِلِ لَهَا هذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: ابْنُ عمِّهَا.

والثَّاني: الزَّوْجُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ **يعْنِي**[٣]: مِنَ المذْنِبينَ.

قالَ المفَسِّرونَ: ثُم شاعَ ذلِكَ الحدِيثُ في مِصرَ حتَّى تحدَّثَ بذلِكَ[٤] النِّساءُ، وهوَ قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾.

وفِي عدَدِهِنَّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهنَّ كُنَّ أرْبعًا: امرَأةُ سَاقِي الملِكِ، وامْرأةُ صاحِبِ دَوابِّه، وامْرَأةُ خبَّازِه، وامْرأةُ صَاحبِ سِجْنِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُن خمْسٌ، امْرأةُ الخبَّازِ، وامْرأةُ السَّاقِي، وامْرأةُ السَّجَّانِ، وامْرأةُ صَاحِبِ الدَّواةِ، وامْرأةُ الآذنِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٥].

---

(١) في (ج): لزوجِكِ.

(٢) من (ف)، و(م).

(٣) في (ج): أي.

(٤) في (ج): في ذلك.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٨٣).

فأمَّا العَزيزُ: فهوَ بِلُغتِهم المِلكُ. **والفتَى** بمعْنَى: العبد.

قالَ الزَّجَّاجُ: كانُوا يُسمُّونَ المَمْلُوك فتًى[١].

وإنَّما تكلَّم النِّسوةُ[٢] في حقِّها؛ طعْنًا فيها، وتحْقِيقًا لِبراءَةِ يُوسفَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾؛ أي: بلَغَ حبُّه [إلَى][٣] شغَافِ قلْبِهَا.

وفي الشِّغافِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه[٤] جِلدةٌ بيْنَ القلْبِ الفُؤادِ، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّاني: أنَّه غِلافُ القلْبِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٦].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ولم يُردِ الغِلافَ، إنَّما أرَادَ القلْبَ، يُقالُ: شَغفْتُ فُلانًا؛ إذَا أصبْتَ شِغَافَهُ؛ كما يُقال: كبدْتُه؛ إذا أصبْتَ كبدَهُ، وبطنْتُه؛ إذا أصبْتَ بطْنَه[٧].

والثَّالث: أنَّه حبَّةُ القلْبِ وسُوَيْداؤُه

والرَّابع: أنَّه داءٌ يكُونُ في الجوْفِ فِي الشَّراسيفِ، وأنْشدُوا [من الطويل]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٢) في (ج): النساء.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) في (ف): أنها.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/) من طريق عمرو عن عكرمة، عن ابن عبَّاس

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٠٨).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ[(١)]

ذكَرَ القوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ[(٢)].

وقالَ الأصْمَعِيُّ: الشّغَافُ عنْدَ العرَبِ: داءٌ يكونُ تحتَ الشَّراسِيفِ فِي الجَانِبِ الأَيْمنِ مِنَ البطْنِ[(٣)]. **والشَّرَاسِيفُ**: مَقَاطُّ رؤُوس الأضْلاعِ، واحِدُها: شُرسُوفٌ.

وقرَأَ عبْدُ اللهِ بْنُ عمْرٍو، وعليُّ بْنُ الحُسيْنِ، والحَسنُ البصرِيُّ، ومُجاهِدٌ، وابْنُ مُحيصِن، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «قَدْ شَعَفَهَا» بالعَيْنِ[(٤)].

قالَ الفرَّاءُ: كأنَّه ذهَب بها كُلَّ مذْهبٍ، **والشَّعف**: رؤُوس الجِبالِ[(٥)].

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٨)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤١٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٦٣)، وأمالي القالي (١/ ٢٠٥)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ١٠٥)، والشغاف: جعله الطبري بالفتح، واللغويون يجعلونه من «الشغاف» بضم الشين: وهو داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن، وإذا اتَّصل بالطحال قتل صاحبه، وتبتغيه الأصابع: أي تلتمسه أصابع المتطبين؛ هل انحدر نحو الطحال فيُتوقع على صاحبه الموت، انظر: الخزانة (٢/ ٤٥٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٣) خلق الإنسان (ص: ١٩).

(٤) قراءة شاذة، انظر عزوها لهم جميعًا في المحتسب (١/ ٣٣٩)، ومفرَّقًا في تفسير الطبري (١٦/ ٦٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢١٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤١٩)، والهداية؛ لمكي (٥/ ٣٥٤٩)، والإتحاف (ص: ٣٣١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٤).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٢).

قَوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾؛ أي: عَنْ طرِيقِ الرُّشْدِ؛ لِحبِّهَا إيَّاه. والمبِينُ: الظَّاهِرُ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣١ - ٣٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ﴾ يعْني[(١)]: امْرأةَ العَزِيز. ﴿بِمَكۡرِهِنَّ﴾ وفِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّه][(٢)] قوْلُهنَّ وعيْبُهنَّ[(٣)] لهَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتَادَةُ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ قُتيبةَ[(٤)].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما سُمِّي هذَا القوْلُ مكْرًا؛ لأنَّها كانتْ أطْلعَتهُنَّ على أمْرِها، واسْتكْتَمتْهُنَّ، فمكرْنَ وأفْشَيْنَ سِرَّهَا[(٥)].

والثَّاني: أنَّه مكْرٌ حقِيقةً، وإنَّما قُلْن ذلِكَ مكْرًا بِها لِتُرِيهنَّ يُوسفَ، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

[٣٩٩/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في غريب القرآن؛ لابن قتيبة: وغِيبتهنَّ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

قَالَ الزَّجَّاجُ: أَفْعَلَتْ مِنَ العَتَادِ، وكُلُّ مَا اتَّخَذْتَهُ عُدَّةً لِشيءٍ فهوَ عتَادٌ[١]. والعَتَادُ: الشَّيْءُ الثَّابِتُ اللَّازِمُ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أعْتَدَتْ بمعْنَى: أَعَدَّتْ[٢][٣].

فأمَّا المتَّكأُ فَفِيه ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المجْلسُ، فالمعْنَى: هيَّأَتْ لهُنَّ مجْلِسًا، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الوَسائِدُ اللَّائِي يتَّكِئْنَ عليْهَا، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المتَّكأُ**: ما يُتكأُ عليْه لِطعامٍ أو شَرابٍ أو حَديثٍ[٤].

والثَّالث: أنَّه الطَّعامُ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقَالُ: اتَّكأْنَا عنْدَ فُلانٍ؛ إذَا طَعِمْنَا[٥]. قَالَ جمِيلُ بْنُ معْمَرٍ [من الخفيف]:

فَظَلِلْنَا فِي نِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ[٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٢) في الأصل: أثبتت.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٦)، وفيه: العتاد، بدل: أعدت.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٦) البيت في ديوانه (ص: ٥٣)، وأساس البلاغة (٢/ ٢٧٣)، والأغاني (٧/ ٧٩)، ومشكل القرآن وغريبه (ص: ٢١٨).



والأَصْلُ في هـذَا أنَّ مَـن دعوْتَـهُ لِيُطعـمَ[١]، أعـددْتَ لَـهُ التُّـكأةَ للمُقَـامِ والطُّمَأْنِينـةِ، فسُـمِّي الطَّعـامُ متَّـكأً عـلَى الِاسْـتِعارةِ[٢].

وقـالَ الأزْهـريُّ: إنَّـما قِيـل للطَّعـامِ: مُتَّـكأً؛ لأنَّ القـوْمَ إذَا قعَـدُوا عـلَى الطَّعـامِ اتَّكَـؤُوا، ونُهِيَـتْ هـذِه الأُمَّـةُ عـنْ ذلِـكَ[٣].

وقَرَأَ مجاهد: «مُتْكاً» بإسْكان التَّاء خفِيفةً[٤]. **وفيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:**

أحدهـا: أنَّـه الأُتْـرُجُّ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهـدٌ، ويَحْيـى بْـنُ يَعْمُـرَ فِي آخَرِيـنَ، ومنْـهُ قـوْلُ الشَّـاعِرِ [مـن الخفيـف]:

[نَشْـرَبُ الْإِثْـمَ بالصُّـوَاعِ جِهَـارًا][٥] وَتَـرَى الْمُتْـكَ بَيْنَنَـا مُسْـتَعَارَا[٦]

يريد: الأُتْرُجَّ.

والثَّاني: أنَّه الطَّعامُ أيضًا، قالَهُ عِكرِمَةُ.

---

(١) في (ر): لتطعم.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠- ١٨١)، وتفسير غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٤٤٥) (تكأ).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٣)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٥)، البحر المحيط (٥/ ٣٠٢).

(٥) من (م).

(٦) البيت بلا نسبة في الزاهر (٢/ ٢١)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٩٧)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٢/ ٣٤٣)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١١٧)، ولسان العرب (١٢/ ٧)، المُتْك: الأُتْرُجُّ.

والثَّالث: [أَنَّهُ][١] كلُّ شيْءٍ يُحَزُّ بالسَّكاكِين، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أَنَّه الزُّمَاوَرْدُ[٢]، رُوي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا[٣].

وقـد رُوي عـنْ جماعَـةٍ أنَّهـم فـسَّرُوا المتَّـكأَ بـمَا فـسَّرُوا بـه المُتْـك، فـرُوي عـنِ ابْـنِ جُريـجٍ أنَّـه قـالَ: المتَّـكأُ: الأُتْـرُجُّ، وكُلُّ مـا يُحَزُّ بالسَّـكَاكِينِ[٤].

وعنِ الضَّحَّاكِ قالَ: المتَّكأُ: كُلُّ مَا يُحَزُّ[٥] بالسَّكاكِينِ[٦].

وفـرَّقَ آخَـرون بـيْنَ القِراءتَـيْنِ؛ فقـالَ مُجاهِـدٌ: مَـن قـرَأَ: «متَّـكَأً» بالتَّثْقيلِ، فهـوَ الطَّعـام، ومَـنْ قـرَأ بالتَّخْفيـف، فهـوَ الأُتْـرُجُّ[٧].

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) البزماورد والزُّماورد: طعام من البيض واللحم، معرب. انظر: القاموس المحيط، مادة: (و ر د). وقال شهاب الدين الخفاجي: وهو الرقاق الملفوف باللحم... وفي كتب الأدب: هو طعام يقال له: لقمة القاضي، ولقمة الخليفة. انظر: شفاء الغليل (ص: ١١٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٠) (١٩١٧٢)، عن أبي روق، عن الضحاك، في قوله: {وأعتدتْ لَهُنَّ مُتَكأً}، قال: البزماورد. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٣) (١١٥٤١)، من طريق أبي روق به، كما أخرجه أيضًا (٧/ ٢١٣٣) (١١٥٤٠) من طريق إبراهيم بن الزبرقان عن أبي سنان، عن الضَّحَّاك بلفظ: كنا نقول ونحن غلمان: هو البزماورد.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٩٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١٦).

(٥) في تفسير الطبري نسخة الشيخ شاكر: يَجُزُّ. بالجيم.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٤) (١٩١٩٦) عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عُبيد بن سليمان، قال: سمعت الضَّحَّاك يقول في قوله: {متكأ}: فهو كلُّ شيْءٍ يُحَزُّ بالسِّكين. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٣) عقب الأثر (١١٥٤٢) معلقًا عن عبيد بن سليمان وعلي بن الحكم، عن الضَّحَّاك.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٣).

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: مَنْ قرَأَ: «مُتْكاً» فإنَّه يُريد الأُتْرُجّ، ويُقال: الزُّمَاوَرْد. وأيًّا مَا كانَ، فإنِّي لَا أَحسبُه سُمِّي مُتَّكأً إلَّا بالقطْعِ؛ كأَنَّه مأْخُوذٌ مِنَ البَتْكِ، فأُبْدلَتِ الميمُ منْهُ باءً؛ كمَا يُقال: سَمَّدَ رأْسَه وسَبَّدَه؛ إذَا استأْصله، وشَرٌّ لَازِمٌ، ولَازِبٌ، والميمُ تُبدلُ مِنَ البَاءِ كثِيرًا؛ لِقُربِ مخْرجَيْهمَا[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ إنَّما فعلَتْ ذلِك؛ لأنَّ الطَّعامَ الَّذِي قدَّمتْ لهُنَّ يحْتاجُ إلى السَّكَاكينِ. وقِيلَ: كانَ مقْصُودُها افْتضاحَهُنَّ بتقْطِيعِ أيْدِيهنَّ؛ كمَا فضَحْنَهَا.

قَالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: ناوَلَتْ كُلَّ واحِدةٍ منْهُنَّ أُتْرُجَّةً وسِكِّينًا، وقالَتْ لهُنَّ: لَا تقْطَعْنَ ولَا تأْكُلْنَ حتَّى أُعْلِمَكُنَّ، ثُمَّ قالَتْ لِيوسُفَ: اخْرُجْ علَيْهِنَّ[2].

قَالَ الزَّجَّاجُ: إنْ شئْتَ ضمَمْتَ التَّاءَ مِنْ قوْلِه: «وَقَالَت»، وإنْ شئْتَ كسَرْتَ، والكسْرُ الأصْلُ؛ لِسكونِ التَّاءِ والخاءِ، ومَنْ ضمَّ التَّاءَ، فلِثِقَلِ [٣٩٩/ ب] الضَّمَّةِ بعْدَ الكسْرَةِ، ولم يُمكِنْهُ أنْ لَا يخْرجَ؛ لأنَّه بمنزلَةِ العبْدِ لهَا[3].

وذكَرَ بعْضُ أهْلِ العلْمِ أنَّها إنَّما قالَتْ: «اخْرُج» وأضمَرَتْ فِي نفْسِها «علَيْهِنَّ»، فأخْبرَ الحَقُّ جلَّ وعزَّ عمَّا فِي النَّفْسِ كأنَّ اللِّسانَ قد نطَقَ بهِ، ومثْلُه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾... الآيةَ [الإنسان: ٩] لم يقُولوا ذلِكَ، إنَّما أضْمَرُوه. ويدلُّ على صِحَّةِ هذَا أنَّها لو قالَتْ له وهوَ شابٌّ مُستحسَنٌ:

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٦- ٢١٧)، وفيه: مخرجهما.

(٢) انظر: التفسير الوجيز (ص: ٥٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦).

اخْـرُجْ عـلَى نِسـوةٍ مِـن طبعِهِـنَّ الفِتنـةَ مَـا فعَـلَ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ قوْلَانِ:

أحدهمـا: أَعْظَمْنَـهُ، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وابْـنُ أبي نجِيـحٍ عـنِ مُجاهِـدٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، وابْـنُ زيْـدٍ.

والثَّـاني: حِضْـنَ، روَاه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، ورَوى عـليُّ بْـنُ عبْـدِ اللهِ بْـنِ عبَّـاسٍ عـنِ أبيـه قـالَ: حِضْـنَ مِـنَ الفَـرَحِ[1]، قـالَ: وفي ذلِـك يقُـول الشَّـاعِرُ [مـن البسـيط]:

نَأْتِـي النِّسَـاءَ لَـدَى أَطْهَارِهِـنَّ وَلَا ... نَـأْتِي النِّسَـاءَ إِذَا أَكْـبَرْنَ إِكْبَـارَا[2]

وقـد رَوى هـذا المعْنَـى ليْـثٌ عـنْ مُجاهِـدٍ[3]، واخْتـارَهُ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ[4]،

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٦) (١٩٢٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٥) (١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جدِّه -يعني عبد الله بن عبَّاس- به، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس الهاشمي الأمير، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٣- ٣٥٤): وما عبد الصمد بحجة، ولعل الحفاظ إنَّما سكتوا عنه مداراة للدولة.أهـ، لكن ذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ٨٤) وذكر له حديثًا بهذا الإسناد، وقال: غير محفوظ ولا يعرف إلا به. أهـ.

(٢) البيت بلا نسبةٍ في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٠/ ٢١١) (كبر)، وتفسير الطبري (٦/ ٧٧)، وقال: لا أحسب أنَّ له أصْلًا، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥)، الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٩٦)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وقال: والبيت مصنوع مختلق.

(٣) ذكر رواية ليث عن مجاهد الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٩٨).

(٤) ذكر اختيار ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٠)، ونصه: وقال ابن=



وردَّهُ بعْضُ اللُّغويينِ، فرُويَ عنْ أبي عُبيدةَ[١] أنَّه قالَ: ليْس في كلَامِ العرَبِ «أَكْبَرْنَ» بمعْنَى: «حِضْنَ»، ولكِن عسَى أن يكُنَّ مِن شدَّةِ ما أعْظَمْنَه حِضْنَ، وكذلِك رُوي عنِ الزَّجَّاجِ أنَّه أنْكَرَهُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ **فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: حَزَزْنَ أيديهن، وكُنَّ يحسبْنَ أنَّهنَّ يُقطِّعْنَ طعَامًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: قطَّعن أيدَيهُنَّ حتَّى ألْقيْنَها، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّالث: كلَمْنَ الأَكُفَّ وأَبَنَّ الأنَامِلَ، قالَهُ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

قرَأَ أبو عمْرٍو: «حاشا» بألِفٍ فِي الوصْلِ فِي الموْضِعيْنِ، واتَّفقُوا على حذْفِ الألِفِ فِي الوقْفِ، وأبو عمْرٍو جاءَ بهِ علَى التَّمامِ والأصْلِ، والبَاقُون حذَفُوا[٣].

=الأنباري: من أبطل هذا القول إنما أبطله من أجل الهاء، وقد رأو أن الهاء تنصرف إلى يوسف وليست منصرفة إليه، لكنها كناية عن مصدر الفعل يعنى بها أكبرن إكبارًا، أي حضن حيضًا، فكنى عن المصدر، كما يُقال: قدم زيد فأحببته، يعنون فأحببت قدومه، كما قال الشَّاعر:

وليسَ المَالُ فاعْلَمْهُ بمَالٍ ... وإن أغْنَاكَ إلا للدُّنِّي

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦- ١٠٧).

(٣) في الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعًا للخطِّ، وهي قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

وهذهِ الكلِمَةُ تُستعمَلُ في موْضِعيْنِ:

أحدُهما: الاِسْتِثناءُ.

والثَّاني: التَّبْرِئَةُ مِن الشَّرِّ.

والأصْلُ: «حاشَا» وهيَ مُشتَقَّةٌ مِن قوْلِك: كُنتُ فِي حشَا فُلانٍ؛ أي: فِي ناحِيتِهِ. والحشَا: النَّاحِيةُ، وأنْشَدُوا [من الطويل]:

.... بأيِّ الحَشَا أمْسَى الخَلِيطُ المُبَايِنُ[(١)]

أي: بأيِّ النَّواحِي، والمعْنَى: صارَ يُوسفُ فِي حشًا مِن أنْ يكُونَ بشرًا، لِفرطِ جمَالِه. وقِيل: صارَ فِي حشًا ممَّا قرَفتْهُ[(٢)] بهِ امْرأةُ العَزِيزِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ[(٣)]: «حَاشَ للهِ» بمعْنَى: معاذَ اللهِ.

قالَ الفرَّاءُ: و«بشَرًا» منْصوبٌ؛ لأنَّ الباءَ قدِ اسْتُعمِلتْ فيهِ، فلا يكادُ أهْلُ الحِجازِ ينْطِقُون إلَّا بالباءِ، فلمَّا حذَفُوها[(٤)] أحَبُّوا أنْ يكونَ لهَا أثَرٌ فيمَا خرَجت منْه، فنصبُوا على ذلِك، وكذلِكَ قوْلُه: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢].

---

(١) عجز بيت لمعطل الهذلي كما في إيضاح الشواهد (١/ ٤٦٦)، وهو للهذلي غير مسمى في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٩)، والحجة؛ للفارسي (٤/ ٤٢٣).

(٢) في (ج): قذفته.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٦) (١١٦٨٨)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قال: معاذ الله.

(٤) في (ج)، و(ف): حذفوا.

وأمَّا أهْلُ نجْدٍ فيتكلَّمُونَ[١] بالباءِ وبغَيْرِ الباءِ، فإذَا أسْقَطُوها[٢] رفعُوا، وهوَ أقْوَى الوجهَيْنِ في العرَبِيَّةِ[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: قوْلُه: الرَّفْعُ أقْوَى الوَجهَيْنِ، غلَطٌ؛ لأنَّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ أقْوَى اللُّغَاتِ، ولم يَقرَأْ بالرَّفْعِ أحَدٌ. [٤٠٠/أ]

وزَعمَ الخَلِيلُ، وسِيبويه، وجمِيعُ النَّحْويِينَ القُدماء أنَّ «بشَرًا» منْصُوبٌ؛ لأنَّه خبَرُ «مَا»، و«مَا» بمنْزِلةِ: «ليْسَ»[٤].

قال الشيخُ[٥]: وقدْ قرَأَ أبو المتوكّلِ، (وأَبو نَهيك)[٦]، وعِكرمَةُ، ومُعاذٌ القَارِئُ فِي آخَرِين: «مَا هَـذَا بَشَرٌ» بالرَّفْعِ[٧]. وقرأ أُبَيُّ بنُ كعْبٍ، وأبو الجوْزَاءِ، وأبو السَّوَّارِ: «مَا هذَا بِشِرًى» بكسْرِ الباءِ والشِّينِ مقْصُورًا منوَّنًا[٨].

قال الفرَّاءُ: أي: ما هَذَا بمُشترًى[٩].

---

(١) في (ج)، و(ف): فيتكلموا.

(٢) في (ف): أسقطوا.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٧- ١٠٨).

(٥) في (ر)، و(م): قلت. وفي (ف): قال المصنف: قلت.

(٦) ليست في (ج).

(٧) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٢٧٠).

(٨) قراءة شاذة، انظرها في شواذ ابن خالويه (ص: ٦٣)، والمحتسب (١/ ٣٤٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٤).

(٩) معاني القرآن (٢/ ٤٤).

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ: «بِشِرَاءٍ» بالمدِّ والهمْزِ مخْفُوضًا مُنوَّنًا[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ﴾ قرَأَ أُبيٌّ، وأبو رَزِين، وعكرِمَةُ، وأبو حياةَ، والجحْدَرِيُّ: «ملِك» بكسْرِ اللَّامِ[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لَمَّا ذهلَتْ عقُولُهنَّ فقطَّعن أيدَيهُنَّ، قالَتْ لَهُنَّ ذلِك.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ أشَارَتْ إِليْه وهوَ حاضِرٌ بقوْلِها: «فذَلِكُنَّ»؟.

فعَنْهُ جوابَانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[(٣)]-:

أحدُهما: أنَّها أشارَتْ بـ«ذَلِكُنَّ» إِلى يُوسفَ بعْدَ انْصرافِهِ مِنَ المجلِسِ.

والثَّاني: أنَّ فِي الكلَامِ إِضمَارَ «هذَا» تقْدِيرُه: فهذَا ذلِكُنَّ.

ومعْنَى «لُمتنَّنِي فيه»؛ أي: في حُبِّه. ثُمَّ أقرَّتْ عنْدَهُنَّ، فقالَتْ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾؛ أي: امْتَنَعَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

---

(١) لم أقف عليها، ونسبها الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٢٤) إلى الحسن، وقال: على أنَّ الباء حرف جر، والشين مكسورة، وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدها من قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

(٢) قراءة شاذة، انظرها في شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٥١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٥).



قَالَ الزَّجَّاجُ: القِراءةُ الجيِّدةُ تخْفِيفُ: ﴿وَلَيَكُونَا﴾ والوقْفُ عليْهَا بالألِفِ؛ لأنَّ النُّونَ الخفِيفةَ تُبدل منْهُما في الوقْفِ الألِفُ؛ تقُول: اضْربَا زيْدًا، وإذا وقفْتَ قلْتَ: اضْربَا.

وقد قُرِئت: «ولَيَكُونَنَّ» بتشْدِيد النُّون[١]، وأكرَهُها؛ لخلافِ المصْحفِ؛ لأنَّ الشَّديدةَ لا يُبدلُ منْهَا شيْءٌ[٢]. **والصَّاغِرُون**: المذَلُّون.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾.

قالَ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ: لَّما قالَتْ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قُلْنَ: لا لوْمَ عليْكِ، قالَتْ: فاطْلُبْنَ إلى يُوسفَ أنْ يُسعِفَني بحَاجَتِي، فقُلْنَ: يَا يُوسُف افْعَلْ، فقالَتْ: لَئِنْ لم يفْعَلْ لأُخلدنَّهُ في[٣] السِّجْنِ، فعنْدَ ذلِك قالَ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾.

وقرَأَ يعْقُوبُ: «السَّجْنُ» بفتْحِ السِّينِ هَاهُنا فحَسْبُ[٤].

---

(١) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٨).

(٣) ليست في (ج)، و(ف)، و(ر).

(٤) قراءة عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٣٢)، وانظر: الهداية؛ لمكي (٥/ ٣٥٥٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسَرَ سِينَ «السِّجن» فعلَى اسْمِ المكَانِ، فيكُون المعْنَى: نُزولُ السِّجْنِ أحبُّ إلي مِن رُكوبِ المعصِيةِ، ومَنْ فتَحَ، فعَلَى المصْدَرِ، المعْنَى: أنْ أُسْجنَ أَحَبُّ إليَّ. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾؛ أي: إلَّا تعْصِمْنِي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾؛ أي: أَمِلْ إليهِنَّ. يُقال: صبَا إلَى اللَّهوِ يصْبُو صُبُوًّا وصَبْوًا وَصَبَاءً؛ إذَا مَالَ إليهِ[1].

وقَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: ومعْنَى هذا الكلامِ: اللَّهُمَّ اصْرِفْ عنِّي كيْدَهُنَّ، ولِذلكَ قَالَ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ قَالَ: فإنْ قِيلَ: إنَّما كادَتْه امْرأةُ العَزيزِ وحْدهَا، فكيْفَ قَالَ: «كيْدَهُنَّ».

فعَنْهُ ثلاثةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّ العرَبَ تُوقِعُ الجمْعَ علَى الوَاحِدِ، فيقُولُ قائِلُهم: خرجْتُ إلى البصرَةِ فِي السُّفنِ، وهو لم يخْرُجْ إلَّا فِي سفِينةٍ واحِدةٍ.

والثَّاني: أنَّ المكنِيَّ عنه امْرأةُ العزيزِ والنِّسوةُ اللَّاتي عاضَدْنَها علَى أمْرِها.

والثَّالث: أنَّه عنَى امْرأةَ العزيزِ وغيْرَها مِنْ نِساءِ العالَمين اللَّاتِي لهُنَّ [٤٠٠/ب] مِثْلُ كيدِها.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥﴾ [يوسف: ٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٨).

فِي المرادِ بالآيَاتِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها شقُّ القمِيصِ، وقضَاءُ ابْنِ عمِّهَا عليْهَا، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أنَّها قدُّ القمِيصِ، وشَهادةُ الشَّاهدِ، وقطْعُ الأيْدِي، وإعْظَامُ النِّساءِ إيَّاهُ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّالث: جمالُه وعِفَّتُه، ذكرَهُ الماورديُّ[٣].

قالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: فأشَارَ النِّسوةُ عليْهَا بِسجْنِه رجَاءَ أنْ يَسْتهوِينَهُ حين يخْلُو لهُنَّ فِي السِّجنِ، وقُلْنَ: متى سَجَنْتِيه قطَع ذلِك (عنْكِ قالةَ)[٤] النَّاسِ الَّتِي قدْ شاعَتْ، ورَأوا أنَّكِ تَبْغَضِينَهُ، ويذلُّه السِّجنُ لكِ، فلمَّا انْصرَفْنَ عادَتْ إلى مُراوَدَتِه فلم يزْدَدْ إلَّا بُعدًا عنْهَا، فلمَّا يئِسَتْ، قالَتْ لِسيِّدِها: إنَّ هذا العبْدَ قدْ فضَحَنِي، وقدْ أبغضْتُ رُؤيتَهُ، فائْذَنْ لي فِي سِجْنِه، فأَذِنَ لهَا، فسَجَنَتْهُ وأضَرَّتْ بهِ[٥].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ١٣٩) عن ابن عباس وعكرمة.

(٣) النكت والعيون (٣/ ٣٣).

(٤) في (ج): مقالة.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٨).

وقالَ السُّدِّيُّ: قالَتْ: إمَّا أنْ تأذنَ لي فأَخْرج وأعْتذِر بعُذْرِي، وإمَّا أنْ تحْبِسَهُ كما حبَسْتَني، فظَهَر للعَزِيزِ وأصْحابِهِ مِنَ الرَّأي حبْسُ يُوسُفَ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: كانَ العَزيزُ أمَرَ بالإعْراضِ فقَطْ، ثُمَّ تغَيَّرَ رأْيُه عنْ ذلِكَ[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[٣]: وفي معْنَى الآيَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾؛ أي: ظَهَر لهُم بالقَوْل والرَّأيِ والفِكْرِ سِجْنُه.

والثَّاني: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ في يُوسفَ بدْءٌ، فقالُوا: واللهِ لَنَسْجُنَنَّهُ، واللَّامُ جوَابُ يمِينٍ مُضمَرةٍ. فأمَّا الحِينُ: فهوَ يقَعُ علَى قصِيرِ الزَّمانِ وطويلِهِ.

وفي المرادِ بِهِ هَاهُنا للمُفَسِّرينَ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خمْسُ سِنينَ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّاني: سنَةٌ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: سبْعُ سِنينَ، قالَهُ عِكرِمَةُ.

والرَّابع: إلى انْقِطاعِ القَالَةِ، قالَهُ عطَاءٌ.

والخامس: أنَّه زمَانٌ غيْرُ محْدُودٍ، ذكَرَهُ الماورديُّ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٤).

(٣) الزاهر (٢/ ٦١).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٦) من رواية الكلبي.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٣٥).



وهـذا هـوَ الصَّحِيـحُ؛ لأنَّهـم لم يعْزِمُـوا عـلى حبْسِـه مُـدَّةً معْلُومـةً، وإنَّـما ذكَـرَ المفَـسِّرُون قـدْرَ مَـا لَبِـثَ.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦ ﴾ [يوسـف: ٣٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: فيـهِ دلِيـلٌ عـلَى أنَّـه حُبِـس، وإنْ لم يُذكَـرْ ذلِـك. و«فتيَـانِ» جائِـزٌ أنْ يكُونَـا حَدَثَـيْنِ أو شـيْخَيْنِ؛ لأنَّهُـم يُسـمُّونَ المـْلُـوكَ فتًـى[1].

قـالَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ: إنَّـما قـالَ: «فتيَـانِ»؛ لِأنهُما كانَـا مُلُوكـيْنِ، والعـرَبُ تُسـمِّي المـْلُـوكَ فتًـى، شـابًّا كانَ أوْ شـيْخًا.

قـالَ المفَـسِّرُونَ: عمَّـرَ ملِـكُ مِـصْر فملَّـوه: فدسُّـوا إلى خبَّـازِه وصاحِـبِ شرَابِـه أنْ يُسِـمَّاهُ، فبلغَـهُ ذلِـك فحبَسَـهُما، وكانَ يُوسـفُ قـالَ لأهْـل السِّـجْنِ: إنِّي أُعـبِّرُ الأحْـلامَ، فقَـالَ أحَـدُ الفتيَـيْنِ: هلُـمَّ فلْنجـرِّبْ هـذَا العبْـدَ العِـبَرانِيَّ.

واخْتلفُوا هل كانَتْ رُؤياهُمَا صادِقَةً، أمْ لَا؟ علَى ثلَاثةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها كانَتْ كذِبًا، وإنَّما سألَاهُ تجرِيبًا، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّها كانتْ صِدْقًا، قالَهُ مُجاهِدٌ، وابْنُ إسْحَاق.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٩).

والثَّالـث: أنَّ الَّـذي صُلِـب منْهُـما كانَ كاذِبًـا، وكانَ الآخَـرُ صادِقًـا، قالَـهُ [٤٠١/أ]
أبـو مجلـز.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ يعْنِـي: السَّـاقِيَ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾؛ أي[1]: فِي النَّـوْمِ ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾؛ أي: عِنبًـا.

وفي تسْمِيةِ العِنَبِ خمْرًا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه سـمَّاه باسْـمِ مـا يـؤُول إليْـهِ؛ لأنَّ المعْنَـى لا[2] يلْتَبِـس، كـما يُقـال: فُـلانٌ يطبـخُ الآجُـرَّ ويعْمَـلُ الدِّبْـسَ، وإنَّـما يطْبـخُ اللَّبِـنَ ويصْنَـعُ التَّمـرَ، وهـذَا قـوْلُ أكثـر المفَسِّريـنَ.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: وإنَّـما كانَ كذلِـك؛ لأنَّ العـرَبَ تُوقِـعُ بالفـرْعِ مَـا هـوَ واقِـعٌ بالأصْـلِ، كقوْلِهـم: فُـلانٌ يطبُـخُ آجُـرًّا[3].

والثَّاني: أنَّ الخمْرَ فِي لُغةِ أهْلِ عُمان اسْمٌ للعِنَبِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ[4].

قالَ ابْنُ القَاسمِ: وقدْ نطقَتْ قُريشٌ بهذِهِ اللُّغة وعرَفَتْهَا[5].

والثَّالـث: أنَّ المعْنَـى: أعْـصِرُ عنَـبَ خمْرٍ، وأصْلُ خمْرٍ، وسـبَبُ خمْـرٍ، فحُذِف المضَـافُ، وخلفَـهُ المضَافُ إليْـهِ؛ كقوْلِه: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسـف: ٨٢].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) في (ف): ما.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٩).

(٥) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١١٤).



قَالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: رَأى يُوسُفُ عليه السلام ذاتَ يوْمٍ الخبَّازَ والسَّاقِيَ مهْمُومَيْنِ، فقَالَ: مَا شأْنُكما؟ قالَا: رَأيْنَا رُؤْيَا، قالَ: قِصَّاهَا عليَّ، قالَ السَّاقي: إنِّي رأيْتُ كأنِّي دخلْتُ كرْمًا فجَنَيْتُ ثلاثةَ عنَاقِيدَ عِنَبٍ فعَصَرْتُهنَّ فِي الكأْسِ، ثُمَّ أتيْتُ بهِ المَلِكَ فشَرِبَهُ، وقالَ الخبَّازُ: رأيْتُ أنِّي خرجْتُ مِن مطْبخِ المَلِكِ أحْمِلُ فوْقَ رأْسِي ثلاثَ سِلالٍ مِنْ خُبْزٍ، فوَقَع طَيْرٌ علَى أعْلَاهُنَّ فأكَلَ منْهَا[1]. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: أخْبِرْنَا بتفْسِيرِه.

وفي قوْلِه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُهَا[2]: أنَّه كانَ يعُودُ المرْضَى ويُدَاوِيهِم ويُعزِّي الحزِينَ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: إنَّا نَراكَ مُحسِنًا إنْ أنْبأْتَنا بتأْوِيلِه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّالث: إنَّا نَراكَ مِن العَالِمِين قد أحْسنْتَ العِلْمَ، قالَه الفرَّاءُ[4].

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فعَلى هذَا يكُون مفْعُولُ الإحْسانِ محْذُوفًا[5]، كمَا حُذِف فِي قوْلِه تعَالى ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] **يعْنِي**: العِنبَ والسِّمْسِمَ. وإنَّما علِمُوا أنَّه عالِمٌ لِنشْرِه العِلْمَ بيْنَهُم.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٤٩)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٤).

(٢) في (ف): أحدهن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٩) (١٩٢٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٣) (١١٦٠٦) عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩) إلى ابن جرير.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤٥)، وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٢) إلى الجمهور.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٦).

والرَّابع: إنَّا نراكَ ممَّن يُحسنُ التَّأويلَ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[١].

والخامِس: إنَّا نراكَ مُحسِنًا إلى نفسِك بلُزُومِكَ طَاعةَ اللهِ تعالَى، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٢].

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٣٩].

قوْله تعالَى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في معْنَى: الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في اليقظَةِ إلَّا أخبرْتُكُما بهِ قبلَ أنْ يصِلَ إليْكُما؛ لأنَّه كان يُخبرُ بما غابَ كعِيسى عليْهِ السَّلامُ، وهَذا[٣] قوْلُ الحسَنِ[٤].

والثَّاني: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في المنَامِ ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ في اليقظَةِ، هذَا قوْلُ السُّدِّيِّ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٠).

(٢) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١١٦).

(٣) في (ج)، و(ف): وهو.

(٤) نقل الماورديُّ هذا القولَ في تفسيره (٢/ ٢٦٩) عن الحسن رحمه الله.

(٥) أخرج هذا القول الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠١) (١٩٢٨٤).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فقالَا لَهُ: وكيْفَ تعْلَمُ ذلِك، ولسْتَ بسَاحرٍ، ولَا عرَّافٍ، ولا صَاحبِ نُجومٍ؛ فقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي﴾[(١)].

فإنْ قيلَ: هذَا كلُّه ليْسَ بجوَابِ سُؤالِهما، (فأيْنَ جوَابُ سُؤالِهما)[(٢)]؟.

فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوبةٍ:

أحدُهما: أنَّه لَمَّا علِم أنَّ أحدَهُما مقْتولٌ، دعَاهُما إلى نصِيبِهِما مِنَ الآخِرَةِ، قالَهُ قتادَةُ.

[٤٠١/ب] والثَّاني: أنَّه عدَلَ عنِ الجوَابِ لِمَا فيهِ مِنَ المكْرُوهِ لِأحدِهما، قالَهُ ابْنُ جُريجٍ.

والثَّالث: أنَّه[(٣)] ابْتدأَ بِدُعائِهما إلى الإيمانِ قبْلَ جوَابِ السُّؤَالِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[(٤)].

والرَّابع: أنَّه ظنَّهُما كاذِبَيْنِ فِي رُؤْيَاهُما، فعدَلَ عنْ جوَابِهما لِيُعرِضَا عنْ مُطالبَتِه بالجوَابِ فلمَّا ألحَّا[(٥)] أجابَهُما، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

فأمَّا المِلَّةُ: فهيَ الدِّينُ. وتكْرِير قوْلِه: ﴿هُمْ﴾ للتَّوْكيدِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ: أنَّ اللهَ عصمَنَا مِنَ الشِّرْكِ ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ١٩٢).

(٢) ليس في (ج).

(٣) ليس في (ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٠).

(٥) في (ج): ألجَّا.

عَلَيْنَا﴾؛ أي: اتِّباعِنَا الإيمانَ بتوْفِيقِ اللهِ تعَالى. ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِي: المؤْمِنِينَ بأنْ دلَّهُم علَى دينِهِ[١].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أنْ جعَلَنَا أنْبياءَ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أنْ بعثَنَا إليْهِم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ مِن أهْلِ مِصْرَ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ اللهِ فيُوحِّدُونَهُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ يعْنِي: الأصْنامَ مِن صغِيرٍ وكبِيرٍ ﴿خَيْرٌ﴾؛ أي: أعْظمُ صِفةً في المدْحِ ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعْنِي: أنَّه أحَقُّ بالإلهيَّةِ مِنَ الأصْنامِ؟.

فأمَّا الواحدُ؛ فقالَ الخطَّابِيُّ: هو الفرْدُ الَّذي لم يزَلْ وحْدَهُ، وقيل: هو المنْقَطِعُ القَرِينِ، المعدُومُ الشَّرِيكِ والنَّظِيرِ، وليْسَ كسائِرِ الآحَادِ مِنَ الأجْسَامِ المؤَلَّفةِ، فإنَّ كُلَّ شيْءٍ سِواهُ يُدْعَى واحِدًا[٣] مِن جِهةٍ، غيْرَ واحِدٍ مِن جِهاتٍ، والوَاحِدُ لا يُثنَّى مِن لفْظِهِ، لا يُقال: وَاحِدَانِ[٤].

والقهَّارُ: الَّذي قهَرَ الجبَابِرةَ مِنْ عُتاةِ خلْقِه بالعُقوبَةِ، وقهَرَ الخلْقَ كُلَّهُم بالموْتِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣)، والتفسير البسيط (١٢/ ١١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٣) (١٩٢٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٥) (١١٦٦١٤- ١١٦١٥) من طريق عبد الله بن صالح، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) مكررة في (ج)، و(ف).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٨٢).



وقالَ غيْرُه: القهَّارُ: الَّذِي قهَرَ كُلَّ شيْءٍ فذَلَّلَهُ، فاسْتَسْلَمَ وذَلَّ لَهُ[1].

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١ ﴾ [يوسف: ٤٠ - ٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ إنَّما جمَع فِي الخِطابِ لهُما؛ لأنَّه أرَاد جمِيعَ مَن شارَكَهُما فِي شِرْكِهِما.

وقوْلُه تعَالى: ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾؛ أي: مِنْ دُون الله ﴿ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ ﴾ يعْنِي: الأرْبَابَ والآلهَةَ، ولَا يصِحُّ معَانِي تلْكَ الأسْماءِ للأَصْنامِ، فكأنَّها أسْماءٌ فارِغَةٌ، فكأَنَّهُم يعْبدُونَ الأسْمَاءَ؛ لأنَّها لَا تصِحُّ معَانِيهَا.

﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾؛ أي: مِن حُجَّةٍ بِعبادَتِها ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾؛ أي: مَا القضَاءُ والأَمْرُ والنَّهيُ إلَّا لَهُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾؛ أي: المستَقِيمُ، يُشيرُ إلى التَّوْحيدِ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لا يعْلَمُون أنَّه لا يجُوزُ عِبادةُ غيْرِه.

والثَّاني: لا يعْلَمُون ما للْمُطِيعينَ مِنَ الثَّوابِ و[مَا][2] للْعَاصِينَ مِنَ العِقابِ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٤).

(٢) من (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِى رَبَّهُۥ خَمۡرًا﴾ الرَّبُّ هاهُنا: السَّيِّدُ.

قالَ ابْنُ السَّائِبِ: لما قصَّ السَّاقِي رُؤياهُ على يُوسفَ، قالَ لَهُ: مَا أحْسَنَ مَا رأَيْتَ! أمَّا الأغْصانُ الثَّلاثةُ؛ فثلاثةُ أيَّامٍ، يبْعثُ إليْكَ الملِكُ عنْدَ انْقِضائِهَا، فيَردُّكَ إلى عملِك، فتعُودُ كأحْسنِ[١] ما كُنْتَ فيهِ، وقالَ للْخبَّازِ: بِئْسَ مَا رَأَيتَ! السِّلالُ الثَّلاثُ؛ ثلاثةُ أيَّامٍ، ثُمَّ يبْعثُ إليْكَ الملِكُ عنْدَ انْقضائِهِنَّ، فيقْتلُك ويصلبُكَ وتأْكُلُ[٢] الطَّيْرُ مِن رأسِكَ، فقالَا: مَا رأيْنا شيْئًا، فقَال: ﴿قُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: فُرغ منه، [٤٠٢/أ] وسيقَعُ بِكُما، صَدَقْتُما أوْ كذَبْتُما[٣].

فإنْ قِيلَ: لِمَ حتَّم علَى وقُوع التَّأوِيلِ، وربَّما صدَقَ تأويلُ الرُّؤيا وربَّما[٤] كذَبَ؟.

فعَنْه جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه حتَّم ذلِك لِوحْيٍ أتاهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسَبِيلُ المنامِ المكْذُوبِ فيهِ أنْ[٥] لَا يقعَ تأوِيلُه، فلمَّا قالَ: ﴿قُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ دلَّ علَى أنَّه بوَحْيٍ[٦].

---

(١) في (ف): أحسن.

(٢) في (ج)، و(ف): ويأكل.

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٦- ١٩٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٢٠).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): أنَّه.

(٦) في (ج): وحي.



والثَّاني: أنَّه[١] لم يحتِّمْ، بدليلِ قوْلِه: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾.

قالَ أصحابُ هذا الجوابِ: معنَى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: قُطِعَ الجوابُ الَّذي الْتمستماهُ مِن جِهتِي، ولم يعْنِ أنَّ الأمْرَ واقِعٌ بِكما.

وقالَ أصْحابُ الجوابِ الأوَّلِ: الظَّنُّ هاهُنا بمعْنَى: العِلْمُ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ [يوسف: ٤٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ يعْني: السَّاقي.

وفي هذا الظَّنِّ قوْلانِ:

أحدُهما: [أنَّه][٢] بمعْنَى: العِلْمِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الظَّنُّ الَّذي يُخالِفُ اليقِينَ، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: عنْد صَاحِبِكَ، وهوَ الملِكُ، وقُلْ لَه: إنَّ في السِّجْنِ غُلامًا حُبِسَ ظُلْمًا. واسْمُ الملِكِ: الوليدُ بْنُ الرَّيانِ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: فأنْسى[٣] الشَّيطانُ السَّاقِيَ ذكْرَ يُوسفَ لِربِّه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ ابْنُ إسْحاقَ[٤].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ف)، و(ر).

(٣) في (ج)، و(م): فأنساه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٣) (١٩٣٢٢).

والثَّاني: فأنْسَى الشَّيْطانُ يُوسُفَ ذكْرَ ربِّه عزَّ وجلَّ، وأمَرَهُ بذكْرِ المِلكِ ابْتغَاءَ الفرَجِ مِنْ عنْدِه، قالَهُ مُجاهِدٌ[١]، ومُقاتلٌ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣]، وهذَا نِسيانُ عمْدٍ، لا نِسْيانُ سهْوٍ، وعكسُه القوْلُ الَّذِي قبْلَه.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾؛ أي: غيْرَ مَا كانَ قدْ لبِثَ قبْلَ ذلِكَ؛ عُقوبةً له علَى تعلُّقِه بمخْلُوقٍ.

وفي البِضْع تسْعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: ما بيْنَ السَّبعِ والتِّسعِ، رَوى ابْنُ عبَّاسٍ أنَّ أبا بكْرٍ الصِّدِّيقَ لَمَّا نَاحبَ[٤] قُريشًا عنْدَ نُزولِ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١ - ٢] قالَ لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا احْتَطْتَ، فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ السَّبْعِ إِلَى التِّسْعِ»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٩)، (١١٦٤٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٤) أي: راهن، وكانت بين أبي بكر رضي الله عنه وبين أحد كُفَّار قريش، حول حرب الرُّوم والفرس.

(٥) أخرجه الترمذي حديث (٣١٩١)، والطبري (٢٠/ ٦٨) (٢٧٨٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٩٠- ٢٩٩١)، والضياء في المختارة (١٤٦- ١٤٧) من طريق عبد الله بن الرحمن الجمحي، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: «ألا احتطت أبا بكر، فإنَّ البضع ما بين الثلاث إلى تسع»، وعبد الله بن عبد الرحمن الجمحي، أبو سعيد، مجهول الحال.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧٢٦٦) من طريق إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، عن حجاج بن محمد المصيصي، عن ابن جريج، عن عبد الرحمن بن أبي=

والثَّاني: اثْنَا عشرَةَ سنَةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: سبْعُ سِنينَ، قالَهُ عِكرِمَةُ.

والرَّابع: أنَّه مَا بيْنَ الخمْسِ إلَى السَّبعِ، قالَهُ الحسَنُ.

والخامِس: أنَّه مَا بيْنَ الأرْبَعِ إلى التِّسعِ، قالَهُ مُجاهِدٌ[١].

والسَّادس: ما بيْنَ الثَّلاثِ إلَى التِّسع[٢]، قالَهُ الأَصْمَعيُّ[٣]، والزَّجَّاج[٤].

والسَّابع: أنَّ البِضْعَ يكُون بيْنَ الثَّلاثِ والتِّسعِ والعَشْر، قالَهُ قتادَةُ[٥].

والثَّامن: أنَّه ما دُون العشْرَةِ، قالَهُ الفرَّاءُ[٦].

وقالَ الأخْفشُ: البِضْعُ: مِنْ واحِدٍ إلى عشْرَةٍ[٧].

=الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن نيار بن مكرم، قال: قال رسول الله ﷺ: «البضع ما بين الثلاث سنين إلى التسع»، وإبراهيم المصيصي متروك: انظر: الميزان (١/ ٤٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث الزُّهري، عن عبيد الله، عن ابن عبَّاسٍ.

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٩٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٥) (١٩٣٢٨)، والذي جاء عنه: أنَّه ما بين الثلاثة إلى التسعة.، وانظر: تفسير الماوردي المسمى بالنكت والعيون (٣/ ٤٠).

(٢) في (ج): والتسع.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١١٢)، ومعاني القرآن (٣/ ٤٣٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٤)، وانظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤٢٩).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٤٦).

(٧) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٥/ ٢٤٣)، والزاهر (٢/ ٣٤٣)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٢٤).

والتَّاسع: أنَّه مَا لمْ يبْلُغِ[١] العَقدَ ولا نصْفَه، قالَه أبو عُبيدةَ[٢].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يعْنِي ما بيْنَ الوَاحِدِ إلى الأرْبَعةِ[٣].

ورَوى الأثْرَمُ عنْ أبي عُبيدةَ: البِضْعُ: ما بيْنَ ثلَاثٍ وخمْسٍ[٤].

وفِي جُملةِ مَا لبِثَ فِي السِّجنِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: اثْنَا عشرَةَ سنةً، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أربعَ عشرَةَ سنةً[٥]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: سبْعَ سِنِين، قالَهُ قتادَةُ. [٤٠٢/ ب]

قالَ مالِكُ بْنُ دِينارٍ: لمَّا قالَ يُوسُفُ للسَّاقِي: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ قِيلَ لَهُ: يا يُوسفُ! اتَّخذْتَ مِن دُونِي وَكِيلًا؟ لَأُطِيلَنَّ حبْسَك، فبَكَى، وقالَ: يا ربِّ! أنْسى قلْبِي كثْرةُ البَلْوَى، فقُلْتُ كلِمةً، فوَيلٌ لإِخْوَتِي[٦].

---

(١) في (ج): ما يبلغ.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٩٦)، بتصرف.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٧).

(٤) انظر: الزاهر (٢/ ٣٤٢).

(٥) زيادة من الأصل، و(ج).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٩) عن مالك بن دينار عن الحسن.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ يعْنِي: ملِكَ مِصْرَ الأكْبَرَ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ يعْنِي: فِي المنَامِ، ولم يقُلْ: رأيْتُ، وهذَا جائِزٌ فِي اللُّغةِ أنْ يقُولَ القائِلُ: أرَى، بمعْنَى: رأيْتُ.

قالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: لَمَّا انْقضَتِ المدَّةُ الَّتِي وقَّتَهَا اللهُ تعالى لِيوسُفَ فِي حبْسِه، دخَلَ عليْهِ جِبْرِيلُ عليه السَّلام إلى السِّجنِ، فبشَّرَهُ بالخُرُوجِ وبمُلْكِ[1] مِصْرَ ولِقاءِ أبِيه، فلَمَّا أمْسَى الملِكُ مِن ليلتِئِذٍ[2]، رأى سبْعَ بقَرَاتٍ سِمانٍ خرَجْنَ مِنَ البحْرِ، فِي آثارِهِنَّ سبْعٌ عِجافٌ، فأقْبلَتِ[3] العِجافُ علَى السِّمانِ، فأخَذْنَ بأذْنابِهِنَّ فأكَلْنَهُنَّ إلى القَرْنَيْنِ، ولم يزِدْ فِي العِجافِ شيْءٌ، ورَأى سبْعَ سُنْبلاتٍ خُضرٍ، وقدْ أقْبلَ عليْهِنَّ سبْعٌ يابِساتٌ فأكَلْنَهُنَّ حتَّى أتَيْنَ عليْهِنَّ، ولم يزدَدْ فِي اليابِساتِ شيْءٌ، فدَعا أشْرافَ قوْمِه فقصَّهَا عليْهِم، فقالُوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: **والعِجافُ**: الَّتِي قدْ بلَغَتْ فِي الهُزالِ الغَايةَ. **والملأُ**: الَّذِين يُرجَعُ إليْهِم فِي الأُمورِ ويُقتدَى برأْيِهِم، واللَّام فِي قوْلِه تعَالى:

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر): وملك.

(٢) في (ج): ليلته.

(٣) في (ج)، و(ف): فأقبلن.

﴿لِلرُّءۡيَا﴾[١] دخلَتْ علـى المفْعُـول للتَّبْيِـينِ، المعنـى: إنْ كُنْتـم تعـبرونَ، ثُـمَّ بَـيَّنَ[٢] بالـلَّامِ، فقَـالَ: ﴿لِلرُّءۡيَا﴾.

ومَعْنـى عـبَّرْتُ الرُّؤيـا وعبَرْتُهـا: أخـبرْتُ[٣] بآخِـرِ مَـا يـؤُولُ إليْـهِ أمْرُهـا، واشْـتقاقُه مِـن عَـبْرِ النَّهْـرِ، وهـو شـاطئُ النَّهـرِ، فتأويـلُ عـبرْتُ النَّهـرَ: بلغْـتُ إلى عِـبْرِه؛ أي: إلى شَـطِّه وهـوَ آخِـرُ عرْضِـه[٤].

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ[٥] فِي اللَّام قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّها للتَّوْكيدِ.

والثَّاني: أنَّها أفادَتْ معْنَى: «إلى»، والمعْنَى: إنْ كُنْتُم توجهون العِبارةَ إلى الرُّؤيَا.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾.

قـالَ أَبـو عُبيـدةَ: وَاحِدُهـا: ضِغْـثٌ؛ مكْسُـورةٌ[٦]، وهـيَ مَـا لَا تأْوِيـلَ لـه[٧] مِـنَ الرُّؤيَـا، وتَـراه جمَاعَـات تجمَـعُ مِـنَ الرُّؤيـا كـمَا يُجمَـعُ الحَشِـيشُ،

---

(١) وهذه اللام تسمى لام التعقيب؛ لأنها عقبت الإضافة؛ لأنَّ المعنى: إن كنتم عابري الرؤيا.

(٢) في (م): يبين.

(٣) في (ف): خبرت.

(٤) انتهى نقله عن الزجاج هنا، انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٥) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٢٧) عن ابن الأنباري.

(٦) في (ف): مكسور.

(٧) في مجاز القرآن: لها.

فيُقَالُ: ضِغْثٌ؛ أي: مِلءُ كفٍّ منهُ[١].

وقالَ الكِسَائِيُّ: **الأضْغَاثُ**: الرُّؤيَا المختَلِطةُ[٢].

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾؛ أي: أخلاطٌ مثلُ أضغاثِ النَّباتِ يجمعُهَا الرَّجُلُ، فيكُونُ فيهَا ضُرُوبٌ مختلِفَةٌ[٣].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: الضِّغْثُ في اللُّغةِ: الحُزمَةُ والبَاقةُ مِنَ الشَّيءِ، كالبَقْلِ ومَا أشبَهَهُ، فقَالُوا له: رُؤيَاكَ أخلاطُ أضغاثٍ؛ أي: حُزَمُ أخلاطٍ، ليْسَت برُؤيَا بيِّنَةٍ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾؛ أي: ليس للرُّؤيا المختلطةِ عنْدنا تأوِيلٌ[٤].

وقَالَ غيْرُه: وما نحْنُ بتأوِيلِ الأحْلامِ الَّتي[٥] هذَا وصفُها بعَالِمينَ. **والأحْلامُ**: جمْعُ حِلم؛ وهوَ مَا يرَاه الإنْسانُ في نوْمِه ممَّا يصِحُّ وممَّا يبْطُلُ[٦].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٥ - ٤٨].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣١٢).

(٢) انظر قول الكسائي في تهذيب اللغة (٣/ ٢١٢٠) (ضغث)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٣٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢ - ١١٣).

(٥) في (م): الذي.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٥).

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعْنِـي: الَّـذي تخلَّـصَ مِـنَ القَتْـلِ مِـنَ الفَتيَـيْنِ، وهـوَ السَّـاقِي. ﴿وَٱدَّكَرَ﴾؛ أي: تذكَّـر شـأْنَ يُوسـفَ ومَـا وصَّـاهُ بـهِ. [٤٠٣/أ]

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وأصْـلُ {ادَّكَـرَ}: اذْتَكَـرَ، ولكـنِ التَّـاءُ أُبدلَـتْ منْهَـا الدَّالُ، وأُدغمـتِ الـذَّالُ فِي الـدَّالِ[١]. وقـرَأَ الحسَـنُ: «واذَّكَـر» بالذَّالِ المشـدَّدةِ[٢].

وقوْلُـه: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: بعْـدَ حِـينٍ، وهـوَ الزَّمـانُ الَّـذِي لبِثَـهُ يُوسُـفُ بعْـدَهُ فِي السِّـجْنِ، وقـد سـبَقَ بيانُـه. وقـرَأَ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ «بَعْـدَ أَمَـهٍ»[٣] أرَاد بعْـدَ نِسـيانٍ.

فـإنْ قِيـلَ: هـذَا يـدُلُّ عـلَى أنَّ النَّـاسيَ فِي قوْلِـه: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ هـوَ السَّـاقِي، ولا شَـكَّ أنَّ مَنْ قـالَ: إنَّ النَّاسِيَ يُوسُـفُ يقُولُ[٤]: لم ينْـسَ السَّـاقِي.

فالجـوَابُ: أنَّ مَـنْ قـالَ: إنَّ يُوسـفَ نـسِيَ، يقُـول: معْنَـى قوْلِـه: «وادَّكَر»: ذَكَـر؛ كـمَا تقُـولُ العـرَبُ: احْتلَـبَ بمعْنَـى: حلَـبَ، واغْتَـدَى بمعْنَـى: غـدَا، فـلَا يـدُلُّ إذًا عـلَى نِسْـيانٍ سـبَقَهُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٣).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٤).

(٣) بالهاء، قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٤)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨).

(٤) في (ف): تقول.



وقـدْ روَى أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه قـالَ: إنَّـما لم يذْكُـرِ السَّـاقِي خـبَرَ يُوسـفَ للمَلِـكِ حتَّـى احْتـاجَ الملِـكُ إلى تأْويـلِ رُؤْيـاهُ؛ خوْفًـا مِـنْ أنْ يكُـونَ ذكْـرُه لِيوسُـفَ سـببًا لِذكْـرِهِ الذَّنْـبَ الَّـذِي مِـن أجْلِـه حُبِـس[١]، ذكـرَ هـذَا الجـوَابَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: مِـن جِهةِ يُوسـفَ ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أثْبـتَ اليـاءَ فيهَـا وفِي ﴿تَقْرَبُونِ﴾ [يوسـف: ٦٠] ﴿أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسـف: ٩٤] يعْقُـوبُ فِي الحَالَـيْنِ[٣]، فخاطَـبَ المِلِـكَ وحْـدَهُ بِخطـابِ الجميـعِ؛ تعظِيـمًا، وقيـلَ: خاطَبَـهُ وخَاطَـبَ أتْباعَـهُ.

وفِي الـكلَامِ اخْتِصـارٌ، المعْنَـى: فأرْسـلُوه فأَتَـى يُوسـفُ فقَـالَ: [يَـا يُوسُـفُ][٤] يـا أيُّهـا الصِّديـقُ. والصِّديـقُ: الكثِـيرُ الصِّـدقِ، كـما يُقـال: فسِّـيقٌ، وسِـكِّيرٌ، وقـد سـبَقَ بيانُـهُ [النسـاء: ٦٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِـي: المِلِـكَ وأصْحَابَـهُ والعُلَـماءَ الَّذِيـن جمعَهُـم لِتعبـيرِ رُؤْيـاهُ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: يعْلَمُون تأْوِيلَ رُؤيا الملِكِ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٥٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٣) من رواية الكلبي.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٣) عن ابن الأنباري.

(٣) قـراءة عشريـة، انظـر: النـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحـاف فضـلاء البـشر؛ للدمياطـي (ص: ٢٦٥).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: يعْلَمُونَ بمكانِكَ فيكونُ سببَ خلَاصِكَ.

وذكَرَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ فِي تكْرِيرِ «لعلِّ» قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ «لعلَّ» الأُولى متعلِّقةٌ بالإفْتاءِ، والثَّانيةُ: مبنيَّةٌ على الرُّجوعِ، وكِلْتاهُما بمعْنَى: «كَي».

والثَّاني: أنَّ الأُولى بمعْنَى: «عسَى» والثَّانِيةَ بمعْنَى: «كَيْ» فأُعِيدتْ لإخْتلافِ المعْنَييْنِ، وهذَا هوَ الجوَابُ عنْ قوْلِه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

قالَ المفَسِّرونَ: كانَ سيِّدُه العزِيزُ قدْ ماتَ، واشْتغلَتْ عنْهُ امْرأتُهُ.

وقالَ بعْضُهم: لم يكُنِ العزِيزُ قدْ ماتَ، فقَال يُوسُفُ للسَّاقِي: قُلْ للمَلِكِ: هذِه سبْعُ سِنِينَ مخصِباتٌ، ومِن بعْدِهِنَّ سبْعُ سِنِينَ شِدادٌ، إلَّا أنْ تحْتالَ[1] لهُنَّ، فانْطلَق الرَّسُول إلى الملِكِ فأخْبرَهُ، فقَالَ له الملِكُ: ارْجِعْ إليْهِ فقُلْ له: كيْفَ يصنَعُ؟ فقَال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[2].

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ «دَأْبًا» ساكِنَةَ [الهمْزةِ][3]، (إلَّا أنَّ)[4] أبا عمْرٍو كانَ إذَا أدْرجَ القِراءةَ لم يهمزْها[5]. [٤٠٣/ ب]

---

(١) في (ف): يحتال.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٦).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) في (ف): لأنَّ.

(٥) أي: يسهل الهمزة عند درج القراءة، والقراءاتان مثل: نَهر، ونَهَر.

وروى حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «دَأَبًا» بفتْحِ الهمْزةِ[١].

قالَ أبو عليٍّ: الأكْثَرُ فِي «دأْبٍ» الإسْكانُ، ولعلَّ الفتْحَ لغةٌ، ومعْنَى «دَأَبًا»[٢]؛ أي: زِراعةً مُتواليةً علَى عادَتِكُم، والمعْنَى: تزْرَعُون[٣] دائِبين. فنَابَ «دَأب» عنْ «دَائِبينَ».

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: تدأَبُون[٤] دأَبًا، ودلَّ على تدأَبُونَ[٥]: «تزْرَعُونَ[٦]». والدَّأْبُ: الملازمةُ للشَّيءِ والعَادةُ[٧].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ حكَمَ بعِلْمِ غيْبٍ[٨]، فقَالَ: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ ولم يقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ؟.

فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ بوحْيٍ[٩] مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) قراءتان سبعيتان، إلا أن الفتح لحفص خاصة عن عاصم، كما ذكر المصنف، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٢٥).

(٣) في الأصل: يزرعون، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: يدأبون، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: يدأبون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في الأصل: يزرعون، والمثبت ما سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٤).

(٨) في (ج)، و(ف): الغيب.

(٩) في (ج): وحي.

والثَّاني: أنَّه بنَى علَى علمٍ مَا علَّمَه اللهُ عزَّ وجلَّ مِنَ التَّأْويلِ الحَقِّ، فلم يشُكَّ.

والثَّالث: أنَّه أضْمَر «إنْ شاءَ اللهُ» كما أضْمَر إخوتُه فِي قولِهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥] فأضْمَرُوا الِاسْتِثناءَ فِي نيَّاتِهم؛ لأنَّهم على غيْرِ ثِقةٍ ممَا وُعِدُوا، ذكرَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ.

والرَّابع: أنَّه كالآمِرِ لهُم، فكأنَّه قالَ: ازْرَعُوا.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ فإنَّه أبْقَى له، وأبْعَدَ مِنَ الفَسادِ.

والشِّدادُ: المجدبَاتُ الَّتِي تشْتدُّ علَى النَّاس ﴿يَأْكُلْنَ﴾؛ أي: يُذْهِبْنَ ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ فِي السِّنين المخصبَاتِ، فوصَفَ السِّنِينَ بالأكْلِ، وإنَّما يُؤكل فيهَا، كما يُقال: ليلٌ نائِمٌ.

قوْلُه تعالَى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾؛ أي: تُحرِزُون وتدَّخِرونَ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾.

إنْ قِيلَ: لمَ أشارَ إلى السِّنِينَ وهيَ مؤنَّثةٌ بـ«ذلِكَ»؟.

فعنْهُ جوَابَانِ -ذكرَهُما ابنُ القَاسِم-:

أحدُهما: أنَّ السبعَ مؤنَّثةٌ، ولَا علامَةَ للتَّأْنيثِ في لفْظِها، فأشْبهَتِ المذكَّرَ؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] فذكَّر مُنْفطرًا لمَّا لم يكُنْ في السَّماءِ علَمُ تأْنِيثٍ[1]، قالَ الشَّاعِر [من المتقارب]:

---

(١) في (م): التَّأنيث.

فَـلَا مُزْنَــةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَهَــا وَلَا أَرْضَ أَبْقَــلَ إِبْقَالَهَــا[١]

فذَكَّر «أبْقَلَ» لِمَا وصَفْنَا.

والثَّـاني: أنَّ «ذلِـكَ» إشَـارةٌ إلى الجـدْبِ، وهـذَا قـوْلُ مُقاتـلٍ[٢]، والأوَّلُ قـوْلُ الكلْبِـيِّ[٣].

قالَ قتادَةُ: زادَهُ اللهُ عِلْمَ عامٍ لم يسْألُوه عنْهُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يُصِيبهُمُ الغَيْثُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يُغاثُونَ بالخَصْبِ. ذكرَهُ الماورديُّ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

---

(١) الشـاهد لعامـر بن جوين الطائي شـاعر جاهـلي في الكتاب (٢/ ٤٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكامـل؛ للمـبرد (٢/ ٣٧٩)، (٣/ ٩١)، والأصـول (٢/ ٤١٣)، وبـلا نسـبة في: معـاني الأخفـش (١/ ٥٥)، (٢/ ٣٠٠)، والحجـة؛ لأبي عـلي (٤/ ٢٣٨)، والمحتسـب (٢/ ١١٢)، والخصائـص (٢/ ٤١١)، والمزن: السـحاب، والـودق: المطـر، وأبقلـت: أخرجـت البقـل. والشـاهد: حـذف التـاء مـن أبقلـت للـضرورة ولأن الأرض مؤنـث مجازي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٨).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٥٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٩).

(٤) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١٣١٧)، عـن معمـر، عـن قتـادة، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ١٢٨) (١٩٣٧٧) مـن طريـق معمـر، عـن قتـادة، قـال: ثـم زاده الله علـم سـنة لم يسـألوه عنهـا.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٥).

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ: «يَعْصِرُونَ» بالياءِ. وقرَأَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ بالتَّاءِ(١)، فوجَّهَا الخِطابَ إلى المسْتَفْتِينَ.

وفِي قوْلِه تعَالَى: «يَعْصِرُونَ» خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يعْصِرُونَ العِنبَ والزَّيتَ(٢) والثَّمراتِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ، والجمهُورُ(٣).

والثَّاني: «يَعْصِرُونَ» بمعْنَى: يحْتَلِبُونَ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

ورَوى ابْنُ الأنْبارِيِّ عنْ أبيهِ، عنْ أحْمدَ بْنِ عُبيدٍ، قالَ: تفْسِيرُ «يعْصِرُونَ(٥)»: يحْتَلِبُونَ الألْبانَ لِسعَةِ خيْرِهم واتِّساعِ خصبِهِم(٦)، واحْتجَّ بقوْلِ الشَّاعِرِ [من الطويل]:

فَمَا عِصْمَةُ الْأَعْرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ... طَعَامٌ وَلَا دَرٌّ مِنَ الْمَالِ يُعْصَرُ(٧)

أي: يُحْلَبُ. [٤٠٤/أ]

---

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) في (ج): الزيت والعنب.

(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٩- ١٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٥) عن ابن عباس، وقتادة ومجاهد.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٥) من طريق الفرج بن فضالة.

(٥) في الأصل: تعصرون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).

(٧) البيت بلا نسبة في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).



والثَّالث: ينْجُونَ، وهوَ مِنَ العَصَرِ، والعَصَرُ: النَّجاءُ، والعُصْرَةُ: المنجَاةُ[1]. ويُقال: فُلانٌ فِي عُصْرةٍ: إذَا كانَ فِي حِصْنٍ لا يُقدَرُ عليْهِ، قالَ الشَّاعِرُ [من الخفيف]:

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ[2]

أي: غِياثًا للمغْلُوب المقهُورِ، وقالَ عدِيٌّ [من الرمل]:

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي[3]

هذَا قوْلُ أبِي عُبيدَةَ[4].

والرَّابع: يُصيبون مَا يحبُّونَ، رُوي عنْ أبي عُبيدةَ أيْضًا أنَّه قالَ: المعتصِرُ: الَّذي يُصِيب الشَّيْءَ ويأخذُهُ، ومنْهُ هذهِ الآيةُ[5]، ومنْه قوْلُ ابنِ أحْمرَ [من السريع]:

---

(١) في الأصل: النجاة، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (ج): منجاةً، بدل: المنجاة.

(٢) البيت لأبي زُبيد الطَّائي في ديوانه (ص: ٤٤)، وتفسير الطبري، والتفسير البسيط (١/ ١٦٨)، ولابن قلد الطَّائي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٨)، جمهرة أشعار العرب؛ لأبي زيد القرشي (ص: ١٣٨)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣١٣)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٣٤٥)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٢/ ١٤) (عصر)، والمنجود: المكروب.

(٣) البيت لعدي بن زيد في ديوانه (ص: ٩٣)، والأغاني (٢/ ٩٤)، والحيوان (٥/ ١٣٨- ٥٩٣)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، وجمهر اللغة (٢/ ٧٢١).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٣).

(٥) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد (٤/ ٤٤٧).

فَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرُبَّانِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مُعْتَصَرُ[1]

والخامِس: يعطُونَ ويفضِلونَ لِسعَةِ عيْشِهِم، رَواه ابْنُ الأنْبارِيِّ عنْ بعْضِ أهْلِ اللُّغةِ[2]. وقرَأ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: «يُعْصَرُونَ» بضمِّ الياءِ وفتْحِ الصَّادِ[3].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أرادَ: يُمطَرُون مِنْ قوْلِه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥٠ - ٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾.

قالَ المفَسِّرونَ: لمَّا رجَعَ السَّاقِي إلى الملِكِ وأخْبرَه بتأْوِيلِ رُؤيَاهُ، وقَعَ فِي نفْسِه صِحَّةَ مَا قالَ، فقَالَ: ائْتُونِي بالَّذِي عبَّرَ رُؤْيايَ، فجاءَهُ

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ٦١)، وفيه: «مقتفر» بدل: «معتصر»، وأمالي القالي (١/ ٢٤٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٨٣)، (٤/ ٣٤٤)، ومجمل اللغة (٢/ ٤٥٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٤٦١) (عصر)، وبلا نسبة في المخصص (١٢/ ٢٣٢)، يقال: افعَلْ ذلك الأمرَ برُبَّانِهِ -مضمومة الرَّاء-؛ أي: بحِدْثانِهِ وجِدَّتِهِ وطَراءَتِه.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).

(٣) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، والمحتسب (١/ ٣٤٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨).

الرَّسُولُ، فقالَ: أجِبِ الملِكَ، فأبَى أنْ يَخْرُجَ حتَّى تُبَيَّنَ براءتُهُ ممَّا قُذفَ[١] بِهِ، فقَال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعْنِي: الملِكَ.

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ وقرَأ ابْنُ أبِي عبْلَةَ: «النُّسوةِ» بضمِّ النُّونِ[٢]، والمعْنَى: فاسْأَلِ الملِكَ أنْ يتعرَّفَ ما شأْنُ تلْكَ النِّسوةِ وحَالِهِن لِيعْلَم صِحَّةَ بَراءَتِي، وإنَّما أشفَق أنْ يرَاهُ الملِكُ بعينِ مشْكُوكٍ فِي أمْرِه أو مُتَّهمٍ بفاحشةٍ، وأحبَّ أنْ يرَاه بعْدَ اسْتِقرَارِ برَاءتِهِ عنْدَه.

وظاهِرُ قوْلِه: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أنَّه يعْنِي: اللهَ عزَّ وجلَّ، وحكَى ابْنُ جريرٍ الطَّبَرِيُّ أنَّه أرَادَ بهِ سيِّدَه العزيزَ[٣]، والمعْنَى: أنَّه يعْلَم بَراءَتِي.

وقدْ رُوي عنْ نبيِّنَا ﷺ أنَّه اسْتحْسَنَ حزْمَ يُوسفَ عليه السَّلام وصبْرَهُ عنِ التَّسرُّعِ إلى الخُرُوجِ، فقَالَ عليه السَّلامُ: «**إنَّ الكَرِيمَ بْنَ الكَرِيمِ بْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يعقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ، لَوْ لبثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لأَجَبْتُ**»[٤].

---

(١) في (ف)، و(م): قُرِف.

(٢) ذكر ابن عطية أنها قراءة أبي بكر عن عاصم، وأبي حيوة، وليست من طرق التيسير، بل من رواية البرجمي والشموني عن الأعشى عنه، انظر: تفسير الكشف والبيان (٥/ ٢٢٨)، وجامع البيان (٣/ ١٢٣١)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٧٦)، وزاد نسبتها لأبي حيوة، وابن عبلة، والقراءة بالكسر هي المتواترة.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٣٧).

(٤) رواه الترمذي (٣١١٦)، وقال: حسن، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٥٤)، والحاكم في المستدرك (٣٣٢٥)، وغيرهم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث الزهري، عن سعيد وأبي عبيد، عن أبي هريرة: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف فقط».=

وفي ذكْرِه للنِّسوةِ دُون امْرَأةِ العَزِيز أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه خلطَهَا بالنِّسوة؛ لحُسنِ عِشرَةٍ فيهِ وأدَبٍ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والثَّاني: لأنَّها زوْجةُ ملِكٍ، فصَانَهَا.

والثَّالث: لأنَّ النِّسوةَ شَاهدَاتٌ عليْهَا لَهُ.

والرَّابع: لأنَّ فِي ذكْرِه لهَا نوْعُ تُهمةٍ، ذكرَ الأقْوَالَ الثَّلاثَةَ الماوردِيُّ(٢).

قالَ المفَسِّرونَ: فرَجَع الرَّسُول إلى الملِكِ برِسالةِ يُوسفَ، فدَعَا الملِكُ النِّسوةَ، وفيهِنَّ امْرأةُ العَزيزِ، فقَالَ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾؛ أي: مَا شأْنُكُنَّ [٤٠٤/ ب] وقِصَّتكُنَّ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾.

=وأخرج البخاري تعليقًا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله». صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام وفي الجاهلية. هذا وقد أخرج البخاري برقم (٣٣٨٣) حديث أبي هريرة موصولًا بسياق آخر، ولفظ قال: سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألونني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». هذا وقد وافق الذهبي على تصحيح الحاكم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٥).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٣٤).

فإنْ قِيلَ: إنَّما رَاودَتْه واحِدةٌ، فلِمَ جَمعهُنَّ؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه جمعَهُنَّ في السُّؤالِ لِيُعْلمَ عيْن المراودَةِ.

والثَّاني: أنَّ أُزلَيْخَا[١] رَاودَتْهُ عَنْ[٢] نفْسِه، ورَاودَه[٣] باقِي النِّسوةِ علَى القَبُولِ منْهَا.

والثَّالث: أنَّه جمَعَهُنَّ في الخِطَابِ، والمعْنَى لواحدةٍ منْهُنَّ؛ لأنَّه قد يوقَعُ علَى النَّوعِ وصْفُ الجنسِ (إذا أُمِنَ [مِنَ][٤] اللَّبسِ)[٥]، يدلُّ عليْهِ قوْلُ النَّبيِّ ﷺ للنِّساءِ: «**إِنَّكُنَّ أكْثَرُ أهْلِ**[٦] **النَّارِ**»[٧]، فجمَعَهُنَّ في الخِطَابِ والمعْنَى لِبعْضِهِنَّ، ذكَرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: قرَأَ الحسَنُ بتسْكِينِ الشِّينِ، ولا اخْتِلافَ بيْنِ النَّحْويينَ أنَّ الإسْكانَ غيْرُ جائِزٍ؛ لأنَّ الجمْعَ بيْنَ ساكِنَيْنِ لا يجُوزُ، ولَا هو مِنْ كلَامِ

---

(١) في (ج): زليخا.

(٢) في (ج)، و(ف): على.

(٣) في (ج): وراودته.

(٤) من سائر النسخ، عدا (ج).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٦) في (ج): أصحاب.

(٧) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٠٤).

(٨) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٦) عن ابن الأنباري.

العـرَبِ، فأعْلَـم النِّسـوةُ الملِـكَ بـراءَةَ يُوسُـفَ مِـنَ السُّـوءِ، فقَالَـتِ امْـرأةُ العَزِيـزِ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: بـرزَ وتَبـيَّنَ، واشْـتِقاقُه فِي اللُّغـةِ مِـنَ الحِصَّـةِ؛ أي: بانَـتْ حِصَّـةُ الحَـقِّ وجِهتُـه مِـنْ حِصَّـةِ جِهـةِ البَاطِـلِ[١].

وقـالَ ابْنُ القَاسِـمِ: «حَصْحَصَ» بمعْنَى: وضَحَ وانْكشـفَ، تقُـولُ العرَبُ: حصْحَـصَ البَعِيرُ في بُروكِـهِ: إذَا تمكَّن، وأثَّـرَ فِي الأرْضِ، وفرَّق الحَصَى[٢].

ولِلْمُفسِّرينَ فِي ابْتدَاءِ أُزلَيْخَا[٣] بالإقْرَارِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا لمـا رأتِ النِّسـوةَ قـدْ برَّأْنَـهُ[٤]، قالَـتْ: لم يبْـقَ إلَّا أنْ يُقْبِلْـنَ عـليَّ بالتَّقْريـرِ، فأقـرَّتْ، قالَـهُ الفـرَّاءُ[٥].

والثَّاني: أنَّها أظهرَتِ التَّوبةُ وحقَّقتْ صِدقَ يُوسُفَ، قالَهُ الماوردِيُّ[٦].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: «ذلِكَ» بمعْنَى: هذَا[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٧)، وانظر: تهذيب اللغة (١/ ٨٣٥).

(٣) في (ج): زليخا.

(٤) في الأصل: برأته، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٨).

(٦) النكت والعيون (٣/ ٤٧).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠).

وقَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ[١]: قَالَ اللُّغويُّونَ: «هـذَا» و«ذلِك» يصلُحانِ فِي هذَا المَوْضِعِ وأشْبَاهِه؛ لِقُرْبِ الخبَرِ مِن أصْحابِه، فصَارَ كالمشَاهَدِ الَّذِي يُشار إليْهِ بهـذَا، ولَمَّا كانَ مُتقضيًا[٢]، أمْكنَ أنْ يُشارَ إليْه بذَلِك؛ لأنَّ المقتضي كالغائِبِ.

واخْتلَفُوا في القائِلِ لهذا علَى ثلاثةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه يُوسفُ، وهـذَا[٣] [مِن][٤] أغْمَضِ ما يأْتِي مِنَ الكَلَامِ أنْ تحْكِيَ عنْ شخْصٍ شيْئًا ثُمَّ تصلُه بالحكايةِ عنْ آخَرَ.

ونظِيرُ هـذَا قوْلُه: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] هـذا قوْلُ الملأ، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: قوْلُ فرعونَ. ومثْلُه: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤] هـذا قوْلُ بلقِيس، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: قوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ. ومثْلُه[٥]: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] هـذَا قوْلُ الكُفَّار، فقَالَتِ الملائِكةُ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وإنَّما يجُوزُ مثْلُ هـذَا فِي الكلامِ؛ لِظُهورِ الدّلالَةِ علَى المعْنَى.

واخْتلَفُوا، أيْنَ قالَ يُوسُفُ هذَا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه لَمَّا رجَعَ السَّاقِي إلى يُوسفَ فأَخْبرَهُ وهوَ فِي السِّجنِ

---

(١) الأضداد (ص: ٤١٧)، وإيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٢٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٩).

(٢) في الأصل: منقضيًا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ف): وهو.

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في (ج): وقوله تعالى.

بِجوَابِ امْرأةِ العَزيزِ والنِّسوةِ للملِكِ، قالَ: حينئذٍ: ﴿[ذَٰلِكَ][(١)] لِيَعْلَمَ﴾ رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٢)]، وبهِ قالَ ابْنُ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّه قالَه بعْدَ حُضورِه مجْلِسَ الملِكِ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾؛ أي: ذلِك الَّذي فعلْتُ مِن ردِّي رَسُولَ [٤٠٥/أ] الملِكِ؛ ﴿لِيَعْلَمَ﴾.

واخْتلَفُوا في المشَارِ إليْهِ بقوْلِه: ﴿لِيَعْلَمَ﴾، وقوْلِه تعَالى: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ علَى أرْبعةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه العَزيزُ، والمعْنَى: لِيعْلَمَ العَزيزُ أنِّي لم أخنْهُ في امْرأتِه ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: إذَا غابَ عنِّي، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٣)]، وبهِ قالَ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّ المشَارَ إليْهِ بقوْلِه: [﴿لِيَعْلَمَ﴾ الملِكُ، والمشَارَ إليْهِ بقوْلِه][(٤)]: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ العَزيزُ. والمعْنَى: لِيعلَمَ الملِكُ أنِّي لمْ (أخُنِ العَزيزَ في أهْلِه بالغيْبِ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٥)].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٠) من رواية الكلبي عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤١) (١٩٤٢٦).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤١) (١٩٤٢٧).



والثَّالث: أنَّ المشارَ إليْهِ بالشَّيْئَين الملِكُ، فالمعْنَى: لِيعْلَمَ الملِكُ أنِّي لم)[١] أخُنْهُ، يعْنِي: الملِكَ أيْضًا بالغَيْبِ.

وفي وجهِ خِيانةِ الملِك فِي ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: لِكوْنِ العزِيزِ وزِيرَهُ، فالمعْنَى: لم أخُنْهُ فِي امْرأةِ وزِيرِهِ، قالَهُ ابْنُ الأنْبارِي[٢].

والثَّاني: لم أخُنْهُ في بنْتِ أُخْتِه، وكانتْ أُزليْخا بنْتَ أُخْتِ الملِكِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

والرَّابعُ: أنَّ المشارَ إليْهِ بقوْلِه: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ اللهُ عزَّ وجلَّ، فالمعْنَى: لِيعْلَم اللهُ أنِّي لم أخُنْهُ، رُوي عَنْ مُجاهِدٍ[٣]، قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: نسَبَ العِلْمَ إلى اللهِ تعَالى فِي الظَّاهِرِ، وهوَ فِي المعْنَى للمخْلُوقِينَ، كقوْلِه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

فإنْ قِيل: إنْ كانَ يُوسفُ قالَ هذَا فِي مجْلسِ الملِكِ، فكيْفَ قالَ: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ ولمْ يقُلْ: لِتَعْلَم، وهوَ يُخاطبُه؟.

فالجوَابُ: أنَّا إنْ قُلنا: إنَّه كانَ حاضِرًا عنْدَ الملِكِ، فإنَّما آثَرَ الخِطابَ باليَاءِ توْقِيرًا للملِكِ، كمَا يقُولُ الرَّجلُ للوزِيرِ: إنْ رَأى الوزِيرَ أنْ يوقِعَ فِي قصَّتِي.

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ج)، و(ف).

(٢) الأضداد (ص: ٤١٨).

(٣) تفسير سفيان الثوري (ص: ١٤٣) عَنْ لَيْثٍ عن مجُاهِدٍ فِي قوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قَالَ: لِيَعْلَمَ اللهُ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بِالْغَيْب.

وإنْ قلْنا: إنَّه كانَ غائِبًا، فلَا وجْهَ لِدُخولِ التَّاءِ، وكذلِكَ إنْ قُلْنَا: إنَّه عنِي العَزيز، والعزيزُ غائِبٌ عنْ مجلسِ الملِكِ حينئذٍ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه قوْلُ امْرأةِ العَزيزِ، فعَلى هذَا يتَّصِل بِمَا قبْلَه، **والمعْنَى:** لِيعلَمَ يُوسفُ أنِّي لم أَخُنْهِ (في غيبتِه الآنَ بالكذِبِ عليْهِ.

والثَّالث: أنَّه قوْلُ العزيزِ، **والمعْنَى:** لِيعلَمَ يُوسفُ أنِّي لم أَخُنْهُ)[1] بالغَيْبِ، فلَمْ أغْفلْ عنْ مجازَاتِه علَى أمَانتِهِ، حكَى القوْلَيْنِ الماوردِيُّ[2].

قوْله تعَالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لا يصوِّبُ عمَلَ الزُّناةِ[3]، وقالَ غيْرُه: لا يُرشِدُ مَن خانَ أمَانَتَه ويفضحُه في عاقبتِهِ.

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٤٧).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٩).

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣ - ٥٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ في القائِلِ لهذَا ثلاثةُ أقْوالٍ: وهيَ الَّتي تقدَّمَتْ في الآيةِ قبْلَها. فالَّذين قالُوا: هوَ يُوسفُ.

اخْتلفُوا في سبَبِ قوْلِه لِذلِكَ علَى خمْسةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه لَمَّا قالَ: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ غمَزَهُ جِبْريلُ عليه السلام، فقَال [له][1]: ولا حِينَ همَمْتَ؟ فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾، رَواه عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2]، وبه قالَ الأكْثَرُون.

والثَّاني: أنَّ يُوسفَ لَمَّا قالَ: ﴿ لَمْ أَخُنْهُ ﴾، ذكر أنَّه قد همَّ بها فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ روَاه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالثُ: أنَّه لَمَّا قالَ ذلِك، خافَ أن يكونَ قد زكَّى نفْسَه، فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ قالَهُ الحسَنُ.

---

(١) من (ج).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٤٣-١٤٤) (١٩٤٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٨) (١١٦٩٨) من طريق سماك عن عكرمة، عن عبَّاس، قال: هذا قول يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فغمزه جبريل، فقال: ولا حِينَ همَمْتَ؟ فقال: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾، ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٦) (١٩٤٤٥)، من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه لَّما قالَهُ[١]، قالَ له الملِكُ الَّذي معَهُ: اذْكُرْ ما همَمْتَ [٤٠٥/ب] بهِ، فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ قالَهُ قتادَةُ.

والخامِس: أنَّه لَّما قالَهُ، قالتِ امْرأةُ العزيزِ: ولَا يوْمَ حللْتَ سرَاويلَكَ؟ فقالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ قالَهُ السُّدِّيُّ.

والَّذِين قالُوا: هذا قوْلُ امْرأةِ العَزيزِ، فالمعْنَى: ومَا أبرئ نفْسِي أنِّي كنت راودتُهُ.

والذين قالوا: هو العزيز، فالمعْنى: وما أبرئ نفْسِي مِن سُوء الظَّنِّ بيُوسفَ؛ لأنَّه قد خطر لي.

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾.

قرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأهْلُ الكُوفةِ، ويعْقُوبُ إلَّا رُويسًا: «بالسُّوءِ إلَّا» بتحقِيقِ الهمْزَتَيْنِ. وقرَأَ أبو عمْرٍو، وابْنُ شُنبوذ عنْ قُنبلٍ بتحْقِيقِ[٢] الثَّانيةِ وحذْفِ الأُولى، ورَوى نظِيفٌ[٣] عنْ قُنبلٍ بتحْقِيقِ[٤] الأُولى وقلْبِ الثَّانِية ياءً.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في الأصل: بتخفيف، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) هو نظيف بن عبد الله، أبو الحسن الكسروي نزيل دمشق مولى بني كسرى الحلبي، مقرئ كبير مشهور، أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد اليقطيني، وموسى بن جرير النحوي، وأبي العباس الأشناني، وقرأ أيضًا على أبي الحارث محمد بن أحمد الرقي، وعلى قنبل في قول جماعة من المحققين، وقيل: بل على اليقطيني عن قنبل، قلت: وقراءته على قنبل تحتمل. قال الحافظ أبو عبد الله: كان من كبار القراء قلت: وقد انفرد عنه الهذلي بتقديم البسملة على التكبير، لم يروه أحد سواه. انظر: معرفة القراء (١/ ٢٤٥)، وغاية النهاية (٢/ ٣٤٢).

(٤) في الأصل: بتخفيف، والمثبت من سائر النسخ.

وقـرَأ أبو جعْفـرٍ، وورْشٌ، ورُويـسٌ بتحْقِيـقِ الأُولى وتلْيين الثَّانِيـة بيْن بيْنَ؛ مثْـلُ: «السُّـوء عِـلَّا». ورَوى ابْـنُ فُليـح[١] بتحْقِيـقِ الثَّانيـةِ وقلْـبِ الأُولى واوًا، وأدغَمَهَـا في الـوَاوِ الَّتِي قبْلَها، فتصِير واوًا مكسـورةً مشـدَّدةً قبْلَ همْـزةِ: «إلَّا»[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: قـالَ اللُّغويُّـونَ: هـذَا اسْـتثناءٌ مُنقطِـعٌ، والمعْنَـى: إلَّا أنَّ رحمـةَ ربِّي عليْهَـا المعتمـد[٣].

قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: المعْنَى: إلَّا مَنْ عصِمَ ربِّي[٤].

وقِيـلَ: «مَـا» بمعْنَـى: «مَـنْ»، قـالَ المـاورديُّ: ومَـنْ قـالَ: هـو قـوْلُ امْـرأةِ العزيـزِ[٥]، فالمعْنَـى: إلَّا مَـنْ رحِـمَ ربِّي فِي قهْـرِه لِشـهوَتِه، أو في نزعِهـا عنْـهُ. ومَـنْ قـالَ: هـو قـوْلُ العزيـزِ، فالمعْنَـى: إلَّا مَـنْ رحِـمَ ربِّي بـأنْ يكفِيَـه سـوءَ الظَّـنِّ، أو يثبِّتَـه، فـلا يعجـل.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: والقوْلُ بأنَّ هذَا قوْل يُوسفَ، أصَحُّ لِوجهَيْن[٦]:

---

(١) عبـد الوهـاب بـن فليـح بـن ريـاح، أبـو إسـحاق المكـي، إمـام أهـل مكـة في زمانـه، صـدوق، أخـذ القـراءة عرضًـا وسـماعًا عـن داود بـن شـبل، عـرض عليـه إسـحاق بـن أحمـد الخزاعي، توفي سـنة خمسـين ومائتـين، انظـر: غايـة النهايـة (١/ ٤٨٠).

(٢) انظر القراءات السابقة في: جامع البيان (٣/ ١٢٣١).

(٣) ذكَرَ قوْلَ ابن الأنباري الواحِديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٢).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٩).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٨).

(٦) في (ج): الوجهين.

أحدُهما: لأنَّ العُلماءَ عليْهِ.

والثَّاني: لأنَّ المرأةَ كانتْ عابِدةَ وثَنٍ، وما تضمنتْهُ الآيةُ، أليقُ أنْ يكُونَ قوْلُ يُوسفَ مِن قوْلِ مَن لا يعرِفُ اللهَ تعَالى.

وقالَ المفَسِّرُونَ: فلـمَّا تبيَّن للملكِ[١] عـذْرَ يُوسفَ وعرفَ[٢] أمانَتَه، قالَ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾؛ أي: أجعلْه خالِصًا لي، لا يُشركني فيهِ أحَدٌ.

فإنْ قيلَ: فقد رويْتُم في بعْضِ ما مضَى أنَّ يُوسفَ قالَ في مجْلِس الملِكِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فكيْفَ قالَ الملِكُ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ وهوَ حاضِرٌ عنْدَه؟.

فالجوَابُ: أنَّ أرْبابَ هذَا القوْلِ يقُولُونَ: أمَرَ الملِكُ بإحْضارِه ليُقلِّدَه الأعمالَ في غيْرِ المجلِسِ الَّذي استحضَرَهُ فيهِ لِتعبيرِ الرُّؤْيا.

قالَ وهْبٌ: لَمَّا دخَلَ يُوسفُ علَى الملِكِ، وكانَ الملِكُ يتكَلَّم بسبْعِينَ لِسانًا، كان كلَّما كلَّمَهُ بلِسانٍ، أجابَهُ يُوسفُ بذلِك اللِّسانُ، فعجِبَ الملِكُ، وكان يُوسف يومئذٍ ابْنَ ثلاثينَ سنَةً، فقَالَ: إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمعَ رُؤيَاي منْكَ شفَاهًا، فذكرَها له، قالَ: فما تَرى أيُّها الصَّدِيقُ؟ قالَ: أرَى أنْ تزْرعَ زرْعًا كثِيرًا في هذِه السِّنينَ المخْصَبةِ، وتجمَعَ الطَّعامَ، فيأتِيك النَّاسُ فيمْتَارُون، وتجْمعَ عندَك مِنَ الكُنوزِ ما لم يجتمِعْ لأحَدٍ، فقَال الملِكُ: ومَن لِي بهذَا؟ قالَ يُوسفُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[٣]. [٤٠٦/أ]

---

(١) في (ف): الملك.

(٢) في (ف): وعلِم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٧- ٤٩).



قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ويُرِيدُ بقوْلِه: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؛ أي: قدْ مكنْتُكَ[1] في مُلْكِي وائْتَمنْتُكَ فيه[2].

وقالَ مُقاتل: المكِينُ: الوجِيهُ، والأمِينُ: الحافِظُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ﴾؛ أي: خزائنِ أرْضِكَ.

وفِي المرادِ بالخَزائِنِ قوْلَانِ:

أحدُهما: خزَائِنُ الأمْوَالِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ[4].

والثَّاني: خزَائِنُ الطَّعامِ فحسْبُ، [قالَه ابْنُ السَّائِب][5].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما سأَل ذلِك؛ لأنَّ الأنبياءَ، بُعِثوا بالعدْلِ، فعلِم أنَّه لا أحدَ أقوَمُ بذلك منه[6].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: حفِيظٌ لما ولَّيْتنِي، عليمٌ بالمجاعَةِ متى تكونُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في الأصل: مكنتكه، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٦).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ، وعزا الماوردي هذا القول إلى شيبة بن نعامة الضبي، انظر: النكت والعيون (٣/ ٥٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٦).

والثَّاني: حفيظٌ لِمَا استوْدَعْتَنِي، عليمٌ بهذِه السِّنين، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالألْسُن، قالَه السُّدِّيُّ.

وذلك أنَّ النَّاس كانوا يرِدُون على الملِكِ مِن كُلِّ ناحيةٍ فيتكلَّمُون بلغاتٍ مختلفةٍ.

واخْتَلَفُوا هل ولَّاه الملِكُ يومئذٍ، أمْ لَا؟ على ثلَاثةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ولَّاه بعْدَ سنَةٍ.

رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، عنْ رسُولِ اللهِ -ﷺ- أنَّه قالَ: «**رَحِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ، لَوْ لَمْ يقُلْ: اجْعلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، لَاسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، ولَكِنَّهُ أَخَّرَ ذلِكَ سنَةً**»[١].

وذكَرَ مُقاتلٌ أنَّ النَّبِي ﷺ قالَ: «**لَوْ أنَّ يُوسُفَ قَالَ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى لَمَلَكَ مِنْ وقْتِهِ**»[٢].

قالَ مُجاهِدٌ: أَسْلَمَ الملِكُ علَى يدِ يُوسُفَ[٣].

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥١- ٥٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٨)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٥١) كلاهما من طريق الثعلبي، وعلقه الواحدي في التفسير البسيط، فقال: روى جويبر عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس... فذكره. قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف؛ للزيلعي (٤/ ٩٠): أخرجه الثعلبي عن ابن عبَّاس من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضَّحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. وإسحاق بن بشر ضعيف جدًا.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٢).



وقالَ أهْلُ السِّيرِ: أقَامَ في بيْتِ الملِكِ سنَةً، فلَمَّا انْصرَمَتْ[١]، دعاه الملِكُ، فتوَّجَه، وَرَدَّاهُ[٢] بسيْفِه، وأمرَ لَه بسَريرٍ مِن ذهبٍ، وضرَبَ عليه كِلَّةً[٣] مِن إسْتبرق، فجلَسَ على السَّريرِ كالقمَرِ، ودانَتْ لَهُ الملُوكُ، ولزِم الملِكُ بيتَه، وفوَّض أمْرَه إليْهِ، وعزَل قِطفيرَ عمَّا كانَ عليْهِ، وجعَل يُوسفَ مكانَه، ثم إنَّ قِطفيرَ هلَكَ في تلْكَ اللَّيالي، فزوَّج الملِكُ يُوسفَ بامْرأةِ قِطفيرَ، فلمَّا دخَل عليْهَا، قالَ: ألَيْس هذا خيرًا ممَّا تُريدِينَ؟ فقَالَتْ: أيُّها الصِّدِّيقُ لَا تَلُمْنِي، فإنِّي كُنْتُ امْرأةً حسناءَ في مُلكٍ ودُنيا، وكان صَاحِبي لا يأْتِي النِّساءَ، فغلبتْنِي نفْسِي، فلمَّا بنَى بهَا يوسفُ عليه السَّلام وجدَها عذْرَاءَ، فولدتْ له ابْنَيْنِ: إفراييم، وميشا، واسْتوسَقَ له مُلكُ مِصْرَ[٤].

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه ملَّكَه بعْد سنةٍ ونصفٍ، حكَاه مُقاتِلٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّالث: أنَّه سلَّم إليه الأمْرَ مِن وقْتِه، قالَه وهْبٌ، وابْنُ السَّائب.

فإنْ قيلَ: كيْفَ قالَ يُوسُفُ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ولم يقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ؟.

فعنْهُ ثلَاثةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّ ترْكَ الِاسْتِثناءِ أوْجبُ عُقوبةً بأن أخَّر تمليكَهُ، على ما ذكرْنَا عنِ النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) في الأصل: انصرفت، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (ج): انصرم.

(٢) أي: قلَّده به.

(٣) الكِلَّة: ستر رقيق، يخُاط كالبيت، يُتوقَّى فيه من البق. انظر: الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٨١٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥١)، وذكره الثعلبي (١٥/ ٥٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠).

والثَّاني: أنَّه أضْمرَ الاِسْتثناءَ، كما أضْمَرُوه في قوْلِهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.

والثَّالث: أنَّه أراد أنَّ حفْظِي وعلْمِي يزِيدَانِ على حفْظ غيْرِي [٤٠٦/ب] وعلْمِه، فلم يحتجْ هذَا إلى اسْتثناءٍ[1]؛ لِعدَمِ الشَّكِ فيهِ، ذكرَ هذِه الأقْوالَ ابْنُ الأنْبَاري[2].

فإنْ قِيلَ: كيْف مدَح نفْسَه بِهذَا القوْلِ، ومَنْ شأْنِ الأنْبياءِ والصَّالحين التَّوَاضعُ.

فالجوابُ: أنَّه لَمَّا خلَا مدْحُه لنفْسِه مِن بغيٍ وتكبُّرٍ، وكان مُرادُه بهِ الوُصولَ إلى حَقٍّ يُقِيمُه وعدلٍ يُحْيِه وجوْرٍ يُبطلُه؛ كان ذلِكَ جميلًا جائزًا، وقدْ قالَ نبِيُّنا صلوات الله عليه: «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّه**»[3]. وقد[4] قالَ علِيُّ [بْنُ أبي طَالِبٍ][5] عليْهِ السَّلامُ: «واللهِ مَا مِنْ آيةٍ إلَّا وَأنَا أعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نزَلَتْ، أمْ بِنهَارٍ»[6]. وقالَ ابْنُ مسْعُودٍ: «لَوْ أعْلَمُ أحدًا أعْلمَ بكِتابِ

---

(١) في (ج)، و(ف): إلى الاستثناء.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٦).

(٣) أخرج الدارمي (٤٨)، والترمذي (٣٦١٠)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٤) من طريق الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواءُ الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر».

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) من (ف).

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٣٨) من طريق معمر، عن وهب بن أبي دبّي، عن أبي الطّفيل، عن عليّ. وإسناده صحيح، ورجاله ثقات جميعًا.



اللهِ مِنِّي تبْلُغُه الإِبِلُ لَأَتَيْتُه»[١].

فهذِه الأشْياءُ، خرَجَت مخْرَجَ الشُّكرِ للهِ، وتعْرِيف المستفيد مَا عنْد المفيدِ، (ذكَرَ هذَا)[٢] مُحمَّدُ بْنُ القَاسِم.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى[٣]: وفي قصَّةِ يُوسفَ دِلالَةٌ[٤] علَى أنَّه يجُوزُ للإنْسانِ أنْ يصِفَ نفْسَه بالفضْلِ عنْدَ مَنْ لا يعْرِفُه، وأنَّه ليْس مِنَ المحْظُورِ فِي قوْلِه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

فِي الكلَام محْذُوفٌ، تقْدِيرُه: اجْعلْنِي علَى خزَائنِ الأرْضِ، قالَ: قدْ فعَلْتُ، فحذَفَ ذلِك؛ لأنَّ قوْلَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يدلُّ عليْهِ.

والمعْنَى: ومثْلُ ذلِك الإنْعَامِ الَّذي أنعمْنَا عليهِ في دفْعِ المكْرُوه عنْهُ، وتخْلِيصِه مِنَ السِّجن، وتقرِيبِه مِنْ قلْبِ الملِكِ، أقْدرْنَاهُ علَى مَا يُرِيد فِي أرْضِ مِصْر ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ينْزِلُ حيْثُ أرَادَ[٥].

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، والمفضَّلُ: «حَيْثُ نَشَاءُ» بالنُّونِ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٥٠٠٢)، ومسلم حديث رقم (٢٤٦٣).

(٢) في (ج): هذا قول.

(٣) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٤٦٤).

(٤) في (ج)، و(ف): دليل.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦١) (١١٧٢٢) عن سعيد بن جبير.

(٦) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

قوْلُه تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾؛ أي: نختَصُّ بنعمَتِنا مِنَ النُّبوَّةِ والنَّجاةِ ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعْنِي: المؤمنِينَ.

يُقالُ: إنَّ يُوسفَ باعَ أهْلَ مِصرَ الطَّعامَ بأمْوَالِهم، وحُليِّهم، ومَواشِيهم، وعقارِهم، وعبيدِهم، ثُمَّ بأوْلَادِهم، ثُمَّ برقابِهم، ثُمَّ قالَ للمَلِكِ: كيْفَ ترَى صُنْعَ ربِّي عزَّ وجلَّ؟ فقالَ الملِكُ: إنَّما نحْنُ لكَ تبعٌ[1]، قالَ: فإنِّي أُشْهِدُ اللهَ وأُشْهِدُكَ أنِّي قدْ أعْتقْتُ أهْلَ مِصرَ ورَدَدْتُ عليْهِم أمْلاكَهُم. فكانَ يُوسفُ لا يشبَعُ فِي تلْكَ الأيَّامِ، ويقُول: إنِّي أخافُ أنْ أنْسَى الجائِعَ[2].

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ المعْنَى: ما نُعْطِي[3] يُوسفَ فِي الآخِرةِ، خيْرٌ ممَّا أعْطيْناه فِي الدُّنيا، وكذلِكَ غيْرُه مِنَ المؤْمِنِينَ ممَّن سلَكَ طرِيقَهُ في الصَّبْرِ.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾.

رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لمَّا فوَّضَ الملِكُ إلى يُوسفَ

---

(١) في (ف): نحن تبع لك.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٦٠).

(٣) في الأصل: يعطى، والمثبت من سائر النسخ.



أمْـرَ مِـصْرَ[١]، تلَطَّـفَ يُوسـفُ للنَّـاس، ولم يـزَلْ يدْعُوهُـم إلى الإِسْـلامِ، فآمَنُـوا بـهِ وأحَبُّـوه، فلـمَّا أصَـابَ النَّـاسَ القحْـطُ، نـزَلَ ذلِـك بـأرْضِ كَنعَـانَ، فأرْسَـلَ يعْقُـوبُ ولـدَهُ للمِـيرةِ، وذاعَ أمْـرُ يُوسـفَ فِي الآفـاقِ، وانْتَـشَر عدْلُـه ورحمَتُـه ورَأفتُـه. فقَـالَ يعْقـوبُ: يَـا بَنِـيَّ! إنَّـه قـد بلغَنِـي أنَّ بِمِـصْرَ ملِـكًا صَالحًـا، فانْطلِقُـوا إليْـهِ وأقْرِئُـوه مِنِّـي السَّـلامَ، وانْتَسِـبُوا لَـه لعلَّـه يعرِفُكُـم، فانْطَلَقُـوا [٤٠٧/أ] فدَخلُـوا عليْـهِ، فعرَفَهُـم وأنْكَـرُوه، قـالَ: مِـنْ أيْـنَ أقْبَلْتُـم؟ قالُـوا: مِـنْ أرْضِ كَنْعـانَ، ولنَـا شـيْخٌ يُقـال لـه: يعْقـوبُ، وهـوَ يُقرِئـكَ السَّـلامَ، فبَكَـى وعـصَرَ عيْنَيْـهِ، وقـالَ: لعلَّكـم جَوَاسِـيسُ جِئْتُـم تنْظُرُونَ عـوْرةَ بلَـدِي، فقالُـوا: لَا واللهِ! ولكنَّـا مِـن كنعـانَ، أصَابَنَـا الجهْـدُ، فأمَرَنَـا أبُونَـا أنْ نأتِيَـكَ، فقَـدْ بلَغَـهُ عنْـكَ (خـيْرٌ)[٢]، قـالَ: فكَـمْ أنْتُـم؟ قالُـوا: أحـدَ عـشَرَ أخًـا، وكُنَّـا اثْنَـي عـشَرَ فـأكَلَ أحدَنَـا الذِّئْـبُ، قـالَ: فمَـنْ يعْلَـمُ صِدْقَكُـم؟ ائتُـونِي بأَخِيكُـمُ الَّـذِي[٣] مِـنْ أبِيكُـمْ[٤].

ورَوى أبـو صَالِـحٍ، عـنِ ابْنِ عبَّاسٍ قـالَ: لَمَّا دَخلُـوا عليْهِ كلَّمُـوه بالعِبْرانِيةِ، فأمَـرَ التَّرجمـانَ فكلَّمَهُـم ليُشبه عليْهِـم، فقالَ للتُّرجمـان[٥]: قُـلْ لهُـم: أنْتُـم عيونٌ، بعَثَكُـم ملِكُكُـم لِتَنْظُـروا إلى أهْـلِ مِـصْر فتُخْبِرُونَـهُ فيأْتِينـا بالجُنُـودِ، فقالُـوا: لَا،

(١) في (ج): لما فوض الملك أمر مصر ليوسف.

(٢) في (ج): أنك صالح.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٥/ ٦٣)، والواحـدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ١٦١) مـن روايـة الكلبـي.

(٥) في (ف): الترجمان.

ولكنَّا قومٌ لنا أبٌ شيْخٌ كبِيرٌ، وكُنَّا اثْنَي عشَرَ، فهلَكَ مِنَّا واحِدٌ فِي الغَنَمِ، وقد خلَّفْنَا عنْدَ أبِينا أخًا لَهُ مِنْ أُمِّه، فقَالَ: إنْ كُنْتُم صادِقِين، فخلِّفُوا عنْدِي بعضَكُم رهْنًا، وائْتُوني بأَخِيكُم، فحبَسَ عنْدَه شمْعُونَ[١].

واخْتلَفُوا بماذَا عرَفَهُم يُوسفُ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه عرَفَهُم بِرؤيَتِهِم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه مَا عرَفَهُم حتَّى تعرَّفُوا إليْهِ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: لا يعْرِفُونَهُ[٢].

وفي علَّةِ كوْنِهِم لم يعْرِفُوه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم جَاءُوه مُقدِّرِينَ أنَّه ملِكٌ كافِرٌ، فلَمْ يتأمَّلُوا منْهُ ما يزُولُ بهِ عنْهُم الشَّكُّ.

والثَّاني: أنَّهُم عايَنُوا مِن زيِّهِ وحُليتِهِ ما كانَ سببًا لإِنْكارِهِم.

وقد رَوى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه كانَ لَابِسًا ثِيابَ حرِيرٍ، وفِي عُنُقِهِ طوْقٌ [مِن][٣] ذهَبٍ[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٣)، وتاريخه أيضًا (١/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٣) بنحوه عن السدِّي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤١).

(٣) من (ف)، و(م).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٦٠) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاسٍ. وانظر: الكشف والبيان (١٥/ ٦٢).



فإنْ قِيلَ: كيْفَ يخْفَى مَنْ قدْ أُعطِيَ نصْفَ الحُسْنِ، وكيْفَ يشْتبِهُ بغَيْرِه؟

فالجَـوَابُ: أنَّهُـم فارَقُـوه طِفـلًا ورَأَوْه كبِـيرًا، والأحْـوَالُ تتغَـيَّرُ، ومَـا توَهَّمُـوا أنَّـه ينَـالُ هـذِه الرُّتْبَـةَ[1].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: معْنَـى كوْنِـه أُعْطِـي نصْـفَ الحُسْـنِ، أنَّ اللهَ تعَـالى جعَـل للْحُسْـنِ غايَـةً وحـدًّا، وجعَلَـه لِمَـن شَـاءَ مِـنْ خلْقِـه، إمَّـا للملائِكـةِ، أو للْحُورِ، فجَعَـلَ لِيُوسـفَ نصْـفَ ذلِـك الحُسْـنِ، فكأنَّـه كانَ حسـنًا مُقارِبًـا لِتلـكَ الوُجُوهِ الحَسـنَةِ، وليْـس كـمَا يزْعُـم النَّـاسُ مِـنْ أنَّـه أُعْطِـي نصْـفَ الحُسْـنِ[2]، وأُعْطِـي النَّـاسُ كلُّهُـم نصْـفَ الحُسْـنِ[3].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٥٩ – ٦٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

يُقـالُ: جهـزْتُ القـوْمَ تجْهِيـزًا؛ إذَا هيَّـأتُ لهـم مـا يُصلحُهُـم. وجهـازُ البيْـتِ: متَاعُـه.

قـالَ المفَسِّرُون: حمَّـلَ لِـكلِّ رجُـلٍ منْهُـم بعِـيرًا، وقـال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾؛ أي: أُتمُّـهُ ولا أبْخَسُـهُ ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ يعْنِـي: المضِيفِـينَ، وذلِـكَ أنَّـه أحْسَـنَ ضِيافتَهُـم.

---

(١) في (ف)، و(م): المرتبة.

(٢) في (م): أعطي هذا الحسن.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٤٤٥ – ٤٤٦).

ثُـمَّ أوْعدَهُـم عـلَى تـرْكِ الإتْيَـان بأخِيهِـم، فقَـالَ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى ﴾ وفِيـه قـوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه يعْني به: فيمَا بعْدُ، وهوَ قوْلُ الأكثرِينَ. [٤٠٧/ب]

والثَّاني: أنَّه منَعَهُم الكيْلَ في الحالِ، قالَهُ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [يوسف: ٦١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ ؛ أي: نطْلُبـه منْـهُ، والمـرَاودَةُ: الاجتهـادُ في الطَّلـبِ.

وفي قوْلِه: ﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ المعْنَـى: وإنَّـا لجـاؤُوك بـهِ، وضَامِنُـونَ لـكَ المجِـيءَ بـهِ، هـذَا مذْهـبُ الكلبِـيِّ.

والثَّـاني: أنَّـه توْكِيـدٌ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[١]، فعَـلى هـذا، يكـونُ الفعْـلُ الَّـذي ضمَّنُـوه عائِـدًا إلى المـرَاوَدةِ، فيصِـحُّ معْنَـى التَّوْكيـدِ.

والثَّالـث: وإنَّـا لمُديمـونَ المطالبـةَ بـهِ[٢] لِأَبِينَـا، ومُتابعُـون المشـورةَ عليْـهِ بتوجيهِـهِ، وهـذا غَـيْرُ المـراودَةِ، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ.

فـإنْ قيـلَ: كيْـف جـازَ لِيوُسـفَ أنْ يطْلُـبَ أخَـاه، وهـوَ يعْلَـمُ مـا في ذلِـكَ مِـنْ إدْخَـالِ الحُـزْنِ عـلَى أبِيه؟.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٧).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

فعنْهُ خمْسَةُ أجْوبةٍ:

أحدُها: أَنَّه يجوزُ أنْ يكُونَ ذلِك بأمْرٍ عنِ[1] اللهِ عزَّ وجلَّ زيادَةً لِبلاءِ يعْقُوبَ لِتَعْظِيمِ[2] ثوَابِهِ، وهذَا الأظْهَرُ.

والثَّاني: أنَّه طلبَهُ لَا لِيحبِسَه، فلَمَّا عرَفَهُ قالَ: لَا أُفارِقُك يا يُوسفُ! قالَ: لا يُمكِنُني حبْسُك إلَّا أنْ أنْسبَكَ إلى أمْرٍ فظِيعٍ، قالَ: افعْلْ ما بدَا لكَ، قالَهُ كعْبٌ.

والثَّالث: أن يكونَ قصَدَ تنْبِيهَ يعْقُوبَ بذلِكَ علَى حالِ يُوسفَ.

والرَّابع: لِيتضاعفَ سُرورُ يعْقُوبَ برجُوعِ ولَدَيْهِ.

والخامس: لِيُعجِّلَ سُرورَ أخيهِ باجْتِمَاعِه معَهُ[3] قبْلَ إخْوَتِه.

قَالَ الشيخُ[4]: وكلُّ هذِه الأجْوِبةِ مدْخُولةٌ، إلَّا الأوَّلَ، فإنَّه الصَّحِيحُ، ويدلُّ عليْهِ مَا رَوينَا عنْ وهْبِ بْنِ مُنبِّهٍ، قالَ: لَمَّا جَمعَ اللهُ تعالى بيْنَ يوسُفَ ويعْقُوبَ، قالَ لَهُ يعْقُوبُ[5]: بيْنِي وبيْنَك هذِه المسافَةُ القرِيبةُ، ولَمْ تكتُبْ[6] إليَّ تُعرِّفنِي؟! فقَالَ: إنَّ جبريلَ عليه السَّلام أمَرَنِي أنْ لَا أُعرِّفَكَ،

---

(١) في (ج): من.

(٢) في (ف): ليعظم.

(٣) في (م): به.

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): قال يا بني.

(٦) في (ج): تسير.

فقَال لَـهُ: سَـلْ جِبْرِيـلَ، فسـأَلَهُ، فقَـالَ: إنَّ اللهَ تعَـالى أمـرَنِي بذلِـكَ، فقَـالَ: سَـلْ ربَّـك، فسـأَلَهُ، فقَـالَ: قُـلْ لِيعقُـوبَ: خِفْـتَ عليْـهِ الذِّئـبَ، ولم تؤمنِّـي؟.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يوسـف: ٦٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، (وابْـنُ عَامِـرٍ)[١]، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «لِفِتْيَتِـهِ»، وقـرَأَ حمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «لِفِتْيَانِهِ»[٢].

قـالَ أبـو عـلِيٍّ: الفتيـةُ جمْـع فتًـى فِي العـدَدِ القلِيـلِ، والفِتْيـانُ في الكَثِـير[٣].

والمعْنَـى: قـالَ لِغلْمَانِـه: ﴿ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ ﴾ وهـيَ الَّتِـي اشْـترَوا بهَـا الطَّعـامَ ﴿ فِى رِحَالِهِمْ ﴾، **والرَّحـل:** كُلُّ شيْءٍ يُعَـدُّ للرَّحيـلِ. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾؛ أي: لِيعرِفُونهـا[٤] ﴿ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ ﴾؛ أي: رجعُـوا ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾؛ أي: لِكـي يرجِعُـوا.

وفي مقْصُودِهِ بذلِكَ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه تخـوَّفَ أنْ لا يكُـونَ عنْـدَ أبيـه مِـنَ الـوَرِقِ مَـا يرْجِعُـون بـهِ مـرَّةً أخْـرَى، فجَعَـل دراهِمَهُـم فِي رِحالِهِـم، قالَـهُ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٣٠).

(٤) في (م): ليعرفوها.



والثَّاني: أنَّه أرادَ أنَّهُم إذَا عرَفُوها، لم يستحلُّوا إمْساكَهَا حتَّى يردُّوهَا[١]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالثُ: أنَّه استقبَحَ أخْذَ الثَّمنِ مِن والدِه وإخْوَتِه معَ حاجتِهِم إليْهِ، فردَّهُ عليْهِم مِن حيْثُ لا يعْلَمُون، سبَب ردِّه تكرُّمًا وتفضُّلًا، ذكرَهُ ابْنُ جريرٍ الطَّبْرِيُّ[٢]، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. [٤٠٨/أ]

والرَّابع: لِيعلَمُوا أنَّ طلبَهُ لِعوْدِهِم لم يكُنْ طمعًا في أمْوَالهم، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٣].

والخامِس: أنَّه أرَاهُم كرمَهُ وبرَّهُ لِيكونَ أدْعَى إلى عوْدِهِم[٤].

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٣ - ٦٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لما عادُوا إلى يعْقُوبَ، قالُوا: يا أبانَا، قدِمْنَا علَى خيْرِ رجُلٍ، أنزَلَنَا، وأكْرَمَنَا كرَامةً، لوْ كانَ رجُلًا مِنْ ولَدِ يعْقُوبَ مَا أكْرَمَنَا كرَامَتَه.

وفي قوْلِه: ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ قوْلَانِ: قد تقدَّما في قوْلِه: ﴿ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي ﴾ [يوسف: ٦٠].

---

(١) في الأصل: تردوها، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٥٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٥٦).

(٤) في (ج): رجوعهم.

فإنْ قُلْنا: إنَّه لم يكِلْ لهُم، فلفظُ «مُنِعَ» بيِّنٌ.

وإنْ قلْنَا: إنَّه خوَّفَهُم منْعَ الكيلِ؛ ففِي المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: حكَمَ عليْنَا بمنْعِ الكيْلِ بعْدَ هذَا الوقْتِ؛ كما تقُول للرَّجُلِ: دخلْتَ واللهِ النَّارَ بما فعلْتَ.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: يا أبانَا يُمْنعُ مِنَّا الكيلُ إنْ لم تُرْسلْهُ معَنَا، فنَابَ «مُنِعَ» عنْ «يُمْنَعُ»؛ كقوْلِه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣]؛ أي: يخلِدُه، وقوْلِه تعَالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦]؛ أي: وإذْ يقُول، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «نكْتَلْ» بالنُّونِ. وقرَأَ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «يَكْتَلْ» بالياءِ[2]. والمعْنَى: إنْ أرْسَلْتَه معَنَا اكْتلنَا، وإلَّا فقَدْ مُنعْنَا الكيْلَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لَا آمَنكُم (عليْهِ)[3] إلَّا كأمْنِي علَى يُوسُفَ، يُريدُ أنَّه لم ينْفعْهُ ذلِك الأمْنُ إذْ خانُوه.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «حِفظًا»، والمعْنَى: خيْرٌ حِفْظًا مِن حفظِكُم.

---

(١) ذكره عن ابن الأنباري الواحدي (١٢/ ١٦٥).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) من الأصل، و(ج).

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: «خيرٌ حافظًا» بألفٍ[1].

قال أبو عليٍّ: ونصبُه على التَّمييزِ دونَ الحالِ[2].

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف: ٦٥ - ٦٨].

قولُه تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ ﴾ يعني: أوعيةَ الطَّعامِ ﴿ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ ﴾ الَّتي حملُوها ثمنًا للطَّعامِ ﴿ رُدَّتْ ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: الأصلُ «رُدِدَتْ»؛ فأُدغمتِ الدَّالُ الأُولى في الثَّانيةِ، وبقيتِ الرَّاءُ مضمومةً.

ومَن قرأ بكسرِ الرَّاء جعلَ كسرتَها منقولةً مِنَ الدَّالِ، كما فعلَ ذلك في: «قِيلَ»، و«بِيعَ»؛ ليدُلَّ على أنَّ أصلَ الدَّالِ الكسْرُ[3].

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٣/ ١١٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٨)، وفي (ج): أنَّ الأصل الكسر.

قَوْلُه تعَالى: ﴿مَا نَبْغِي﴾ **فِي «مَا» قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها اسْتفْهامٌ، **المعْنَى:** أيُّ شيْءٍ نبْغِي وقدْ رُدَّتْ بضاعَتُنا إليْنَا.

والثَّانِي: أنَّها نافِيةٌ، **المعْنَى:** ما نبْغِي شيئًا؛ أي: لسْنَا نطْلُب منْكَ دَراهِمَ نرجِعُ بها إليْهِ، بل تكْفِينَا هذِه فِي الرُّجوعِ إليْهِ، وأرَادُوا بذلِك تطْيِيبَ قلْبِه لِيأْذَنَ لهُم بالعَوْدِ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ يعْمُرَ، والجَحْدَرِيُّ، وأبو حيْوَةَ: «مَا تَبْغِي» بالتَّاء، علَى الخِطابِ لِيعْقُوبَ[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾؛ أي: نجْلِبُ لهُم الطَّعامَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقالُ: مارَ أهْلَهُ يمِيرُهُم ميْرًا، وهوَ مائِرٌ[٢] لأهْلِه[٣]؛ إذا حمَلَ إليْهِم أقْواتَهم مِنْ غيْرِ بلَدِه[٤].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: نحْفَظُ أخانَا بِنيامِينَ الَّذِي تُرسِلُه معَنَا، قالَهُ الأكْثَرُونَ. [٤٠٨/ب]

والثَّانِي: ونحْفَظُ أخانَا شمْعُونَ الَّذِي أخَذَه رهِينَةً عنْدَه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر عزوها له في الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٧٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٤٩).

(٢) في (ج): مائرة.

(٣) في (م)، والغريب: أهله.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٩).



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾؛ أي: وقـرَ بعِـيرٍ، يعْنُـونَ بذلِـك نصِيبَ أخِيهِـم؛ لأنَّ يُوسُـفَ عليـه السَّـلام كانَ لَا يُعْطِـي الوَاحِـدَ أكْثـرَ مِـن حمْـلِ بعِيرٍ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ذلِـك كيْـلٌ سرِيـعٌ، لا حبْـسَ فيـهِ، يعْنُـون: إذَا جـاءَ معنَـا عجَّـل الملِـكُ لنَـا الكيْـلَ، قالَـهُ مُقاتِـلٌ(١).

والثَّاني: ذلِكَ كيْلٌ سهْلٌ على الَّذي نمْضِي إليْهِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّالث: ذلِك الَّذي جئْنَاكَ بهِ كيْلٌ يَسِيرٌ لا يُقْنِعُنا، قالَهُ الماوردِيُّ(٣).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾؛ أي: تُعْطُوني عهدًا أثِقُ بهِ.

والمعْنَى: حتَّى تحلِفُوا لي باللهِ ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ﴾؛ أي: لترُدُّنَّه إليَّ.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وهـذِه الـلَّامُ جـوابٌ لِمُضمـرٍ، تلْخِيصُـه: وتقُولـوا: واللهِ لتَأْتُنَّنِـي بـهِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْ يهْلَكَ جمِيعُكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنْ يُحالَ بيْنكُم وبيْنَه فلَا تقْدِرونَ علَى الإتْيَانِ به، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٥٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾؛ أي: أعْطَوهُ العَهْدَ، وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم حلَفُوا له بحَقِّ محمَّدٍ ﷺ ومنْزِلتِه مِن ربِّه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهم حلَفُوا باللهِ تعَالى، قالَهُ السُّدِّيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّهِيدُ.

والثَّاني: كفِيلٌ بالوفَاءِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لَمَّا تجهَّزُوا للرَّحيلِ، قالَ لهُم يعْقُوبُ: ﴿لَا تَدْخُلُواْ﴾ يعْنِي: مِصْرَ ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾.

وفِي المرادِ بهذَا البَابِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أرَادَ بابًا مِن أبوابِ مِصْرَ، وكانَ لِمصْرَ أرْبعَةُ أبْوَابٍ، قالَهُ الجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّه أرادَ الطُّرُقَ لَا الأبْوَابَ، قالَهُ السُّدِّي(٢)، ورَوى نحْوَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٨) (١١٧٦٨) عن السدِّي.

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠)، بلفظ: سكة واحدة.

وفيما أرادَ بذلِك ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه خافَ عليْهِمُ العينَ، وكانُوا أُولي جمالٍ[1] وقُوَّةٍ، وهذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّه خافَ أنْ يُغتالُوا لما ظَهرَ لهُم فِي أرْضِ مِصرَ مِنَ التُّهمةِ، قالَهُ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

والثَّالث: أنَّه أحبَّ أن يَلْقَوا يُوسفَ فِي خلْوةٍ، قالَهُ إبْراهِيمُ النَّخعِيُّ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾؛ أي: لن أدْفعَ عنْكُم شيْئًا قضَاهُ اللهُ، فإنَّه إنْ شاءَ أهْلَكَكُم مُتفرِّقِين، ومصداقُه في الآيةِ الَّتي بعْدَها: ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهيَ إرَادَتُه أن يكونَ دخولُهُم كذلِك؛ شفَقةً عليْهِم.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ اسْتِثناءٌ ليْسَ مِنَ الأوَّلِ، والمعْنى: لكن حاجَةً فِي نفْسِ يعْقُوب قضاهَا[2]. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿قَضَىٰهَا﴾؛ أي: أبْدَاهَا وتكَلَّم بِهَا[3].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ **فيهِ سبْعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: إنَّه حافظٌ لِمَا علَّمْناه، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠).

والثَّـاني: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ﴾ [أي](١): أنَّ دُخولَهـم مِـن أبْـوابٍ مُتفرِّقـةٍ لا [٤٠٩/أ] يُغْنـي عنهُـم مِـنَ اللهِ شـيْئًا، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالث: وإنَّه لعَامِلٌ بما علِمَ، قالَهُ قتادَةُ.

وقالَ ابْنُ الأنبارِيِّ: سُمِّي العمَلُ علمًا؛ لأنَّ العلْمَ أوَّلُ أسْبابِ العمَلِ(٢).

والرَّابع: وإنَّه لَمُتيقِّنٌ لِوعْدِنا، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامس: وإنَّه لحَافِظٌ لِوصيَّتِنا، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

والسَّـادس: وإنَّـه لَعـالمٌ بـما علَّمنَـاه أنَّـه لا يُصِيـب بنِيـه إلَّا مَـا قضَـاهُ اللهُ، قالَـه مُقاتِـلٌ(٣).

والسَّابع: وإنَّه لَذُو علْمٍ لِتعلِيمِنا إيَّاه، قالَه الفرَّاءُ(٤).

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف: ٦٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يعْنِـي(٥): إخوَتـه ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُ﴾ يعْنِـي: بِنيامِـينَ. وكانَ أخـاه لأَبِيـه وأُمِّـه، قالَـه قتَـادَةُ، وضمَّـهُ إليْـهِ وأنْزَلَـهُ معَـهُ.

---

(١) من (ج)، و(م).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٧٥) عن ابن الأنباري.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٠).

(٥) في (ج): أي.



قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال آويتُ فلانًا إليَّ -بمدِّ الألِفِ-: إذا ضمَمْتَه إليْكَ، وأويْتُ إلى بنِي فُلانٍ -بقَصْرِ الألِفِ-: إذا لجأْتُ إليْهِم[1].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم لَّما دخلُوا عليْه حبَسَهُم بالبَابِ، وأدْخَلَ أخَاه، فقَال لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فقَال: بنْيَامِينُ، قالَ: فَما اسْمُ أُمِّك؟ قالَ: رَاحِيلُ بِنتُ لَاوِي، فوَثَب إليْهِ فاعْتَنَقَهُ، فقَالَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وكذلِكَ قالَ ابْنُ إسْحاقَ: أخْبَرَه أنَّه يُوسفَ[2].

والثَّانِي: أنَّه لم يعْتَرفْ له بذلِك، وإنَّما قالَ: أنا أخوكَ مكانُ أخِيكَ الهالِكَ، قالَه وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

وقيلَ: إنَّه أجْلسَهُم كُلّ اثْنَينِ علَى مائِدةٍ، فبقِي بنْيامِينُ وحِيدًا يبْكِي، وقالَ: لوْ كانَ أخِي حيًّا لأَجْلَسَنِي معَهُ، فضمَّهُ يُوسفُ إليْهِ، وقالَ: إنِّي أرَى هذَا وحِيدًا، فأجْلسَه معَهُ على مائِدَتِه. فلمَّا جاءَ اللَّيلُ، نامَ كُلُّ اثْنَينِ على منَامٍ، فبقِي وحِيدًا، فقالَ يُوسفُ: هذَا ينَامُ معِيَ، فلمَّا خلَا بهِ. قالَ هَلْ لكَ أخٌ مِن أُمِّك؟ قالَ كانَ لِي أخٌ مِن أُمِّي فهلَك، فقَالَ: أتُحِبُّ أنْ أكُونَ أخَاك بدلَ أخِيك الهالِكِ؟ فقَال: أيُّها الملِكُ، ومَنْ يجِدُ أخًا مثْلَك؟ ولكنْ لم يلِدْكَ يعْقوبُ ولَا راحِيلُ، فبكَى يُوسفُ، وقامَ إليْهِ فاعْتَنقَهُ،

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٠) (١١٧٨٢)، عن ابن إسحاق، قال: فلما خلا به ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أنا يوسف.

وقـالَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسُـفُ ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ قـالَ قتـادَةُ: لا تـأْسَ ولَا تحْـزَنْ(١). وقـالَ الزَّجَّـاجُ: لَا تحْـزَنْ ولَا تسـتكِنْ(٢)(٣).

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: «تبتئـس»: تفْتَعِـل مِـنَ البُـؤسِ، وهـوَ الضّرُّ والشِّـدَّةُ، أي: لا يلحقَنَّـكَ بُـؤسٌ بالَّـذِي فعَلُوا(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم كانُـوا يُعَـيِّرُون يُوسـفَ وأخَـاه بعبَـادةِ جدِّهِمَـا أبِي أُمِّهِـمَا للْأصْنَـامِ، فقَـال: لَا تبْتَئِـسْ بـما كانـوا يعْمَلُـون مِـنَ التَّعِيـير لنَـا، رَوى هـذَا المعْنَـى أبـو صالِـحِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٥).

والثَّـاني: لا تحْـزَنْ بـما سـيعْمَلُون بعْـدَ هـذَا الوقْـتِ حِـينَ يُسَرِّقُونَـك، فتكُـون «كانـوا» بمعْنَـى: «يكونُـون» قـالَ الشَّـاعِر [مـن الطويـل]:

فَأَدْرَكْـتُ مَـنْ قَـدْ كَانَ قَبْـلِي وَلَمْ أَدَعْ ... لِمَنْ كَانَ بَعْـدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا(٦)

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ١٧١) (١٩٥٠٧)، وابـن أبي حاتم في تفسـيره (٧/ ٢١٧٠) (١١٧٨٣) مـن طريـق سـعيد بـن بشـير، عـن قتـادة، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٢٦) إلى أبي الشـيخ.

(٢) في (ج): تشتكي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٤) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١٧٧).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٧٨) من رواية الكلبي عن ابن عبَّاس.

(٦) البيـت لجريـر بـن عطيـة في ديوانـه (ص: ٢٦٣)، والتفسـير البسـيط (٦/ ٣٨٧)، وبـلا نسـبة في الأضـداد (ص: ٦٠)، والخزانـة (١٠/ ٣).



[٤٠٩/ب] وقالَ آخرُ [من الكامل]:

وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا ... فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ(١)

أرَاد: فقَد كانَ، وهذا مذْهَب مُقاتِلٍ.

والثَّالث: لا تحْزنْ بـما عمِلُوا مِن حسَدِنَا، وحرَصُوا على صرْفِ وجْهِ أبِينَا عنَّا، وإلى هذَا المعْنَى ذهَبَ ابْنُ إسْحاقَ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

قَالَ المفسِّرُونَ: أوْفَى لهم الكَيْلَ، وحمَّلَ «بنيامينَ» بعِيرًا باسْمِه كما حمَّلَ لهُم، وجعَلَ السِّقايَةَ فِي رحْلِ أخِيه، وهيَ(٢) الصُّواعُ، فهُما اسْمانِ وَاقِعانِ علَى شيْءٍ واحِدٍ، كالبُرِّ والحِنْطَةِ، والمائدَةِ والخِوان.

وقالَ بعضُهم: الِاسْمُ الحقِيقيُّ: الصُّواعُ، والسِّقايةُ وصفٌ، كما يُقالُ: كوزٌ، وإناءٌ، فالِاسْمُ الخاصُّ: الكُوزُ.

---

(١) البيت لزياد الأعجم وهو زياد بن سُلْمى في ديوانه (ص: ٥٤)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٧٨)، والشعر والشعراء (ص: ٢٨٠)، وأمالي المرتضى (٢/ ١٩٩- ٣٠١)، والخزانة (٣/ ١٩٢)، ونسب للصلتان العبدي في أمالي المرتضى (٢/ ١٩٩)، وبلا نسبه في تلخيص الشواهد (ص: ٥١٢).

(٢) في (ج)، و(ف).

قَالَ المُفَسِّرُون: جعَل يُوسفُ ذلِك الصَّاعَ مِكيالًا؛ لئلَّا يُكالَ بغَيْرِه. وقيلَ: كالَ لإخْوَته بذلِك؛ إكْرامًا لهم. قالوا: ولمَّا ارْتَحل إخْوةُ يُوسفَ وأمْعَنُوا، أرْسَلَ الطَّلَبَ في أَثرِهم، فأُدْرِكوا وحُبِسُوا ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَم مُعلِّمٌ، يُقال: آذَنْتُه بالشَّيْءِ، فهوَ مؤْذَنٌ بهِ؛ أي: أعْلَمْتُه، وآذَنْتُ: أكثَرْتُ الإعْلامَ بالشَّيءِ[١]، يعْنِي: أنَّه إعْلَامٌ بعْدَ إعْلامٍ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ يُريد: أهْلَ العِيرِ، فأنَّثَ؛ لأنَّه جعَلَها للعِير.

قالَ الفَرَّاءُ: لا يُقال: عِيرٌ، إلَّا لأصْحَابِ الإبِلِ[٢].

وقالَ أبو عُبيدةَ: العِيرُ: الإبِلُ المرْحُولةُ المرْكُوبةُ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: العِيرُ: القوْمُ علَى الإبِلِ[٤].

فإنْ قِيل: كيْفَ جازَ لِيوسُفَ أنْ يُسرِّقَ مَن لم يَسْرِقْ؟

فعنْهُ أربعَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: إنَّكم لَسارِقُونَ يُوسفَ حينَ قطَعْتُمُوه عنْ أبيهِ وطرَحْتُمُوه فِي الجُبِّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٨٤)، ولم أقف عليه في معاني القرآن. وقد أبطله أبو الهيثم وغيره حيث قال: وقول مَن قال: العير: الابل خاصة باطلٌ، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ١٨٠)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٣/ ١٦٨) (عير).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨٠) وعزاه إلى أبي عبيدة.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٧).



والثَّـاني: أنَّ المنادِي نـادى وهـوَ لا يعْلَـم أنَّ يُوسـفَ أمَـرَ بوضْـعِ السِّـقَايةِ فِي رحْـلِ أخِيـه، فـكانَ غـيْرَ كاذِبٍ في قوْلِـه، قالَـهُ ابْـنُ جريـرٍ[١].

والثَّالث: أنَّ المنادِي نادَى بالتَّسريقِ لهُم بغيْرِ أمْرِ يُوسفَ.

والرَّابـع: أنَّ المعْنَـى: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ فيـمَا يظْهَـرُ لمـن لم يعْلَـمْ حقِيقـةَ أخْبارِكُـم؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]؛ أي: عنْـدَ نفْسِـك، لا عنْدَنَـا، وقـوْلِ النَّبـيِّ ﷺ: «كـذَبَ إبْرَاهِيـمُ ثـلَاثَ كذِبَـاتٍ»[٢]؛ أي: قـالَ قـوْلًا يُشـبِهُ الكـذِبَ، وليْـس بـهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ﴾ يعْني: إخْوةَ يُوسفَ ﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: علَى المؤذِّن وأصْحابِه.

والثَّـاني: أقْبـلَ المنـادِي ومَـن معَـهُ عـلى إخْـوةِ يُوسـفَ بالدَّعـوى ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ مـا الَّـذِي ضـلَّ عنْكُم؟.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: الصُّـواعُ: هـوَ الصَّـاعُ بعيْنِـه، وهـو يُذكَّـر ويُؤنَّـثُ، وكذلِـك الصَّـاع يُذكَّـر ويُؤنَّـث[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٣٢٥٧- ٣٣٥٨)، ومسلم حديث (٣٢٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

وقد قرِئَ: «صُيَاعَ» بياءٍ[١]، وقُرئ: «صُوْغ» بغيْنٍ معْجمةٍ، وقُرئَ: «صُوع» بعيْنٍ غيرِ مُعجمَةٍ مع فتْحِ الصَّادِ وضمِّهَا[٢]، وقرَأَ أبو هُريرةَ: «صَاعَ الملِكِ»[٣]، وكُلُّ هذِه لُغاتٌ ترجِعُ إلى معْنى واحِدٍ، إلَّا أنَّ الصُّوغَ بالغيْنِ المعجمَةِ، مصْدرُ صُغْتُ، وُصِفَ الإنَاءُ [بهِ][٤]؛ لأنَّه كان مصُوغًا [٤١٠/أ] مِنْ ذهَبٍ.

واختلَفُوا في جنْسِه علَى خمْسةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ قدحًا مِن زبَرْجدَ.

والثَّاني: أنَّه كانَ مِن نُحاسٍ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّالث: أنَّه كانَ[٦] شربةً[٧] مِن فِضَّةٍ مُرصَّعةً بالجَوَهِرِ، قالَه عِكرِمَةُ.

والرَّابع: كانَ كأسًا مِن ذهَبٍ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، والمحتسب (١/ ٣٤٦)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٩).

(٢) قراءتان شاذتان، انظر: المصادر السابقة.

(٣) قراءة شاذة، شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٩)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٠).

(٤) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٧) (١٨٥٣٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧) إلى ابن جرير الطبري، وأبي الشيخ.

(٦) في (ف): كانت.

(٧) في (م): مشربة.

والخامِس: كانَ مِن مِسْ[1]، حكَاه الزَّجَّاجُ[2].

وفي صِفتِهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه كان مُستطِيلًا يُشبهُ المكُّوكَ.

والثَّاني: أنَّه كانَ يُشبِهُ الطَّاسَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ يعْنِي: الصُّواعَ ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعامِ ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾؛ أي: كفِيلٌ لمَن ردَّه بالحِمْلِ، يقولُه المؤذِّنُ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: ٧٣ - ٧٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «تالله» بمعْنَى: والله، إلَّا أنَّ التَّاءَ لا يُقسَم بها إلَّا فِي اللهِ عزَّ وجلَّ، ولَا يجُوز: تالرَّحمنِ لَأفعلَنَّ، ولا: تَربِّي لأفعلنَّ، والتَّاء تُبدل مِنَ الوَاوِ، كمَا قالُوا فِي ورَاثٍ: تُراث، وقالوا: يتَّزِنُ، وأصْلُه: يَوْتَزِنُ، مِنَ الوزنِ[3].

(١) كذا في معاني القرآن للزجاج، وجميع النسخ الخطية، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٣): مَسك، قال محقق إعراب القرآن: «لعله من ماس، وربما من ميس، وهو شجر عظيم». والمسك: الجلد. قلت: وفي المحكم المحيط؛ لابن سيده (٢/ ٣٠٢): مِن مِسْ. وكذلك في تاج العروس (٢١/ ٣٧٩)، وضبطه هكذا: ومِسْ، بالكسر: النُّحَاسُ، قَالَ ابنُ دُرَيدٍ: لَا أَدْرِي أَعَرَبِيٌّ هُوَ أَمْ لا، قلت: هي فارسية والسين مخففة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: أُبدلتِ التَّاءُ مِنَ الوَاوِ، كما أُبدلَتْ فِي التُّخمةِ والتُّراثِ والتُّجاهُ، وأَصْلهُنَّ مِنَ الوخمةِ والوراث والوجَاه؛ لأَنَّهُنَّ مِنَ الوَخامةِ والورَاثة والوجه، ولا تقُول العرَبُ: تالرَّحمن، كما قالوا: تالله؛ لأنَّ الاستعْمالَ فِي الإقْسام كثُر باللهِ، ولم يكثُرْ[1] بالرَّحمنِ، فجاءتِ التَّاءُ بدلًا مِنَ الوَاو في الموْضِع الَّذي يكثُرُ اسْتعْمالُه.

قوْلُه تعالَى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ يعْنُونَ: يُوسف ﴿مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: لِنظلِمَ أحدًا أو نَسرِقَ.

فإنْ قِيل: كيْفَ حلَفُوا علَى علْمِ قوْمٍ لا يعْرِفُونَهُم؟.

فالجوَابُ مِن ثلَاثةِ أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّهم قالُوا ذلك؛ لأنَّهم ردُّوا الدَّراهِمَ ولم يستحلُّوهَا، فالمعْنَى: لقد علِمتُم أنَّا ردَدْنَا عليْكُم دراهِمَكُم وهيَ أكْثرُ مِن ثمَنِ الصَّاع، فكيْفَ نستحِلُّ صاعَكُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُقاتِلٌ[2].

والثَّاني: لأنَّهم لَمَّا دخلُوا مِصر كَعَمُوا[3] أفواهَ إبِلِهِم وحمِيرِهِم حتَّى لا تتناولَ شيْئًا، وكانَ غيْرُهم لا يفْعَلُ ذلِك، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج)، و(ف): يكن.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٥).

(٣) كعم البعير يكعمه كعماً فهو مكعوم وكعيم: شدَّ فاه، وقيل: شدَّ فاه في هياجه؛ لئلاً يعض أو يأكل. مقاييس اللغة مادة: كعم.

والثَّالث: أنَّ أهْلَ مِصرَ كانُوا قدْ عرَفُوهم أنَّهُم لا يظْلِمُون أحدًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ المعْنَى: قال المنادي وأصْحابُه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ قالَ الأخْفش: إنْ شِئْتَ ردَدْتَ الكنايةَ إلى السَّارِقِ، وإنْ شِئْتَ ردَدْتَها إلى السَّرِقِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي: في قوْلِكم ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ﴿قَالُواْ﴾ يعْني: إخوةَ يُوسفَ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: يُستعبد بذلِك.

قالَ ابْنُ عبَّاس: وهذِه كانَتْ سنَّة آلِ يعْقُوبَ[2].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: انْصرَف بِهِم المؤَذِّنُ إلى يُوسفَ، وقالَ: لَا بُدَّ مِن تفْتِيشِ أمْتعَتِكُم، ﴿فَبَدَأَ﴾ يُوسفُ ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لإزالَةِ التُّهمةِ، فلمَّا وصَل إلى وعاءِ أخيه، قالَ: مَا أظنُّ هذَا أخذَ شيْئًا، فقالُوا: واللهِ لا نبْرحُ حتَّى تنْظُرَ في رحْلِه، فهوَ أطْيَبُ لنفْسِك، فلمَّا فتَحُوا متاعَهُ [٤١٠/ب]

(١) ذكر قول الأخفشِ الثعلبيُّ في الكشف والبيان (١٥/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبري في (١٦/ ١٨٣) عن ابن إسحاق والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٤) عن ابن زيد.

وجَـدُوا الصُّـواعَ[١]، فذلِـك قوْلُـه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا ﴾.

وفِي هاء الكِنايةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى السَّرِقةِ، قالَهُ الفرَّاءُ[٢].

والثَّاني: إلى السِّقاية، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٣].

والثَّالث: إلى الصّواعِ[٤] على لُغة مَن أنَّثه، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِي[٥].

قـالَ المفَـسِّرونَ: فأقْبلُـوا عـلى بنيامـين، وقالُـوا: أيُّ شيءٍ صنعْـتَ؟ فضَحْتَنَا وأزْرَيْـتَ بأبِيـكَ الصِّدِّيـقِ، فقَـالَ: وَضَـع هـذَا فِي رحْـلِي الَّـذِي وضَـعَ الدَّراهِـمَ في رِحالِكُـم، وقـد كانَ يُوسـفُ أخْـبرَ أخـاه بـما يُريـد أنْ يصْنـعَ بـهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ **فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: كذلِك صنعْنَا لَه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: احْتلْنَا له، والكيْدُ: الحِيلَةُ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٦].

والثَّالث: أردْنَا لِيُوسُفَ، ذكرَهُ ابْنُ القاسِم[٧].

---

(١) في (ج): الصاع.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٢).

(٤) في (ج): الصاع.

(٥) المذكر والمؤنث (ص: ٦).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٢٠).

(٧) الأضداد (ص: ٩٧).



والرَّابع: دبَّرنا له بأنْ ألهمْناه ما فعَل بأخيهِ لِيتوصَّل إلى حبْسِه.

قالَ ابنُ الأنباري: لما دبَّر اللهُ لِيوسُفَ ما دبَّر[1] مِن ارْتِفاعِ المنْزلةِ وكمالِ النِّعمَةِ على غيرِ ما ظَنَّ إخوتُه، شُبِّه بالكيْدِ مِن المخلُوقين؛ لأنَّهم يستُرونَ ما يكِيدُون به عمَّن يكيدُونَه[2].

قوْلُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾.

في المرَادِ بالدِّينِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه السُّلطانُ، فالمعْنَى: فِي سُلطانِ الملِكِ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: أنَّه القضَاءُ، فالمعْنَى: في قضاءِ الملِكِ؛ [لأنَّ قضاءَ الملِكِ][4] أنَّ مَن سرقَ إنَّما يُضرَبُ ويُغرَّم، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وبيانه: أنَّه لوْ أجْرى أخاه علَى حُكمِ الملِك ما أمْكنَهُ حبْسَه؛ لأنَّ حُكْم الملِكِ الغرمُ والضَّربُ فحسْبُ. فأجْرى اللهُ تعالى على ألسِنةِ إخْوَته أنَّ جزاءَ السَّارِق الاسْترقَاقُ، فكانَ ذلِك ممَّا كادَ اللهُ لِيوسُفَ[5] لُطفًا حتَّى أظْفرَهُ[6] بمُرادِه بمشيئَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فذلِكَ معْنَى قوْلِه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقيلَ: إلَّا أنْ يشاءَ اللهُ إظْهارَ عِلَّةٍ يستحِقُّ بها أخاهُ.

---

(١) في (ج): دبره.

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في (١٦/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٦).

(٤) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: له، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في الأصل: ظفره، والمثبت من بقية النسخ.

قوْلُه تعَالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾.

وقـرَأ يعْقُـوبُ: «يَرْفَـعُ [دَرَجَـاتٍ][1] مَـنْ يَشَـاءُ» باليـاءِ فيهِـمَا[2]. وقـرَأَ أهْـلُ الكُوفـةِ: «دَرجـاتٍ» بالتَّنْويـن[3]، **والمعْنَـى:** نرْفـعُ الدَّرجَـاتِ بصُنُـوفِ العَطَـاء، وأنْـواعِ الكرَامَـاتِ، وأَبْـوابِ العُلـومِ، وقهْـرِ الهـوَى، والتَّوفِيـقِ للهـدى، كـما رفعْنـا يُوسـفَ.

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾؛ أي: فـوْقَ كُلِّ ذِي علْـمٍ رفعَـهُ اللهُ بالعْلِـم مَـنْ هـوَ أعْلَـمُ منْـهُ حتَّـى ينْتهِـيَ العِلْـمُ إلى اللهِ عـزَّ وجـلَّ، والكـمالُ في العِلْـمِ معْـدُومٌ مِـن غـيْرِه.

وفي مقْصُودِ هذَا الكلام ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: يُوسفُ أعْلَمُ مِن إخْوَتِه، وفوْقَهُ مَن هوَ أعْلَمُ منْهُ.

والثَّـاني: أنَّـه نبَّه عـلى تعْظِيـم[4] العِلْم، وبـيَّن أنَّه أكْثـرُ[5] مَـن أنْ [٤١١/ أ] يُحـاطَ بهِ.

والثَّالث: أنَّه تعْلِيمٌ للعالِمِ[6] التَّواضُعَ؛ لئلَّا يُعْجبَ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٢٩٦).

(٣) قراءة سبعية، للكوفيين، كما في التيسير (ص: ١٠٤).

(٤) في (ج): تعليم.

(٥) في الأصل: أكبر، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في (ف): أنه يعلم العالم.

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩ ﴾ [يوسف: ٧٧ - ٧٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعْني: إخوةَ يُوسفَ ﴿إِن يَسۡرِقۡ﴾ يعْنُون: بنيَامِين ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يعْنُونَ: يُوسفَ.

قال المفَسِّرونَ: عُوقب يُوسفُ ثلاثَ مرَّاتٍ: قالَ للسَّاقِي: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} فلَبِثَ في السِّجنِ بِضْع سِنِين، وقالَ للعَزِيز[١]: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، فقَال له جِبريلُ عليه السلام: ولَا حِينَ[٢] همَمْتَ؟ فقالَ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾، وقالَ لإِخوتِه: ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾، فقَالُوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾.

وفيما عنوا بِهذِهِ السَّرقَةِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كان يسرِقُ الطَّعام مِن مائدَةِ أبِيه فِي سِنِي المجاعَةِ، فيُطعِمُه المساكِينَ[٣]، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّاني: أنَّه سرقَ مُكحلَةً لِخالَتِه، رَواه أبو مالِكٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) في الأصل، و(ف): العزيز، والمثبت من (ج)، و(م).

(٢) في (ج): ولا يوم.

(٣) في (ج)، و(ف): للمساكين.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٣) عن عطاء عن ابن عبَّاس.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦٣) وعزاه إلى ابن المنذر عن ابن عبَّاس.

والثَّالِـث: أَنَّـه سرَقَ صنـمًا لجَـدِّه أبِي أُمِّـه، فكَـسَرَه وأَلْقـاهُ في الطَّرِيـقِ، فعَـيَّرَهُ إخْوتُـه بذلِـك، قالَـه سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ووهـبُ بْـنُ منبِّـهٍ، وقتـادَةُ.

والرَّابِـع: أنَّ عمَّـةَ يُوسـفَ -وكانَـتْ أكْـبرَ ولَـدِ إسْـحاقَ- كانَـتْ تحضُـنَ يُوسـفَ وتُحبُّـه حُبًّـا شـدِيدًا، فلـمَّا ترعْـرَعَ، طلبَـهُ يعْقُـوبُ، فقالَـتْ: مـا أقْـدرُ أنْ يغِيـبَ عنِّـي، فقَـالَ: واللهِ مـا أنَـا بتَارِكِـه، فعمِـدَتْ إلى مِنْطقَـةِ إسْـحاقَ، فربَطَتْها علَى يُوسـف تحْـتَ ثِيابِـه، ثُـمَّ قَالَتْ: لقَـد فقَـدْتُ مِنطقَـةَ إسْـحاقَ، فانْظُـروا مَن أخذَهَـا، فوجَدُوهـا مـعَ يُوسـفَ، فأخـبَرتْ يعْقُـوبَ بذلِـك[1]، وقالَـتْ: واللهِ إنَّه لي أصْنـعُ فيـهِ مَـا شـئْتُ، فقَـالَ: أنْـتَ وذَاك، فما قـدِرَ عليْـهِ يعْقُوبُ حتَّـى ماتَتْ، فـذَاكَ الَّـذِي عـيَّرَه بـه إخْوتُـه، رَواه ابْـنِ أبي نَجيـحٍ عنْ مُجاهِـدٍ[2].

والخامِـس: أنَّـه جـاءَه سـائِلٌ يوْمًـا، فـسرِقَ شـيْئًا، فأعْطـاهُ السَّـائِلَ، فعـيَّرُوه بذلِـك.

وفي ذلِك الشَّيءِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ بيْضةً، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: [أنَّه][3] شاةٌ، قالَه كعْبٌ.

---

(١) في (م): ذلك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٦) (١٩٦٠٥) عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ٣٣٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٨) (١١٨٣٧) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦٣) إلى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد.

(٣) من (م).



والثَّالث: دَجاجَةٌ، قالَهُ سُفيانُ بْنُ عُيينَةَ.

والسَّادس: أنَّ بنِي يعْقُوبَ عليه السلام كانوا علَى طعَامٍ، فنَظَر يوسُفُ إلى عرقٍ، فخبَّأَهُ، فعيَّرُوه بذلِك، قالَهُ عطيَّةُ العَوفِيُّ، وإدْرِيسُ الأَوْدِيُّ[١].

قالَ ابْن الأنْبارِيِّ: وليس في هذه الأفْعالِ كلِّها ما يُوجِب السَّرقَةَ، لكنَّها تُشبه السَّرقَةَ، فعيَّرَه إخْوتُه بذلِك عنْد الغضَبِ[٢].

والسَّابع: أنَّهُم كذَبُوا عليْه فيمَا نسَبُوه إليْهِ، قالَهُ الحسَنُ.

وقرَأ أبو رَزينٍ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «فَقَدْ سُرِّقَ» بضمِّ السِّين وكسْرِ الرَّاءِ وتشْدِيدِهَا[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾.

فِي هَاءِ الكِنايةِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ترْجِع إلى الكلمةِ الَّتِي ذُكرتْ بعْدَ هذَا، وهي قوْلُه

---

(١) عبد الله بن إدريس الأودي أبو محمد، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، شيخ الإسلام، الكوفي. حدث عن: أبيه. من الطبقة الثامنة، توفي سنة (١٩٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٤٤).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٤) ولفظه: وهو في هذه كلها غير سارق في الحقيقة لكنه أتى ما يشبه السرق، فوصفه إخوته بذلك عند الغضب على جهة التشبيه والتمثيل، وقد يوصف بالشيء على جهة التمثيل، ولا يراد به الحقيقة.

(٣) قراءة شاذة، عزاها أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٠٨) إلى أحمد بن جبير الأنطاكي، وابن أبي شريح عن الكسائي، والوليد بن حسان عن يعقوب وغيرهم: «فَقَدْ سُرِّقَ» بالتَّشديد مبنيًّا للفعول؛ بمعنى: نسب إلى السرقة.

تعَالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، رَوى هذَا المعْنَى العوْفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أنَّها ترْجِع إلى الكلِمَةِ الَّتِي قالوهَا فِي حقِّه، وهِيَ قوْلُهم: ﴿فَقَدْ [٤١١/ب] سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ وهذَا معْنى قوْلِ أبي صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

فعَلى هذا يكونُ المعْنَى: أسرَّ جوابَ الكلِمَةِ فلم يُجِبْهُم عليْهَا.

والثَّالث: أنَّها ترْجِع إلى الحُجَّةِ.

المعْنَى: فأسرَّ الاحْتجاجَ عليْهِم فِي ادِّعائِهِم عليْهِ السَّرِقةَ[٢]، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: شَرٌّ صنيعًا مِن يُوسُفَ لِمَا أقْدَمْتُم[٤] عليْهِ مِن ظُلْمِ أخيكُم وعُقوقِ أبيكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: شَرٌّ منزِلةً عنْدَ اللهِ، ذكَرَهُ الماورديُّ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٩) (١٩٦٠٨) قال: حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، يقول: أسرَّ في نفسه قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٩) (١١٨٣٩) عن محمد بن سعد به.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٤)، وفي (ج): ذكره الماوردي.

(٤) في (ج)، و(ف): قدمتم.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٦٥).



أحدُهما: تقُولُون، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: بما تكْذِبُون، قالَه قتَادَةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: واللهُ أعْلَمُ أسَرقَ أخٌ له، أمْ لَا؟[1].

وذكَرَ بعْضُ المفَسِّرِين أنَّه لَمَّا اسْتخرَجَ الصُّواعَ مِن رحْلِ أخيهِ، نقَر الصُّواعَ، ثُمَّ أدْناه مِن أُذنِه، فقَال: إنَّ صُواعِي هذَا يُخبرني[2] أنَّكُم كُنتم اثْني عشَرَ رجُلًا، وأنَّكمُ انْطلَقْتُم بأخٍ لكُم فبِعتمُوه.

فقَالَ بنيامِينُ: أيُّها الملِكُ! سَلْ صُواعَك عَنْ أخِي، أحيٌّ هوَ؟ فنقَرَهُ ثُمَّ، قالَ: هوَ حَيٌّ وسوَف ترَاهُ. فقَالَ: سَلْ صُواعَكَ، مَن جعَلَهُ في رحْلِي؟ فنقَرَهُ، فقالَ: إنَّ صُواعِي هذَا غضْبانُ، وهوَ يقُول: كيْفَ تسْألُني عنْ صاحِبِي وقدْ رأَيْتَ معَ مَنْ كنْت؟ فغضِب رُوبيلُ، فكانَ بنُو يعْقُوبَ إذَا غضِبُوا لم يُطاقُوا، فإذَا مسَّ أحَدُهُم الآخرَ ذهَب غضَبُهُ، فقَالَ: واللهِ أيُّها الملِكُ لَتترُكنا، أو لَأُصِيحَنَّ صيْحةً لا يبْقَى بمِصرَ امْرأةٌ حامِلٌ إلَّا ألْقتْ ما في بطْنِها.

فقَالَ يوسُفُ عليه السلام لابْنِه: قُم إلى جنْبِ رُوبيل فامْسَسْهُ، ففَعَل الغُلامُ، فذَهَب غضَبُهُ، فقَال رُوبيلُ: مَا هذَا؟ إنَّ في هذَا البلَدِ مِن ذرِّيَّةِ يعْقُوبَ؟ قالَ يُوسُفُ: ومَنْ يعْقُوبُ؟ فقَالَ: أيُّها الملِكُ! لَا تذْكُرْ يعْقُوبَ، فإنَّه إسْرائِيلُ اللهِ بْنُ ذَبيحِ اللهِ بْنِ خلِيلِ اللهِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٣).

(٢) في (ج): أخبرني.

فلـمَّا لم يجِـدُوا إلى خَـلاصِ أخِيهِـم سـبِيلًا، سـألُوه أنْ يأخُـذَ منْهُـم بدِيـلًا بـِـهِ، فذلِــك قوْلُــه تعــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾؛ أي: في سـنِّهِ، وقيــل: في قــدْرِهِ، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾؛ أي: تســتعبِدُه بــدَلًا عنْــهُ.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فيمَا مضَى.

والثَّاني: إنْ فعلْتَ.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ قد سبَقَ تفْسيرُه، والمعْنَى: أعوذ بالله أن نأخُذَ بريئًا بسقِيمٍ.

﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ ﴾ [يوسف: ٨٠ – ٨١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ ﴾؛ أي: يئِسُوا[1].

وفِي هاءِ «منْهُ» قوْلانِ:

أحدُهمــا: أنَّهــا ترجِــعُ إلى يُوسـفَ، فالمعْنَــى: يئِسُــوا مِــن يُوسـفَ أنْ يُخلِّـيَ سـبِيلَ أخِيهِـم.

والثَّاني: إلى أخِيهم، فالمعْنَى: يئِسُوا مِن أخِيهِم.

---

(١) في نسخة: أيسوا.

قوْلُه تعَالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾؛ أي: اعْتزَلُوا النَّاسَ ليْس معَهُم غيْرُهُم، يتناجُونَ ويتَنَاظَرُون ويتَشَاوَرُون، يُقال: قَوْمٌ نُجْيٌ، والجمْعُ أنْجِية، قالَ [٤١٢/أ] الشَّاعِر [من الرجز]:

إنِّي إذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ
وَاضْطَرَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ كَالْأَرْشِيَهْ[١]

وإنَّما وحَّد «نَجِيًّا»؛ لأنَّه يجْرِي مُجْرى المصدر الَّذي يكون للاثْنين، والجمْعِ والمؤنَّث بلفْظٍ واحدٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: انْفردُوا متناجِينَ فيما يعمَلُون في ذهابِهِم إلى أبِيهِم وليْس معَهُم أخُوهم[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه كبِيرُهُم في العقْلِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يهُوذا، ولم يكُن أكبرَهُم سِنًّا، وإنَّما كان أكبرهُم سِنًّا رُوبيل، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[٣].

---

(١) الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعي في لسان العرب (١٥/ ٣٠٨) (نجا)، وتاج العروس (نجا)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٢٣٥- ٨٠٩)، ونوادر أبي زيد (ص: ١١)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٩٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٩٩)، ومجمل اللغة (٤/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٧).

والثَّاني: أَنَّه شمْعُونُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أَنَّه كبِيرُهُم في السِّنِّ وهو رُوبيلُ، قالَه قتادَةُ، والسُّدِّيُّ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فِي حفْـظِ أخِيكُـم وردِّهِ إليْـهِ.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قـالَ الفـرَّاءُ: «مَـا» في موْضِـع رفْـعٍ، كأنَّـه قـالَ: ومِـن قبْـلِ هـذَا تفريطُكـم فِي يُوسـفَ، وإنْ شـئْتَ جعلْتَهـا نصْبًـا. المعْنَـى: ألم تعْلَمُـوا هـذا، وتعْلَمُـوا مـن قبْـلُ تفْريطَكـم فِي يُوسـفَ، وإنْ شـئْتَ جعلْـتَ «مَـا» صلـةً، كأنَّـه قـالَ: ومِـن قبْـلُ فرَّطْتـم في يُوسـفَ[1].

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا أجْودُ الوُجوهِ، أنْ تكونَ «مَا» لغْوًا[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: لـنْ أخْـرُجَ مِـن أرْضِ مِـصْر، يُقـال: بـرِحَ الرَّجُـلُ براحًـا؛ إذا تنحَّـى عـنْ موْضعِـه.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: حتَّى يبعَثَ إليَّ أنْ آتِيَه[3].

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أو يحْكُمَ اللهُ لي، فيَرُدَّ أخِي عليَّ.

والثَّاني: يحْكُمَ اللهُ لي بالسَّيفِ، فأُحارِبَ مَنْ حبَسَ أخِي.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٥).

والثَّالث: يقْضِي فِي أمْري شيْئًا.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾؛ أي: أعدَلُهم وأفْضلُهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وابْنُ أبي سُريجٍ عنِ الكِسائيِّ: «سُرِّقَ» بضَمِّ السِّينِ وتشْديدِ الرَّاء وكسْرِها[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ومَا شهِدنَا عليْهِ بالسَّرِقة إلَّا بما علِمْنَا؛ لأنَّا رأيْنَا المسْرُوقَ فِي رحْلِه، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: وما شهِدنَا عن يُوسفَ بأنَّ السَّارقَ يُؤْخذُ بسرِقَتِه إلَّا بما علِمْنا مِن دينِكَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ ثمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الغيْبَ هوَ اللَّيْلُ. والمعْنى: لم نعْلَمْ ما صنعَ باللَّيْلِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهذَا يدُلُّ على أنَّ التُّهمةَ وقَعَتْ به ليْلًا.

والثَّاني: ما كُنَّا نعْلَم أنَّ ابْنَك يسْرِقُ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنِ مجاهدٍ[2]، وبهِ قالَ عكرِمةُ، وقتادَةُ، ومكْحُولٌ.

---

(١) قراءة شاذة، عزاها ابن عطية في تفسيره (٥/ ٥١٦) إلى ابن عباس وأبي رزين، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٩)، وعزاها الهذلي في الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة (ص: ٥٧٧) إلى النهشلي عن علي.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٠٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢١١) (١٩٦٣٥)، وعزاه السيوطي في الدر السيوطي (٤/ ٢٩) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: فالمعْنَى: لم نعْلَمِ الغَيْبَ حين أعْطيْنَاك الموْثِقَ لنَأْتِيَنَّكَ بهِ أنَّه يسْرِقُ فيُؤخَذُ[1].

والثَّالث: لم نستَطِعْ أنْ نحفظَهُ فلا يسْرِقُ، رَواه عبْدُ الوهابِ[2] عنْ [٤١٢/ب] مُجاهِدٍ.

والرَّابع: لم نعْلَمْ أنَّه سرقَ للملِك شيْئًا، ولذلِك حكمْنَا باسْترقَاقِ السَّارقِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والخامِسُ: أنَّ المعْنَى: قدْ رأيْنَا السَّرقةَ قدْ أُخذَتْ مِن رحْلِه، ولَا عِلْم لنَا بالغيْبِ فلعَلَّهم سرَّقُوه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والسَّادس: ما كُنَّا لغيْبِ ابْنِك حافِظينَ، إنَّما نقْدرُ على حفْظِه فِي محضرِهِ، فإذا غابَ عنَّا، خفِيتْ علينَا[3] أمورُه.

والسَّابع: لو علِمْنا مِنَ الغيْبِ أنَّ هذه البليَّةَ تقَعُ بابْنِك ما سَافرْنَا بهِ، ذكرَهُما ابْنُ الأنْباريِّ.

والثَّامن: لم نعْلَمْ أنَّك تُصاب بهِ كمَا أُصبْتَ بيُوسفَ، ولو علِمْنا لم نذْهَبْ بهِ، قالَهُ ابْنُ كيسانَ[4].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) عبد الوهَّاب بن مجاهد بن جبر. قال النسائي: مَتْرُوك الحَدِيث. وقال وَكِيع كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّه لم يسمع من أَبِيه شَيْئًا. انظر: الضعفاء والمتركون (ص: ٦٨) ترجمة (٣٧٥)، والضعفاء الصغير (ص: ٧٧) ترجمة (٢٣٤).

(٣) في (ج)، و(ف): عنَّا.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١١٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٧) عن ابن كيسان.

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة يونس	

رقم الآية	الصفحة
سورة هود	

رقم الآية	الصفحة
سورة يوسف	